منهاج البراعة

في شرح نهج البلاغة

لمؤلفه
العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره
صنفها
الفاضل البارع المحقق الشيخ حسن (حسن زاده) الاملى

مؤسسة التاريخ العربي

مكتبة الروضة الحيدرية

www.haydarya.com

نهج البلاغة

خطب، رسائل، كلام، وصايا
عهود، حكم، ومواعظ

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

منهاج البراعة

شرح

نهج البلاغة

لمؤلفه

العلامة المحقق الحاج ميرزا حبيب الله الهاشمي الخوئي قدس سره

طبعة جديدة

ضبط وتحقيق

علي عاشور

مكتبة الروضة الحيدرية

٤٤٩٩

٢٩ / ٥ / ٢٠٠٥

المجلد السادس

دار إحياء التراث العربي

بيروت - لبنان

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

DAR EHIA AL-TOURATH AL-ARABI

Publishing & Distributing

دار إحياء التراث العربي

للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - شارع دكاش - هاتف ٢٧٢٦٥٢ - ٢٧٢٦٥٥ - ٢٧٢٧٨٢ - ٢٧٢٧٨٣ فاكس: ٨٥٠٧١٧ - ٨٥٠٦٢٣ ص.ب. ١١/٧٩٥٧

Beyrouth - Liban - Rue Dakkache - Tel. 272652 - 272655 - 272782 - 272783 Fax: 850717 - 850623 P.O.Box; 7957/11

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الفصل السادس

«وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجازَكُمْ عَلَى الصِّراطِ ومَزالِقِ دَحْضِه، وأَهاوِيلِ زَلَلِه، وتاراتِ أَهْوالِهِ، فَاتَّقُوا اللَّهَ تَقِيَّةَ ذي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكرُ قَلْبَهُ وأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ، وأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرارَ نَوْمِهِ، وأَظْمَأَ الرَّجاءُ هَواجِرَ يَوْمِهِ، وظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَواتِهِ، وأَوْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسانِهِ، وقَدمَ الْخَوْفَ لأَمانِهِ، وَتَنَكَّبَ الْمَخالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ، وسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسالِكَ إِلَى النَّهْجِ الْمطلُوبِ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فاتِلاتُ الْغُرورِ، وَلَمْ تَعْمَ عَلَيْهِ مُشْتَبِهاتُ الأُمورِ، ظافِراً بِفَرْحَةِ الْبُشْرىٰ، وراحَةِ النُّعْمَىٰ، في أَنْعَم نَوْمِهِ، وآمَنِ يَوْمِه، قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعاجِلَةِ حَميداً، وقَدَّمَ زادَ[1] الآجِلَةِ سَعيداً، وبادَرَ مِنْ وَجَلٍ، وأَكْمَشَ في مَهَلٍ، ورَغِبَ في طَلَبٍ، وذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ، وراقَبَ في يَوْمِهِ غَدَهُ، ونَظَرَ قُدُماً أَمامَهُ، فَكَفىٰ بِالْجَنَّةِ ثَواباً ونَوالاً، وكَفَى بالنارِ عِقاباً ووَبالاً، وكَفىٰ بِاللَّهِ مُنْتَقِماً ونَصيراً، وكَفَىٰ بِالْكِتابِ حَجِيجاً وخَصيماً، أُوصيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّذي أَعْذَرَ بِما أَنْذَرَ، وَاحْتَجَّ بِما نَهَجَ، وحَذَّرَكُمْ عَدُوّاً نَفَذَ في الصُّدُورِ خَفِيّاً، ونَفَثَ في الآذانِ نَجِيّاً، فَأَضَلَّ وأَرْدَىٰ، وَوَعَدَ فَمَنَّىٰ، وزَيَّنَ سَيِّئاتِ الْجَرائِمِ، وهَوَّنَ مُوبِقاتِ الْعَظائِمِ، حَتى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ، وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ، أَنْكَرَ ما زَيَّنَ، وَاسْتَعْظَمَ ما هَوَّنَ، وحَذَّرَ ما آمَنَ[2]»[3] «أَمَّنَ خ».

اللغة

(**المزالق**) جمع المزلق وهو الموضع الذي يزلق فيه القدم ولا تثبت ومكان (**دحض**) ويحرّك زلق و(**التارات**) جمع تارة وهي المرّة والحين و(**النصب**) التعب و(**هجد وتهجد**) نام وهجد وتهجد سهر واستيقظ فهو من الأضداد و(**الغرار**) بكسر (**الغين**) المعجمة القليل من النوم و(**الظمأ**) العطش و(**الهواجر**) جمع الهاجرة وهو نصف النهار عند اشتداد الحرّ يقال أتينا أهلنا مهجرين أي سائرين في الهاجرة و(**ظلف**) نفسه عنه يظلفها من باب ضرب منعها من أن تفعله أو تأتيه أو كفّها عنه و(**أوجف**) في سيره أسرع والوجيف ضرب من سير الإبل والخيل.

(١) في نسخة: قَدِمَ.
(٢) في نسخة: أمَّنَ.
(٣) عيون الحكم والمواعظ: ٥٠٧، وميزان الحكمة: ٢/ ١٤٥١.

(وقدم الخوف لأَمانه) هكذا في نسختين للمعتزلي والبحراني وفي بعض النّسخ لإبانه **(بالباء)** الموحّدة المشدّدة بعد الهمزة المكسورة وبعد **(الباء)** **(بالنّون)**. قال في «القاموس» ابّان الشيء بالكسر حينه أو أوّله والأوّل أظهر وأوفق و**(نكب)** عنه من باب نصر وفرح نكْباً ونكَباً ونكوباً عدل كنكب وتنكب ونكبه تنكيباً لازم متعدّ وطريق منكوب على غير قصد.

و**(المخالج)** المشاغل من خلج يخلج أي شغل وجذب و**(الوضح)** محجة الطريق و**(فتله)** يفتله من باب ضرب لواه وفتل وجهه عنهم صرف و**(النّعمى)** والنّعيم الخفض والدّعة والمال كالنّعمة، وأنعم الله صباحك من النّعومة جعله ذا رفاهيّة و**(أكمش)** أسرع و**(القدم)** بالضمّ وبضمّتين والقدمة كالقدم محركة السّابقة في الأَمر و**(نفث)** ينفث من باب نصر وضرب من النّفث وهو كالنّفخ ومنه ﴿ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾ ونفث الشّيطان في قلبه القاه و**(استدرجه)** خدعه وأدناه وقرين الشّيطان و**(قرينته)** التابع لرأيه.

قال الشّارح المعتزلي: القرينة هٰهنا الإنسان الذي قارنه الشّيطان ولفظه لفظ التّأنيث وهو مذكر أراه القرين و**(غلق)** الرّهن من باب فرح إذا استحقّه المرتهن وذلك إذا لم يفتكك في الوقت المشروط.

الإعراب

(شهواته) منصوب بنزع الخافض، **(وأوجف الذّكر)** في كثير من النّسخ بنصب الذّكر فتكون **(الباء)** في قوله بلسانه للاستعانة وفي بعض النّسخ بالرّفع فتكون الباء زائدة كأن المعنى حرك الذّكر لسانه مسرعاً، **(وقدم الخوف لأَمانه)** **(اللاّم)** للتّعليل، **(وعن وضح السّبيل)** متعلّق بالمخالج، **(وحميداً وسعيداً)** حالان من فاعل **(عبر وزاد)**، قوله: **(وبادر من وجل)**، كلمة تعليليّة كما في قوله **(ممّا خطيئاتهم اغرقوا)**، **(والباء)** في قوله **(بالجنّة وبالنّار وبالله وبالكتاب)** زائدة، **(وثواباً ونوالاً وعقاباً ووبالاً)** منصوبات على التميز، **(ومنتقماً ونصيراً وحجيجاً وخصيماً)** منصوبات على الحال.

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل متضمّن للإنذار بالصّراط والتّحذير من أهواله والأَمر بالتّقوى تأكيداً لأَوامره السّابقة فانذر أوّلاً بالصّراط حيث قال **(واعلموا أنّ مجازكم على الصّراط)** الذي هو جسر جهنّم وعليه ممرّ جميع الخلائق حسبما تعرفه تفصيلاً **(ومزالق دحضه وأهاويل زلله)** لكونه أدقّ من الشعر وأحدّ من السّيف كما يأتي في الأَخبار الآتية.

وفي النّبوي قال ﷺ: «ثلاث مواطن لا يذكر أحد أحداً: عند الميزان حتّى يعلم أيخفّ ميزانه أو يثقل، وعند تطاير الصّحف حتّى يعلم أيقع كتابه في يمينه أم شماله أم من وراء

ظهره، وعند الصّراط إذا وضع بين ظهر جهنّم حتّى يجوز»[١].

قال الشّارح المعتزلي **(وتارات أهواله)** هو كقولك دفعات أهواله وإنّما جعل أهواله تارات لأنّ الأمور الهائلة إذا استمرّت لم يكن في الازعاج والتّرويع كما يكون إذا طرأت تارة وسكنت تارة.

ثمّ أمر عليه السلام بملازمة التّقوى وتحصيله في أقصى مراتب كماله مثل تقوى من كمل في مقام العبوديّة واستجمع صفات الإيمان فقال عليه السلام (فاتّقوا الله عباد الله تقيّة ذي لبّ شغل التّفكر) في الله وفي صنعه **(قلبه)** من التّوجّه والالتفات إلى الدّنيا وأباطيلها **(وأنصب الخوف)** من الله ومن عذابه **(بدنه)** حتّى صار ناحل الجسم من ذكر النّار وأهاويلها **(وأسهر التّهجّد)** وعبادة اللّيل **(غرار نومه)** فلم تترك له نوماً حتّى كان قائم اللّيل **(وأظمأ الرّجاء)** رجاء ما اعدّ لأولياء الله **(هواجر يومه)** فأكثر صوماً حتّى كان صائم النّهار.

ونسبة السّهر إلى الغرار والظّمأ إلى الهواجر من باب التّوسّع والمجاز على حدّ قولهم: قام ليله وصام نهاره، فأقيم الظرف مقام المظروف أي أسهره التّهجّد من غرار نومه وأظمأه الرّجاء في هواجر يومه.

روى في «الوسائل» عن سهل بن سعد قال: جاء جبرئيل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد عش ما شئت فإنّك ميّت، وأحبب ما شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنّك تجزى به، واعلم أنّ شرف الرّجل قيامه باللّيل، وعزّه استغناؤه عن النّاس.

وفيه أيضاً عن «المفيد» في «المقنعة» قال: روى أنّ صلاة اللّيل تدر الرّزق وتحسن الوجه وترضى الرّب وتنفي السّيئات.

قال: وقال رسول الله صلى الله عليه وآله «إذا قام العبد من لذيذ مضجعه والنّعاس في عينيه ليرضي ربّه بصلاة ليله باهى الله به الملائكة»[٢] وقال تعالى: ﴿اشهدوا أني غفرت له﴾.

قال: وقال: كذب من زعم أنه يصلي باللّيل ويجوع بالنّهار.

وقال صلى الله عليه وآله: «إنّ البيوت التي تصلّى فيها باللّيل وبتلاوة القرآن تضيء لأهل السّماء كما تضيء نجوم السّماء لأهل الأرض»[٣].

---

(١) معاني القرآن: ٤/ ٣٧٣، وتفسير الثعالبي: ٤/ ١٦٣.

(٢) بحار الأنوار: ٨٤/ ١٥٦ ح ٤٠، ومستدرك الوسائل: ٦/ ٣٣٢ ح ٦٩٣٤.

(٣) من لا يحضره الفقيه: ١/ ٤٧٣ ح ١٣٦٧، وثواب الأعمال: ٤٢.

وفيه أيضاً عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦]، وثمان ركعات في آخر اللّيل والوتر زينة الآخرة[1]، وتأتي أخبار أخر في هذا المعنى إن شاء الله في شرح المختار المائة والثاني والثمانين **(وظلف الزّهد)** في الدّنيا **(شهواته)** وكفّه منها **(وأوجف)** إلى **(الذّكر بلسانه)** ولم يبطىء فيه أو أسرع الذّكر لسانه فلم يسكت عنه قال تعالى:

﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

(وقدم الخوف) من الله **(لامانه)** أي ليأمن به من عذابه الأليم **(ونكب المخالج عن وضح السّبيل)** أي نَحّتهُ الشّواغل والصّوارف عن صراطه المستقيم **(وسلك أقصد المسالك)** وأعدلها **(إلى النّهج المطلوب الذي هو منهج الشّرع القويم (ولم تفتله فاتلات الغرور)** من الاتيان بالطاعات **(ولم تعم عليه مشتبهات الأمور)** فيقتحم في الهلكات **(ظافراً بفرحة البشرى وراحة النعمى)** أي مستبشراً بخطاب ،(بشريكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار) ومستريحاً بسعة العيشة ولذّة النّعمة في دار القرار **(في أنعم نومه وآمن يومه)** أي في أطيب راحته وآمن أوقاته واطلاق اسم النّوم على الرّاحة من باب اطلاق اسم الملزوم على اللازم وإلى الأمن والاستراحة اشير في الآية قال سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ * ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ٤٦ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ * لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

أي يقال لهم ادخلوا الجنات بسلامة من الآفات وبراءة من المكاره والمضرّات آمنين من الإخراج منها ساكني النّفس إلى انتفاء الضرر فيها **(قد عبر معبر العاجلة حميداً وقدّم زاد الآجلة سعيداً)** أي جاز مجاز الدّنيا العاجلة حميداً في فعاله، وقدم الزاد الآخرة سعيداً في أحواله.

والمقصود بذلك أنه زهد في الدّنيا فترك العيش العاجل ورغب في الآخرة فنال الثواب الأجل **(وبادر من وجل واكمش في مهل)** يعني عليه السلام بادر إلى الطاعات من أجل الخوف من العقوبة وأسرع إلى العبادات في أيّام الرفق والمهلة **(ورغب في طلب وذهب عن هرب)** أي كان طلبه للحقّ وسعيه إليه عن شوق ورغبة، وذهابه عن الباطل وبعده عنه عن خوف ورهبة.

قال المحقّق الطوسي في محكي كلامه عن أوصاف الأشراف في تفسير الرّهبة: هو تألّم النّفس من العقاب بسبب ارتكاب المنهيّات والتّقصير في الطاعات كما في أكثر الخلق، وقد يحصل بمعرفة عظمة الحق ومشاهدة هيبته كما في الأنبياء والأولياء.

---

(١) بحار الأنوار: ٨٤/ ١٥٠ ح ٢٦.

وفرّق بعض العارفين بين الخوف والرّهبة فقال: الخوف هو توقّع الوعيد وهو سوط الله يقوّم به الشّاردين عن بابه ويسير بهم على صراطه حتّى يستقيم به أمر من كان مغلوباً على رشده، ومن علامته قصر الأمل وطول البكاء، والرّهبة هي انصباب إلى وجهة الهرب بل هي الهرب رهب وهرب مثل جبذ وجذب، فصاحبها يهرب أبداً لتوقّع العقوبة ومن علاماتها حركة القلب إلى الانقباض من الداخل وهربه وانزعاجه عن انبساط حتى أنّه يكاد أن يبلغ الرّهابة في الباطن مع ظهور الكمد(١) والكآبة على الظاهر، انتهى.

والرّهابة كسحابة عظم في الصّدر مشرف على البطن **(وراقب في يومه غده ونظر قدماً أمامه)** أي لاحظ في دنياه آخرته فادّخر لها ونظر في سابقة أمره إلى ما بين يديه ولم يلتفت إلى غيره.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله **(فكفى بالجنّة ثواباً ونوالاً)** وهو ترغيب إلى السّعي إليها **(وكفى بالنار عقاباً ووبالاً)** وهو تنبيه على وجوب الهرب منها **(وكفى بالله منتقماً ونصيراً)** وهو إشارة إلى لزوم قصر الخشية والاستعانة عليه سبحانه **(وكفى بالكتاب حجيجاً وخصيماً)** أي كفى كتاب الله محاجّاً ومخاصماً، وهو إشارة إلى وجوب تعليم القرآن وتعلّمه وإكرامه وحرمة إضاعته وإهانته.

قال الشّارح البحراني ونسب الاحتجاج والخصام إلى الكتاب مجازاً.

أقول: بل هو حقيقة إذ المستفاد من الأخبار أنّه يؤتى به يوم القيامة في صورة إنسان فيكون بنفسه حجيجاً خصيماً.

فقد روى في «الوسائل» عن محمّد بن يعقوب الكلينيّ معنعناً عن سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: يا سعد تعلّموا القرآن فإنّ القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق «إلى أن قال» حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة فيناديه تبارك وتعالى يا حجّتي في الأرض وكلامي الصّادق النّاطق ارفع رأسك وسل تعط واشفع تشفّع كيف رأيت عبادي؟ فيقول: يا ربّ منهم من صانني وحافظ عليّ، ومنهم من ضيّعني واستخفّ بي وكذب بي وأنا حجّتك على جميع خلقك، فيقول الله عزّ وجل: وعزتي وجلالي وارتفاع مكاني لأثيبنّ اليوم عليك أحسن الثّواب، ولأعاقبن عليك اليوم أليم العقاب الحديث.

وبإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: يجيء القرآن يوم القيامة في أحسن منظور إليه صورة «إلى أن قال» حتّى ينتهي إلى ربّ العزّة فيقول: يا ربّ فلان بن فلان اظمأت هَواجِرُهُ وأسهرت ليله في دار الدّنيا، وفلان بن فلان لم أظم هَوَاجِرُهُ ولم أسهر ليله، فيقول

(١) الكمد هو تغير اللون وذهاب صفائه.

تبارك وتعالى: أدخلهم الجنة على منازلهم فيقوم فيتبعونه فيقول للمؤمن: اقرأوا وارقه، قال عليه السلام: «فيقرء ويرقا حتّى بلغ كلّ رجل منهم منزلته التي هي له فينزلها»[١].

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما أوردناه كفاية في المقام والزّيادة على ذلك تطلب في شرح المائة والخامسة والسبعين، ونروي تمام رواية الخفاف السّالفة هناك إن شاء الله من أصل كتاب الكلينيّ.

ثمّ عاد عليه السلام إلى الحث على التّقوى أيضاً بقوله: **(أوصيكم بتقوى الله الذي أعذر بما أنذر)** أي أزال العذر عنه بما أنذركم به من العقوبات **(واحتج بما نهج)** أي أقام الحجّة عليكم بما أوضحه لكم من الأدلة والآيات **(وحذّركم عدواً نفذ في الصّدور خفياً ونفث في الآذان نجياً)** أراد به تحذير الله سبحانه وتعالى في غير واحدة من آيات كتابه الكريم من عداوة الشيطان اللّعين كما قال في سورة البقرة:

﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وفي سورة يوسف: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ وفي سورة يس: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾﴾.

إلى غير ذلك، وتوصيفه بالنّفوذ في الصّدور والنّفث في الأذان إشارة إلى أنّه ليس مثل سائر الأعداء يرى بالأبصار ويدرك بالعيان، بل هو عدوّ ينفذ في القلوب ويجري من ابن آدم مجرى الدّم في العروق، ويلقى في الآذان زخرف القول وغروره، ويمكن أن يراد بالعدو الأعمّ من شيطان الجنّ والانس فيكون الوصف بالنّفوذ بالنظر إلى شيطان الجنّ، والوصف بالنّفث بالنظر إلى شيطان الإنس كما قال سبحانه:

﴿مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾﴾ [الناس: ٤ ـ ٦].

قال المفسّر أي من شرذي الوسواس الذي يوسوس في الصّدور، ثمّ فسّره بقوله: من الجنّة والنّاس كما يقال نعوذ بالله من شرّ كلّ مارد من الجن والإنس، وعلى هذا فيكون وسواس الجنّة هو وسواس الشّيطان، ووسواس الإنس اغواء من يغويه من النّاس، فشيطان الجنّ يوسوس وشيطان الإنس يأتي علانية ويرى أنّه ينصح وقصده الشرّ ويموه ويلقى في سمعه زخرف القول الذي يستحسن ظاهره ويقبح باطنه.

(فأضلّ وأردى ووعد فمنى) أي أضلّ بنفوذه في الصدور ووسوسته في القلوب عن طريق

(١) شرح أصول الكافي: ١١/١٩ ح ١١، ووسائل الشيعة: ٦/١٦٦ ح ٧٦٣٧.

الهداية وأوقع في أودية الهلاكة أعني هلاكة الآخرة الموجبة لاستحقاق النار ولغضب الجبار ووعدهم بالمواعيد الكاذبة ومَنّاهُمُ الأماني الباطلة كما قال سبحانه:

﴿وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا * يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا * أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء: ١١٩-١٢١] الآية.

أي يمنّيهم الأهواء الباطلة ويلقيها في قلب الإنسان فيمنّيه طول البقاء وأنه ينال من الدّنيا مقصوده ويستولي على أعدائه ويوقع في نفسه أن الدّنيا دول فربّما تيسّرت لي كما تيسّرت لغيري، ويشوّش بذلك فكره في استخراج الحيل الدّقيقة والوسائل اللّطيفة في تحصيل مطالبه الشّهويّة والغضبيّة، فيصدّه عن الطاعة ويوقعه في المعصية وتسويف التّوبة.

وهذه الأماني انما تنشأ من الثّقة بقوله والوثوق بوعده، ووعده تارة يكون بإلقاء الخواطر الفاسدة وأخرى بألسنة أوليائه من شياطين الإنس، فربّما يعد بالمغفرة مع الكبيرة كما قال تعالى: ﴿يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا﴾ [الأعراف: ١٦٩]، وربّما يعد أنّه لا قيامة ولا حساب ولا ثواب ولا عقاب ويقول للإنسان اجتهد في استيفاء اللّذات العاجلة واغتنم الحياة الزّائلة.

(وزيّن سيئات الجرائم وهوّن موبقات العظائم) أي زين في نظر الإنسان قبائح المعاصي وهوّن مهلكات الكبائر ومنشأ تزيينه للسّيئات كتهوينه الموبقات أيضاً مواعيده الكاذبة وأمانيه الباطلة فما لم يثق بقوله ولا يطمئنّ بوعده لا يهوّن الإنسان ما هون، ولا يميل إلى ما زيّن.

توضيح ذلك وتحقيقه أنّ مقصود الشّيطان هو التّرغيب في الاعتقاد الباطل والعمل الباطل والتنفير عن اعتقاد الحقّ وعمل الحقّ، ومعلوم أنّ التّرغيب في الشيء لا يمكن إلاّ بان يقرّر عنده أنّه لا مضرّة في فعله، ومع ذلك فإنّه يفيد المنافع العظيمة والتّنفير عن الشيء لا يمكن إلاّ بأن يقرّر عنده أنّه لا فائدة في فعله ومع ذلك فيفيد المضارّ العظيمة.

إذا ثبت هذا فنقول إنّ الشّيطان إذا دعا إلى المعصية فلا بد وأن يقرّر أوّلاً أنّه لا مضرّة في فعله البتّة، وذلك لا يمكن إلاّ إذا قال لا معاد ولا جنّة ولا نار ولا حياة بعد هذه الحياة، فهذا الطريق يقرّر عنده أنه لا مضرّة البتّة في فعل هذه المعاصي وإذا فرغ من هذا المقام قرّر عنده وزيّن في نظره أن هذا الفعل يفيد أنواعاً من اللّذة والسّرور ولا حياة للإنسان إلاّ في هذه الدّنيا فتفويتها غبن وحسرة.

وأمّا طريق التّنفير عن الطاعات فهو أن يقرّر أوّلاً عنده أنّه لا فائدة فيها من وجهين:

الأول: أنّه لا جنّة ولا نار ولا ثواب ولا عقاب.

والثاني: أنّ هذه العبادات لا فائدة فيها للعابد ولا للمعبود فكانت عبثاً محضاً، وإذا فرغ من هذا المقام قال: إنّها توجب التّعب والمحنة وذلك أعظم المضارّ فهذه مجامع تلبيس إبليس وتوضيح وعده وأمانيه وتزيينه وتهوينه.

(**حتّى إذا استدرج قرينته واستغلق رهينته**) أي إذا خدع قرينه وتابعه بتزيين الباطل في نظره وتنفيره عن الحق وأوقعه في الغلق بالذّنوب التي اكتسبها كالرّهن المغلق في مقابل المال (**انكر ما زيّن واستعظم ما هوّن وحذر ما أمن**) كما قال سبحانه في سورة الأنفال:

﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلْيَوْمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآءَتِ ٱلْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكُمْ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤٨﴾﴾.

قال الطبرسي: أي أذكر إذ زيّن الشّيطان للمشركين أعمالهم أي أحسنها في نفوسهم وذلك أنّ إبليس حسّن لقريش مسيرهم إلى بدر لقتال النبي ﷺ، وقال: لا يغلبكم أحد من النّاس لكثرة عددكم وقوّتكم وإنّي مع ذلك جار لكم أي ناصر لكم ودافع عنكم السّوء، وإنّي عاقد لكم عقد الأمان من عدوّكم، فلمّا التقت الفرقتان نكص على عقبيه، أي رجع القهقرى منهزماً ورائه، وقال: إنّي بريء منكم، أي رجعت عمّا ضمنت لكم من الأمان والسّلامة لأنّي أرى من الملائكة الذين جاؤوا لنصر المسلمين ما لا ترون، وكان إبليس يعرف الملائكة وهم كانوا يعرفونه، إنّي أخاف الله، أي أخاف عذاب الله على أيدي من أراهم، والله شديد العقاب، لا يطاق عقابه وفي سورة الحشر:

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ * فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر: ١٦-١٧].

أي مثل المنافقين في إغراء اليهود أي بني النّضير للقتال كمثل الشّيطان في إغرائه للإنسان، فإنّه أبداً يدعو الإنسان إلى الكفر ثمّ يتبرّأ منه وقت الحاجة مخافة أن يشاركه في العذاب ويقول: إنّي أخاف الله رب العالمين، ولا ينفعه ذلك كما قال: فكان عاقبتهما أي الدّاعي والمدعوّ من الشّيطان ومن أغواه، أنّهما معذّبان في النّار.

قال ابن عبّاس: إنّ المراد بالإنسان في هذه الآية هو عابد بني إسرائيل قال: إنّه كان في بني إسرائيل عابد اسمه برصيصاً عبد الله زماناً من الدّهر حتّى كان يؤتى بالمجانين يداويهم ويعوّذهم فيبرؤون على يده، وأنّه أتى بامرأة في شرف قد جنّت وكان لها اخوة فأتوه بها فكانت عنده فلم يزل به الشّيطان يزيّن له حتّى وقع عليها فحملت، فلمّا استبان حملها قتلها ودفنها، فلمّا فعل ذلك ذهب الشّيطان حتّى لقى أحد إخوتها فأخبره بالذي فعل الرّاهب وأنّه دفنها في مكان كذا.

ثمّ أتى بقيّة إخوتها رجلاً رجلاً فذكر ذلك له فجعل الرّجل يلقى أخاه فيقول والله لقد أتاني آت فذكر لي شيئاً يكبر عليّ ذكره، فذكر بعضهم لبعض حتّى بلغ ذلك ملكهم فصار الملك والنّاس، فاستنزلوه فأقرّ لهم بالذي فعل فأمر الملك به فصلب، فلمّا رفع على خشبته تمثّل له الشّيطان فقال: أنا الذي ألقيتك في هذا فهل أنت مطيعي فيما أقول اخلّصك ممّا أنت فيه؟ قال: نعم، قال: اسجد لي سجدة واحدة، فقال: كيف أسجد لك وأنا على هذه الحالة؟ فقال: أكتفي منك بالإيماء، فأومى له بالسّجود فكفر بالله وقتل الرّجل، فهو قوله: كمثل الشّيطان إذ قال للإنسان اكفر.

اللّهم إنّا نعوذ بك من خداع إبليس ومن شرور الأنفس ومن سوء الخاتمة.

تنبيهات ثلاثة متضمنة لتحقيق بعض ما تضمنه هذا الفصل

الأول

في تحقيق الصراط وبيانه

فأقول: إنّ الصّراط ممّا يجب الإيمان به وهو من جملة ضروريات الدّين وهو جسر جهنم.

قال الصدوق (ره) في محكي كلامه عن اعتقاداته: اعتقادنا في الصراط أنّه حق وأنه جسر جهنم وأنّ عليه ممرّ جميع الخلق قال الله تعالى:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴿٧١﴾﴾.

قال (ره): والصراط في وجه آخر اسم حجج الله فمن عرفهم في الدّنيا وأطاعهم أعطاه الله جوازاً على الصراط الذي هو جسر جهنم قال (ره) وقال رسول الله صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام: «يا عليّ إذا كان يوم القيامة أقعد أنا وأنت وجبرئيل على الصراط ولا يجوز على الصراط أحد إلاّ من كان معه براءة بولايتك»(١) وقال المفيد «ره»: الصراط بمعنى الطريق ولذلك يقال على ولاية أمير المؤمنين والأئمة من ذريتهم عليهم السلام: الصراط، لكونها طريق النجاة.

أقول: الصراط بهذين المعنيين مما أشير إليه في غير واحد من الأخبار، ففي «الصافي» و«البحار» من «معاني الأخبار» وتفسير الإمام عليه السلام في تفسير قوله:

---

(١) معاني الأخبار: ٣٦، وبحار الأنوار: ٨/٦٦ ح ٤.

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

عن الصّادق عليه السلام: يعني ارشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبّتك والمبلّغ إلى جنّتك والمانع من أن نتّبع أهوائنا فنعطب أو أن نأخذ بآرائنا فنهلك[١].

وعنه أيضاً هي الطريق إلى معرفة الله وهما صراطان صراط في الدّنيا وصراط في الآخرة، فأمّا الصراط في الدّنيا فهو الإمام المفترض الطاعة من عرفه في الدّنيا واقتدى بهداه مرّ على الصّراط الذي هو جسر جهنم في الآخرة، ومن لم يعرفه في الدّنيا زلت قدمه عن الصّراط في الآخرة فتردى في نار جهنّم، وفي رواية نحن الصّراط المستقيم.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي عن حفص بن غياث قال: وصف أبو عبد الله عليه السلام الصّراط فقال: «ألف سنة صعود وألف سنة هبوط وألف سنة حذال».

وفيه عن سعد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الصّراط فقال: «هو أدقّ من الشّعر وأحد من السّيف، فمنهم من يمرّ عليه مثل البرق، ومنهم من يمرّ عليه مثل الفرس، ومنهم من يمرّ عليه ماشياً، ومنهم من يمرّ عليه حبواً، ومنهم من يمرّ عليه متعلّقاً فتأخذ النّار بعضه وتترك بعضه»[٢].

وفيه قال: حدّثني أبي عن عمر بن عثمان عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا نزلت هذه الآية:

﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾.

سئل عن رسول الله فقال صلى الله عليه وآله: أخبرني الرّوح الأمين أنّ الله لا إله غيره إذا برز الخلائق وجمع الأوّلين والآخرين أتى بجهنّم تقاد بألف زمام أخذ بكلّ زمام مائة ألف ملك تقودها من الغلاظ الشّداد لها هدّة وغضب وزفير وشهيق وأنّها لتزفر الزّفرة فلولا أنّ الله أخرهم للحساب لأهلكت الجميع، ثم يخرج منها عنق فيحيط بالخلائق البرّ والفاجر ما خلق الله عبداً من عباد الله ملكاً ولا نبيّاً إلاّ ينادي ربّ نفسي نفسي وأنت يا نبيّ الله تنادي أمّتي أمّتي، ثمّ يوضع عليها الصراط أدقّ من حدّ السّيف عليها ثلاث قناطر فأمّا واحدة فعليها الأمانة والرّحم، والثّانية فعليها الصّلاة، والثالثة فعليها ربّ العالمين لا إله غيره فيكلفون بالممرّ عليها فيحبسهم الرّحم والأمانة فإن نجوا منها حبستهم الصّلاة فإن نجوا منها كان المنتهى إلى ربّ العالمين وهو قوله:

---

(١) وسائل الشيعة: ٤٩/٢٧، وبحار الأنوار: ٩/٢٤ ح ١.

(٢) التفسير الصافي: ٨٥/١، وتفسير نور الثقلين: ٢١/١ ح ٩٣.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ [الفجر: ١٤].

والنّاس على الصراط فمتعلّق بيد وتزلّ قدم وتستمسك بالقدم والملائكة حولها ينادون حولها يا حليم اعف واصفح وعد بفضلك وسلّم سلّم والنّاس يتهافتون في النّار كالفراش فيها فإذا نجى ناج برحمة الله مرّ بها فقال: الحمد لله وبنعمته تتمّ الصّالحات وتزكو الحسنات والحمد لله الذي نجاني منك بعد اياس بمنّه وفضله إنّ ربّنا لغفور شكور(١).

وفي «غاية المرام» للسّيد هاشم البحراني من طريق العامة عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: إذا كان يوم القيامة أمر الله مالكاً أن يسعر النّيران السّبع وأمر رضوان أن يزخرف الجنان الثّمان ويقول: يا ميكائيل مدّ الصّراط على متن جهنّم ويقول: يا جبرائيل انصب ميزان العدل تحت العرش وينادي يا محمّد: قرب أمّتك للحساب.

ثمّ يأمر الله تعالى أن يعقد على الصّراط سبع قناطر طول كلّ قنطرة سبع عشر ألف فرسخ، وعلى كلّ قنطرة سبعون ألف ملك قيام فيسألون هذه الأمّة نسائهم ورجالهم على القنطرة الأولى عن ولاية أمير المؤمنين عليه السلام وحبّ أهل بيت محمّد صلى الله عليه وآله فمن أتى به جاز على القنطرة الأولى كالبرق الخاطف ومن لم يحب أهل بيته نبيّه صلى الله عليه وآله سقط على أمّ رأسه على قعر جهنّم ولو كان معه من أعمال البر عمل سبعين صدّيقاً.

وعلى القنطرة الثّانية فيسألون عن الصّلاة، وعلى الثّالثة يسألون عن الزكاة، وعلى الرّابعة عن الصيام، وعلى الخامسة عن الحجّ، وعلى السّادسة عن الجهاد، وعلى السّابعة عن العدل، فمن أتى بشيء من ذلك جاز على الصّراط كالبرق الخاطف ومن لم يأت عذّب وذلك قوله تعالى: ﴿وقفوهم إنهم مسؤولون﴾ يعني معاشر الملائكة قفوهم يعني العباد على القنطرة الأولى انّهم مسؤولون عن ولاية عليّ عليه السلام وحبّ أهل البيت عليهم السلام.

وفي «البحار» من تفسير الإمام عليه السلام المفسر بإسناده إلى أبي محمّد العسكري عليه السلام في قوله:

﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦].

قال: أدم لنا توفيقك الذي به أطعناك في ماضي أيّامنا حتّى نطيعك كذلك في مستقبل أعمارنا، والصّراط المستقيم هو صراطان: صراط في الدّنيا، وصراط في الآخرة فأمّا الصّراط المستقيم في الدّنيا فهو ما قصر عن الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من

(١) بحار الأنوار: ٧/ ١٢٦، والتفسير الصافي: ٥/ ٣٢٧.

(٢) معاني الأخبار: ٣٣ ح ٤، وبحار الأنوار: ٨/ ٧٠.

الباطل وأمّا الطريق الآخر فهو طريق المؤمنين إلى الجنّة الذي هو مستقيم لا يعدلون عن الجنّة إلى النّار ولا إلى غير النّار سوى الجنّة[١].

الثاني

في تحقيق الذكر والمستفاد من قوله عليه السلام: وأوجف الذكر بلسانه الحث والترغيب عليه

فأقول: إنّ ذكر الله عزّ وجلّ على أقسام:

الأول: أن يذكره تعالى عند إرادة المعصية الّتي يريد ارتكابها فيتركها له.

الثاني: ذكره عند الطاعة فيسهل عليه مشقّة العبادة.

الثالث: ذكره عند الرّفاهية والنّعمة فيذكره ويؤدّي شكره.

الرّابع: ذكره عند الابتلاء والمحنة فيتضرّع له لصرف البلاء والصّبر عليه.

الخامس: ذكره بالقلب بأن يتفكّر في صفاته الجلالية ونعوته الجماليّة وغيرها من العلوم ومعارف الحقّة.

السادس: الذكر باللّسان بأن يسبّح له ويقدّسه ويمجّده ويشتغل بذكر فضائل أهل البيت وتعليم القرآن وتدريس العلوم الشّرعيّة وأنحائها.

وكلّ ذلك ممّا ورد الحثّ عليه في الأخبار والآيات.

قال سبحانه: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [النور: ٣٦-٣٧] وقال أيضاً: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة: ١٥٢] وقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

قال الطبرسي (ره) هو عام في الأذكار وقراءة القرآن والدّعاء والتّسبيح والتهليل وتضرعاً وخيفة أي متضرّعاً وخائفاً، ودون الجهر من القول، أي ومتكلّماً كلاماً دون الجهر، لأنّ الإخفاء أدخل في الإخلاص وأبعد من الرّيا وأقرب إلى القبول.

---

(١) وسائل الشيعة: ٧/١٤٩ ح ١، وقصص الأنبياء: ط٣٤.

وفي «الكافي» و«عدّة الدّاعي» لأحمد بن فهد الحلّي عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: مكتوب في التّوراة الّتي لم تغير أنّ موسى سأل ربّه فقال: يا ربّ أقريب أنت فأناجيك أم بعيد فأناديك؟ فأوحى الله إليه يا موسى أنا جليس من ذكرني، فقال موسى: فمن في سترك يوم لا ستر إلاّ سترك؟ فقال تعالى: ﴿الذين يذكروني فأذكرهم ويتحابون لي فأحبهم فأولئك الذين إذا أردت أن أصيب أهل الأرض بسوء ذكرتهم فدفعت عنهم بهم﴾(١)

وفي عدّة الدّاعي عن النّبي صلى الله عليه وآله: «ما جلس قوم يذكرون الله إلاّ قعد معهم عدّة من الملائكة».

وروى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما اجتمع قوم في مجلس لم يذكروا الله ولم يذكرونا إلاّ كان ذلك المجلس عليهم حسرة يوم القيامة»، ثمّ قال: قال أبو جعفر عليه السلام إنّ ذكرنا من ذكر الله وذكر عدوّنا من ذكر الشّيطان(٢).

وروى الحسن بن الحسن الدّيلمي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ الملائكة يمرّون على حلق الذّكر فيقومون على رؤوسهم ويبكون لبكائهم ويؤمنون لدعائهم، فإذا صعدوا إلى السّماء يقول الله تعالى: يا ملائكتي أين كنتم؟ وهو أعلم، فيقولون: «يا ربّنا إنّا حضرنا مجلساً من مجالس الذكر فرأينا أقواماً يسبّحونك ويمجّدونك ويقدّسونك ويخافون نارك، فيقول الله سبحانه: يا ملائكتي أذودها عنهم وأشهدكم أنّي قد غفرت لهم وامنتهم ممّا يخافون»، فيقولون: ربّنا إنّ فيهم فلاناً وإنّه لم يذكرك فيقول تعالى: «قد غفرت له بمجالسته لهم»، الحديث.

وعنه أيضاً من ذكر الله في السّوق مخلصاً عند غفلة النّاس وشغلهم كتب الله له ألف حسنة ويغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر.

وفي «عدّة الدّاعي» عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ موسى عليه السلام انطلق ينظر إلى أعمال العبّاد فأتى رجلاً من أعبد النّاس فلمّا أمسى حرّك الرّجل شجرة إلى جنبه فإذا فيها رمانتان قال فقال: يا عبد الله من أنت إنّك عبد صالح أنا هٰهنا منذ ما شاء الله ما أجد في هذه الشّجرة إلاّ رمّانة واحدة ولولا أنّك عبد صالح ما وجدت رمّانتين قال: أنا رجل أسكن أرض موسى بن عمران.

قال: فلمّا أصبح قال تعلم أحداً أعبد منك؟ قال: نعم فلان الفلاني، قال: فانطلق إليه فإذا هو أعبد منه كثيراً فلمّا أمسى أوتي برغيفين وماء فقال: يا عبد الله من أنت إنك عبد صالح أنا هٰهنا منذ ما شاء الله وما أوتي إلاّ برغيف واحد ولولا أنّك عبد صالح ما أوتيت برغيفين

(١) وسائل الشيعة: ٧/ ١٥٣ ح ٨٩٨١، وبحار الأنوار: ٧٢ج٤٦٨ ح ٢٠.

(٢) وسائل الشيعة: ٤/ ١٢٤٠، وبحار الأنوار: ٧٢/ ٤٦٨ ح ٢٠.

قال: أنا رجل أسكن أرض موسى بن عمران.

ثمّ قال موسى: هل تعلم أحداً أعبد منك؟ قال: نعم فلان الحداد في مدينة كذا وكذا، قال: فأتاه فنظر إلى رجل ليس بصاحب العبادة بل إنّما هو ذاكر لله تعالى وإذا دخل وقت الصّلاة قام فصلّى فلمّا أمسى نظر إلى غلّته فوجدها قد أضعفت قال: يا عبد الله من أنت إنّك عبد صالح أنا هٰهنا منذ ما شاء الله غلتي قرب بعضها من بعض واللّيلة قد أضعفت فمن أنت؟ قال: أنا رجل أسكن في أرض موسى بن عمران.

قال: فأخذ ثلث غلّته فتصّدق بها، وثلثاً أعطى مولىً له، وثلثاً اشترى له طعاماً فأكل هو وموسى، قال: فتبسّم موسى عليه السلام فقال: من أيّ شيء تبسّمت؟ قال: دلّني نبيّ بني إسرائيل على فلان فوجدته من أعبد الخلق فدلّني على فلان فوجدته أعبد منه فدلّني فلان عليك وزعم أنّك أعبد منه ولست أراك شبه القوم.

قال: أنا رجل مملوك أليس تراني ذاكر الله تعالى أوليس تراني أصلي الصّلاة لوقتها وإن أقبلت إلى الصّلاة أضررت بغلّة مولاي وأضررت بعمل النّاس أتريد أن تأتي بلادك؟ قال: نعم.

قال: فمرّت به سحابة فقال الحدّاد: يا سحابة تعالي، قال: فجاءت، قال: أين تريدين؟ فقالت: أريد كذا وكذا، قال: انصرفي ثمّ مرّت به أخرى قال: يا سحابة تعالي فجاءت فقال: أين تريدين؟ فقالت أريد أرض كذا وكذا، قال: انصرفي ثمّ مرت به أخرى قال: يا سحابة تعالي فجاءته فقال أين تريدين؟ قالت: أريد أرض موسى بن عمران قال: تعالي واحملي هذا حمل دقيق وضعيه في أرض موسى بن عمران وضعاً دقيقاً.

قال: فلمّا بلغ موسى عليه السلام بلاده قال: يا ربّ بما بلغت هذا ما أرى؟ قال تعالى: إنّ عبدي هذا يصبر على بلائي ويرضى بقضائي، ويشكر على نعمائي[1].

وفي «البحار» من تفسير الإمام عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الا فاذكروا يا أمّة محمّداً محمّداً وآله عند نوائبكم وشدائدكم لينصرنّ الله بهم ملائكتكم على الشّياطين الذين يقصدونكم، فإنّ كل واحد منكم معه ملك عن يمينه يكتب حسناته وملك عن يساره يكتب سيئاته، ومعه شيطانان من عند إبليس يغويانه».

فإذا وسوسا في قلبه ذكر الله وقال: «لا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم وصلّى الله على محمّد وآله حبس الشّيطانان ثمّ صارا إلى إبليس فشكواه وقالا له: قد اعيانا أمره فامددنا بالمردة ولا يزال يمدّهما حتّى يمدّهما بألف مارد فيأتونه فكلّما راموه ذكر الله وصلّى على

(١) مستدرك الوسائل: ١٥/٤٨٦، وبحار الأنوار: ١٣/٣٤٧.

محمّد وآله الطّيّبين لم يجدوا عليه طريقاً ولا منفذاً».

قالوا لإبليس ليس له غيرك تباشره بجنودك فتغلبه فتغويه فيقصده إبليس بجنوده، فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة: ﴿هذا إبليس قد قصد عبدي فلاناً أو أمتي فلانة بجنوده الا فقاتلوا﴾، فيقاتلوه بإزاء كلّ شيطان رجيم منهم مائة ألف ملك وهم على أفراس من نار بأيديهم سيوف من نار ورماح من نار وقسى ونشاشيب[1] وسكاكين وأسحلتهم من نار.

فلا يزالون يجرحونهم ويقتلونهم بها ويأسرون إبليس فيضعون عليه تلك الأسلحة فيقول: يا ربّ وعدك وعدك قد أجلتني إلى يوم الوقت المعلوم، فيقول الله تبارك وتعالى للملائكة: وعدته أن لا أميته ولم أعده ان لا أسلّط عليه السّلاح والعذاب والآلام اشتقوا منه ضرباً بأسلحتكم فإنّي لا أميته فيسخنونه بألجراحات ثمّ يدعونه، فلا يزال سخين العين على نفسه وأولاده المقتولين المقتّلين ولا يندمل شيء من جراحاته، إلاّ بسماعه أصوات المشركين بكفرهم.

فإن بقي هذا المؤمن على طاعة الله وذكره والصّلاة على محمّد وآله بقي إبليس على تلك الجراحات، فإن زال العبد عن ذلك وانهمك في مخالفة الله عزّ وجلّ ومعاصيه اندملت جراحات إبليس ثمّ قوى على ذلك العبد حتّى يلجمه ويسرج على ظهره ويركبه ثمّ ينزل عنه ويركب ظهره شيطاناً من شياطينه ويقول لأصحابه أما تذكرون ما أصابنا من شأن هذا ذلّ وانقاد لنا الآن حتّى صار يركبه هذا.

ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فإن أردتم أن تديموا على إبليس سخنة عينه وألم جراحاته فداوموا على طاعة الله وذكره والصّلاة على محمّد وآله، وإن زلتم عن ذلك كنتم أسراء إبليس فيركب أقفيتكم بعض مردته هذا، والله المستعان وبه الاعتصام في النّجاة من مكائد الشّيطان»[2].

(1) نشاشيب جمع النشاشب وهو النبل.

(2) بحار الأنوار: ٦٠/ ٢٧٢، وتفسير الإمام العسكري: ٣٩٨.

الثالث

في تحقيق معنى الرجاء والخوف على في ما شرح البحراني أخذاً من «إحياء العلوم»

لأبي حامد الغزالي بتغيير وتصرف يسير

فاعلم أنّ الرّجاء من جملة مقامات السالكين وحالات الطالبين، وهو ارتياح النّفس لانتظار ما هو محبوب عندها فهو حالة لها فصدر عن علم وتقتضي عملاً.

بيان ذلك أن ما تتصوّره النّفس من محبوب أو مكروه فإمّا أن يكون موجوداً في الماضي أو في الحال أو يوجد في الاستقبال، والأوّل يسمى ذكراً وتذكيراً، والثّاني يسمى وجداً لأنّها حالة تجدها من نفسك، والثّالث وهو أن يغلب على ظنّك وجود شيء في الاستقبال لنفسك به تعلق يسمّى ذلك إنتظاراً وتوقعاً، فإن كان مكروهاً حدث منه في القلب تألم يسمّى خوفاً واشفاقاً، وإن كان محبوباً حصل من انتظاره وتعلق القلب به لذة للنفس وارتياح بأخطار وجوده بالبال يسمّى ذلك الارتياح رجاءً.

ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وأن يكون له سبب، فإن كان توقعه لأجل حصول أكثر أسبابه فاسم الرجاء عليه صادق، وإن كان إنتظاره مع العلم بإنتفاء أسبابه فإطلاق إسم الغرور والحمق عليه أصدق من اسم الرجاء، وإن كانت الأسباب غير معلومة الوجود ولا معلومة العدم فاسم التمنّي أصدق على انتظاره.

إذا عرفت ذلك فاعلم أنّ أرباب القلوب والعرفان قد علموا أنّ الدّنيا مزرعة الآخرة، فالقلب كالأرض والبذر هو الإيمان والمعارف الإلهيّة وتأثر القلب بالمواعظ والنّصائح والاتيان بالطّاعات جار مجرى تقليب الأرض واصلاحها ومجرى سياق الماء إليها واعدادها للزراعة.

والقلب المستغرق بحب الدّنيا والميل إليها كالأرض الصلبة أو السبخة التي لا تقبل الزّرع والانبات ولا تنمو فيها البذر لصلب الأرض أو لمخالطة الأجزاء المحلية، ويوم القيامة يوم الحصاد ولا حصاد إلا من زرع، ولا زرع إلا من بذر وكما لا ينفع الزّرع في أرض صلبة سبخة كذلك لا ينفع إيمان مع حب القلب وقساوته وسوء الأخلاق.

فينبغي أن يقاس رجاء العبد لمغفرة الله ورضوانه برجاء صاحب الزّرع وكما أن من طلب أرضاً طيّبة وقلبها وألقى فيها بذراً جيّداً غير متعفّن ولا مسوس ثمّ أمدّه بالماء العذب وسائر ما يحتاج إليه في أوقاته، ثمّ طهره عن مخالطة ما يمنع نباته من الشوك والحشيش ونحوهما، ثمّ جلس منتظراً من فضل الله رفع الصواعق والآفات المفسدة إلى أن يتمّ الزّرع ويبلغ غايته كان ذلك رجاء في موضعه واستحق اسم الرجاء إذا كان في مظنة أن يفوز بمقصده من ذلك الزّرع.

ومن بذر في أرض كذلك إلاّ أنّه بذر في أخريات النّاس ولم يبادر إليه في أوّل الأوقات أو قصر في بعض أسبابه مع حصول غالب الأسباب، ثمّ أخذ ينتظر ثمرة ذلك الزّرع ويرجو الله سبحانه في سلامة له فهو من جملة الرّاجين أيضاً.

ومن لم يحصل بذراً أو بذر في أرض سبخة أو صلبة غير قابلة للإنبات، ثمّ أخذ ينتظر الحصاد فذلك الانتظار حمق فكان اسم الرجاء إنّما يصدق على انتظار ما حصل جميع أسبابه أو غالبها الداخلة تحت اختيار العبد ولم يبق إلاّ مالا يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف المضّار والمفسدات.

كذلك حال العبد إن بذر المعارف الإلهية في قلبه في وقته وهو أنف البلوغ ومبدأ التكليف ودام على سقيه بماء الطاعات واجتهد في تطهير نفسه عن شوك الأخلاق الردية التي تمنع نماء العلم وزيادة الإيمان وانتظر من فضل الله أن يثبته على ذلك إلى زمان وصوله وحصاد عمله فذلك الانتظار هو الرجاء الحقيقي المحمود وهو درجة السّابقين.

وإن ألقى بذر الإيمان في نفسه لكنه قصر في بعض الأسباب إما بتأخير في البذر أو تسامح في السقي في الجملة ثمّ أخذ ينتظر وقت الحصاد ويتوقع من فضل الله تعالى أن يبارك له ويعتمد عليه على أنه الرّزاق ذو القوة المتين فيصدق عليه أنه راج أيضاً لحصول أكثر الأسباب.

وأما من لم يزرع من قواعد الإيمان في قلبه شيئاً أو زرع ولم يسقه بماء الطاعة أو لم يطهر نفسه من رزائل الأخلاق واشتغل بالسّيئات أو انهمك في الشهوات ثمّ انتظر المغفرة والفضل من الله فانتظاره حمق وغرور.

قال سبحانه: ﴿خلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب يأخذون عرض هذا الأدنى ويقولون سيغفر لنا﴾ وقال رسول الله ﷺ: «الأحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الجنة»[1]، قال الشّاعر:

إذا أنت لم تزرع وعاينت حاصداً ... ندمت على التفريط في زمن البذر

فأعظم الحمق والاغترار التمادي في الذنوب مع رجاء العفو من غير ندامة وتوقع القرب من الله تعالى بغير طاعة، وانتظار زرع الجنّة ببذر النّار وطلب دار المطيعين بالمعاصي وانتظار الجزاء بغير عمل والتمني على الله مع الإفراط والتجري.

ترجو النّجاة ولم تسلك مسالكها ... إن السّفينة لا تجري على اليبس

(١) الإيضاح: ١١٦، وميزان الحكمة: ٢/ ٨٩٠ ح ١٢١١.

الترجمة

و بدانید ای مردمان که عبور شما بر صراط است و بر محل های لغزش او است و خوف های لغزیدن او است و هول های مکرر او است، پس بپرهیزید از خدا همچو پرهیز نمودن شخصی که مشغول نماید تفکر در معارف حقه قلب او را و بر تعب اندازد ترس خدا بدن او را و بیدار گردانیده باشد عبادت شب خواب اندك او را و تشنه ساخته باشد رجاء به خدا روزهای گرم او را.

مانع شده باشد زهد از شهوت آن و سرعت نماید ذکر به زبان آن و مقدم بدارد خوف را به جهت امن از عقوبت و کناره جوئی کند از چیزهایی که شاغل است از راه روشن هدایت و سلوك نماید در اعدل راه ها به سوی منهج مطلوب که عبارت است از ثواب و جزاء مرغوب و صارف نشود صوارف نخوت و غرور و پوشیده نشود بر او مشتبهات امور در حالتی که فایز است به شادی بشارت و راحت نعمت در آسوده ترین خواب و ایمن ترین وقت.

به تحقیق که گذشته باشد از گذرگاه دنیا در حالتی که پسندیده است و مقدم داشته باشد توشه آخرت را در حالتی که سعید است و شتافته است به عمل خیر از ترس خداوندگار و سرعت نموده است به کردار خوب در مهلت روزگار و رغبت نموده در طلب خشنودی و رضای پروردگار و در رفته از باطل به جهت خوف از کردگار و ملاحظه کرده در دنیای خود آخرت خود را و نظر کرده در اول امر خود پیش روی خود را.

پس کفایت است بهشت از حیثیت عطا و ثواب و کافی است جهنم از حیثیت عذاب و وبال و کافی است خداوند در حالتی که انتقام کشنده است و یاری کننده و کافی است کتاب خدا در حالتی که حجت آرنده است و خصومت کننده.

وصیت می کنم شما را به پرهیزکاری خدا، آن خدائی که عذر را زایل نمود از خود با آنچه که ترسانید خلایق را به آن از انواع عقوبات و اقامه حجت نمود بر ایشان با آنچه که روشن نمود از براهین و بینات و ترسانیده شما را از دشمنی که نفوذ کرد و روان شد در سینه ها در حالتی که پنهان است از نظر و دمید در گوش

ها در حالتی که نجوی کننده است به سر، پس گمراه کرد تابع خود را و به هلاکت انداخت و وعده کرد مطیع خود را.

پس آرزومند نمود و زینت داد بدی های جرم ها را در نظر او و آسان کرد مهلکات معصیت ها را در نزد او تا آنکه چون خدعه نمود قرین و همنشین خود را و به غلق انداخت و فروبست رهین خود را، انکار کرد آن چیزی را که زینت داده بود در نظر او و بزرگ شمرد آن چیز را که آسان کرده بود در نزد او و ترسانید از آن چیزی که ایمن کرده بود او را از آن.

و مقصود از همه این، تحذیر است از مکاید شیطان لعین و از تدلیسات آن عدوّ مبین که انسان را به ارتکاب معاصی جری می کند و بعد از ارتکاب از او تبرّی می نماید.

غافل مشو که مرکب مردمان راه را   در سنگلاخ وسوسه پی ها بریده اند

الفصل السابع منها في صفة خلق الإنسان

«أَمْ هٰذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُماتِ الأَرْحَامِ وشُغُفِ الأَسْتَارِ نُطْفَةً دهاقاً، وعَلَقَةً مُحاقاً، وجَنيناً وراضِعاً، ووَليداً ويافِعاً، ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْباً حافِظاً، ولِساناً لافِظاً، وبَصَراً لاحِظاً، لِيَفْهَمَ مُعْتَبِراً، ويَقْصِرَ مُزْدَجِراً حَتّى إذا قامَ اعْتِدَالُهُ، واسْتَوىٰ مِثالُهُ، نَفَرَ مُسْتَكْبِراً، وخَبَطَ سادِراً ماتِحاً في غَرْبِ هَواهُ، كادِحاً سَعْياً لِدُنْيَاهُ، في لَذَاتِ طَرَبِهِ، وبَدَوَاتِ أَرَبِهِ، لاَ يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً، ولا يَخْشَعُ تَقِيَّةً، فَماتَ في فِتْنَتِهِ غَريراً، وعاشَ في هَفْوَتِهِ يَسيراً، لَمْ يُفِدْ عِوَضاً، وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضاً، دَهِمَتْهُ فَجَعاتُ الْمَنِيَّةِ في غُبَّرِ جِماحِهِ، وسَنَنِ مِراحِهِ، فَظَلَّ سادِراً، وباتَ ساهِراً، في غَمَرَاتِ الآلامِ، وطَوارِقِ الأَوْجاعِ والأَسْقَامِ، بَينَ أَخٍ شَقيقٍ، ووالِدٍ شَفيقٍ، وداعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعاً، ولا دِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقاً، وَالْمَرْءُ في سَكْرَةٍ مُلْهِثَةٍ، وغَمْرَةٍ كارِثَةٍ، وأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ، وجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ، وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ، ثُمَّ أُدْرِجَ في أَكْفَانِهِ مُبْلِساً، وجُذِبَ مُنْقاداً سَلِساً، ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الأَعْوادِ رَجيعَ وَصَبٍ، ونِضْوَ سَقَمٍ، تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلدانِ، وَحَشَدَةُ الإِخْوَانِ، إلىٰ دارِ غُرْبَتِهِ، ومُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ، حَتّىٰ إذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ، ورَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ، أُقْعِدَ في حُفْرَتِهِ نَجِيّاً لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ، وعَثْرَةِ الإمْتِحَانِ، وأَعْظَمُ ما هُنالِكَ بَلِيَّةً نُزُلُ الْحَميمِ، وتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ، وفَوْرَاتُ السَّعيرِ، وسَوْرَاتُ الزَّفيرِ، لا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ، وَلا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ، وَلاَ قُوَّةٌ حاجِزَةٌ، ولا مَوْتَةٌ ناجِزَةٌ، ولا سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ، بَيْنَ أَطْوارِ الْمَوْتَاتِ، وعَذابِ السّاعاتِ، إنّا بِاللّٰهِ عائِذُونَ»(١).

اللغة

(**الشّغف**) بضمتين جمع شغاف كسحاب وهو غلاف القلب و(**الدّهاق**) (**بالدال**) المهملة من دهق الماء أفرغه إفراغاً شديداً، وفي بعض النّسخ دفاقاً من دفق الماء دفقاً من باب قتل انصب لشدة ويقال أيضاً دفقت الماء أي صببته يتعدى فهو دافق ومدفوق، وأنكر الأصمعي استعماله لازماً قال: وأمّا قوله تعالى من ماء دافق فهو على أسلوب أهل الحجاز وهو أنّهم يحوّلون المفعول فاعلاً إذا كان في موضع نعت والمعنى من ماء مدفوق، وقال ابن القوطبة ما يوافقه سرّ كاتم أي مكتوم وعارف أي معروف وعاصم أي معصوم.

و(**المحاق**) بضم (**الميم**) والكسر لغة قال الفيومي: محقه محقاً من باب نفع نقصه وأذهب منه بركة، وقيل هو ذهاب الشيء كله حتى لا يرى له أثر منه ويمحق الله الربا وانمحق الهلال الثلاث ليال في آخر الشّهر لا يكاد يرى لخفائه والاسم المحاق بالضم والكسر لغة.

---

(١) تفسير نور الثقلين: ٥/ ٢٣٠ ح ١١٦.

وفي «القاموس» المحاق مثلثة آخر الشهر أو ثلاث ليال من آخره أو أن يستتر القمر فلا يرى غدوة ولا عشية سمي به لأنه طلع مع الشّمس فمحقته.

وغلام (**يافع**) ويفع ويفعة مرتفع و(**السادر**) المتحير والذي لا يهتم ولا يبالي ما صنع و(**الماتح**) الذي يستسق الماء من البئر وهو على رأسها والمائح الذي نزل البئر إذا قل ماؤها فيملأ الدلاء فالفرق بين المعنيين كالفرق بين النقطتين و(**الغرب**) الدلو العظيم و(**كدح**) في العمل من باب منع سعى و(**بدا**) بدوا وبدوّاً وبداء وبدوء وبداوة ظهر، وبداوة الشّيء أول ما يبدو منه؛ وباديء الرأي ظاهره، وبدا له في الأمر بدواً وبداءةً نشأ له فيه رأي وهو ذو بدوات.

قال الفيومي و(**الأَرب**) بفتحتين والأربة بالكسر والمأربة بفتح الراء وضمها الحاجة، والجمع المآرب، والأرب في الأصل مصدر من باب تعب يقال أرب الرّجل إلى الشيء إذا احتاج إليه فهو أرب على فاعل و(**دهمه**) الشيء من باب سمع ومنع غشيه و(**غبر**) الشيء بضم (**الغين**) وتشديد (**الباء**) بقاياه جمع غابر كركّع وراكع و(**جمح**) الفرس جمحا وجماحاً بالكسر اغتر فارسه وغلبه وجمح الرّجل ركب هواه و(**سنن**) الطريق مثلثة وبضمتين نهجه وجهته و(**مرح**) مرحاً من باب فرح نشط وتبختر والمراح ككتاب اسم منه.

و(**غمرة**) الشيء شدته ومزدحمه والجمع غمرات وغمار و(**لهث**) لهثاً من باب سمع ولهاثاً بالضم أخرج لسانه عطشاً وتعباً أو إعياء، وفي بعض النسخ وسكرة ملهية (**بالياء**) أي مشغلة و(**كرثه**) الغم يكرثه من باب نصر أشدّ عليه وبلغ المشقّة وهو كريث الأمر إذا ضعف وجبن و(**أنّ**) المريض إنا إذا تأوه و(**أبلس**) يئس وتحير ومنه سمى إبليس وناقة (**رجع**) سفر ورجيع سفر قد رجع فيه مراراً و(**الوصب**) محرّكة المرض والوجع.

و(**النضو**) بالكسر المهزول من الإبل وغيره و(**السّقم**) كالجبل المرض و(**الحشدة**) جمع حاشد من حشدت القوم من باب قتل وضرب وحشد القوم يعدي ولا يعدي إذا دعوا فأجابوا مسرعين أو اجتمعوا لأمر واحد وحفوا في التعاون و(**البهت**) بالفتح الأخذ بغتة والتحير والانقطاع و(**النزل**) بضمتين طعام النزيل الذي يهيؤ له قال سبحانه: ﴿هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ۝٥٦﴾ [الواقعة: ٥٦].

و(**الحميم**) الماء الحار و(**تصلية**) النار تسخينها و(**السورة**) الحدة والشدة و(**زفر**) النّار تسمع لتوقدها صوت و(**الدعة**) السعة في العيش والسكون و(**الإزاحة**) الإزالة.

الإعراب

اختلف الشراح في كلمة (**أم**) في قوله (**أم هذا الذي أنشأه**)، ففي شرح المعتزلي (**أم**) هٰهنا إما استفهامية على حقيقتها كأنه قال: أعظكم واذكركم بحال الشيطان وإغوائه أم بحال

الإنسان منذ ابتداء وجوده إلى حين مماته، وإما أن تكون منقطعة بمعنى بل كأنه قال عادلاً وتاركاً لما وعظهم به بل أتلو عليهم نبأ هذا الإنسان الذي حاله كذا وكذا.

وفي شرح البحراني **(أم)** للاستفهام وهو استفهام في معرض التقريع للإنسان وأمره باعتبار حال نفسه ودلالة خلقته على جزئيات نعم الله عليه مع كفرانه لها وكأن **(أم)** معادلة لهمزة الاستفهام قبلها، والتقدير أليس فيما أظهره الله لكم من عجائب مصنوعاته عبرة أم هذا الإنسان وتقلبه في أطوار خلقته وحالته إلى يوم نشوره.

أقول: لا يخفى ما في ما ذكره من الاغلاق والابهام بل عدم خلوه من الفساد، إذ لم يفهم من كلامه أن **(أم)** متصلة أم منفصلة، فان قوله: **(أم)** للإستفهام مع قوله: وكأن **(أم)** معادلة لهمزة الاستفهام يفيد كون **(أم)** متصلة إلاّ أنه ينافيه قوله هو استفهام في معرض التّقريع لأنّ **(أم)** المتّصلة لا بدّ أن تقع بعد همزة التسوية ونحو قوله تعالى:

﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ﴾ [البقرة: ٦].

أو بعد همزة الاستفهام الّتي يطلب بها **(وبأم)** التعيين مثل أزيد عندك **(أم)** عمرو، ولا بد أن يكون الاستفهام على حقيقة لتكون معادلة لها في افادة الاستفهام كمعادلتها لهمزة التسوية في إفادة التّسوية ولذلك أيضاً سمّيت متّصلة لاتصالها بالهمزة حتّى صارتا في إفادة الاستفهام بمنزلة كلمة واحدة، ألا ترى أنهما جميعاً بمعنى **(أي)** وينافيه أيضاً قوله والتقدير أليس فيما أظهره **(آه)** بظهوره في كون الاستفهام للانكار التوبيخي وإن جعل **(أم)** منفصلة فلا يحتاج إلى المعادل الذي ذكره، فالأولى ما ذكره الشارح المعتزلي وإن كان هو أيضاً لا يخلو عن شيء.

والتحقيق عندي هو أن **(أم)** يجوز جعلها متّصلة مسبوقة بهمزة الاستفهام أي أذكركم وأعظكم بما ذكرته وشرحته لكم أم أذكركم بهذا الذي حاله كذا وكذا، ويجوز جعلها منفصلة مسبوقة بالهمزة للاستفهام الانكاري الإبطالي، والتقدير أليس فيما ذكرته تذكرة للمتذكر وتبصرة للمتبصر، بل في هذا الإنسان الذي حاله فلان فيكون من قبيل قوله سبحانه:

﴿أَلَهُمۡ أَرۡجُلٞ يَمۡشُونَ بِهَآۖ أَمۡ لَهُمۡ أَيۡدٖ يَبۡطِشُونَ بِهَآۖ﴾ [الأعراف: ١٩٥].

وهذا كلّه مبني على عدم كون الخطبة ملتقطة وأن لا يكون قبل قوله عليه السلام أم هذا **(آه)**، حذف وإسقاط من السّيد، وإلا فمعرفة حال **(أم)** موقوفة على الاطلاع والعثور بتمام الخطبة، هذا.

والمنصوبات الاثنان والعشرون أعني **(نطفة وعلقة وجنيناً وراضعاً ووليداً ويافعاً ومعتبراً ومزدجراً ومستكبراً وسادراً وماتحاً وكادحاً ولا يحسب ولا يخشع وغريراً ومبلساً ومنقاداً وسلساً ورجيع وصب ونضو سقم ونجياً)**، كلّها أحوال، والعامل في كلّ حال ما قبله من الأفعال.

(وسعياً) مصدر بغير لفظ عامله من قبيل **(أفنضرب عنكم الذكر صفحاً)**، وفي لذّات طربه متعلّق بقوله كادحاً، ويحتمل الحاليّة، وتقيّة مفعول لأجله، **(ويسيراً)** صفة للظرف المحذوف بقرينة المقام أي زماناً يسيراً، **(وجزعاً وقلقاً)** منصوبان على المفعول له.

المعنى

إعلم أنه لما وعظ المخاطبين بالحكم والمواعظ الحسنة عقب ذلك وأكده بذكر حال الإنسان وما أنعم الله به عليه من النعم الظاهرة والباطنة بعد أن لم يكن شيئاً مذكوراً حتى أنه إذا كبر وبلغ أشده نفر واستكبر ولم يأت ما أمر ولم ينته عما ازدجر ثم أدركه الموت في حال عتوّه وغروره فصار في محلة الأموات رهين أعماله مأخوذاً بأفعاله مبتلاً بشدائد البرزخ وأهواله كما قال عليه السلام.

(أم هذا الذي أنشأه) الله سبحانه بقدرته الكاملة وحكمته التامة الجامعة **(في ظلمات الأرحام وشغف الأستار)** العطف كالتفسير، والمراد بالظلمات هي ما أشيرت إليها في قوله سبحانه: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ [الزمر: ٦]، وهي إما ظلمة البطن والرحم والمشيمة أو الصلب والرحم والبطن والأوّل رواه الطبرسي عن أبي جعفر عليه السلام (نطفة دهاقاً) أي مفرغة إفراغاً شديداً **(وعلقة محاقاً)** أي ناقصة لم تتصور بعد بصورة الإنسانية في الاتيان بهذه الأوصاف تحقيراً للإنسان كما أومى إليه بالإشارة **(وجنيناً وراضعاً ووليداً ويافعاً)** وهذه الأوصاف الأربعة كسابقيها مسوقة على الترتب الطبيعي المشار إليه بقوله سبحانه:

﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٣-١٤].

فإنه سبحانه قد خلق الإنسان أولاً عناصر ثم مركبات يغذي الإنسان ثمّ أخلاطاً ثم نطفة ثمّ علقة ثمّ مضغة ثمّ عظاماً ولحوماً كما قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

ثمّ إنه ما دام في الرّحم يسمى جنينا كما قال: ﴿وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ﴾ [النجم: ٣٢]، وبعد ولادته يكون راضعاً يرضع أمه أي يمتص ثديها، ثم يكون وليداً أي فطيماً فإذا ارتفع قيل يافع.

قال في «سر الأدب» في ترتيب أحوال الإنسان: هو ما دام في الرحم جنين فإذا ولد فوليد: ثمّ ما دام يرضع فرضيع، ثمّ إذا قطع منه اللّبن فهو فطيم، ثمّ إذا دب ونمى فهو دارج،

فإذا بلغ طوله خمسة أشبار فهو خماسي، فإذا سقطت رواضعه فهو مشغور، فإذا نبتت أسنانه بعد السّقوط فهو مثغر، فإذا تجاوز العشر أو جاوزها فهو مترعرع وناشىء، فإذا كاد يبلغ الحلم أو بلغه فهو يافع ومراهق، فإذا احتلم واجتمعت قوته فهو حزّ، واسمه في جميع هذه الأحوال غلام فإذا اخضر شاربه قيل قد بقل وجهه، فإذا صارفتاة فهو فتى وشارح، فإذا اجتمعت لحيته وبلغ غاية شبابه فهو مجتمع، ثمّ ما دام بين الثلاثين والأربعين فهو شابّ، ثمّ هو كهل إلى أن يستوفي الستين وقيل إذا جاوز أربعاً وثلاثين إلى إحدى وخمسين، فإذا جاوزها فهو شيخ.

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح قوله عليه السلام (ثمّ منحه قلباً حافظاً ولساناً لافظاً وبصراً لاحظاً) أي أعطاه عقلاً ونطقاً ونظراً ومنحه ذلك ومنَّ عليه بذلك (**ليفهم معتبراً ويقصر مزدجراً**) أي ليعتبر بحال الماضين وما نزل بساحة العاصين وينتهي عما يفضيه إلى أليم النّكال وشديد الوبال، وليفهم دلائل الصنع والقدرة ويستدل بشواهد الربوبية على وجوب الطاعة والانتهاء عن المعصية فينزجر عن الخلاف والعصيان ويتخلص عن الخيبة والخسران.

(**حتّى إذا قام اعتداله**) بالتناسب والاستقامة والتوسط بين الحالين في كم أو كيف أي تمّ خلقته وصورته وتناسب أعضاؤه وخلت عن الزّيادة والنّقصان، وكمل قواه المحتاج إليها (**واستوى مثاله**) أي اعتدل مقداره وصفته، ويقال استوى الرجل إذا بلغ أشده أي قوته وهو ما بين ثمانية عشر إلى ثلاثين (**نفر**) وفرعن امتثال الأحكام الشرعيّة والتّكاليف الإلهيّة (**مستكبراً**) ومتعنّتاً (**وخبط**) أي سلك وسار على غير هداية (**سادراً**) لا يبالي ما صنع (**ما تحافي غرب هواه**) شبّه الهوا بالغرب لأن ذي الغرب إنما يستسقي بغرب الماء ليروي غلله وكذلك صاحب الهوى يجلب بهواه ما تشتهيه نفسه وتلتذ به وتروي به غليل صدره وذكر المتح ترشيح للتشبيه.

وأما ما قاله البحراني من أنه استعار الغرب لهواه الذي يملأ به صحائف أعماله من المآثم كما يملأ ذو الغرب غربه من الماء ورشح تلك الاستعارة بذكر المتح فليس بشيء، أمّا أوّلاً: فلأنّ طرفي التشبيه مذكور في كلامه عليه السلام فكيف يكون استعارة بل هو تشبيه بليغ، وأمّا ثانياً: فلأنّ الهوى الذي يكون سبباً لملأ صحائف الأعمال لا ربط له بالغرب الذي يملأ فيه الماء إذ المملوّ بالماء هو الغرب والمملو بالمآثم هو الصحائف لا الهوا نفسه، وكذلك لا مناسبة بين الإثم والماء والوجه ما ذكرناه، فافهم جيّداً.

وقوله: (**كادحاً سعياً لدنياه**) أي كان سعيه وهمته من جميع جهاته مقصورة في دنياه غير مراقب بوجه لآخرته (**في لذات طربه وبدوات إربه**) أي حاجته التي تبدو له وتظهر وتختلف فيها آرائه ودواعيه (**لا يحتسب رزية ولا يخشع تقيّة**) يعني لم يكن يظن أن تنزل عليه مصيبة ولم يكن يخشع ويخاف من الله لأجل تقيّة وذلك من فرط اغتراره بالدّنيا وشدّة تماديه في الشّهوات.

(فمات في فتنته) أي في ضلالته **(غريراً)** ومغروراً **(وعاش في هفوته)** وزلته زماناً **(يسيراً)** قليلاً **(لم يفد عوضاً ولم يقض مفترضاً)** أي لم يستفد ولم يكتسب من الكمالات والخيرات عوضاً ممّا أنعم الله سبحانه به عليه، ولم يأت شيئاً من الطاعات والتكاليف التي فرض الله تعالى عليه.

(دهمته فجعات المنية في غبر جماحه وسنن مراحه) يعني فاجأته دواهي الموت في بقايا ركوبه هواه وفي طرق نشاطه **(فظل سادراً)** متحيراً **(وبات ساهراً في غمرات الآلام)** وشدائدها **(وطوارق الأوجاع والأسقام)** ونوازلها **(بين أخ شقيق)** عطوف **(ووالد شفيق)** رؤوف وشقّ الشّيء وشقيقه هو نصفه.

وتوصيف الأخ بالشّقيق لكونه كالشق منه وبمنزلة جزء بدنه وقلبه **(وداعية بالويل جزعاً)** من النّساء والأماء **(ولا دمة للصدر قلقاً)** من البنات والأمهات وهذا كلّه تشريح لحال أهل الميّت فإنّه، إذا يئس عنه الطّبيب وأبلس الحبيب فهنالك خفّ عنه عوّاده وأسلمه أهله وأولاده، فشقت جيوبها نساؤه، ولطمت صدورها اماؤه، واعول لفقده جيرانه، وتوجع لرزيته إخوانه؛ وغضّوا بأيديهم عينيه، ومدّوا عند خروج نفسه يديه ورجليه.

فكم موجع يبكي عليه تفجعاً ومستنجداً صبراً وما هو صابر
ومسترجع داعٍ له الله مخلصاً يعدّ ومنه خير ما هو ذاكر
وكم شامتٍ مستبشرٍ بوفاته وعما قليل كالذي صار صائر

هذا حالهم، وأمّا حال الميّت فقد أشار إليه بقوله **(والمرء في سكرة ملهثة)** يولك لسانه ويخرجه تعباً وعطشاً **(وغمرة كارثة)** أي شدّة بلغ الغاية من المشقّة.

روى في «الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن عبد الله بن المغيرة عن السّكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الميّت إذا حضره الموت أوثقه ملك الموت ولولا ذلك استقر[1] **(وأنّة موجعة)** أي تأوه موجب لوجع الحاضرين والسّامعين **(وجذبة مكربة وسوقة متعبة)** والمراد بهما جذب الملائكة للرّوح وسوقهم له إلى خارج البدن كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢-٩٣].

قال الطّبرسي: أي في شدائد الموت عند النّزع والملائكة الذين يقبضون الأرواح باسطو أيديهم لقبض أرواحهم يقولون أخرجوا أنفسكم من أجسادكم عند معاينة الموت ازهاقاً لهم وتغليظاً عليهم وإن كان إخراجها من فعل غيرهم.

(١) الكافي: ٣/٢٥ ح ٢، وبحار الأنوار: ٦/١٦٦ ح ٣٧.

وقال الشّارح البحراني: اعلم أنّ تلك الجذبة تعود إلى ما يجده الميّت حال النّزع وهو عبارة عن ألم ينزل بنفس الرّوح يستغرق جميع أجزائه المنتشرة في أعماق البدن وليس هو كسائر ما يجده الرّوح المختص ببعض الأعضاء كعضو شاكته شوكة ونحوها، لاختصاص ذلك بموضع واحد فألم النّزع يهجم على نفس الرّوح ويستغرق جميع أجزائه وهو المجذوب من كلّ عرق وعصب وجزء من الأجزاء ومن أصل كلّ شعرة وبشرة لا تسألن عن بدن يجذب منه كلّ عرق من عروقه، وقد يمثّل ذلك بشجرة شوك كانت داخل البدن ثمّ جذبت منه فهي الجذبة المكربة، ولمّا كان موت كلّ عضو عقيب الأمراض التي ربّما طالت تدريجاً فتلك هي السّوقة المتعبة (**ثمّ أدرج في أكفانه مبلساً**) أي آيساً أو حزيناً (**وجذب**) من وطنه إلى الخارج (**منقاداً سلساً**) أي سهلاً ليّناً (**ثمّ ألقي على الأعواد**) أي الأسرّة حال كونه (**رجيع وصب ونضو سقم**) يعني أنّه من جهة إبتلائه بتارات الأمراض وتردّده في أطوار الأتعاب والأوصاب صار كالإبل الرّجيع الذي يردد في الأسفار مرّة بعد أخرى ولأجل نحول جسمه من الأسقام كان كالجمل النّضو الذي يهزل من كثرة الأحمال والأثقال (**تحمله حفدة الولدان وحشدة الإخوان**) يعني أنّه بعد الفراغ من تغسيله وتكفينه وحمله على سريره أقبلوا على جهازه وشمروا لإبرازه وحمله أعوانه وولدانه وأحباؤه واخوانه.

فظل احبّ القوم كان لقربه يحث على تجهيزه ويبادر
وشمر من قد احضروه لغسله ووجه لما فاظ[1] للقبر حافر
وكفّن في ثوبين فاجتمعت له مشيّعة إخوانه والعشائر

ثمّ أخرج من بين صحبته (**إلى دار غربته و**) من محلّ عزته إلى (**منقطع زورته**) ومن سعة قصره إلى ضيق قبره فحثّوا بأيديهم التراب وأكثروا التلدد والإنتحاب، ووقفوا ساعة عليه وقد يئسوا من النّظر إليه، ثمّ رجعوا عنه معولين، وولّوا مدبرين (**حتّى إذا انصرف المشيع ورجع المتفجّع**) انتبه من نومته وأفاق من غشيته و(**أقعد في حفرته نجياً لبهتة السّؤال**) ودهشته (**وعثرة الامتحان**) وزلّته.

ولعلّ المراد به أنّه يقعد في قبره مناجياً للمنكر والنكير أي مخاطباً ومجاوباً لهما سرّاً لعدم قدرته على الإعلان من أجل الدّهشة والحيرة العارضة له من سؤالهما والعثرة التي ظهرت منه بسبب اختيارهما، أو المراد أنّه يناجي ربّه في تلك الحال من هول الامتحان والسؤال ويقول ربّ ارجعون لعليّ اعمل صالحاً (**واعظم ما هنالك بليّة**) وابتلاء (**نزل الحميم وتصلية الجحيم**) كما قال تعالى:

---

(١) فاظ الرجل: أي مات، م.

﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ * جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴾ [ص: ٥٥-٥٧] وفي سورة النّبأ ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا * إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴾ [النبأ: ٢٤-٢٥].

قال بعض المفسرين: إنّ **(الغسّاق)** عين في جهنم يسيل إليها سمّ كلّ ذات حمة من حية وعقرب، وقيل هو ما يسيل من دموعهم يسقونه من الحميم، وقيل هو القيح الذي يسيل منهم يجمع ويسقونه، وقيل إنّ الحميم الماء الحارّ الذي انتهت حرارته **(والغسّاق)** الماء البارد الذي انتهت برودته فهذا يحرق ببرده وذاك يحرق بحرّه.

وقال الطّريحي: الحميم الماء الحارّ الشّديد الحرارة يسقى منه أهل النار أو يصبّ على أبدانهم، وعن ابن عبّاس لو سقطت منه نقطة على جبال الدّنيا لأذابتها، وكيف كان فقوله عليه السلام مأخوذ من الآية الشّريفة في سورة الواقعة قال سبحانه:

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٞ مِّنۡ حَمِيمٖ ﴿٩٣﴾ وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾﴾.

وأمّا قوله: **(وفورات السّعير)** فأراد به شدّة غليان نار الجحيم ولهبها، وكذلك أراد بقوله **(وسورات الزّفير)** شدّة صوت توقد النّار **(لا فترة مريحة)** لهم من العذاب **(ولا دعة مزيحة)** عنهم العقاب كما قال سبحانه:

﴿إِنَّ ٱلۡمُجۡرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنۡهُمۡ وَهُمۡ فِيهِ مُبۡلِسُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٥].

(ولا قوة حاجزة) تمنعه عن النّكال **(ولا موتة ناجزة)** أي عاجلة تريحه من ألم الوبال إذ الموت ربّما يكون نعمة ويعده الإنسان راحة كما قال مجنون العامري ونعم ما قال:

فـلا مـلـك الـمـوت الـمـريـح يـريـحـنـي

(ولا سنة مسلية) لهمّه ونومة منسية لغمّه وفي الحديث: إنّ الله ألقى على عباده السّلوة بعد المصيبة لولا ذلك لانقطع النّسل **(بين أطوار الموتات وعذاب السّاعات)** أراد بالموتات الآلام الشّديدة والمشاق العظيمة مجازاً فلا ينافي قوله عليه الصّلاة والسّلام: «ولا موتة ناجزة»، فإنّ المراد به الحقيقة **(انا بالله عائذون)** أي ملتجئون من شرّ المال وسوء الحال؛ وقد راعى في أكثر فقرات هذا الفصل السّجع المتوازي، هذا.

وينبغي تذييل المقام بأمور مهمة

الأول

في تحقيق بدو خلق الإنسان فأقول

قال سبحانه في سورة المؤمنين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَـٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَـٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَـٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَـٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَـٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤].

وهذه الآية الشّريفة أجمع الآيات لأدوار الخلقة وأشملها لمراتب الفطرة، وهذه المراتب على ما أشيرت إليها فيها سبع.

المرتبة الأولى: ما أشار إليه بقوله:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون: ١٢].

أي من خلاصة من طين وهو مبدأ نشو الآدمي لتولد النطفة منها، وذلك لأنّ النّطفة إنّما تتولّد من فضل الهضم الرّابع، وهو إنّما يتولّد من الأغذية، وهي إمّا حيوانية وإمّا نباتية، والحيوانية تنتهي إلى النباتية والنّبات إنّما يتولّد من صفو الأرض والماء، فالإنسان بالحقيقة يكون متولّداً من سلالة من طين.

المرتبة الثانية: أنّ السلالة بعدما تواردت عليها أدوار الفطرة تكون نطفة في أصلاب الآباء فتقذف بالجماع إلى أرحام النّساء التي هي قرار مكين لها وإليه أشار سبحانه بقوله:

﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ * يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق: ٦-٧].

المرتبة الثالثة: أنّ النّطفة بعد ما استقرت في الرّحم أربعين يوماً تصير علقة وهي الدّم الجامد.

المرتبة الرّابعة: أنّ العلقة بعدما مكثت في الرّحم أربعين يوماً أيضاً تصير مضغة أي قطعة لحم حمراء كأنّها مقدار ما يمضغ.

المرتبة الخامسة: أنّ المضغة تمكث فيه أربعين ثالثة ويجعلها الله صلباً فتكون عظاماً.

المرتبة السّادسة: ما أشار إليه بقوله: فكسونا العظام لحماً أي ممّا بقي من المضغة أو ممّا أنبته عليها ممّا يصل إليها وإنّما جعل اللحم كسوة لستره العظم كما يستر اللّباس البدن.

المرتبة السابعة: ما أشار إليه بقوله: (**ثمّ أنشأناه خلقاً آخر**) أي خلقاً متبايناً للخلق الأوّل

بإضافة الرّوح إليه مبايناً ما أبعدها، وذلك بعد تمام ثلاثة أربعين أي كمال أربعة أشهر فكان حيواناً بعد ما كان جماداً، وحيّاً بعد ما كان ميتاً، وناطقاً وكان أبكم، وسميعاً وكان أصم؛ وبصيراً وكان أعمى، وأودع باطنه وظاهره بل كلّ عضو من أعضائه عجائب صنعته وبدائع حكمته التي لا يحيط بها وصف الواصفين ولا شرح الشّارحين، فتبارك الله أحسن الخالقين، هذا.

وروى الصّدوق (ره) في «الفقيه» عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن إسماعيل بن مهران، عن مرازم، عن جابر بن يزيد، عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا وقع الولد في جوف أمّه صار وجهه قِبَلَ ظهر أمّه إن كان ذكراً، وإن كان أنثى صار وجهها قبل بطن أمّها ويداها على وجنتيها وذقنها على ركبتيها كهيئة الحزين المهموم، فهو كالمصرور منوط بمعاء من سرّته إلى سرّة أمّه، فبتلك السرّة يغتذي من طعام أمّه وشرابها إلى الوقت المقدّر لولادته، فيبعث الله عزّ وجلّ ملكاً إليه فيكتب على جبهته: شقيّ أو سعيد، مؤمن أو كافر غنيّ أو فقير، ويكتب أجله ورزقه وسقمه وصحّته.

فإذا انقطع الرّزق المقدّر له من سرّة أمّه زجره الملك زجرة فانقلب فزعاً من الزّجرة وصار رأسه قبل الفرج، فإذا وقع إلى الأرض وقع إلى هول عظيم وعذاب أليم إن أصابته ريح أو مشقّة أو مسّته يد وجد لذلك من الألم ما يجد المسلوخ عنه جلده.

يجوع فلا يقدر على الاستطعام، ويعطش فلا يقدر على الاستسقاء، ويتوجّع فلا يقدر على الاستغاثة، فيوكّل الله تبارك وتعالى برحمته والشّفقة عليه والمحبّة له أمّه فتقيه الحرّ والبرد بنفسها، وتكاد تفديه بروحها، وتصير من التّعطف عليه بحال لا تبالي أن تجوع إذا شبع وتعطش إذا روى، وتعرى إذا كسى.

وجعل الله تعالى ذكره رزقه في ثدي أمّه في إحداهما شرابه وفي الأخرى طعامه، حتّى إذا رضع أتاه الله عزّ وجلّ في كلّ يوم بما قدر له فيه من رزق، فإذا أدرك فهمّه الأهل والمال والشّره والحرص، ثمّ هو مع ذلك معرض الآفات والعاهات والبليّات من كلّ وجه، والملائكة ترشده وتهديه، والشّياطين تضلّه وتغويه، فهو هالك إلاّ أن ينجيه الله عزّ وجلّ»، وقد ذكر الله تعالى ذكره نسبة الإنسان في محكم كتابه فقال عزّ وجل:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٦].

قال جابر بن عبد الله الأنصاري: فقلت: يا رسول الله هذه حالنا فكيف حالك وحال

الأَوصياء بعدك في الولادة؟ فسكت رسول الله ﷺ مليّاً ثمّ قال: «يا جابر لقد سألت عن أمر جسيم لا يحتمله إلاّ ذو حظ عظيم، إن الأَنبياء والأَوصياء مخلوقون من نور عظمة الله عزّ وجلّ ثناؤه يودع الله أنوارهم أصلاباً طيّبة وأرحاماً طاهرة يحفظها بملائكته ويربّيها بحكمته ويغذوها بعلمه، فأمرهم يجلّ عن أن يوصف، وأحوالهم تدّق عن أن تعلم، لأنّهم نجوم الله في أرضه، وأعلامه في بريته، وخلفاؤه على عباده، وأنواره في بلاده، وحججه على خلقه، يا جابر هذا من مكنون العلم ومخزونه فاكتمه إلاّ من أهله»[١].

وفي توحيد المفضّل عن الصّادق عليه السلام قال: وسنبتدأ يا مفضّل بذكر خلق الإنسان فاعتبر به، فأوّل ذلك ما يدبّر به الجنين في الرّحم وهو محجوب في ظلمات ثلاث: ظلمة البطن، وظلمة الرّحم، وظلمة المشيمة، حيث لا حيلة عنده في طلب غذاء ولا دفع أذى ولا استجلاب منفعة ولا دفع مضرّة، فإنّه يجري إليه من دم الحيض ما يغذوه كما يغذو الماء النّبات فلا يزال ذلك غذاه.

حتّى إذا كمل خلقه واستحكم بدنه وقوي أديمه على مباشرة الهواء وبصره على ملاقات الضّياء هاج الطّلق بأمّه فأزعجه أشدّ إزعاج وأعنفه حتّى يولد، فإذا ولد صرف ذلك الدّم الّذي كان يغذوه من دم أمّه إلى ثدييها، فانقلب الطّعم واللّون إلى ضرب آخر من الغذاء، وهو أشدّ موافقة للمولود من الدّم فيوافيه في وقت حاجته إليه فحين يولد قد تلمظ وحرّك شفتيه طلباً للرّضاع فهو يحدي ثدي أمّه كالاداوتين المعلقتين لحاجته، فلا يزال يغتذي باللّبن ما دام رطب البدن رقيق الأَمعاء ليّن الأَعضاء.

حتّى إذا تحرّك واحتاج إلى غذاء فيه صلابة ليشتدّ ويستوي بدنه وطلعت له الطّواحين والأَضراس ليمضغ به الطعام فيلين عليه ويسهل له إساغته فلا يزال كذلك حتّى يدرك، فإذا أدرك وكان ذكراً طلع الشّعر في وجهه فكان ذلك علامة الذّكر وعزّ الرّجل الذي يخرج به عن حد الصّبا وشبه النّساء وإن كانت انثى يبقى وجهها نقيّاً من الشّعر لتبقى لها البهجة والنّضارة التي تحرّك الرّجال لما فيه دوام النسل وبقاؤه، الحديث[٢].

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٤١٤، وبحار الأنوار: ٥٧/ ٣٥٣.

(٢) شرح أصول الكافي: ١/ ١٠٣، وبحار الأنوار: ٣/ ٦٣.

الثاني

في تحقيق السؤال في القبر وذكر شبهة المنكرين له ودفعها

اعلم أنّ كلام الإمام عليه السلام في هذا الفصل صريح في ثبوت السؤال في القبر وهو حقّ يجب الإيمان والإذعان به، وعليه قد انعقد إجماع المسلمين بل هو من ضروريات الدّين، ومنكره كافر خالد في الجحيم لا يفتر عنه العذاب الأليم، ولم يخالف فيه إلا بعض من انتسب إلى الإسلام كضرار بن عمر وطائفة من المعتزلة وجمع من الملاحدة مموهين على العوام الّذين يصغون إلى كلّ ناعق بأنّ الميّت بعد وضعه في قبره إن حشى فمه بالجصّ ونحوه ودفن ثمّ يؤتى إليه في اليوم الآخر وينبش قبره فإنّك تراه على حاله لم يتغيّر فلو كان في القبر سؤال وحساب لتغيّرت حالته ولانفتح فمه وسقط الجصّ، وأيضاً فإنّا لا نسمع عذابه في القبر مع شدّته وصعوبته.

وفساد ذلك الكلام غنيّ عن البيان، لأنّ هذه العين والأذن لا تصلحان لمشاهدة الأمور الملكوتيّة وسماعها؛ وكلّ ما يتعلّق بالآخرة فهو من عالم الملكوت.

ألا ترى أنّ الصّحابة كانوا يجلسون عند النّبي صلى الله عليه وآله حين نزول جبرئيل عليه وهو يراه ويتكلّم معه في حضورهم والنّاس لا يرونه ولا يسمعون كلامه؟ وكذلك ملكا القبر لا يمكن للنّاس أن يدركوا سؤالهما وجواب الميّت لهما بهذه الحواس، وكذلك الحيّات والعقارب في القبر ليس من جنس الحيّات والعقارب في هذا العالم حتّى تدرك بالحس.

ويوضح ذلك أنّ النّائم بحضور الجالسين قد يشاهد في نومه الحيّات والعقارب وسائر المؤلمات والمؤذيات تؤلمه وتؤذيه وتلدغه فيتألم ويتأذى بحيث يرشح جبينه ويعرق ويبكي في نومه من شدّة الألم والأذى ومع ذلك كلّه فلا يرى الحاضرون ممّا يرى ويسمع شيئاً.

وبالجملة فلا يعتد بهذه التّرهات والتمويهات، والمنكر قد وجد جزاء إنكاره وهو الآن في قبره مقرّ بما أنكر مذعن بما كفر مدرك لما أنكره بالسّمع والبصر، والحمد لله الذي منّ علينا بالإيمان بالغيب، وخلّص قلوبنا من الشّك والرّيب.

قال الصّادق عليه السلام في رواية الصّدوق: ليس من شيعتنا من أنكر ثلاثة: المعراج، وسؤال القبر، والشفاعة[1].

وفي كتاب «السّماء والعالم» للمحدّث المجلسي عن «الكافي» عن بعض أصحابه عن عليّ بن العبّاس عن الحسن بن عبد الرّحمٰن عن أبي الحسن الأوّل قال: إنّ الأحلام لم تكن

(١) الأمالي: ٣٧٠ ح ٤٦٤ وبحار الأنوار: ٦/ ٢٢٣ ح ٢٣.

فيما مضى في أوّل الخلق وإنّما حدثت، فقلت: وما العلّة في ذلك؟ فقال عليه السلام: «إنّ الله عزّ ذكره بعث رسولاً إلى أهل زمانه فدعاهم إلى عبادة الله وطاعته سبحانه فقالوا: إن فعلنا ذلك فمالنا فوالله ما أنت بأكثرنا مالاً ولا بأعزّنا عشيرة قال لهم: إنّكم إن أطعتموني أدخلكم الله الجنّة، وإن عصيتموني أدخلكم الله النّار، فقالوا: وما الجنّة وما النّار؟ فوصف لهم ذلك، فقالوا: متى نصير إلى ذلك؟ فقال: إذا متم، فقالوا: لقد رأينا أمواتنا صاروا عظاماً ورفاتاً فازدادوا له تكذيباً وبه استخفافاً، فأحدث الله عزّ وجلّ فيهم الأحلام فأتوا فأخبروه بما رأوا وما أنكروا من ذلك، فقال لهم: إنّ الله سبحانه أراد أن يحتجّ عليكم بهذا، هكذا تكون أرواحكم إذا متّم وإن بليت أبدانكم تصير الأرواح إلى عقاب حتّى تبعث الأبدان[1]، هذا.

وبقي الكلام في عموم سؤال القبر قال العلاّمة المجلسي (ره) المشهور بين متكلّمي الإماميّة عدم عمومه واختصاصه بمحض المؤمن ومحض الكافر وأنّه ليس على المستضعفين ولا على الصّبيان والمجانين سؤال، وحكى عن الشّهيد (ره) انّه قال: إنّ السؤال حقّ اجماعاً إلا في من يلقن حجّته.

أقول: ويدلّ على ذلك وعلى اختصاصه بالمؤمن والكافر المحض الأخبار المتظافرة في «الكافي» وغيره وسيجيء بعضها في ضمن الأخبار الآتية.

الثالث

في حالات الميت حين أشرف على الموت وحين إزهاق روحه وعند الغسل والتكفين وحمله على سريره وإذا وضع في قبره وكيفية السؤال في القبر وضغطة القبر وبعض عقوباته في البرزخ ومثوباته

ونحن نشرح كلّ ذلك بما وصل إلينا في ذلك الباب من الأخبار المرويّة عن أئمّتنا الأطياب الأطهار سلام الله عليهم ما تعاقب اللّيل والنّهار، فأقول:

أما حالة الاحتضار

وأعني بها حالة إشراف الميّت على الموت فهي حالة يلهو المرء فيها بكليّته عن الدّنيا ويكون توجّهه إلى الآخرة، ويحضر حينئذٍ عنده رسول الله والأئمة سلام الله عليهم والملائكة الموكّلون بقبض روحه كما يحضر عنده أهله وعياله وأحبّاؤه وأقرباؤه فتارة تكون مخاطبته مع

(١) الكافي: ٨/ ٩٠ ح ٥٧، وبحار الأنوار: ٦/ ٢٤٣ ح ٦٨.

الأوّلين وأخرى مع الآخرين.

روى عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسير قوله:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

بإسناده عن سويد بن الغفلة عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: إنّ آدم إذا كان في آخر يوم من الدّنيا وأوّل يوم من الآخرة مثّل له أهله وماله وولده وعمله، فينظر إلى ماله فيقول: والله إنّي كنت عليك لحريصاً شحيحاً فماذا عندك؟ فيقول: خذ منّي كفنك، ثم يلتفت إلى ولده فيقول: والله إنّي كنت لكم لمحبّاً وإنّي كنت عليكم لمحامياً فماذا عندكم؟ فيقولون: نؤدّيك إلى حفرتك ونواريك فيها، ثمّ يلتفت إلى عمله فيقول: والله إنّي كنت من الزّاهدين فيك وإنّك كنت عليّ ثقيلاً فماذا عندك؟ فيقول: أنا قرينك في قبرك ويوم حشرك حتّى اعرض أنا وأنت على ربّك.

فإن كان لله وليّاً أتاه أطيب النّاس ريحاً أحسنهم منظراً وأزينهم رياشاً فيقول: أبشر بروح من الله وريحان وجنّة النّعيم قد قدمت خير مقدم فيقول: من أنت؟ قال: أنا عملك الصّالح ارتحل من الدّنيا إلى الجنّة وأنّه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يعجله.

فإذا أدخل قبره أتاه ملكان وهما فتّان القبر يجران أشعارهما ويبحثان الأرض بأنيابهما وأصواتهما كالرّعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف فيقولون له: من ربّك، ومن نبيّك وما دينك؟ فيقول: الله ربي ومحمّد نبيّي والإسلام ديني فيقولان له: ثبّتك الله بما تحبّ وترضى وهو قول الله:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] الآية.

فيفسحان له في قبره مدّ بصره ويفتحان له باباً إلى الجنّة ويقولان له: نم قرير العين نوم الشّاب النّاعم، وهو قوله:

﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفرقان: ٢٤].

وإذا كان لربّه عدوّاً فإنّه يأتيه أقبح من خلق الله رياشاً وأنتنه ريحاً فيقول: من أنت؟ فيقول: عملك فيقول: ابشر بنزل من حميم وتصلية جحيم، وأنّه ليعرف غاسله ويناشد حامله أن يحبسه.

فإذا ادخل قبره أتياه ممتحناً القبر فألقيا أكفانه ثمّ قالا له: من ربّك، ومن نبيّك، وما دينك؟ فيقول: لا أدري، فيقولان: لا دريت ولا هديت، فيضربانه بمرزبة ضربة ما خلق الله دابّة إلاّ وتذعر لها ما خلا الثّقلين، ثمّ يفتحان له باباً إلى النّار، ثمّ يقولان له: نم بشر حال.

فهو من الضيق مثل ما فيه القنا[(١)] من الزّج حتّى أن دماغه يخرج من ما بين ظفره ولحمه، ويسلّط الله عليه حيّات الأرض وعقاربها وهوامها فتنهشه حتّى يبعث الله من قبره. وأنّه ليتمنّى قيام السّاعة ممّا هو فيه من الشّر[(٢)].

ورواه في «الكافي» عن عليّ بن إبراهيم مسنداً عن سويد بن غفلة عنه عليه السلام مثله.

وفي «الكافي» عن أبي اليقظان عمّار الأسدي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لو أنّ مؤمناً أقسم على ربّه أن لا يميته ما أماته أبداً، ولكن إذا كان ذلك أو إذا حضر أجله بعث الله عزّ وجلّ إليه ريحين: ريحاً يقال لها المنسية وريحاً يقال المسخية، فأمّا المنسية فإنّها تنسيه أهله وماله، وأمّا المسخية فانّها تسخي نفسه عن الدّنيا حتّى يختار ما عند الله»[(٣)].

وعن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من أحد يحضره الموت إلاّ وكل به إبليس من شياطينه من يأمره بالكفر ويشكّكه في دينه حتّى يخرج نفسه، فمن كان مؤمناً لم يقدر عليه فإذا حضرتم موتاكم فلقنوهم شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله حتّى يموت»[(٤)].

وفي رواية أخرى قال صلى الله عليه وآله: «فلقنه كلمات الفرج والشّهادتين ويسمى له الإقرار بالأئمة عليهم السلام واحداً بعد واحد حتى يتقطع عنه الكلام»[(٥)].

وعن سدير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك يا ابن رسول الله هل يكره المؤمن على قبض روحه؟ قال عليه السلام: لا والله إنه إذا أتاه ملك الموت لقبض روحه جزع عند ذلك فيقول له مَلك الموت: يا وليّ الله لا تجزع فوالّذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله لأنا أبرّ بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر قال: ويمثّل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ذرّيّتهم عليهم السلام فيقال له: هذا رسول الله وأمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام رفقاؤك، قال: فيفتح عينيه فينادي روحه مناد من قبل ربّ العزّة فيقول:

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧] إلى محمّد وأهل بيته ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً﴾

---

(١) القنا جمع قناة وهو الرمح والزج بالضم حديدة في أسفل الرمح منه.
(٢) الكافي: ٣/ ٢٣٣، والأمالي: ٣٤٩.
(٣) معاني الأخبار: ١٤٣، وبحار الأنوار: ٦/ ١٥٣ ح ٧.
(٤) الكافي: ٣/ ١٢٣ ح ٦، من لا يحضره الفقيه: ١/ ١٣٣ ح ٣٥٠.
(٥) الكافي: ٣/ ١٣٤، وسائل الشيعة: ٢/ ٤٥٨ ح ٢٦٤٣.

[الفجر: ٢٨] بالولاية ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر: ٢٨] بالثواب ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ [الفجر: ٢٩] يعني محمّداً وأهل بيته ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٣٠] فما شيء أحبّ إليه من استلال روحه(١).

وعن عليّ بن عقبة عن أبيه قال: قال لي أبو عبد الله عليه السلام: «يا عقبة لا يقبل الله من العباد يوم القيامة إلاّ هذا الأمر الذي أنتم عليه، وما بين أحدكم وبين أن يرى ما يقربه عينه إلاّ أن تبلغ نفسه إلى هذه، ثمّ اهوى بيده إلى الوريد، ثمّ اتكى».

وكان معي المعلّى فغمزني أن أسأله فقلت: يا ابن رسول الله فإذا بلغت نفسه هذه أيّ شيء يرى؟ فقلت له بضعة عشر مرّة: أيّ شيء يرى، فقال في كلّها: يرى، لا يزيد عليها، ثمّ جلس في آخرها فقال: يا عقبة، فقلت: لبّيك وسعديك، فقال: أبيت إلا أن تعلم؟ فقلت: نعم يا ابن رسول الله إنّما ديني مع دينك فإذا ذهب ديني كان ذلك كيف لي بك يا ابن رسول الله كلّ ساعة وبكيت. فرق لي فقال: يراهما والله، فقلت: بأبي وأمي من هما؟ قال: ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام يا عقبة لن تموت نفس مؤمنة أبداً حتى تراهما قلت: فإذا نظر إليهما المؤمن أيرجع إلى الدّنيا؟ فقال: لا، يمضي أمامه إذا نظر إليهما مضى أمامه فقلت له: يقولان شيئاً؟ قال: نعم يدخلان جميعاً على المؤمن.

فيجلس رسول الله صلى الله عليه وآله عند رأسه وعليّ عليه السلام عند رجليه فيكبّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول: «يا ولي الله أبشر أنا رسول إنّي خير لك ممّا تركت من الدّنيا».

ثمّ ينهض رسول الله صلى الله عليه وآله فيقوم عليّ عليه السلام حتّى يكب عليه فيقول: «يا وليّ الله أبشر أنا عليّ بن أبي طالب الذي كنت تحبّ أنا لأنفعنك»، ثمّ قال عليه السلام: «إنّ هذا في كتاب الله عزّ وجل»، فقلت: أين جعلني الله فداك هذا من كتاب الله؟ قال: في يونس قول الله عزّ وجل هٰهنا:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ * لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس: ٦٣-٦٤].

وعن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام إذا حيل بينه وبين الكلام أتاه رسول الله ومن شاء الله فجلس رسول الله عن يمينه والآخر عن يساره فيقول له رسول الله صلى الله عليه وآله: «أمّا ما كنت ترجو فهو ذا أمامك، وأمّا ما كنت تخاف منه فقد أمنت منه».

ثمّ يفتح له باب إلى الجنّة فيقول هذا منزلك من الجنّة فإن شئت رددناك إلى الدّنيا ولك فيها ذهب وفضة، فيقول: لا حاجة لي في الدّنيا فعند ذلك يبيض لونه ويرشح جبينه وتقلص

(١) الكافي: ٣/ ١٣، دعائم الإسلام: ١/ ٣٢٠.

شفتاه وتنتشر منخراه وتدمع عينه اليسرى فأي هذه العلامات رأيت فاكتف بها، فإذا خرجت النفس من الجسد فيعرض عليها كما عرض عليه وهي في الجسد فتختار الآخرة، الحديث[١].

أقول: والأخبار في رؤية النبي والأئمة صلوات الله عليه وعليهم كثيرة كادت تبلغ حد التواتر، ويأتي بعضها بعد ذلك، وبتلك الأخبار تطيب نفوسنا وتسكن قلوبنا إلى الموت، وبها أيضاً يعلم أنّ كراهة المؤمن للموت على ما في الحديث القدسي من قول الله سبحانه: ما تردّدت في شيء أنا فاعله كتردّدي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته إنّما هي قبل الاستبشار برؤيتهم عليهم السلام، وأمّا بعد معاينتهم فليس شيء أحبّ إليه من الموت كما عرفت في الرّوايات.

ويدلّ عليه صريحاً في «الكافي» عن عبد الصّمد بن بشير عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: «أصلحك الله من أحبّ لقاء الله أحبّ الله لقاءه؟ ومن أبغض لقاء الله أبغض الله لقاءه!» قال عليه السلام: «نعم»، قلت: «فوالله إنا لنكره الموت»، فقال عليه السلام: «ليس ذلك حيث تذهب إنّما ذلك عند المعاينة إذا رأى ما يحبّ فليس شيء أحبّ إليه من أن يتقدّم والله تعالى يحبّ لقاءه وهو يحبّ لقاء الله حينئذٍ وإذا رأى ما يكره فليس شيء أبغض إليه من لقاء الله والله يبغض لقاءه».

وفيه عن يحيى بن سابور قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «في الميّت تدمع عيناه عند الموت» فقال عليه السلام: «ذلك عند معاينة رسول الله صلى الله عليه وآله فيرى ما يسرّه»، ثمّ قال عليه السلام: «أما ترى الرّجل يرى ما يسرّه وما يحبّ فتدمع عينه لذلك ويضحك»[٢].

وأما صفة ملك الموت وكيفية قبض الروح

فروى السّيد السّند السّيد نعمة الله الجزائري أنّ الخليل عليه السلام قال لملك الموت يوماً: يا ملك الموت أحبّ أن أراك على الصّورة الّتي تقبض فيها روح المؤمن، فقال: يا إبراهيم اعرض عنّي بوجهك حتّى أتصوّر على تلك الصّورة، فلمّا رآه إبراهيم عليه السلام رأى صورة شابّ حسن الوجه أبيض اللون تعلوه الأنوار في أحسن ما يتخيّل من الهيئة فقال: يا إبراهيم في هذه الصّورة اقبض روح المؤمن فقال عليه السلام: يا ملك الموت لو لم يلق المؤمن إلاّ لقائك لكفاه راحة.

ثمّ قال عليه السلام: أريد أن أراك على الصّفة التي تقبض فيها روح الكافر، فقال: يا إبراهيم لا تقدر، فقال: أحبّ ذلك، فقال: أعرض بوجهك فأعرض بوجهه ثمّ قال: أنظر فنظر إليه

---

(١) الكافي: ٣/١٣٢ ح ٦، معاني الأخبار: ٢٣٦ ح ٢.

فإذا هو أسود كاللّيل المظلم وقامته كالنّخل الطّويل والنار والدّخان يخرجان من منخريه وفمه إلى عنان السّماء.

فلمّا نظر إليه غشي على إبراهيم عليه السلام فرجع ملك الموت إلى حالته فلمّا أفاق الخليل عليه السلام قال: يا ملك الموت لو لم يكن للكافر هول من الموت إلاّ رؤيتك لكفاه عن سائر الأهوال.

فإذا أتى إلى المؤمن سلّ روحه سلاً رقيقاً لطيفاً حتّى أنه يحصل له الرّاحة من ذلك السّل لما يشاهده من مكانه في الجنّة وإن كان كافراً أتى إليه بحديدة محميّة بنار جهنّم فأدخلها في حلقومه وجذب روحه بها يخيل إليه أنّ أطباق السّماوات والأرض قد وقعت عليه وطبقته حتّى تخرج زبدة على فمه كالبعير.

أقول: ويدلّ عليه ما في «الكافي» عن ابن الفضيل عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ آية المؤمن إذا حضره الموت بياض وجهه أشد من بياض لونه ويرشح جبينه ويسيل من عينيه كهيئة الدّموع فيكون ذلك خروج نفسه، وإنّ الكافر تخرج نفسه سلاً من شدقه كزبد البعير أو كما تخرج نفس البعير[1].

وفيه بإسناده عن عمّار بن مروان قال: حدّثني من سمع أبا عبد الله عليه السلام يقول: منكم والله يقبل، ولكم والله يغفر إنّه ليس بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السّرور وقرّة العين إلاّ أن تبلغ نفسه هٰهنا وأومى بيده إلى حلقه.

ثمّ قال عليه السلام: إنّه إذا كان ذلك واحتضر حضره رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ عليه السلام وجبرئيل وملك الموت فيدنو منه عليّ عليه السلام فيقول: يا سول الله إنّ هذا كان يحبّنا أهل البيت فأحبّه، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا جبرئيل إنّ هذا يحبّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبّه»، ويقول جبرئيل عليه السلام: يا ملك الموت إن هذا يحبّ الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأحبّه وأرفق به.

فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رقبتك أخذت أمان براءتك تمسّكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدّنيا؟ قال: فيوفّقه الله عزّ وجلّ فيقول: نعم، فيقول: وما ذاك؟ فيقول: ولاية عليّ بن أبي طالب عليه السلام فيقول: صدقت أما الذي كنت تحذره فقد آمنك الله منه، وأمّا الذي كنت ترجوه فقد أدركته أبشر بالسّلف الصّالح مرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة عليهما السلام.

ثمّ يسلّ نفسه سلاً رفيقاً، ثمّ ينزل بكفنه من الجنّة وحنوطه من الجنّة بمسك أذفر فيكفن

(١) الكافي: ٣/ ١٣٤ ح ١١، من لا يحضره الفقيه: ١/ ١٣٥ ح ٣.

بذلك الكفن ويحنط بذلك الحنوط، ثمّ يكسى حلّة صفراء من حلل الجنّة.

فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب الجنّة يدخل عليه من روحها وريحانها، ثمّ يفتح له عن أمامه مسيرة شهر وعن يمينه وعن يساره، ثمّ يقال له: نم نومة العروس على فراشها أبشر بروح ريحان وجنّة نعيم وربّ غير غضبان.

ثمّ يزور آل محمّد سلام الله عليهم في جنان رضوى فيأكل معهم من طعامهم، ويشرب معهم من شرابهم، ويتحدّث معهم في مجالسهم حتّى يقوم قائمنا فإذا قام قائمنا بعثهم الله تعالى فأقبلوا معه يلبون زمراً زمراً وعند ذلك يرتاب المبطلون ويضمحلّ المحلّون وقليل ما يكونون هلكت المحاضرون ونجا المقرّون[1].

من أجل ذلك قال رسول الله ﷺ لعليّ عليه السلام: «أنت أخي وميعاد ما بيني وبينك وادي السّلام».

قال عليه السلام وإذا احتضر الكافر حضره رسول الله ﷺ وعليّ عليه السلام وجبرئيل وملك الموت فيدنو منه عليّ عليه السلام فيقول: «يا رسول الله إنّ هذا كان يبغضنا أهل البيت فأبغضه» ويقول رسول الله ﷺ: «يا جبرئيل إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه»، فيقول جبرئيل عليه السلام: يا ملك الموت إنّ هذا كان يبغض الله ورسوله وأهل بيت رسوله فأبغضه وأعنف عليه.

فيدنو منه ملك الموت فيقول: يا عبد الله أخذت فكاك رهانك وأمان براءتك تمسّكت بالعصمة الكبرى في الحياة الدّنيا؟ فيقول: لا، فيقول: أبشر يا عدو الله بسخط الله عزّ وجلّ وعذابه والنّار؛ أمّا الذي كنت تحذر فقد نزل بك.

ثمّ يسلّ نفسه سلا عنيفاً ثمّ يوكّل بروحه ثلاثمائة شيطان كلّهم يبزق في وجهه ويتأذى بروحه فإذا وضع في قبره فتح له باب من أبواب النار فيدخل عليه من فيحها ولهبها[2].

وعن الهيثم بن واقد عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: دخل رسول الله ﷺ على رجل من أصحابه وهو يجود بنفسه فقال ﷺ: «يا ملك الموت أرفق بصاحبي فإنّه مؤمن»، فقال: أبشر يا محمّد فإنّي بكلّ مؤمن رفيق.

واعلم يا محمّد أني أقبض روح ابن آدم فيجزع أهله فأقوم في ناحية من دارهم فأقول ما هذا الجزع فوالله ما تعجلناه قبل أجله وما كان لنا في قبضه من ذنب فإن تحتسبوه وتصبروا

(١) في نسخة: المقربون.

(٢) الكافي: ٣/ ١٣٢، وبحار الأنوار: ٦/ ١٩٩.

تؤجروا، وإن تجزعوا تأثموا وتوزروا، واعلموا أنّ لنا فيكم عودة ثمّ عودة فالحذر ثم الحذر إنّه ليس في شرقها ولا في غربها أهل بيت مدر ولا وبر إلاّ وأنا أتصفحهم في كلّ يوم خمس مرّات ولأنّا أعلم بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم ولو أردت قبض روح بعوضة ما قدرت عليها حتّى يأمرني ربّي بها.

فقال رسول الله ﷺ: «إنّما يتصفحهم في مواقيت الصّلاة فإن كان ممّن يواظب عليها عند مواقيتها لقّنه شهادة أن لا إله إلاّ الله ونحى عنه ملك الموت إبليس».

وعن السّكوني عن أبي عبد الله عليه السّلام قال: «إنّ الميّت إذا حضره الموت أوثقه ملك الموت ولولا ذلك ما استقرّ»[1].

وأما التغسيل والتكفين

فقد ورد في الرّوايات أنّ الرّوح بعد خروجها من الجسد تكون مطلاً على الجسد وأنّه ليرى ما يفعل به.

وفي رواية أصبع بن نباتة أنّه يناشد الغاسل ويقول له عند تغسيله: بالله عليك يا عبد الله رفقاً بالبدن الضّعيف فوالله ما خرجت من عرق إلاّ انقطع، ولا من عضو إلاّ انصدع، فوالله لو سمع الغاسل ذلك القول لما غسل ميّتاً أبداً.

وفي «جامع الأَخبار» قال رسول الله ﷺ: «فوالذي نفس محمّد بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهبوا عن ميّتهم ولبكوا على نفوسهم حتّى إذا حمل الميّت على نعشه رفرفت روحه فوق النّعش وهو ينادي: يا أهلي ويا ولدي لا تلعبن بكم الدّنيا كما لعبت بي»[2]، الحديث هذا.

وفي «الوسائل» في عدّة روايات الأَمر بإجادة الأكفان والمغالات في أثمانها معلّلاً بأنّ الموتى يبعثون بها وبأنّهم يتباهون بأكفانهم.

وفيه أنّ موسى بن جعفر عليه السلام كفن في حبرة استعملت له بمبلغ خمسمائة دينار عليها القرآن كلّه.

وفيه عن يونس بن يعقوب عن أبي الحسن الأَوّل عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّي كفنت أبي في ثوبين شطويين كان يحرم فيهما وقميص من قمصه وعمامة كانت لعليّ بن

(١) الكافي: ٣/ ٢٥٠ ح ٢، وبحار الأنوار: ٦/ ١٦٦ ح ٣٧.

(٢) بحار الأنوار: ٦/ ١٦١ ح ٢٨، ودرر الأخبار: ٨٢.

الحسين عليهما السلام وفي برد اشتريته بأربعين ديناراً، ولو كان اليوم ساوى أربعمائة دينار[١].

وأما حالته إذا حمل على سريره

فهو أنّه إن كان مؤمناً خرجت روحه تمشي بين يدي القوم قدماً وتلقاه أرواح المؤمنين ويبشّرونه بما أعدّ الله له جلّ ثناؤه من النّعيم.

وإن كان عدوّاً لله سبحانه فهو كما ورد في رواية الكلينيّ عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا حمل عدوّ الله إلى قبره نادى حملته ألا تسمعون يا إخوتاه إنّي أشكو إليكم ما وقع فيه أخوكم الشّقي إنّ عدوّ الله خدعني فأوردني ثمّ لم يصدرني وأقسم لي أنّه ناصح لي فغشني وأشكو إليكم دنيا غرّتني حتّى إذا اطمأننت إليها صرعتني، وأشكو إليكم أخلاّء الهوى منّوني ثمّ تبرّؤوا منّي وخذلوني، وأشكو إليكم أولاداً حميت عنهم وآثرتهم على نفسي فأكلوا مالي وأسلموني.

وأشكو إليكم مالاً ضيّعت فيه حق الله سبحانه فكان وباله عليّ وكان نفعه لغيري، وأشكو إليكم داراً أنفقت عليها حريبتي[٢] وصار سكانها غيري أشكو إليكم طول الثواء في قبري ينادي أنا بيت الدّود وأنا بيت الظلمة والوحشة والضّيق.

يا إخوتاه فاحبسوني ما استطعتم واحذروا مثل ما لقيت فإنّي قد بشّرت بالنّار وبالذّل والصّغار وغضب العزيز الجبّار، واحسرتاه على ما فرّطت في جنب الله ويا طول عولتاه فمالي من شفيع يطاع ولا صديق يرحمني فلو أنّ لي كرّة فأكون من المؤمنين»[٣].

وفي رواية أنّ أبي جعفر عليه السلام كان يبكي إذا ذكر هذا الحديث.

ثمّ إنّه إذا أتيت بالميّت إلى شفير قبره فأمهله ساعة فإنّه يأخذ أهبته للسّؤال كما وردت رواية أبي الحسن موسى عليه السلام.

وإذا حضر المؤمنين للصّلاة عليه وشهدوا له بالخير والصّلاح فقد ورد في الخبر أنّ الله سبحانه يجيز شهادتهم ويكتبه عنده من الأخيار وإن كان في علمه عزّ وجلّ من الأشرار.

قال الصّادق عليه السلام: إذا حضر الميت أربعون رجلاً فقالوا: اللهمّ إنّا لا نعلم منه إلاّ خيراً، قال الله تعالى: قد قبلت شهادتكم له وغفرت له ما علمت ممّا لا تعلمون[٤].

---

(١) الكافي: ١/ ٤٧٦.
(٢) حريبة الرجل: ما يعيش به.
(٣) الكافي: ٣/ ٢٣٣ ح ٤٧١٠، وبحار الأنوار: ٦/ ٢٥٨ ح ٩٤.
(٤) الكافي: ٣/ ٢٥٤ ح ١٤، والدر المنثور: ١/ ١٤٥.

قال السّيد الجزائري في «الأنوار النعمانيّة» روى الشّيخ الكليني قدّس الله روحه بإسناده إلى الإمام أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام قال:

كان في بني إسرائيل عابد فأوحى الله تعالى إلى داود على نبيّنا وعليه السلام أنه مرائي قال: ثمّ إنّه مات فلم يشهد جنازته داود، فقام أربعون من بني إسرائيل فقالوا اللهمّ إنا لا نعلم منه إلاّ خيراً وأنت أعلم به منّا فاغفر له «قال فلمّا غسل أتى إليه أربعون غير الأربعين وقالوا: اللّهمّ إنّا لا نعلم منه إلاّ خيراً فأنت أعلم به منّا فاغفر له قال عليه السلام فأوحى الله إلى داود: ما منعك أن تصلّي قال داود: للذي أخبرتني به، قال: فأوحى الله إليه إنّه قد شهد له قومه فأجزت شهادتهم وغفرت له وعلمت ما لم تعلموا.

وأما حاله بعد وضعه في قبره

ففي الحديث: إنّ الرّوح يدخل إلى حقويه ويسمع لفظ أيدي القوم من تراب قبره فعند ذلك ينظر يميناً وشمالاً فلا يرى إلاّ ظلمات ثلاث: ظلمة الأرض، وظلمة العمل، وظلمة الوحشة فيا لها من داهية عظيمة ورزيّة جسيمة، وأوّل ملك يدخل عليه يسمّى رومان فتان القبور، وفي رواية اصبغ بن نباتة يسمي منبّه.

قال السّيد الجزائري رحمه الله: روى عبد الله بن سلام أنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وآله عن أوّل ملك يدخل في القبر على الميت قبل منكر ونكير، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ملك يتلألأ وجهه كالشّمس اسمه رمان يدخل على الميّت ثمّ يقول له: اكتب ما عملت ومن سيّئته، فيقول بأي شيء أكتب أين قلمي ودواتي ومدادي؟ فيقول له: ريقك مدادك وقلمك أصبعك، فيقول: على أيّ شيء أكتب وليس معي صحيفة؟ قال: صحيفتك كفنك فاكتبه فيكتب ما عمله في الدّنيا خيراً.

فإذا بلغ سيئاته يستحي منه فيقول له الملك: يا خاطيء ما تستحي من خالقك حين عملتها في الدّنيا وتستحي الآن، فيرفع الملك العمود ليضربه فيقول العبد: ارفع عنّي حتّى أكتبها، فيكتب فيها جميع حسناته وسيئاته ثمّ يأمره أن يطوي ويختم فيقول له: بأيّ شيء أختمه وليس معي خاتم؟ فيقول له: اختمه بظفرك وعلّقه في عنقك إلى يوم القيامة»[1] كما قال تعالى:

﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الإسراء: ١٣].

---

(١) بتفاوت في بحار الأنوار: ٥٦/ ٢٣٤، ومجمع البحرين: ٣/ ٨٢.

وفي رواية أخرى أنّه يأتي إلى الميت فيسمه فإن عرف منه خيراً أخبر منكراً ونكيراً حتّى يرفقا به وقت السؤال، وإن عرف منه شراً أخبرهما حتّى يشدّدا عليه الحال والعذاب.

وأما السؤال عنه

فقد علمت سابقاً أنّه من ضروريّات الدّين وعليه اتّفاق المسلمين وفي الأخبار الكثيرة أنّ لله سبحانه ملكين يسمّى أحدهما منكراً والآخر نكيراً وكّل تعالى السؤال إليهما.

وفي بعض الرّوايات أنّهما بالنّسبة إلى المؤمن مبشر وبشير، وبالنّسبة إلى الكافر منكر ونكير، لأنّهما يأتيان إلى المؤمن بصورة حسنة ويبشّرانه بالثواب والنّعيم، ويأتيان إلى الكافر والمخالف بصورة نكرة مهيبة ويوعدانه بالعذاب والجحيم.

روى في «الكافي» بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ المؤمن إذا خرج من بيته شيّعته الملائكة إلى قبره ويزدحمون عليه حتّى إذا انتهى به إلى قبره قالت له الأرض: مرحباً بك وأهلاً أما والله لقد كنت أحبّ أن يمشي عليّ مثلك لترين ما أصنع بك فيوسع له مد بصره.

ويدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر ونكير فيلقيان فيه الرّوح إلى حقويه فيقعدانه ويسألانه فيقولان: من ربّك؟ فيقول: الله تعالى، فيقولان: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقولان: ومن نبيّك؟ فيقول محمّد صلى الله عليه وآله فيقولان: ومن امامك؟ فيقول: فلان، قال: فينادي مناد من السّماء صدق عبدي افرشوا له في قبره من الجنّة وافتحوا له في قبره باباً إلى الجنّة وألبسوه من ثياب الجنّة حتّى يأتينا وما عندنا خير له، ثمّ يقال له نم نومة عروس، نم نومة لا حلم فيها».

قال عليه السلام: «وإن كان كافراً خرجت الملائكة شيّعته إلى قبره يلعنونه حتّى إذا انتهى إلى قبره قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً أما والله لقد كنت أبغض أن يمشي عليّ مثلك لا جرم لترين ما اصنع بك اليوم، فتضيق عليه حتّى يلتقي جوانحه».

قال عليه السلام: «ثمّ يدخل عليه ملكا القبر وهما قعيدا القبر منكر ونكير».

قال أبو بصير: جعلت فداك يدخلان على المؤمن والكافر في صورة واحدة؟ فقال عليه السلام: لا.

قال: فيقعدانه فيلقيان فيه الرّوح إلى حقويه فيقولان: من ربّك؟ فيتلجلج ويقول: قد سمعت النّاس يقولون، فيقولان: لا دريت، ويقولان له: ما دينك؟ فيتلجلج فيقولان له: لا دريب، ويقولان له من نبيّك؟ فيقول: قد سمعت النّاس يقولون فيقولان له: لا دريت ويسأل عن إمام زمانه.

قال عليه السلام: «وينادي مناد من السّماء كذب عبدي افرشوا له في قبره من النّار وافتحوا له باباً إلى النّار حتّى يأتينا وما عندنا شرّ له فيضربانه بمرزبة ثلاث ضربات ليس منها ضربة إلا ويتطاير منها قبره ناراً لو ضرب بتلك المرزبة جبال تهامة لكانت رميماً».

وقال أبو عبد الله عليه السلام: «ويسلّط الله عليه في قبره الحيّات تنهشه نهشاً والشّيطان يغمّه غمّاً، قال ويسمع عذابه من خلق الله إلاّ الجنّ والإنس»، وقال عليه السلام «إنّه ليسمع خفق نعالهم ونفض أيديهم وهو قول الله عزّ وجل[1]:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وعن إبراهيم بن أبي البلاد عن بعض أصحابه عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: يقال للمؤمن في قبره: من ربّك؟ قال: فيقول الله، فيقال له: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقال: من نبيّك؟ فيقول: محمد صلى الله عليه وآله، فيقال: من إمامك؟ فيقول: فلان فيقال: كيف علمت بذلك؟ فيقول: أمر هداني الله له وثبتني عليه، فيقال له: نم نومة لا حلم فيها نومة العروس، ثمّ يفتح له باب إلى الجنّة فيدخل إليه من روحها وريحانها ليقول: يا رب عجل قيام السّاعة لعلي أرجع إلى أهلي ومالي.

ويقال للكافر: من ربّك؟ فيقول: الله، فيقال: من نبيّك؟ فيقول: محمّد صلى الله عليه وآله فيقال: ما دينك؟ فيقول: الإسلام، فيقال: من أين علمت ذلك؟ فيقول: سمعت النّاس يقولون فقلته، فيضربانه بمرزبة لو اجتمع عليه الثّقلان الإنس والجن لم يطيقوها.

قال عليه السلام: «فيذوب كما يذوب الرّصاص، ثم يعيدان فيه الرّوح فيوضع قلبه بين لوحين من نار فيقول: يا رب أخّر قيام السّاعة[2].

وعن جابر قال قال أبو جعفر عليه السلام: قال النّبي صلى الله عليه وآله: «إنّي كنت أنظر إلى الإبل والغنم وأنا أرعاها وليس من نبيّ إلاّ وقد رعى الغنم، وكنت أنظر إليها قبل النبوّة وهي متمكّنة في[3] المكينة ما حولها شيء يهيجها حتّى تذعر فتطير فأقول ما هذا وأعجب، حتّى حدّثني جبرئيل عليه السلام أنّ الكافر يضرب ضربة ما خلق الله شيئاً إلا سمعها ويذعر لها إلاّ الثّقلين فقلنا: ذلك لضربة الكافر، فنعوذ بالله من عذاب القبر»[4].

---

(١) بحار الأنوار: ٦/ ٢٦٥، والتفسير الصافي: ٣/ ٨٧.
(٢) الكافي: ٣/ ٢٣٩، وبحار الأنوار: ٦/ ٢٦٣ ح ١٠٧.
(٣) في نسخة: ممتلية. الكافي: ٣/ ٢٣٣ ح ٤٧٠٩.
(٤) بحار الأنوار: ٦/ ٢٢٦ ح ٢٨، والكافي: ٣/ ٢٣٣ ح ٤٧٠٩.

وعن بشير الدّهان عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «يجيء الملكان منكر ونكير إلى الميت حين يدفن أصواتهما كالرّعد القاصف وأبصارهما كالبرق الخاطف، يخطان الأرض بأنيابهما ويطآن في شعورهما فيسألان الميت من ربّك وما دينك؟»

قال عليه السلام: «فإذا كان مؤمناً قال: الله ربّي، وديني الإسلام، فيقولان له: ما تقول في هذا الرّجل الذي خرج بين ظهرانيكم؟ فيقول: أعن محمّد رسول الله صلى الله عليه وآله تسألاني؟ فيقولان: تشهد أنّه رسول الله؟ فيقول: أشهد أنّه رسول الله، فيقولان له: نم نومة لا حلم فيها ويفسح له في قبره تسعة أذرع ويفتح له باب إلى الجنّة ويرى مقعده فيها».

وإذا كان الرّجل كافراً دخلا عليه وأقيم الشّيطان بين يديه عيناه من نحاس فيقولان له: من ربّك وما دينك؟ وما تقول في هذا الرّجل الذي خرج من بين ظهرانيكم؟ فيقول: لا أدري فيخليان بينه وبين الشيطان، فيسلّط عليه في قبره تسعة وتسعين تنيناً لو أن تنيناً واحداً منها نفخت في الأرض ما أنبتت شجراً أبداً، ويفتح له باباً إلى النار ويرى مقعده فيها.

وعن محمّد بن أحمد الخراساني عن أبيه رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام «يسأل الميت في قبره عن خمس، عن صلاته وزكاته وحجّه وصيامه وولايته إيانا أهل البيت فتقول الولاية من جانب القبر للأربع: ما دخل فيكن من نقص فعليّ تمامه»(١).

وفي «الوسائل» عن جابر بن يزيد عن أبي جعفر عليه السلام ما على أحدكم إذا دفن ميّته وسوى عليه وانصرف عن قبره أن يتخلّف عند قبره ثمّ يقول: يا فلان بن فلان أنت على العهد الذي عهدناك به من شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمّداً رسول الله وأنّ عليّاً أمير المؤمنين إمامك، وفلان وفلان حتّى يأتي آخرهم، فإنّه إذا فعل ذلك قال أحد الملكين لصاحبه: قد كفينا الوصول إليه ومسألتنا إيّاه فإنّه قد لقّن حجته فينصرفان عنه ولا يدخلان إليه(٢).

وفيه عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ينبغي أن يتخلّف عند قبر الميّت أولى النّاس به بعد انصراف عنه ويقبض على التّراب بكفّيه ويلقّنه برفيع صوته، فإذا فعل ذلك كفى الميت المسألة في قبره»(٣).

وفي «الكافي» بإسناده عن أبي بكر الحضرمي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: لا يسأل في القبر إلاّ من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً والآخرون يلهون عنه(٤).

---

(١) الكافي: ٣/ ٢٤١ ح ٤٧٢٧، وبحار الأنوار: ٦/ ٢٦٦.
(٢) وسائل الشيعة ٣/ ٢٠٢، ووسائل الشيعة: ٢/ ٨٦٣ ح ٢.
(٣) علل الشرائع: ١/ ٣٠٨.
(٤) الكافي: ١/ ٢٩٦ ح ٥، وبحار الأوار: ٦/ ١٨٤ ح ١٧ في نسخة: فترات.

ونحوه أخبار أخر فيه عنه عليه السلام، وظاهر الكليني كالصّدوق هو الأخذ بظواهر هذه الأخبار لروايتهما لها من غير تعرّض لتأويلها، وقد حكى ذلك عن الشّيخ البهائي (ره).

وقال الشّهيد (ره) في محكي كلامه: إنّ هذا الخبر محمول على سؤال خاصّ ليوافق الأخبار العامّة في سؤال القبر.

وقال السّيد الجزائري رحمه الله ويمكن أن يراد بالملهو عنهم الذين وردت الأخبار في شأنهم أنهم يكلفون يوم القيامة بأن تؤجج لهم نار فيؤمروا بالدّخول فيها مثل البله والمجانين ومن كان في فطرات الأنبياء والشّيخ الفاني والعجوز الفانية ونحوهم، وهؤلاء لم يمحضوا الإيمان وهو ظاهر، ولم يمحضوا الكفر أيضاً لقصورهم عن ورود الموردين فيبقون على حالتهم في قبورهم حتّى يمنحهم الله سبحانه في القيامة قوّة إدراك التّكاليف والعقل القابل له.

وأما ضغطة القبر وضمته

ففي «الكافي» بإسناده عن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «ما من موضع قبر إلاّ وهو ينطق كلّ يوم ثلاث مرّات: أنا بيت التّراب أنا بيت البلاء أنا بيت الدّود»، قال عليه السلام «فإذا دخله عبد مؤمن قال: مرحباً وأهلاً أما والله لقد كنت أحبّك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني فسترى ذلك».

قال عليه السلام: «فيفسح له مدّ البصر ويفتح له باب يرى مقعده من الجنّة»، قال عليه السلام: «ويخرج من ذلك رجل لم تر عيناه شيئاً قطّ أحسن منه فيقول: يا عبد الله ما رأيت شيئاً قط أحسن منك فيقول: أنا رأيك الحسن الذي كنت عليه وعملك الصالح الذي كنت تعمله».

قال عليه السلام: «ثمّ تؤخذ روحه فتوضع في الجنّة حيث رأى منزله، ثمّ يقال له: نم قرير العين فلا تزال نفحة من الجنّة تصيب جسده ويجد لذّتها وطيبها حتّى يبعث».

قال عليه السلام: «وإذا دخل الكافر قبره قالت الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً أما والله لقد كنت أبغضك وأنت تمشي على ظهري فكيف إذا دخلت بطني سترى ذلك.

قال: فتضمّ عليه فتجعله رميماً ويعاد كما كان ويفتح له باب إلى النّار فيرى مقعده من النّار، ثمّ قال: ثمّ انه يخرج منه رجل أقبح من رأى قط قال: فيقول يا عبد الله من أنت ما رأيت شيئاً أقبح منك، قال: فيقول: أنا عملك السيّء الذي كنت تعمله ورأيك الخبيث.

قال ثمّ تؤخذ روحه فتوضع حيث رأى مقعده من النّار، ثمّ لم تزل نفحة من النّار تصيب جسده فيجد ألمها وحرّها في جسده إلى يوم يبعث، ويسلّط الله على روحه تسعة وتسعين تنّيناً

تنهشه ليس فيها تنين ينفخ على ظهر الأرض فتنبت شيئاً[١].

وهذه الضّغطة هي التي ضمنها رسول الله ﷺ لفاطمة بنت أسد أمّ أمير المؤمنين عليه السلام.

وقد روى أنّه لما حفر لها قبر اضطجع فيه رسول الله ﷺ فقيل له ﷺ في ذلك فقال: إنّي ذكرت ضغطه القبر عندها يوماً وذكرت شدّتها فقالت: واضعفاه ليس لي طاقة عليها فقلت لها: إنّي أضمن لك على الله فاضطجعت في قبرها لذلك[٢].

وفي «الكافي» عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: «أيفلت من ضغطة القبر أحد؟» قال: فقال عليه السلام: «نعوذ بالله منها ما أقلّ من يفلت من ضغطة القبر، إنّ رقيّة لمّا قتلها عثمان وقف رسول الله ﷺ على قبرها فرفع رأسه إلى السّماء فدمعت عيناه وقال للنّاس: ذكرت هذه وما لقيت فرققت لها واستوهبتها من ضمّة القبر، قال: فقال: اللّهم هب لي رقية من ضمّة القبر فوهبها الله له».

قال عليه السلام: «وإنّ رسول الله ﷺ خرج في جنازة سعد وقد شيعه سبعون ألف ملك فرفع رسول الله ﷺ رأسه إلى السّماء ثمّ قال: مثل سعد يضمّ؟ قال: قلت جعلت فداك: إنا نحدّث أنّه كان يستخف بالبول، فقال عليه السلام: معاذ الله إنّما كان من زعارة في خلقه على أهله قال: فقالت أمّ سعد هنيئاً لك يا سعد، قال: فقال لها رسول الله ﷺ: يا أمّ سعد لا تحتمي على الله»[٣].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يسأل وهو مضغوط.

قال المحدّث المجلسي «ره» في حقّ اليقين: يفهم من الأحاديث المعتبرة أنّ ضغطة القبر للبدن الأصلي وأنّها تابعة للسؤال، فمن لا سؤال عنه لا ضغطة له.

وفيه عن الصّدوق عن الصادق عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ أنّ ضغطة القبر للمؤمن كفّارة عمّا صدر عنه من تضييع نعم الله سبحانه»[٤].

وفي «الكافي» عن يونس قال: سألته عن المصلوب يعذّب عذاب القبر؟ قال: فقال: نعم إنّ الله عزّ وجلّ يأمر الهواء أن يضغطه.

وفي رواية أخرى سئل أبو عبد الله ﷺ عن المصلوب يصيبه عذاب القبر، فقال عليه السلام: إنّ ربّ الأرض هو ربّ الهواء فيوحي الله عزّ وجلّ إلى الهواء فيضغطه ضغطة هو أشدّ من

---

(١) الكافي: ٣/ ٢٤٢، وتفسير نور الثقلين: ٣/ ٥٥٧.
(٢) الكافي: ١/ ٤٥٤، وبحار الأنوار: ٦/ ٢٧٩.
(٣) بحار الأنوار: ٢٢/ ١٤٤ ح ١٣٣.
(٤) علل الشرائع: ١/ ٣٠٩، والأمالي: ٦٣٣ ح ٨٤٥.

ضغطة القبر،

وفيه في رواية أبي بصير التي تقدّم صدرها في ذكر حالة الإحتضار عن أبي عبد الله عليه السلام، فإذا أدرج في أكفانه ووضع على سريره خرجت روحه تمشي بين أيدي القوم قدماً وتلقاه أرواح المؤمن ويبشرونه بما أعدّ الله له جلّ ثناؤه من النّعيم، فإذا وضع في قبره رد إليه الرّوح إلى وركيه ثمّ يسأل عمّا يعلم فإذا جاء بما يعلم فتح له ذلك الباب الذي أراه رسول الله صلى الله عليه وآله، فيدخل عليه من نورها وبردها وطيب ريحها.

قال: قلت جعلت فداك فأين ضغطة القبر؟ فقال عليه السلام: «هيهات ما على المؤمنين منها شيء والله إنّ هذه الأرض لتفتخر على هذه فيقول: وطىء على ظهري مؤمن ولم يطأ على ظهرك مؤمن، والله لقد كنت أحبّك وأنت تمشي على ظهري فأما إذا وليتك فستعلم ماذا أصنع بك فتفسح له مدّ بصره»، هذا(١).

وفي «الحقّ اليقين» بعد إيراده الأخبار الواردة في الضغطة ممّا قدّمنا روايتها وما لم يتقدّم قال: والجمع بين هذه الأخبار في غاية الإشكال إذ لو حملنا المؤمن فيها على المؤمن الكامل فأيّ كامل أكمل من فاطمة بنت أسد ورقيّة إبنة النّبي صلى الله عليه وآله وسعد بن معاذ.

اللّهمّ إلاّ أن يحمل ما في فاطمة ورقيّة على الاحتياط والاطمئنان وحصول الاضطجاع والدّعاء أو يقال المراد بالمؤمن المعصوم ومن يتلو مرتبة العصمة كسلمان وأبي ذر ونظرائهما، ويمكن حمل أخبار عدم الضغطة للمؤمن على عدم الضّغطة الشّديدة أو حمل أخبار عدم الضّغطة له على ما تكون على وجه الغضب، وما تدلّ عليها على ما تكون على وجه اللطف وليكون قابلاً لدخول الجنّة كما أنّ ابتلاءه بمحن الدّنيا وبلاياها كان لذلك.

ويمكن أن يقال: إنّها كانت في صدر الإسلام عامّة للمؤمن وغيره، ثمّ اختصّت بغيرهم بشفاعة الرّسول والأئمة صلوات الله وسلامه عليه وعليهم، هذا.

وبقي الكلام فيما يوجب ارتفاع الضّغطة والأَمن من بعض عقوبات البرزخ وهي أمور كثيرة.

منها: رش الماء على القبر فقد روي في «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «يتجافي عنه العذاب ما دام النّدى في التّراب»(٢).

ومنها الجريدتان ففي «الوسائل» عن الصّدوق بإسناده إلى زرارة قال: قلت لأبي

(١) الكافي: ٣/ ١٣٠، وبحار الأنوار: ٦/ ١٩٧.

(٢) الكافي: ٣/ ٢٠٠ ح ٦، ووسائل الشيعة: ٣/ ١٩٦ ح ٣٣٨٩.

جعفر عليه السلام: أرأيت الميت إذا مات لم تجعل معه الجريدتان؟ فقال عليه السلام: يتجافى عنه العذاب أو الحساب ما دام العود رطباً إنّما العذاب والحساب كلّه في يوم واحد في ساعة واحدة قدر ما يدخل القبر ويرجع القوم وإنّما جعلت السعفتان لذلك فلا يصيبه عذاب ولا حساب بعد جفوفهما إن شاء الله[١].

ومنها: الوفاة ليلة الجمعة أو يومها ففي «الأنوار» للسّيد الجزائري رحمه الله قد ورد في «الأخبار المعتبرة»، أنّ من مات من المؤمنين ليلة الجمعة أو يومها أمن من ضغطة القبر، قال «ره» وربّما ورد أن بعض أعمال البر والأدعية المأثورة تدفعها أيضاً، وهو ليس ببعيد فإن رحمة الله قريبة من المحسنين.

ومنها الدّفن في وادي السّلام فقد روى في «الأنوار» أيضاً من كتاب «إرشاد القلوب» في فضل المشهد الشّريف الغروي وما لتربته والدّفن فيها من المزيّة والشّرف.

روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: «الغري قطعة من الجبل الذي كلّم الله موسى عليه تكليماً، وقدّس عليه تقديساً واتّخذ عليه إبراهيم خليلاً، ومحمّداً صلى الله عليه وآله حبيباً وجعله للنّبيّين مسكناً».

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام نظر إلى ظهر الكوفة فقال: «ما أحسن منظرك وأطيب قعرك، اللّهمّ اجعل قبري بها»[٢].

قال: ومن خواص تربته إسقاط عذاب القبر وترك محاسبة منكر ونكير من المدفون هناك كما وردت به الأخبار الصّحيحة عن أهل البيت عليهم السّلام.

أقول: ونظير ما رواه عن أمير المؤمنين عليه السلام ما رواه في «الكافي» عن حبّة العرني قال: خرجت مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى الظهر فوقف بوادي السّلام كأنّه مخاطب لأقوام، فقمت بقيامه حتّى أعييت، ثم جلست حتّى مللت، ثمّ قمت حتى نالني مثل ما نالني أوّلاً، ثمّ جلست حتّى مللت.

ثمّ قمت وجمعت ردائي فقلت يا أمير المؤمنين إنّي قد أشفقت عليك من طول القيام فراحة ساعة، ثمّ طرحت الرّداء ليجلس عليه فقال لي: يا حبة إن هو إلا محادثة مؤمن أو مؤانسته قال: قلت: يا أمير المؤمنين وإنّهم كذلك؟ قال: نعم، ولو كشف لرأيتهم حلقاً حلقاً محتبين يتحادثون، فقلت: أجساد أم أرواح؟ فقال لي: أرواح وما من مؤمن يموت في بقعة

---

(١) الكافي: ٣/ ١٥٢ ح ٤، ووسائل الشيعة: ٣/ ٢١.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ٩/ ٥٤ظ

من بقاع الأَرض إلاّ قيل: ألحقي بوادي السّلام وإنّها لبقعة من جنّة عدن[١].

والمستفاد من هذه الرّواية وكثير من الأَخبار المعتبرة أنّها جنّة الدّنيا وأنّ أرواح المؤمنين فيها كما أنّ أرواح الكفّار في بشر البرهوت.

فقد روي في «الكافي» عن أحمد بن عمر رفعه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّ أخي ببغداد وأخاف أن يموت بها، فقال عليه السلام: «ما يبالي حيث ما مات أما أنّه لا يبقى في شرق الأَرض وغربها إلاّ حشر الله روحه إلى وادي السّلام»، قال: قلت له: وأين وادي السّلام؟ قال عليه السلام: «ظهر الكوفة أما أنّي كأنّي بهم حلق حلق قعود يتحدّثون»[٢].

وعن محمّد بن أحمد بإسناد له قال قال أمير المؤمنين عليه السلام: «شرّ بئر في النّار البرهوت الذي فيه أرواح الكفّار»[٣].

وعن السّكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «شرّ ماء على وجه الأَرض ماء برهوت، وهو واد بحضرموت ترد عليه هام الكفّار»[٤].

والأَخبار في هذا المعنى كثيرة ولا حاجة إلى ذكرها نعم في المقام خبر يستلذّ النّفس ويسرّ القلب به وهو ما رواه في «الأَنوار» عن القاضي بن بدر الهمداني الكوفي وكان رجلاً صالحاً متعبّداً.

قال: كنت في جامع الكوفة ذات ليلة مطيرة فدقّ باب مسلم جماعة ففتح لهم وذكر بعضهم أنّ معهم جنازة فأدخلوها وجعلوها على الصّفة التي تجاه باب مسلم بن عقيل، ثمّ إنّ أحدهم نعس فنام فرأى في منامه قائلاً يقول لآخر: ما تبصره حتّى نبصر هل لنا معه حساب أم لا، فكشف عن وجه الميّت وقال لصاحبه بل لنا معه حساب وينبغي أن نأخذه معجلاً قبل أن يتعدّى الرّصافة فما يبقى لنا معه طريق.

فانتبه وحكى لهم المنام وقال: خذوه عجلاً فأخذوه ومضوا به في الحال إلى المشهد الشّريف صلوات الله وسلامه على مشرّفها.

أقول: رزقنا الله سبحانه وإخواني المؤمنين مجاورة حضرت مولاي ومولى العالمين عليه الصّلاة والسّلام حيّاً وميّتاً، وأنا أوصي خليفتي ووليّ أمري بعدي أن يدفنني في ذلك المقام

---

(١) الذكر: ٧٨، والكافي: ٣/٢٤٣ ح ٤٧٣٤.

(٢) الكافي: ٣/٢٤٣ ح ٤٧٣٥، وبحار الأنوار: ٦/٢٦٨ ح ١١٨.

(٣) الكافي: ٣/٢٤٣ ح ٤٧٣٥، وبحار الأنوار: ٦/٢٦٨ ح ١١٨.

(٤) الكافي: ٣/٣٤٦ ح ٣، وبحار الأنوار: ٦/٢٨٩ ح ١١.

الشّريف.

وأقول له:

إذا مت فادفني إلى جنب حيدرٍ ... أبي شُبرٍ أكرم به وشبير
فلست أخاف النّار عند جواره ... ولا أتّقي من منكرٍ ونكير
فعار على حامي الحمى وهو في الحمى ... إذا ضلّ في البيداء عقال بعير

ثم أقول:

ولايتي لأَمير النّحل تكفيني ... عند الممات وتغسيلي وتكفيني
وطينتي عجنت من قبل تكويني ... بحب حيدر كيف النّار تكويني

ثم أناجي ربي وأقول:

وفدتُ على الكريم بغير زادِ ... من الحسنات والقلب السليم
فحمل الزّاد أقبح كل شيء ... إذا كان الوفود على الكريم

الترجمة

و بعض دیگر از این خطبه شریفه در صفت خلقت انسان است که می فرماید:

آیا یادآوری نمایم شما را به این انسانی که ایجاد فرمود او را صانع حکیم در ظلمت های رحم ها و در غلاف های پرده ها در حالتی که نطفه ای بود رخته شده و علقه ای ناقص گشته و بچه پنهان در شکم زنان و طفل شیرخواره و از شیر بازگرفته و به سن احتلام رسیده.

پس از آن عطا فرمود او را قلب حفظ کننده و زبان گوینده و دیده نگرنده تا فهم کند در حالتی که عبرت گیرنده باشد و بازایستد از معصیت در حالتی که نفس خود را زجرکننده شود تا اینکه قایم شد حد اعتدال او و راست شد پیکر و مثال او، رمید و نفرت نمود از حق در حالتی که گردن کش بود و خبط کرد در حالتی که بی باك بود.

آب کشنده بود در دلو بزرگ هوس و هوای خود، رنج کشنده بود و سعی کننده از برای دنیای خود در لذّت های شادیش و در حاجت های خطور کننده قلب خویش در حالتی که گمان نمی نمود مصیبتی که برسد به او و نمی ترسید از محذوری که وارد شود به او، پس مرد در ضلالت خود در حالتی که غافل بود از غضب مالك الملك و زندگانی کرد در لغزیدن خود در زمان اندك.

کسب ننمود عوض نعمت ها را در دنیا و به جا نیاورد فرایض لازمه بر خود را، هجوم آور شد بر او اندوه های مرگ در بقایای سواری او بر هوای خود و در راه های سرور و شادی خود؛ پس متحیّر گشت و شب را بر بیداری به روز آورد در شدّت های دردها و نازل شده های الم ها و بیماری ها در میان برادر که شقّه ای است از جان و پدر مهربان و مادر واویلاگوینده از روی جزع و خواهر به سینه زننده از روی اضطراب و فزع و حال آنکه آن مرد در سکرات موت است مشتمله بر تعب و شدتو در غمرات مرگ است متّصفه با نهایت مشقّت و در ناله های دردآورنده و در کشش روح اندوه آورنده و راندن رنجاننده.

پس پیچیده شد در کفن های خود در حالتی که مأیوس و حزین و کشیده شد

در حالتی که اطاعت کننده بود آسان و لیّن، پس انداخته شد در چوب های نعش مثل شتر مردّد در اسفار و همچو شتر لاغر از کثرت بار، در حالتی که بردارند او را فرزندان یاری دهنده و برادران جمع شونده به سوی قبر که سرای غربت او است و جای بریدن زیارت از او است.

تا آنکه چون رجوع کند تشییع کننده و برمی گردد اندوه خورنده، نشانده می شود در قبر در حالتی که رازگوینده باشد از جهت بهت و حیرتی که حاصل می شود او را از سؤال و به جهت لغزش در امتحانی که او را است در عقاید و اعمال و بزرگترین چیزی که آنجا است از حیثیت بلا، پیشکش آب گرم و جوشان است و درآوردن او است در آتش سوزان و جوشش های آتش سرخ شده و شدت های صدای نار موقده.

نیست آنجا سستی که راحت کننده از عذاب باشد و نه آرمیدنی که زایل کننده عقاب باشد و نه مرگ حاضر که باعث استراحت او شود و نه خواب اندك که سبب فراموشی زحمت او گردد، بلکه همیشه در میان انواع مرگ ها باشد و در میان غذاب های ساعت به ساعت، به درستی که پناه می بریم به خدا از این عذاب و عنا.

الفصل الثامن

«عِبادَ اللَّهِ، أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا، وعُلِّمُوا فَفَهِمُوا، وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا، وسُلِّمُوا فَنَسَوا، أُمْهِلُوا طَويلاً، وَمُنِحُوا جَميلاً، وَحُذِّرُوا أَلِيماً، وَوُعِدُوا جَسيماً، احْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُورِطَةَ، وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ، أُولِي الأَبْصار والأَسْمَاعِ، وَالْعافِيَةِ وَالْمَتاعِ، هَلْ مِنْ مَناصٍ أَوْ خِلاصٍ، أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلاَذٍ، أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحارٍ، أَمْ لاَ فَأَنَّى تُؤفَكُونَ، أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ، أَمْ بِماذا تَغْتَرُّونَ، وَإِنَّما حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ أَرْضٍ، ذاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ، قَيْدُ قَدِّه، مُنْعَفِراً عَلَى خَدِّهِ، الآنَ عِبَادَ اللّهِ وَالْخِناقُ مُهْمَلٌ، وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ، في فيئَةِ الإِرْشَادِ، ورَاحَةِ الأَجْسَادِ، وبَاحَةِ الإِحْتِشَادِ، ومَهَلِ الْبَقِيَّةِ، وأُنُفِ الْمَشِيَّةِ، وإِنْظارِ التَّوْبَةِ، وانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ، قَبْلَ الضَّنْكِ، وَالرَّوْعِ والزُّهُوقِ، وقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ، وأَخْذَةِ الْعزيزِ الْمُقْتَدِرِ».

قال السّيّد (ره) وفي الخبر أنّه عليه السلام لمّا خطب بهذه الخطبة إقشعرّت لها الجلود وبكت العيون ورجفت القلوب، ومن النّاس من يسمي هذه الخطبة الغرّاء.

اللغة

(**إحذروا**) أمر من حذر بالكسر من باب علم و(**الورطة**) الهلكة وأرض مطمئنّة لا طريق فيها وأورطه ألقاه فيها و(**المناص**) الملجأ و(**المحار**) المرجع من حار يحور أي رجع قال تعالى:

﴿إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴿١٤﴾﴾ [الإنشقاق: ١٤].

و(**افك**) من باب ضرب وعلم افكا بالفتح والكسر والتّحريك كذب وافكه عنه يأفكه صرفه وقلبه أو قلب رأيه و(**القيد**) كالقاد المقدار و(**المعفر**) محرّكه التّراب وعفره في التّراب يعفره من باب ضرب وعفّره فانعفر وتعفّر مرّغه فيه أو دسّه و(**الخناق**) ككتاب حبل يخنق به ويقال أخذ بخناقه أي بحلقه لأنّه موضع الخناق فأطلق عليه مجازاً و(**فينة**) السّاعة والحين يقال لقيتة الفينة بعد الفينة وقد تحذف (**اللاّم**) ويقال لقيته فينة بعد فينة.

وفي بعض النّسخ الارتياد بدل (**الإرشاد**) وهو الطّلب و(**الباحة**) السّاحة والفضاء و(**الاحتشاد**) الاجتماع و(**أنف**) الشيء بضمّتين أوّله و(**الانفساح**) من الفسحة وهو السّعة و(**الحوبة**) الحالة والحاجة و(**الضنك**) والضّيق بمعنى واحد و(**المضيق**) ما ضاق من المكان والمراد هنا القبر و(**الرّوع**) الفزع و(**زهق**) نفسه من باب منع وسمع زهوقاً خرجت وزهق الشيء بطل وهلك.

و«اقشعر جلده» أخذته قشعريرة أي رعدة و«رجفت القلوب» اضطربت و«الخطبة الغرّاء» بالغين المعجمة أي المتّصفة بالغرة قال في «القاموس»: والغرّة من المتاع خياره ومن القوم شريفهم ومن الرّجل وجهه وكلّ ما بدا لك من ضوء أو صبح فقد بدت غرته.

الإعراب

قوله: (**عباد الله**) منصوب على النّداء بحذف حرفه؛ وكذلك قوله عليه السلام: (**أولي الأبصار**)، وقوله: (**هل من مناص**) استفهام على سبيل الإنكار والإبطال، وأم في قوله (**أم لا**) منقطعة بمعنى بل فهي مثل (**أم**) في قوله:

﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ﴾.

والشّاهد في الثّانيه فإنّه سبحانه بعد إبطال استواء الأعمى والبصير والظلمات والنّور أضرب عن ذلك وأخبر عن حالهم بأنّهم جعلوا لله شركاء، وكذلك الإمام عليه السلام بعد إنكار المناص والخلاص وإبطاله أضرب عن ذلك وأخبر بأنّه ليس هناك مناص ولا خلاص.

وقوله: (**فأنّى تؤفكون**)، (**أنّى**) بمعنى (**كيف**) أو بمعنى (**أين**) ومن مقدرة قبلها أي من أين تؤفكون، صرّح به نجم الأئمة الرّضى في مبحث الظروف من شرح «الكافية»، (**وذا**) في قوله (**أم بماذا تغترون**) إمّا زائدة وهو الأظهر أو بمعنى (**الذي**) كما في ماذا لقيت، (**ومنعفراً**) حال من الضّمير في قده.

وقوله: (**الآن**) من ظروف الزمان مبنيّ على الفتح واختلفوا في علّة البناء والأظهر ما قاله أبو عليّ من أنّه متضمّن لمعنى (**ال**) الحضوري لأنّ معناه الزّمن الحاضر، (**واللام**) فيه زائدة لازمة وليست للتّعريف كما توهّم السّيرافي وابن عصفور إذ لا تعرف أنّ التي للتّعريف تكون لازمة وهذه لازمة لأنّ الآن لم يسمع مجرّداً عنها، (**وكيف**) فهو مفعول فيه والعامل محذوف، والتّقدير (**اعملوا واغتنموا الفرصة الآن**).

وجملة (**والخناق مهمل**)، في محل الانتصاب على الحال من عباد الله والعامل النّداء المحذوف لكونه في معنى الفعل، (**واللام**) في الخناق عوض عن المضاف إليه أي خناقكم على حدّ وعلّم آدم الأسماء، أي أسماء المسمّيات، وكذا في الرّوح وقوله في «فينة الإرشاد»، متعلق بقوله مرسل (**وفي**) للظرفية المجازيّة، وقيل (**الضنك**) ظرف للفعل المحذوف الذي جعلناه العامل في (**الآن**).

المعنى

اعلم أنّ هذا الفصل متضمّن للتذكير بحال السّلف وللأمر بالكف عن المعاصي وللحث على التّدارك للذنوب قبل الموت بتحصيل التوبة والإنابة وهو قوله:

(**عباد الله أين الذين عمروا فنعموا**) أي أعطاهم الله العمر فصاروا ناعمين أي صاحبي سعة في العيش والغذاء (**وعلموا ففهموا**) أي علمهم الأحكام ففهموا الحلال والحرام (**وانظروا**) في مدة الأجل (**فلهوا**) بطول الأمل (**وسلموا**) في العاجلة (**فنسوا**) العاجلة (**أمهلوا**) زماناً (**طويلاً**) وأمداً بعيداً (**ومنحوا**) عطاء (**جميلاً**) وعيشاً رغيداً (**وحذروا عذاباً أليماً**) وجحيماً (**ووعدوا**) ثواباً (**جسيماً**) وعظيماً (**إحذروا الذنوب المورطة**) أي المعاصي الموقعة في ورطة الهلاكة والعقاب (**والعيوب المسخطة**) أي المساويء الموجبة لغضب رب الأرباب.

(**أولي الأبصار والأسماع والعافية والمتاع**) وإنّما خصّ هؤلاء بالنّداء وخصّصهم بالخطاب لأنهم القابلون للاتعاظ والاذكار واللائقون للانتهار والانزجار بما أعطاهم الله من الأبصار والبصائر منحهم من الأسماع والضمائر وبذل لهم من الصّحة والسّلامة في الأجساد ومنّ به عليهم من المتاع والأموال والأولاد الموجبة للأعراض عن العقبا والرّغبة إلى الدّنيا والباعثة على ترك سبيل الرّحمٰن وسلوك سبيل الشّيطان والداعية إلى ترك الطّاعات والاقتحام في الهلكات.

ثم استفهم على سبيل التكذيب والانكار بقوله: (**هل من مناص**) من العذاب (**أو خلاص**) من العقاب (**أو معاذ**) من الوبال (**أو ملاذ**) من النكال (**أو فرار**) من الحميم (**أو محار**) من الجحيم (**أم لا وليس فأنّى تؤفكون**) وتنقلبون (**أم أين تصرفون**) وتلفتون (**أم بماذا تغترون**) وتفتنون (**وانّما حظ أحدكم من الأرض**) الغبراء (**ذات الطول والعرض**) والارجاء (**قيد قده**) وقامته (**منعفراً على خده**) ووجنته.

اعملوا (**الآن**) واغتنموا الفرصة في هذا الزّمان يا (**عباد الله والخناق مهمل والرّوح مرسل**) أي أعناق نفوسكم مهملة من الأخذ بخناق الموت وأرواحكم متروكة من الجذب بحبال الفناء والفوت (**في فينة الإرشاد**) والهداية إلى الجنان (**وراحة الأجساد**) واستراحة الأبدان (**وباحة الاحتشاد**) أي ساحة اجتماع الأشباه والأقران (**ومهل البقية وأنف المشية**) أي مهملة بقيّة الحياة وأول أزمنة الإرادات.

وأشار بذلك إلى أن اللاّزم على الإنسان أن يجعل أوّل زمان إرادته وميل خاطره إلى اكتساب الفضائل واجتناب الرّذائل وتكون همّته يومئذٍ مصروفة في اتيان الطاعات واقتناء الحسنات ليكون ما يرد على لوح نفسه من الكمالات وارداً على لوح صاف من الكدورات سالم عن رين الشّبهات إذ لو انعكس الأمر وجعل أوائل ميوله وإرادته منصرفة إلى اتيان المعاصي والخطيئات تسودّ وجه نفسه بسوء الملكات فلم يكد يقبل بعد ذلك الاستضاءة بنور الحقّ والاهتداء إلى الخيرات.

(**وإنظار التّوبة وانفساح الحوبة**) أراد به إمهال الله لهم لأجل تحصيل التوبة وإعطائه لهم

اتساع الحالة ووسعة المجال لاكتساب الحسنات والأعمال **(قبل الضّنك والمضيق)** أي قبل ضيق الزّمان ومضيق المكان **(والرّوع والزّهوق)** أي الفزع وخروج الرّوح من الأبدان **(وقبل قدوم)** الموت الذي هو **(الغائب المنتظر وأخذة)** الذي هو **(العزيز)** الغالب **(المقتدر)** فإنّه إذا قدم الموت بطل التكليف واستحال تدارك الذنوب ولا ينفع النّدامة.

ولذلك قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الموت الموت ألا ولا بدّ من الموت، جاء الموت بما فيه جاء بالرّوح والرّاحة والكرّة المباركة إلى جنة عالية لأهل دار الخلود الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم، وجاء الموت بما فيه بالشّقوة والنّدامة والكرّة الخاسرة إلى نار حامية لأهل دار الغرور الذين كان لها سعيهم وفيها رغبتهم».

ثمّ قال: «وقال إذا استحقّت ولاية الله والسّعادة جاء الأجل بين العينين وذهب الأمل وراء الظهر، وإذا استحقت ولاية الشّيطان جاء الأمل بين العينين وذهب الأجل وراء الظهر».

قال عليه السلام: «وسئل رسول الله صلى الله عليه وآله أيّ المؤمنين أكيس؟ فقال: أكثرهم ذكراً للموت وأشدّهم له استعداداً»[١].

قال السّيد (ره) وفي الخبر أنّه لمّا خطب بهذه الخطبة اقشعرّت لها الجلود وأرعدت وبكت العيون واسكبت ورجفت القلوب واضطربت ومن النّاس من يسمّى هذه الخطبة الغرّاء.

أقول: وهي حقيقة بهذه التسمية لكونها من خيار خطبه وشرائفها ووجوهها لما تضمّنه معناها من الحكمة والموعظة الحسنة وهي كافية في «الهداية» و«الإرشاد» للطّالب الرّاغب إلى الثّواب ووافية في مقام التحذير والإنذار للهارب الرّاهب من العقاب.

ولما اشتملت عليه ألفاظها من أنواع المحسّنات البيانيّة والبديعيّة من الإنسجاء والترصيع والتجنيس والسّجع والمقابلة والموازنة والمجاز والاستعارة والكناية وغيرها.

وناهيك حسناً قوله عليه السلام في هذا الفصل: «هل من مناص أو خلاص أو معاذ أو ملاذ أو فرار أو محار»، وقوله في الفصل الرّابع، «فاتقوا الله تقية من سمع فخشع واقترف فاعترف ووجل فعمل» إلى آخر ما قاله.

فانّك إذا لاحظت كلّ لفظة منها وجدتها آخذة برقبة قرينتها، جاذبة لها إليها دالّة عليها بذاتها ومحسّنات كلامه غنيّة عن الاظهار غير محتاجة إلى التّذكار إذ تكلّف الاستدلال على أنّ الشّمس مضيئة يتعب وصاحبه ينسب إلى السّفه وليس جاحداً لأمور المعلومة بالضرورة بأشد سفهاً ممّن رام الاستدلال عليها.

(١) الكافي: ٢٥٨/٣ ح ١٧ والأمالي: ٥٣٢.

تكملة

اعلم أن بعض فصول هذه الخطبة مروي في «البحار» من كتاب «عيون الحكمة والمواعظ» لعليّ بن محمّد الواسطي باختلاف يسير لما هنا، وهو من الفصل الخامس إلى آخرها ولا حاجة لنا إلى إيراده نعم روي كلام آخر له عليه السلام فيه من الكتاب الذي أشرنا إليه بعض فصول هذه الخطبة مدرّج فيه وأحببت ايراده لاقتضاء المقام ذلك.

قال (ره) ومن كلامه له عليه السلام: «إنّكم مخلوقون اقتداراً، ومربوبون ايتساراً» إلى آخر ما يأتي إن شاء الله في تكملة الشّرح الخطبة المائتين والرّابعة والعشرين.

الترجمة

ای بندگان خدا، کجایند آن کسانی که معمّر شدند، پس منعم شدند به ناز و نعمت و تعلیم شدند، پس فهمیدند به ذکاء و فطنت و مهلت داده شدند، پس غفلت ورزیدند از طاعت و سالم گردانیده شدند، پس فراموشی اختیار کردند بر تذکیرات. حذر نمائید از ذنوبی که می اندازد به ورطه هلاکت و از عیوبی که باعث می شود به خشم حضرت عزّت.

ای صاحبان دیده های بینا و گوش های شنوا و خداوندان سلامتی و متاع دنیا، آیا هیچ پناهگاهی هست از عذاب یا خلاصی هست از عقاب یا هیچ ملجائی هست از شدت یا ملاذی هست از عقوبت یا هیچ گریزی هست از آتش جحیم یا مرجعی هست از عذاب الیم یا اینکه چاره و علاج نیست و مفرّ و مناص نه؟

پس چگونه گردانیده می شوید از فرمان خدا؟ یا کجا صرف کرده می شوید؟ یا به چه چیز مغرور می باشید؟ و جز این نیست که نصیب هر یکی از شما از زمینی که صاحب طول است و عرض، مقدار قامت او است در حالتی که خاك آلوده باشد بر رخسار خود.

عمل بکنید و فرصت غنیمت شمارید الان ای بندگان خدا و حال آنکه آن چیزی که به آن اخذ کرده می شود گردن های نفوس شما که مرگ است واداشته شده است و روح های شما ترك کرده شده است در ساعت رشادت؛ یعنی کسب کردن چیزهایی که باعث رشد است و در راحت بدن ها و در مهلت بقیه حیات و در اول ازمنه ارادات و در مهلت دادن به جهت تحصیل توبه و در وسعت فراخی حالت پیش از زمان کوتاه و مکان تنگ و قبل از ترس و رفتن جان از بدن و پیش از آمدن غایب انتظار کشیده شده که عبارت است از موت و پیش از اخذ نمودن خدای غالب صاحب قدرت او را در سلسله عقوبت.

قال الشارح عفى الله عنه: وليكن هذا آخر ما أردنا ايراده في هذا المجلّد وهو المجلّد الثّاني من مجلّدات «منهاج البراعة في شرح النّهج»، ويتلوه إن شاء الله المجلّد الثّالث إن ساعدنا الوقت والمجال بتوفيق الله الملك المتعال، وهذه هي النسخة الأَصل التي كتبتها بيميني وأرجو من الله سبحانه أن يثبتها في صحائف أعمالي ويرجح بها ميزان حسناتي وأن يؤتيها بيميني كما أمليتها بيميني إنّه على كلّ شيء قدير وبالإجابة جدير، وكان الفراغ منه في فجر العشرين من شهر ربيع الآخر ١٣٠٣.

بسم الله الرحمٰن الرحيم وبه نستعين

«الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله، والصّلاة والسّلام على عبده ورسوله محمّد حبيب الله، وعلى آله الذين فضّلهم على العالمين وجعلهم أفضل عباد الله، واختصّهم بالإمامة والولاية فصاروا أئمة الدّين وأولياء الله، وأهل بيته الذين اذهب الله عنهم الرّجس وطهّرهم تطهيراً، ولعنة الله على أعدائهم الذين جعل مأواهم جهنّم لهم فيها زفير وشهيق وساءت مقاماً ومصيراً».

وبعد فهذا هو المجلد الثالث من مجلّدات «منهاج البراعة» املاء راجي عفو ربّه الغنيّ «حبيب الله بن محمد بن هاشم الهاشمي العلوي الموسوي» أعطاه الله كتابه بيمناه، وجعل عقباه خيراً من أولاه، والمرجوّ منه سبحانه أن يمنّ عليّ باتمامه بقرب محمّد وآله.

فأقول: قال السّيّد (ره):

ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص وهو الثالث والثمانون من المختار في باب الخطب

وقد رواه غير واحد من المحدّثين على اختلاف تطلع عليه في التّذنيب الثاني إن شاء الله.

«عَجَباً لابْنِ النّابِغَةِ يَزعَمُ لأَهْلِ الشّام أَنَّ فِيَّ دُعابَةً وَإِنّي امْرُؤٌ تِلْعابَةٌ أُعافِسُ وأُمارِسُ، لَقَدْ قالَ باطِلاً، ونَطَقَ آثِماً، أما وشَرُّ الْقَوْلِ الْكَذِبُ، إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ، ويَعِد فَيُخْلِفُ، ويَسْئَلُ فَيُلْحِفُ، ويُسْئَلُ فَيَبْخَلُ، ويخُونُ الْعَهْدَ، ويَقْطَعُ الإلَّ، فَإذا كانَ عِنْدَ الْحَرْبِ فَأَيُّ زاجِرٍ وآمِرٍ هُوَ مَا لَمْ يَأْخُذِ السُّيُوفُ مَآخِذَهَا، فَإذا كانَ ذَلِكَ كانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ الْقَوْمَ سَبَّتَهُ، أَما وَاللّهِ إِنَّهُ لَيَمْنَعُنِي مِنَ اللَّعَبِ ذِكْرُ الْمَوْتِ، وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ نِسْيَانُ الآخِرَةِ، إِنَّهُ لَمْ يُبايِع مُعْوِيَةَ حَتّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً، ويَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً».

اللغة

(النّابغة) أم عمرو بن العاص سمّيت بها لظهورها وشهرتها بالبغي، مأخوذة من نبغ الشيء نبوغاً أي ظهر و**(يزعم)** بمعنى يقول، قال الفيومي: وعليه قوله تعالى:

﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ﴾ [الإسراء: ٩٢].

أي كما أخبرت قال المرزوقي: أكثر ما يستعمل الزّعم فيما كان باطلاً أو فيه ارتياب، قال الخطابي: ولهذا قيل زعم مطيّة الكذب وزعم غير مزعم قال غير مقول صالح وادّعى ما لا يمكن، وقال أبو البقاء: الزّعم بالضم اعتقاد الباطل بلا تقوّل وبالفتح اعتقاد الباطل بتقوّل، وقيل: بالفتح قول مع الظنّ وبالضم ظن بلا قول، ومن عادة العرب أن من قال كلاماً وكان عندهم كاذباً قالوا: زعم فلان قال شريح: لكلّ شيء كنية وكنية الكذب زعم، وقد جاء في القرآن في كلّ موضع ذمّاً للقائلين.

و**(الدعابة)** بضمّ **(الدال)** المزاح من دعب يدعب مثل مزح يمزح وزنا ومعنىً وفي لغة من باب تعب وفي الحديث قلت: وما الدّعابة؟ قال: هي المزاح وما يستملح و**(التلعابة)** بكسر **(التّاء)** كثير اللعب والمزاح **(والتّاء)** للمبالغة، والتّلعاب بالفتح مصدر لعب و**(العافسة)** المعالجة في الصراع من العفس وهو الجذب إلى الأرض في ضغط شديد والضرب على الأرض بالرّجل و**(الممارسة)** المعالجة والمزاولة و**(ألحف)** السائل إلحافاً ألحّ و**(الألّ)** العهد والقرابة قال تعالى:

﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التوبة: ١٠].

و(**السبة**) الاست و(**الآتية**) كالعطية لفظاً ومعنى و(**الرضيخة**) الرّشوة من رضخ له رضخاً من باب نفع ورضيخة أعطاه شيئاً ليس بالكثير.

الإعراب

(**عجباً**) منصوب على المصدرية بحذف عامله، وجملة (**يزعم**) إمّا في محل النّصب على الحال من (**ابن النابغة**) لكونه مفعولاً بالواسطة، أو لا محلّ لها من الإعراب لكونها إستئنافاً بيانياً، فكأنّه عليه السلام سئل عن علّة التعجب فأجاب بأنه يزعم وهو الأظهر وجملة (**أعافس وأمارس**) في محل الرّفع صفة بعد صفة (**لامرء**) وهي في المعنى تأكيد لقوله تلعابة ولكمال الاتّصال بينهما ترك حرف العطف وهو من المحسّنات البيانية.

وجملة (**لقد قال باطلاً**) قسمية (**وباطلاً**) صفة لمصدر محذوف، (**وآثماً**) منصوب على الحال ويحتمل أن يكون صفة لمحذوف أيضاً أي نطق نطقاً آثماً فيكون اسناد آثماً إليه من باب التّوسع.

قوله (**فأيّ زاجر وآمر هو**)، لفظة أيّ منصوبة على الحالية وحذف عاملها للقرينة وهي اسم موضوع للدّلالة على معنى الكمال ويستعمل في مقام التّعجب، تقول: مررت برجل أيّ رجل، أي كامل في الرّجولية وبزيد أيّ رجل أي كاملاً فيها قالوا: إنّه إذا وقع بعد المعرفة فحال وإذا وقع بعد النكرة فصفة، وتقدير كلامه عليه السلام فهو زاجر أيّ زاجر.

قال الرّضي في «شرح الكافية» بعد ما حكى عنهم كون (**أي**) إسماً موضوعاً للدلالة على معنى (**في**) متبوعه: والذي يقوي عندي أن (**أيّ**) رجل لا يدلّ بالوضع على معنى (**في**) متبوعه، بل هو منقول عن (**أيّ**) الاستفهاميّة، وذلك أن الاستفهاميّة للسؤال عن التّعيين، وذلك لا يكون إلاّ عند جهالة المسؤول عنه فاستعيرت لوصف الشّيء بالكمال في معنى من المعاني والتّعجب من حاله، والجامع بينهما أن الكامل البالغ غاية الكمال بحيث يتعجب منه يكون مجهول الحال بحيث يحتاج إلى السؤال عنه.

المعنى

اعلم أن عمرو بن العاص اللّعين ابن اللّعين لمّا كان عدوّاً لأمير المؤمنين سلام الله عليه وآله، معلناً بعداوته كما كان أبوه العاص بن وائل عدواً لرسول الله صلى الله عليه وآله لا جرم كان همّة اللّعين مصروفة في الكذب والافتراء عليه عليه السلام وكان يروم بذلك أن يعيبه عند النّاس ويسقط محلته عليه السلام من القلوب ومن جملة ما افترى عليه كذباً أنه قال لأهل الشّام: إنّما أخّرنا علياً لأنّ فيه هزلاً لاَ جِدّ معه، فنسبه عليه السلام إلى الدّعابة وكثرة المزاح كما نسبه عليه السلام إلى ذلك عمر بن الخطاب وهذه النسبة من عمرو سيّئة من سيئات عمر.

فأراد عليه السلام بكلامه ذلك دفع هذه النسبة واثبات أنه افتراء وبهتان في حقه وذكر أوّلاً ما قاله ابن العاص ثم اتّبعه بردّه فقال:

(عجباً لابن النابغة) وإنّما كنى عنه بأمّه إذ من عادة العرب النسبة إلى الأم إذا كانت مشهورة بالخسّة والدّناءة يريدون بذلك ذمّه والقدح فيه، وقد ينسبونه إليها إذا كانت معروفة بالشّرف يريدون بذلك شرفه ومدحه **(يزعم لأهل الشّام)** ويقول لهم قصداً للقدح والتّعييب **(أنّ فيّ)** مزاح و**(دعابة وأنّي امرء تلعابة)** وكثير الممازحة حتّى أنّي **(أعافس)** وأصارع **(وأمارس)** وأعالج فعل من اتّصف بفراغ القلب فاستغرق أوقاته باللّهو واللّعب، والله **(لقد قال)** قولاً **(باطلاً ونطق)** عاصياً **(آثماً)** لأنّه كذب فأذنب وافترى فعصى **(أما وشرّ القول الكذب)** والافتراء من حيث العقل والنّقل والدّين والدّنيا كما ستطلع عليه فيما عليك يتلى.

وهذا الملعون قد اتصف بذلك وبغيره ممّا يوقعه في المهالك ولقد كان جامعاً لجملة من الصّفات الخبيثة الشّيطان ومتصفاً بجملة من الرّذائل الخسيسة النّفسانية مضافة إلى ما فيه من فساد الإعتقاد والكفر والعناد وهي على ما نبّه عليها أمور:

الأول: (أنه ليقول فيكذب) ورذالة هذه الصّفة وقباحته معلومة من حيث العقل والنّقل.

أمّا العقل فلأنّ الوجدان شاهد بأن الكذب يوجب اسوداد لوح القلب ويمنعه من انتقاش صور الحق والصّدق فيه ويفسد المنامات والالهامات، وربما يكون سبباً لخراب البلاد وفساد أمر العباد، جالباً للعداوة والبغضاء، باعثاً على سفك الدّماء ولذلك اتفق العقلاء من المليّين وغيرهم على قبحه، وقالت المعتزلة: قبحه معلوم بالضرورة.

وأمّا النّقل فقد قال سبحانه:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩] وقال في صفة المؤمنين: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴿٧٢﴾﴾ [الفرقان: ٧٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إيّاكم والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور والفجور يهدي إلى النار» رواه في «جامع الأخبار».

وفيه عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المؤمن إذا كذب من غير عذر لعنه سبعون ألف ملك وخرج من قلبه نتن حتّى يبلغ العرش فيلعنه حملة العرش وكتب الله عليه بتلك الكذبة سبعين زنية أهونها كمن يزني مع أمّه»[1].

---

(١) مستدرك الوسائل: ٩/ ٨٦، وبحار الأنوار: ٦٩/ ٢٦٣ ح ٤٨.

وقال موسى عليه السلام: يا رب أيّ عبادك خير عملاً؟ قال: من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزني فرجه.

وقال العسكري عليه السلام: جعلت الخبائث كلّها في بيت وجعل مفتاحها الكذب[١].

وفي عقاب الأعمال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنّ الله عزّ وجلّ جعل للشر أقفالاً وجعل مفاتيح تلك الأقبال الشراب والشرّ من الشراب الكذب»[٢].

وفي «الوسائل» من «الكافي» بإسناده عن الفضيل بن يسار عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ أوّل من يُكذّب الكذّاب الله عزّ وجلّ ثم الملكان اللّذان معه ثمّ هو يعلم أنه كاذب.

وعن عبد الرّحمٰن بن أبي ليلى عن أبيه عمّن ذكره عن أبي جعفر عليه السلام قال: الكذب هو خرّاب الإيمان[٣].

وعن عبيد بن زرارة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن مما أعان الله به على الكذابين النسيان.

وعن محسن بن طريف عن أبيه عمّن ذكره عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: من كثر كذبه ذهب بهاؤه[٤].

والأخبار في هذا المعنى كثيرة وفيما أوردناه كفاية لمن له دراية وسيأتي تحقيق الكلام فيه وفي أقسامه في شرح الخطبة الخامسة والثمانين، فانتظر.

(و) الثاني: أنه **(يعد فيخلف)** وهذا أيضاً من شئونات الكذب ففيه ما فيه وزيادة، ويقابله الوفاء وهو توأم الصدق كما قد مرّ مشروحاً في الخطبة الحادية والأربعين.

(و) الثالث: أنه **(يسأل فيلحف)** ودنائة هذه الصّفة أيضاً واضحة إذ الاصرار في المطالبة والالحاح في السّؤال من أوصاف الأرذال موجبة للإبتذال لا محالة.

(و) الرابع: أنه **(يسأل فيبخل)** يعني أنّه يمنع السّائل وينهره ويبخل من أداء الحقوق الواجبة وصرفها في جهتها، وقد قال سبحانه:

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ [الضحى: ١٠] وقال أيضاً: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ۝

---

(١) بحار الأنوار: ٦٩/ ٢٦٣ ح ٤٨.

(٢) الكافي: ٢/ ٣٣٩ ح ٧، وبحار الأنوار: ٦٩/ ٢٣٧.

(٣) الكافي: ٢/ ٣٣٩ ح ٤.

(٤) الكافي: ٢/ ٣٤١ ح ١٣، ووسائل الشيعة: ١٢/ ٢٤٤ ح ١٦٢٠٨.

لِلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥] وقال في موضع آخر: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ * وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ * فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٨-١٠] وفي سورة آل عمران: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠] وفي سورة التوبة: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ ۖ هَـٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [التوبة: ٣٥].

روى في «الوسائل» من «الكافي» بإسناده عن مسعدة بن صدقة عن جعفر عن آبائه عليهم السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سمع رجلاً يقول: إن الشحيح أعذر من الظالم، فقال له: كذبت إن الظالم قد يتوب ويستغفر ويردّ الظلامة على أهلها، والشّحيح إذا شح منع الزكاة والصّدقة وصلة الرّحم وقرى الضيف والنفقة في سبيل الله وأبواب البرّ، وحرام على الجنّة أن يدخلها شحيح[1].

وفيه عن عبد العليّ بن أعين عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أنّ البخيل من كسب مالاً من غير حلّه وأنفقه في غير حقه.

وعن إسماعيل بن جابر عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجل:

﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥].

أهو سوى الزّكاة؟ فقال: هو الرّجل يؤتيه الله الثروة من المال فيخرج منه الألف والألفين والثلاثة والأقل والأكثر فيصل به رحمه ويحمل به الكلّ عن قومه[2].

ويجيء اشباع الكلام في هذا المقام زيادة على ذلك في شرح المائة والتّسع من المختار في باب الخطب إن شاء الله.

(و) الخامس: أنّه **(يخون العهد)** وهي رذيلة داخلة تحت الفجور، ويقابلها الوفاء قال سبحانه:

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَـٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا۟ ٱلْأَيْمَـٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ، ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَـٰثًا﴾ [النحل: ٩١-٩٢].

(١) الكافي: ٤/ ٤٤ ح ١، ووسائل الشيعة: ٩/ ٣٥ ح ١١٤٥٨.

(٢) وسائل الشيعة: ٦/ ٢٩ ح ٥.

وقد مضى تفصيل الكلام فيه في شرح كلماته السّابعة والسّبعين.

(و) السادس: أنه **(يقطع الألّ)** إن كان المراد بالألّ العهد فالعطف بمنزلة التّفسير وإن كان المراد به القرابة كما هو الأظهر فالمقصود به قطع الرّحم، ويقابله الصّلة وقد مضى الكلام فيهما في الفصل الثّاني من الخطبة الثالثة والعشرين.

والسابع: الجبن ويقابله الشّجاعة وإليه أشار عليه السلام بقوله **(فإذا كان عند الحرب فأي زاجر وآمر هو)** بالقتال وبراز الأبطال **(ما لم يأخذ السّيوف مأخذها)** والرّماح مراكزها **(فإذا كان ذلك)** والتحم الحرب وشبّ لظاها وعلا سناها **(كان أكبر مكيدته)** في الذّب عنه وأعظم حيلته في الخلاص عن حدّ السّيف والنجاة منه **(أن يمنح القوم سبّته)** كما ستطلع عليه في التّذنيب الآتي.

ثم إنّه عليه السلام رجع إلى إبطال دعوى عمرو وبيّن وجه البطلان بأمرين: **أحدهما**: راجع إليه عليه السلام وهو قوله **(أما والله إنه ليمنعني من اللّعب ذكر الموت)** فإنّ مذاكرة الموت ومراقبة الآخرة تكون شاغلة عن الدّنيا معرضة عن الالتفات إليها وإلى شهواتها من اللّعب ونحوه لكونه وجلاً من الله ومترصّداً لهجوم الموت وهو واضح بالمشاهدة والعيان ويشهد عليه البداهة والوجدان، **وثانيها**: راجع إلى عمرو وهو قوله **(وانه ليمنعه من قول الحق نسيان الآخرة)** فإن نسيان الآخرة يوجب صرف الهمّة إلى الدّنيا وطول الأمل فيها ويبعث على الانهماك في الشّهوات والانغمار في اللّذات ومن كان هذه حاله لا يبالي بما قال وما يقول ويقدم بدواعي شهواته الكذب على الصدق والباطل على الحق ليصل غرضه وينال مناه.

ثمّ نبّه عليه السلام على بعض ما ترتب على نسيان الآخرة بقوله **(انه لم يبايع معاوية حتى شرط له أن يؤتيه على البيعة أتية ويرضخ له على ترك الدّين)** والعدول عن الحق **(رضيخة)** فأعطاه مصر ثمناً وطعمةً على ما قد مضى مفصّلاً في شرح الفصل الثالث من فصول الخطبة السّادسة والعشرين.

تذنيبات الأول

في ذكر نسب عمرو بن العاص اللّعين ابن اللّعين عليه لعنة الله والملائكة والنّاس أجمعين أبد الآبدين وبيان بعض حالاته الدالة على كفره وشقاوته مع الإشارة إلى ما صدر عنه في صفين من كشف سوءته فأقول:

اعلم أن العاص بن وائل أباه كان من المستهزئين برسول الله صلى الله عليه وآله والمعلنين له بالعداوة والأذى، وفيه وفي أصحابه نزل قوله تعالى:

﴿إِنَّا كَفَيْنَٰكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ ﴿٩٥﴾﴾ [الحجر: ٩٥].

وكان يلقّب في الإسلام بالأبتر لأنّه قال لقريش: سيموت هذا الأبتر غداً فينقطع ذكره، يعني رسول الله ﷺ ويشتمه ويضع في طريقه الحجارة، لأنّه ﷺ كان يخرج من منزله ليلاً فيطوف بالكعبة فكان يجعل الحجارة في طريقه ليعثر بها، وهو أحد القوم الذين خرجوا إلى زينب إبنة رسول الله ﷺ لما خرجت من مكة مهاجرة إلى المدينة فروعوها وقرعوا هودجها بكعوب الرّماح حتى أجهضت جنيناً ميتاً من أبي العاص بن الرّبيع بعلها، فلمّا بلغ ذلك رسول الله نال منه وشقّ عليه مشقّة شديدة ولعنهم، رواه الشّارح المعتزلي عن الواقدي[١].

وروي عنه وعن غيره من أهل الحديث أن عمرو بن العاص هجا رسول الله ﷺ هجا كثيراً كان تعلمه صبيان مكة فينشدونه ويصيحون رسول الله ﷺ إذا مرّ بهم رافعين أصواتهم بذلك الهجاء فقال رسول الله ﷺ وهو يصلّي بالحجر: «اللّهمّ إن عمرو بن العاص هجاني ولست بشاعر فالعنه بعدد ما هجاني»[٢].

قال: وروى أهل الحديث أن النّضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وعمرو بن العاص عمدوا إلى سلا جمل فرفعوه بينهم ووضعوا على رأس رسول الله ﷺ وهو ساجد بفناء الكعبة فسال عليه فصبر ولم يرفع رأسه وبكى في سجوده ودعا عليهم فجاءت ابنته فاطمة عليها السّلام وهي باكية فاحتضنت ذلك السّلا فرفعته عنه فألقته وقامت على رأسه تبكي فرفع رأسه ﷺ وقال: «اللهمّ عليك بقريش» قالها ثلاثاً، ثمّ قال ﷺ رافعاً صوته: «إنّي مظلوم فانتصر»[٣]، قالها ثلاثاً، ثمّ قام فدخل منزله وذلك بعد وفاة عمّه أبي طالب بشهرين.

قال: ولشدّة عداوة عمرو بن العاص رسول الله ﷺ أرسله أهل مكّة إلى النّجاشي ليزهده في الدّين وليطرد عن بلاده مهاجرة حبشة وليقتل جعفر بن أبي طالب عنده إن أمكنه قتله، فكان منه في أمر جعفر هناك ما هو مذكور مشهور في السّير.

فأما النّابغة: فقد ذكر الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار» قال: كانت النابغة أم عمرو بن العاص أمة لرجل من عنزة فسبيت فاشتراها عبد الله بن جذعان التّيمي بمكة فكانت بغياً، ثمّ أعتقها فوقع عليها أبو لهب بن عبد المطلب وأميّة بن خلف الجهمي وهشام بن المغيرة المخزومي وأبو سفيان بن الحرب والعاص بن وائل السهمي في طهر واحد فولدت عمراً فادّعاه كلّهم فحكمت أمّه فيه فقالت: هو من العاص بن وائل، وذلك لأنَ العاص بن وائل ينفق عليها كثيراً، قالوا: وكان أشبه بأبي سفيان.

قال: وروى أبو عبيدة معمر بن المثنى في كتاب «الأنساب» أن عمراً اختصم فيه يوم

---

(١) شرح النهج: ٦/ ٢٨٢.
(٢) الإيضاح: ٨٥، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٢٢٩.
(٣) بحار الأنوار: ٣٣/ ٢٢٩ ح ٥١٦.

ولادته رجلان: أبو سفيان بن الحرب والعاص بن وائل، فقيل: لتحكم أمّه فقالت أمّه: من العاص بن وائل، فقال أبو سفيان: أما أني لا أشك أني وضعته في بطن[١] أمّه فأبت إلاّ العاص فقيل لها: أبو سفيان أشرف نسباً، فقالت: ان العاص بن وائل كثير النفقة عليّ وأبو سفيان شحيح، ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لعمرو بن العاص حيث هجاه مكافئاً له عن هجاء رسول الله ﷺ:

أبوك أبو سفيان لا شكّ قد بدت ... لنا فيك منه بيّنات الشّمائل
فـفاخر به إمّا فخرت ولا تكن ... تفاخر بالعاص الهجين بن وائل
وإنّ الّتي في ذاك يا عمر وحكمت ... فقالت رجاءً عند ذاك لنائل
من العاص عمرو تخبر الناس كلما ... تجمعت الأقوام عند المحافل

وفي «البحار» من «الاحتجاج» في حديث طويل قال الحسن عليه السلام مخاطباً لابن العاص: وأما أنت يا عمرو بن العاص الشّاني اللّعين الأبتر فإنما أنت كلب أوّل أمرك امّك لبغية أنّك ولدت على فراش مشترك فتحاكمت فيك رجال قريش منهم أبو سفيان بن حرب والوليد بن المغيرة وعثمان بن الحارث والنّضر بن الحارث بن كلدة والعاص بن وائل كلّهم يزعم أنّك ابنه فغلبهم عليك من بين قريش الأمهم حسباً وأخبثهم منصباً وأعظمهم بغية ثمّ قمت خطيباً وقلت أنا شانيء محمّد، وقال العاص بن وائل: إنّ محمّداً رجل أبتر لا ولد له فلو قد مات انقطع ذكره فأنزل الله تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

وكانت أمّك تمشي إلى عبد قيس يطلب البغية تأتيهم في دورهم وفي رحالهم وبطون أوديتهم، ثمّ كنت في كلّ مشهد يشهده رسول الله ﷺ من عدوّه أشدّهم له عداوة وأشدّهم له تكذيباً، الحديث.

وفي «البحار» من كتاب سليم بن قيس الهلالي عن أبان بن أبي عيّاش عن سليم قال: إن عمرو بن العاص خطب الناس بالشّام فقال: بعثني رسول الله ﷺ على جيش فيه أبو بكر وعمر فظننت أنّه إنّما بعثني لكرامتي عليه فلمّا قدمت قلت يا رسول الله أي الناس أحبّ إليك؟ فقال ﷺ: عائشة، فقلت: من الرّجال؟ قال: أبوها، وهذا عليّ يطعن على أبي بكر وعمر وعثمان، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ الله ضرب بالحقّ على لسان عمر وقلبه، وقال في عثمان: إنّ الملائكة تستحيي من عثمان.

(١) في نسخة: رحم.

وقد سمعت علياً وإلاّ فصمّتا يعني أذنيه يروى على عهد عمر أنّ نبي الله نظر إلى أبي بكر وعمر مقبلين، فقال: يا عليّ هذان سيّدا كهول أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين ما خلا النّبيين منهم والمرسلين ولا تحدثهما بذلك فيهلكا.

فقام عليّ عليه السلام فقال: «العجب لطغاة أهل الشّام حيث يقبلون قول عمرو ويصدقونه وقد بلغ من حديثه وكذبه وقلة ورعه أن يكذب على رسول الله ﷺ ولعنه رسول الله ﷺ سبعين لعنة ولعن صاحبه الذي يدعو إليه في غير موطن».

وذلك أنّه هجا رسول الله ﷺ بقصيدة سبعين بيتاً فقال رسول الله ﷺ: «اللّهم إنّي لا أقول الشّعر ولا أحلّه فالعنه أنت وملائكتك بكلّ بيت لعنة تترى على عقبه إلى يوم القيامة»[1].

ثمّ لما مات إبراهيم ابن رسول الله ﷺ فقال: إن محمّداً قد صار أبتر لا عقب له وإنّي لأشنأ الناس له وأقولهم فيه سوء فأنزل فيه:

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

يعني هو الأبتر من الايمان من كلّ خير ما لقيت من هذه الأمة من كذابيها ومنافقيها لكأنّي بالقراء الضعفة المتهجدين رووا حديثه وصدّقوه فيه واحتجّوا علينا أهل البيت بكذبه: انا نقول خير هذه الأمة أبو بكر وعمر ولو شئت لسمّيت الثالث، والله ما أراد بقوله في عائشة وانتهى الإرضاء معاوية بسخط الله عزّ وجلّ، ولقد استرضاه بسخط الله.

وأمّا حديثه الذي يزعم أنّه سمعه منّي فلا والذي فلق الحبّة وبرىء النسمة ليعلم أنّه قد كذب عليّ يقيناً وأنّ الله لم يسمعه منّي سرّاً ولا جهراً، اللهمّ إلعن عمراً والعن معاوية بصدّهما عن سبيلك وكذبهما على كتابك واستخفافهما نبيّك ﷺ وكذبهما عليه وعليّ.

وفي تفسير عليّ بن إبراهيم القمّي: دخل رسول الله ﷺ المسجد وفيه عمرو بن العاص والحكم بن أبي العاص قال عمرو: يا أبا الأبتر وكان الرّجل في الجاهليّة إذا لم يكن له ولد سمي ابتر ثمّ قال عمرو: إنّي لأشنأ محمّداً أي ابغضه فأنزل الله على رسوله ﷺ:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١] إلى قوله: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣].

أي مبغضك عمرو بن العاص لا دين له ولا حسب، وبما ذكر كلّه ظهر كفر ابن العاص اللّعين وكفر أبيه كما ظهر عداوته لأمير المؤمنين عليه السلام وبغضه وهو ليس ببعيد من أولاد الزنا ولنعم ما قال الشّاعر:

---

(١) بحار الأنوار: ٣٣/ ٢٢٤ ح ٥١٣، وكتاب سليم بن قيس: ٢٧٨.

بحبّ عليّ تزول الشّكوك وتزكو النّفوس وتصفو البخار
ومهما رأيت محبّاً له فثمّ الذّكاء (الزكاء) وثمّ الفخار
ومهما رأيت عدوّاً له ففي أصله نسب مستعار
فلا تعذلوه على فعله فحيطان دار أبيه قصار

وأمّا خبر عمرو في صفين ففي «البحار» من «المناقب» وبرز أمير المؤمنين عليه السلام ودعا معاوية قال: واسألك أن تحقن الدّماء وتبرز إليّ وأبرز إليك فيكون الأمر لمن غلب[1]، فبهت معاوية ولم ينطق بحرف، فحمل أمير المؤمنين عليه السلام على الميمنة فأزالها، ثمّ حمل على الميسر فطحنها، ثمّ حمل على القلب وقتل منهم جماعة وأنشد:

فهل لك في أبي حسن عليّ لعلّ الله يمكن من قفاكا
دعاك إلى البراز فعكت عنه ولو بارزته تربت يداكا

فانصرف أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ برز متنكراً فخرج عمرو بن العاص مرتجزاً:

يا قادة الكوفة من أهل الفتن يا قاتلي عثمان ذاك المؤتمن
كفى بهذا حزناً عن الحزن أضربكم ولا أرى أبا الحسن

فتناكل عنه عليّ عليه السلام حتّى تبعه عمرو ثمّ ارتجز:

أن الغلام القرشي المؤتمن الماجد الأبيض ليث كالشّطن
يرضى به السادة من أهل اليمن أبو الحسين فاعلمن أبو الحسن

فولّى عمرو هارباً فطعنه أمير المؤمنين عليه السلام فوقعت في ذيل درعه فاستلقا على قفاه وأبدا عورته فصفح عليه السلام استحياء وتكرّما، فقال معاوية: أحمد الله عافاك وأحمد استك الذي وقاك، قال أبو نواس:

فلا خير في دفع الرّدى بمذلة كما ردّها يوماً بسوءته عمرو

قال وبرز عليّ عليه السلام ودعا معاوية فنكل عنه فخرج بسر بن أرطاة يطمع في عليّ عليه السلام فصرعه أمير المؤمنين فاستلقى على قفاه وكشف عن عورته فانصرف عنه عليّ عليه السلام فقالوا: ويلكم يا أهل الشّام أما تستحيون من معاملة المخانيث لقد علّمكم رأس المخانيث عمرو، ولقد روى هذه السّيرة عن أبيه عن جدّه في «كشف الأستاه» وسط عرصة الحروب.

قال الشّارح المعتزلي: وللشعراء فيهما أشعار مذكورة في موضعها من ذلك الكتاب منها

(١) بحار الأنوار: ٣٢/ ٥٨٤، والأنوار العلوية: ٢٣٧.

فيما ذكر الكلبي والمدائني قول الحرث بن نضر الخثعمي وكان عدواً لعمرو بن العاص وبسر بن أرطاة:

أفي كل يوم فارس ليس يتقي ... وعورته وسط العجاجة بادية
يكف لها عنه عليّ سنانه ... ويضحك منه في الخلاء معاوية
بدت أمس من عمرو فقنع رأسه ... وعورة بسر مثلها حذ وحاذية
فقولا لعمرو ثمّ بسرألا أنظرا ... سبيلكما لا تلقيا اللّيث ثانية
ولا تحمدا إلاّ الحيا وخصاكما ... هما كانتا والله للنّفس واقية
ولولاهما لم تنجوا من سنانه ... وتلك بما فيها من العود ماهية
متى تلقيا الخيل المشيحة صيحة ... وفيها عليّ فاتركا الخيل ناحية
وكونا بعيداً حيث لا يبلغ القنا ... نحوركما إنّ التجارب كافية

قال نضر بن مزاحم: حدثنا عمرو بن شمر عن النخعي عن ابن عبّاس قال: تعرض عمرو بن العاص لعليّ عليه السلام يوماً من أيّام صفّين وظن أنّه يطمع منه في غرّة فيصيبه فحمل عليّ عليه السلام فلمّا كاد أن يخالطه أذرى نفسه عن فرسه ودفع ثوبه وشفر برجله فبدت عورته فضرب عليه السلام وجهه عنه وقام معفراً بالتراب هازماً على رجليه معتصماً بصفوفه فقال أهل العراق: يا أمير المؤمنين أفلت الرّجل، فقال عليه السلام أتدرون من هو؟ قالوا: لا، قال عليه السلام: فإنه عمرو بن العاص تلقاني بسوءة فصرفت وجهي عنه، ورجع عمرو إلى معاوية فقال: ما صنعت يا أبا عبد الله؟ فقال: لقيني عليّ فصرعني قال: إحمد الله وعورتك، والله إنّي لأظنك لو عرفته لما أقمحت عليه، وقال معاوية في ذلك:

ألا لله من هفوات عمرو ... يعاتبني على تركي برازي
فقد لاقى أبا حسن عليّاً ... فآب الوائليّ مآب خازى
فلو لم يبد عورته لطارت ... بمهجته قوادم أيّ بازي
فإن تكن المنيّة أخطأته ... فقد غنى بها أهل الحجاز

وروى الواقدي قال: قال معاوية يوماً بعد استقرار الخلافة لعمرو بن العاص: يا أبا عبد الله لا أراك إلاّ ويغلبني الضّحك، قال: بماذا؟ قال: ذكر يوم حمل عليك أبو تراب في صفّين فأذريت نفسك فرقاً من شبا سنانه وكشفت سوّتك له، فقال عمرو: أنا منك أشدّ ضحكاً إني لا أذكر يوم دعاك إلى البراز فانتفخ منخرك وربا لسانك في فمك وعصب ريقك وارتعدت فرائصك وبدا منك ما أكره ذكره، فقال معاوية: لم يكن هذا كله وكيف يكون ودوني عمّك والأشعرون، قال: إنّك لتعلم أنّ الذي وضعت دون ما أصابك وقد نزل ذلك بك ودونك

عمك والأشعرون فكيف كانت حالك لوجمعكما مآقط الحرب؟ قال: يا أبا عبد الله خض بنا الهزل إلى الجدّ إن الجبن والفرار من عليّ لا عار على أحد فيهما[١].

الثاني

إعلم أن ما رواه السّيد (ره) من كلامه عليه السلام مرويّ في غير واحد من الكتب المعتبرة، ففي «الاحتجاج» مثل الكتاب، وفي «البحار» من «أمالي المفيد» عن محمّد بن عمران عن الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير بن بكار عن عليّ بن محمّد قال: كان عمرو بن العاص يقول: إنّ في عليّ دعابة، فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام فقال: «زعم ابن النابغة إنى تلعابة مزاحة ذو دعابة أعافس وأمارس، هيهات يمنع من العفاس والمراس ذكر الموت وخوف البعث والحساب ومن كان له قلب ففي هذا عن هذاله واعظ وزاجر، أما وشر القول الكذب وإنّه ليحدث فيكذب ويعد فيحلف فإذا كان يوم البأس فأيّ زاجر وأين هو ما لم يأخذ السيوف هام الرّجال، فإذا كان ذلك فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم استه[٢].

وفيه من كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي قال: بلغ علياً عليه السلام أن ابن العاص ينتقصه عند أهل الشام، فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال: يا عجباً عجباً لا ينقضي لابن النابغة يزعم لأهل الشّام، إلى آخر الكلام وجمع بين الرّوايتين.

وكيف كان فقد ظهر وتحقق من هذه الرّوايات وممّا قدمناه في التذنيب الأوّل أن نسبة ابن العاص له عليه السلام إلى الدعابة كان منشأها شدّة العناد والعداوة كما قد ظهر كذب اللّعين ابن اللّعين في ذلك بتكذيبه له عليه السلام مع ما ذكره عليه السلام من البيّنة والبرهان على كذبه، وهو أن من كان قلبه مستغرقاً بذكر الآخرة وما فيها لا يكون له فراغ إلى التلفت إلى الدّنيا ومالها.

قال الشّارح المعتزلي: وأنت إذا تأمّلت حال عليّ عليه السلام في أيّام رسول الله صلى الله عليه وآله وجدته بعيداً عن أن ينسب إلى الدّعابة والمزاح لأنّه لم ينقل عنه شيء من ذلك أصلاً لا في الشّيعة ولا في كتب المحدّثين، وكذلك إذا تأمّلت حاله في أيام أبي بكر وعمر لم تجد في كتب السيرة حديثاً واحداً يمكن أن يتعلّق به متعلّق في دعابته ومزاحه إلى أن قال:

ولعمر الله لقد كان أبعد من ذلك وأيّ وقت كان يتسع لعليّ عليه السلام حتّى يكون فيه على الصّفات، فإن زمانه كلها في العبادة والذكر والصّلاة والفتاوى والعلم واختلاف النّاس إليه في الأحكام وتفسير القرآن، ونهاره كلّه أو معظمه مشغول بالصّوم، وليله كلّه أو معظمه مشغول بالصّلاة، هذا في أيّام سلمه، فأمّا أيّام حربه فالسّيف الشّهير والنّشاب الطّرير وركوب الخيل وقود الجيش ومباشرة الحروب.

---

(١) الغدير: ٢/ ١٦٤.

(٢) الأمالي: ١٣٢، وبحار الأنوار: ٣٣/ ٢٢٣ ح ٥١١.

ولقد صدق عليه السلام في قوله إنّه ليمنعني من اللّعب ذكر الموت ولكن الرّجل الشريف النبيل الذي لا يستطيع أعداؤه أن يذكروا له عيباً أو يعدوا عليه وصمة لا بد أن يحتالوا ويبذلوا جهدهم في تحصيل أمرّ ما وإن ضعف يجعلون عذراً له في دمه ويتوسلون به على أتباعهم في تحسينهم لهم مفارقته والإنحراف عنه، وما زال المشركون والمنافقون يضعون لرسول الله صلى الله عليه وآله الموضوعات وينسبون إليه ما قد برأه الله عنه من العيوب والمطاعن في حياته وبعد وفاته إلى زماننا هذا، وما يزيده الله سبحانه إلا رفعة وعلوّاً.

فغير منكر أن يعيب علياً عليه السلام عمرو بن العاص وأمثاله من أعدائه بما إذا تأمله المتأمل علم أنّهم باعتمادهم وتعلّقهم به قد اجتهدوا في مدحه والثناء عليه لأنّهم لو وجدوا غيره عيباً لذكروه[1].

أقول: ولعلّه إلى ذلك ينظر الشاعر في قوله:

وإذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأنّي كامل

ولعمري أنّه لا بيان فوق ما أتى به الشارح من البيان في توضيح براءة ساحته عليه السلام مما قاله ابن العاص في حقه من الكذب والبهتان إلاّ أنّه لو أنصف لعلم أن كلّ الصّيد في جوف الفرا، وأن أوّل من فتح أمثال ذلك الباب لابن العاص ونظرائه هو عمر بن الخطاب إذ هو أوّل من صدر عنه هذه اللّفظة فحذا ابن العاص حذوه كما سبق ذلك في التذييل الثاني من تذييلات الفصل الثالث من فصول الخطبة الثالثة المعروفة بالشقشقيّة.

وقد اعترف به الشّارح نفسه أيضاً هٰهنا حيث قال: وأمّا ما كان يقوله عمرو بن العاص في عليّ لأهل الشام: إن فيه دعابة، يروم أن يعيبه بذلك عندهم فأصل ذلك كلمة قالها عمر فتلقفها أعداؤه حتّى جعلها أعداؤه عيباً له وطعناً عليه.

واستند في ذلك إلى رواية أحمد بن يحيى في كتاب «الأمالي» قال: كان عبد الله بن عبّاس عند عمر فتنفّس عمر نفساً عالياً قال ابن عبّاس حتّى ظننت أنّ أضلاعه قد انفرجت فقلت له: ما أخرج هذا النّفس منك يا أمير المؤمنين إلاّ همّ شديد؟ قال: أي والله يا ابن عبّاس فكرت فلم أدر فيمن أجعل هذا الأمر بعدي، ثمّ قال: لعلّك ترى صاحبك لها أهلاً؟ قلت: وما يمنعه من ذلك من جهاده وسابقته وقرابته وعلمه قال: صدقت ولكنه امرء فيه دعابة.

ثمّ ذكر الخمسة الباقية من أمر أهل الشورى وأثبت لكلّ منهم عيباً نحو ما تقدّم ذكره في شرح الخطبة الشقشقية ثمّ قال: إنّ أحراهم أن يحملهم على كتاب ربّهم وسنّة نبيّهم لصاحبك والله لئن وليها ليحملنّهم على المحجّة البيضاء والصّراط المستقيم[2].

---

(١) شرح النهج: ٦/ ٣٢٩.

(٢) شرح النهج: ٦/ ٣٢٧، وعمر بن الخطاب: ٢١٠.

ثمّ اعتذر الشارح عن جانب عمر بأن عمر لما كان شديد الغلظة، وعر الجانب خشن الملمس، دائم العبوس، كان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص ولو كان سهلاً طلقاً مطبوعاً على البشاشة وسماحة الخلق لكان يعتقد أن ذاك هو الفضيلة وأن خلافه نقص حتى لو قدّرنا أن خلقه حاصل لعليّ وخلق عليّ عليه السلام حاصل له لقال في علي لولا شراسة فيه، فهو غير ملوم عندي فيما قاله ولا منسوب إلى أنّه أراد الغض من عليّ عليه السلام والقدح فيه ولكنه أخبر عن خلقه ظانّاً أن الخلافة لا تصلح إلاّ للشديد الشكيمة العظيم الوعورة.

إلى أن قال: وجملة الأمر أنه لم يقصد عيب عليّ عليه السلام ولا كان عنده معيباً ولا منقوصاً، ألا ترى أنه قال في آخر الخبر أن أحراهم أن يحملهم على كتاب الله وسنّة رسوله لصاحبك، ثمّ أكد ذلك بأن قال لئن وليهم ليحملنّهم على المحجّة البيضاء والصراط المستقيم، فلو كان أطلق تلك اللّفظة وعنى بها ما حملها عليه الخصوم لم يقل في خاتمة كلامه ما قاله، انتهى ما أردنا إيراده من كلامه.

وأقول: لا أدري إلى من يتعصّب هذا الرّجل في حق عمر؟ وحتّام يستصلح عثراته؟ وأيّ شيء رأى منه حتّى اغتر به؟ وأيّ داع له إلى تأويل كلامه؟ فإن لفظة الدّعابة في كلام ابن العاص وابن الخطاب واحدة فلم يبقيها في حق ابن العاص على ظاهرها ويجريها على أقبح وجهها ويأوّلها في حق ابن الخطاب ويخرّجها على أحسن وجهها مع أن الشمس لا يستتر بالحجاب والحقّ لا يخفى على أولي الألباب.

وأهل المعرفة يعرف أن كلّ ما يتوجّه في هذا الباب على ابن العاص يتوجه على ابن الخطاب بل وزيادة إذ هو أوّل من صدر عنه هذا التشنيع وأوّل من اتهمه عليه السلام بهذا الأمر الفظيع.

ثمّ أقول: كيف خفي عن الشارح التناقض في كلام عمر مع وضوحه حيث إنّه صدق ابن عبّاس أوّلاً في كون أمير المؤمنين عليه السلام أهلاً للخلافة إلاّ أنّه استدرك بقوله: ولكنه فيه دعابة فجعل الدعابة مانعة له عنها موجبة لسقوطه عن أهليّتها وذلك يناقض صريحاً قوله في آخر الرّواية لئن وليها ليحملنّهم على المحجة البيضاء.

وبعبارة أخرى إن كانت الدّعابة التي نسبها إليه عليه السلام أمراً خارجاً عن حدّ الاعتدال مخالفاً للشريعة الغراء كيف يمكن معها حمل الناس على المحجّة البيضاء وعلى الكتاب والسّنة والطريقة المستقيمة وإن لم يكن أمراً منافياً لحملهم على ما ذكر فأي مانعية له عن استحقاق الخلافة والولاية.

وأمّا ما اعتذر به الشارح من أن عمر إنّما قال ذلك بمقتضى شدّة غلظته وخشونة جبلته ظاناً أن الخلافة لا تصلح إلاّ للشديد الشكيمة العظيم الوعورة.

ففيه أن الشدّة والغلظة لو كانت شرطاً للخلافة كما ظنه عمر لوجب أن يكون شرطاً للنبوة بطريق أولى مع أنه سبحانه قال:

﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ومدح نبيّه ﷺ بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

فاللازم لعمر الذي جعلوه خليفتهم أن يكون سيره وسلوكه على طبق الكتاب لا أن ينبذ الكتاب وراء ظهره ويتكلّم بمقتضى طبيعته وبجانب الاقتداء بنبيّه ﷺ في أفعاله وأعماله[1].

والإنصاف أن من لاحظ وجنات حال عمر يعرف أن كلّ ما صدر عنه من الأقوال والأفعال أو أغلبه كان ناشئاً من فرط قوته الغضبية والشهوية ومقتضى هوى نفسه الأمارة، ولم يكن ملاحظاً جانب الشريعة وقدّماً لها على دواعي نفسه ومقتضى جبلته، بل من راجع محاوراته عرف أنّه كان مثل حيّة سمّه في لسانه تلسع المخالف والمؤالف، وعقرب عوجاء لا تفرق بين البرّ والفاجر.

وكفى بذلك شاهداً ما قاله لرسول الله ﷺ حين وفاته ﷺ على ما قدّمناه مفصّلاً في شرح الكلام السّادس والسّتين في التّنبيه الثاني منه، وما قاله لأهل الشّورى حين وصيّته كما مرّ في ثاني تذييلات الفصل الثالث من شرح الخطبة الثّالثة، وما توعد به جبلة بن الأيهم حتى عاد إلى النّصرانية حسب ما مر في شرح الفصل الثّاني من الخطبة الثالثة ومرّ هناك أيضاً أن ابن عبّاس أضمر بطلان القول بالعول في حياته وأظهره بعد وفاته خوفاً منه وأنّه أساء الأدب في الكلام بالنسبة إلى رسول الله ﷺ في صلح الحديبيّة إلى غير ذلك ممّا لو أردنا إشباع الكلام فيها لطال.

ويؤيد ذلك كلّه ما رواه الشّارح في شرح هذا الكلام من أنه إذا غضب على أهله لم يسكن غضبه حتّى يعضّ يده عضاً شديداً حتى يدميها.

وبعد ذلك كلّه لا يكاد ينقضي عجبي من الشّارح وأمثاله حيث إنّهم يوردون مثل ما أوردناه في كتبهم ويذكرون مثالب عمر ومطاعنه ثم يغمضون عنها ولا يعرفون مع فضلهم وزكائهم في العلوم أن أدنى شيء من ذلك يوجب سقوط الرّجل عن مرتبة الكمال وعن درجة القبول والإعتبار فكيف بذلك كلّه وكيف بمرتبة الخلافة ومنصب الولاية.

ولا أدري بأي مناقبه يجعلونه قابلاً لولاية الله، ومستحقاً لخلافة رسول الله، ولائقاً لرئاسة الدّين، وأهلاً لأمارة المؤمنين أبحسن حاله؟ أم مزيد كماله؟ أم شرافة نسبه؟ أم كرامة

(١) في نسخة: وأخلاقه.

حسبه؟ أم عذوبة لسانه؟ أم فصاحة بيانه؟ أم علوّ قدره؟ أم طهارة مولده؟ أم كثرة علمه؟ أم وفور فضله؟

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

الثالث

في تحقيق الكلام في جواز المزاح وعدمه فأقول إنّ الأخبار في طرفي النفي والإثبات كثيرة جداً إلاّ أن مقتضى الجمع بينها هو حمل أدلة النفي على الكثير منه الخارج عن حدّ الإعتدال وأدلّة الجواز على القليل كما قال الشّاعر:

أفد طبعك المصدود بالجد راحة يجمّ[1] وعلله بشيء من المزح

ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما يعطي الطّعام من الملح

ويدلّ على هذا الجمع الأدلة المفصلة والسّيرة المستمرة، فإنّ المشاهد من حالات النّبي ﷺ والأئمة أنهم كانوا قد يمزحون إدخالاً للسّرور في قلب المؤمنين ومداراة للخلق ومخالطة معهم أو نحو ذلك، وكذلك نوّابهم القائمون مقامهم من المجتهدين والعلماء العاملين، فإنّهم مع كثرة زهدهم وشدّة ورعهم ربما يمزحون ويدعبون.

وبالجملة فالحق في المقام هو الجواز في الجملة للأدلة الدّالة على ذلك قولاً وفعلاً وتقريراً.

فمنها ما في «الوسائل» عن الكلينيّ بإسناده عن معمّر بن خلاد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام فقلت جعلت فداك الرّجل يكون مع القوم فيجري بينهم كلام يمزحون ويضحكون، فقال: لا بأس ما لم يكن، فظننت أنه عنى الفحش ثمّ قال: إنّ رسول الله ﷺ كان يأتيه الأعرابي فيأتي إليه الهدية ثمّ يقول مكانه أعطنا ثمن هديتنا فيضحك رسول الله ﷺ وكان إذا اغتم يقول ما فعل الأعرابي ليته أتانا[2].

وعن إبراهيم بن مهزم عمّن ذكره عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام قال: كان يحيى بن زكريّا يبكي ولا يضحك، وكان عيسى ابن مريم يضحك ويبكي، وكان الذي يصنع عيسى عليه السلام أفضل من الذي كان يصنع يحيى عليه السلام[3].

---

(١) يجم: أي يستريح.

(٢) شرح أصول الكافي: ١١/١٤٤ ح ١، وميزان الحكمة: ٤/٢٨٩٦.

(٣) الكافي: ٢/٦٦٥ ح ٢٠، وبحار الأنوار: ١٤/١١٨.

وعن الفضل بن أبي قرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: ما من مؤمن إلاّ وفيه دعابة، قلت: وما الدّعابة؟ قال: المزاح.

وعن يونس بن الشيباني قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كيف مداعبة بعضكم بعضاً؟ قلت: قليل قال: فلا تفعلوا فإن المداعبة من حسن الخلق وإنّك لتدخل بها السّرور على أخيك، ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يداعب الرّجل يريد أن يسرّه[1].

أقول: ويستفاد من هذه الرّواية استحبا بها لشمول أدلّة استحباب حسن الخلق وإدخال السّرور في قلب المؤمن عليها.

روى في «الوسائل» عن الصّدوق في المجالس مسنداً عن محمّد بن علي الرّضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بطلاقة الوجه وحسن اللّقاء فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوها بأخلاقكم[2].

وفي «شرح المعتزلي» روى الناس قاطبة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إني أمزح ولا أقول إلاّ حقاً.

وفيه أتت عجوز من الأنصار إليه صلى الله عليه وآله فسألته أن يدعو الله تعالى لها بالجنّة فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الجنّة لا تدخلها العجز، فصاحت فتبسّم عليه السلام فقال:

﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦﴾ [الواقعة: ٣٥-٣٦].

قال وكان صلى الله عليه وآله يمازح ابني بنته مزاحاً مشهوراً وكان يأخذ الحسين عليه السلام فيجعله على بطنه وهو صلى الله عليه وآله نائم على ظهره ويقول ترّقه ترقه ترّق عين بقّة[3].

قال: وجاء في الخبر أن يحيى عليه السلام لقي عيسى عليه السلام وعيسى مبتسم فقال يحيى: ما لي أراك لاهياً كأنّك آمن، فقال أراك عابساً كأنّك آيس فقال: لا نبرح حتى ينزل علينا الوحي فأوحى الله إليهما أحبّكما إليّ الطّلق البسام أحسنكم ظنّاً بي.

قال: ورأى نعيمان يبيع أعرابي عكّة عسل فاشتراها منه فجاءها إلى بيت عائشة في يومها، وقال: خذوها فظنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنه أهداها إليه ومضى نعيمان فنزل الأعرابي على

(١) الكافي: ٢/٦٦٣ ح ٣، ووسائل الشيعة: ١٢/١١٣.
(٢) الكافي: ٢/١٠٣ ح ١.
(٣) كفاية الأثر: ٨٥.

الباب فلما طال قعوده نادى يا هؤلاء إمّا أن تعطونا ثمن العسل أو تردّوه علينا، فعلم رسول الله ﷺ بالقصة وأعطى الأعرابي الثّمن وقال ﷺ لنعيمان: ما حملك على ما فعلت؟ قال: رأيتك يا رسول الله تحب العسل ورأيت العكّة مع الأعرابي، فضحك رسول الله ﷺ ولم ينكر(١).

وفي «زهر الرّبيع» تأليف السّيد نعمة الله الجزائري «قده» روي أنّه كان يأكل رطباً مع ابن عمه أمير المؤمنين عليه السلام وكان يضع النوى قدام علي عليه السلام فلما فرغا من الأكل كان النّوى مجتمعاً عنده، فقال ﷺ: «يا علي إنّك لأكول»، فقال: «يا رسول الله الأكول من يأكل الرطب والنواة».

وروى أنه أتته امرأة في حاجة لزوجها فقال لها: ومن زوجك؟ قالت: فلان فقال ﷺ: «الذي في عينه بياض» فقالت: لا، فقال: بلى فانصرفت عجلا إلى زوجها وجعلت تتأمّل عينه فقال لها: ما شأنك؟ فقالت: أخبرني رسول الله ﷺ إن في عينك بياضاً، فقال: أما ترين بياض عيني أكثر من سواده؟

قال: واستدبر ﷺ رجلاً من وراءه وأخذ بعضده وقال من يشتري هذا العبد يعني أنه عبد الله.

وقال: قال ﷺ لرجل: «لا تنس يا ذا الأذنين».

ورأى جملاً يمشي وعليه حنطة فقال ﷺ: «تمشي الهريسة».

وجاء أعرابي فقال: يا رسول الله ﷺ بلغنا أنّ الدّجال يأتي بالثريد وقد هلكوا جميعاً جوعاً أفترى بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تعففا؟ فضحك رسول الله ﷺ ثمّ قال: بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين.

وقبل خالد القسري خد امرأة فشكت إلى النّبيّ ﷺ فأرسل إليه فاعترف وقال: إن شاءت أن تقتصّ فلتقتصّ فإن من دينك القصاص فتبسّم رسول الله ﷺ وأصحابه وقال: أو لا تعود: فقال: لا والله يا رسول الله فعفى ﷺ.

وقال رجل: إحملني يا رسول الله، فقال ﷺ «أنا حاملوك على ولد ناقة» فقال: ما أصنع بولد ناقة؟ قال ﷺ: «وهل يلد الإبل إلاّ النّوق؟»

---

(١) مستدرك الوسائل: ٨/٤١٣، ومناقب آل أبي طالب: ١/١٢٩.

(٢) بحار الأنوار: ١٦/٢٩٤ ح ١.

الرابع

في طائفة من طرائف الكلم وظرائف الحكم ونوادر الأخبار، وغرائب الآثار، أردت أن أوردها هنا ليرتفع بها الكلال ويرجع إليها عند الملال، فإن القلوب قد تمل والأرواح تكلّ كما تكلّ الأبدان فتحتاج إلى التنزه والارتياح والتفرج والسّراح.

فأقول: روي إن أبا حنيفة قال يوماً لمؤمن الطاق: يا أبا جعفر أنت قائل بالرّجعة؟ قال: نعم، قال: فاقرض لي خمسمائة دينار أؤدّيك في الرّجعة، فأجاب «ره» إن من جملة أحكام الرجعة عندنا أن بعض مبغضي آل محمّد سلام الله عليه وعليهم يرجعون بصورة الكلاب والخنازير فلا بد أن تؤتيني ضامناً على أنك ترجع بصورة الإنسان وأخاف أن ترجع بصورة الخنزير.

وقال أيضاً له يوماً: يا أبا جعفر لو كان لعلي حق في الخلافة فلم لم يطالبها؟ قال: خاف أن يقتلها الأجنّة بحماية أبي بكر وعمر كما قتلت سعد بن عبادة.

قال الراغب في المحاضرات: إن بقزوين قرية أهلها متناهون بالتشيّع فمرّ بهم رجل فسألوه عن إسمه فقال: عمر، فضربوه ضرباً شديداً، فقال: ليس اسمي عمر بل عمران، فقالوا: هذا أشد من الأوّل فإن فيه عمر وحرفان من عثمان فهو أحق بالضّرب.

ومضى رجل إلى بغداد فاتّهموه بسب الشيخين فأخذوه إلى القاضي فسأله القاضي، فقال: كذبوا عليّ أنا رجل عاقل أعرف أن هذه البلاد بلاد أهل الخلاف لا ينبغي اللعن والسب والطّعن فيها هذا شيء يجوز في بلادنا أمّا هذه البلاد فلا وكان القاضي منصفاً فضحك وخلاّه.

روى في «حواشي المغني» عن أبي بكر الأنباري بسنده إلى هشام بن الكلبيّ قال: عاش عبيد بن شرية الجرهمي ثلاث مائة سنة وأدرك الإسلام فأسلم ودخل على معاوية بالشّام وهو خليفة، فقال: حدّثني بأعجب ما رأيت، فقال: مررت ذات يوم بقوم يدفنون ميّتاً لهم فلما انتهيت إليهم إغرورقت عيناي بالدّموع فتمثّلت بقول الشّاعر:

يا قلب إنّك من أسماء مغرور ... فاذكر وهل ينفعنك اليوم تذكير
قد بحت بالحبّ ما تخفيه من أحدٍ ... حتى جرت لك إطلاقاً محاضير
تبغي أموراً فما تدري أعاجلها ... أدنى لرشدك أم ما فيه تأخير
فاستقدر الله خيراً وأرضين به ... فبينما العسر إذ دارت مياسير
وبينما المرء في الأحياء مغتبط ... إذ صار في الرّمس يعفوه الأعاصير
يبكي عليه الغريب ليس يعرفه ... وذو قرابته في الحيّ مسرور

قال: فقال لي رجل: أتعرف من قال هذا الشعر؟ قلت: لا، قال: إن قائله هو الذي

دفناه السّاعة وأنت الغريب تبكي عليه ولا تعرفه، وهذا الذي خرج من قبره أمسّ الناس رحماً به وأسرّهم بموته فقال له معاوية: لقد رأيت عجباً، فمن الميت قال: هو عنتر بن لبيد الغدري.

روى أن مؤمن الطاق كان بينه وبين أبي حنيفة مزاح وكان يمشي معه يوماً فنادى رجل: من يدلّني على صبيّ ضال؟ فقال مؤمن الطّاق أمّا الصبي الضّالّ فلا أدري إن كنت تبغي الشيخ الضّال فهو هذا، وأشار إلى أبي حنيفة.

وقيل إن أبا حنيفة كان جالساً مع أصحابه فجاء مؤمن الطاق فقال أبو حنيفة لأَصحابه: جاءكم الشيطان وسمعه مؤمن الطّاق فقرأ:

﴿أَنَّآ أَرۡسَلۡنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمۡ أَزّٗا﴾ [مريم: ٨٣].

أقول: مؤمن الطاق لقب هشام بن الحكم عند الشيعة وهو من أصحاب الصّادق عليه السلام ويسمونه المخالفون شيطان الطاق وله بسطة يد في المناظرات.

قيل: مكتوب في خاتمة التوراة هذه الكلمات: كلّ غنيّ لا راحة له من ماله فهو والأجير سواء، وكل امرأة لا تجالس في بيتها فهي والأَمة سواء، وكلّ فقير تواضع الأَغنياء لغناه فهو والكلب سواء، وكلّ ملكٍ لا عدل له فهو وفرعون سواء وكلّ عالم لا يعمل بعلمه فهو وإبليس سواء.

المدائني، رأيت رجلاً يطوف بين الصّفا والمروة على بغل ثمّ رأيته راجلاً في سفر فقلت له: تمشي ويركب الناس؟ فقال: ركبت حيث يمشي الناس وحقّ على الله أن يرجلني حيث يركب النّاس.

ارسطاطاليس، حركة الإقبال بطيئة حركة الإدبار سريعة لأَن المقبل كالصّاعد من مرقاة إلى مرقاة والمدبر كالمقذوف به من علوّ إلى سفل.

أرسل رجل سنّي إلى شيعي مقداراً من الحنطة وكانت حنطة عتيقة فردّها عليه ثمّ أرسل إليه عوضاً جديدة ولكن فيها تراب فقبلها وكتب إليه بهذا الشّعر:

بعثت لنا بدال البرّ برّاً ... رجاء للجزيل من الثّواب
رفضناه عتيقاً وارتضينا ... به إذ جاء وهو أبو تراب

أقول: وغير خفي لطفه فإن عتيق إسم أبي بكر وأبو تراب كنية أمير المؤمنين عليه السلام.

سئل نصراني عيسى عليه السلام أفضل أم موسى؟ فقال: إنّ عيسى يحيي الموتى وموسى وكز

رجلاً فقضى عليه، وعيسى تكلّم في المهد صبيّاً وموسى قال بعد ثمانين سنة: **(واحلل عقدة من لساني)** فانظر أيّهما أفضل.

نقل انّه لما مات عمر بن عبد العزيز وتخلّف بعده يزيد بن عبد الملك قال لوزرائه: دلّوني على خزائن ابن عبد العزيز فدلّوه على حجرة كان يخلو فيها، فلمّا فتحوا قفلها رأوها قاعاً بيضاء وفي وسطها تراب متحجر من بكائه وفيها ثياب خشنة وغل من الحديد يضعه في عنقه ويبكي إذا تفرّد بنفسه.

قيل إن أهل خراسان علموا بموته بالشام يوم وفاته قالوا: كنا نرى الذّئب مع الغنم والسباع مع الأنعام حتى افترقت ذات يوم من الأيّام فعلمنا أنه قد مات.

وقال الشّيخ الرّئيس: النساء من ثلاث إلى عشر سنين لعبة اللاّعبين، ومن عشرة إلى خمسة عشرهنّ حور عين، ومن خمسة عشر إلى عشرين هنّ لحم وشحم ولين، ومن عشرين إلى ثلاثين هنّ أمّهات البنات والبنين، ومن ثلاثين إلى أربعين هنّ عجوز في الغابرين، ومن أربعين إلى خمسين اقتلوهن بالسّكين، ومن خمسين إلى ستّين عليهنّ لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.

قيل دخلت امرأة على داود النّبي عليه السلام فقالت: يا نبي الله ربّك عادل أم ظالم؟ فقال عليه السلام: ويحك هو العدل الذي لا يجور ثم قال لها: ما قصّتك؟ قالت: إني امرأة أرملة وعندي ثلاث بنات وإنّي أقوم عليهنّ من غزل يدي فلمّا كان أمس شدّيت غزلي في خرقة حمراء وأردت أن أذهب به إلى السوق وأبيعه فاشتري الطعام للأطفال فإذا بطائر قد انقض عليّ وأخذ الخرقة والغزل وطار، وبقيت حزينة مالي شيء أبلغ به أطفالي.

قال الراوي فبينما المرأة مع داود عليه السلام في الكلام فإذا بطارق يطرق الباب فأذن داود عليه السلام بالدّخول وإذا هم عشرة من التجار ومع كلّ واحدة مائة دينار فقالوا: يا نبيّ الله بمستحقها فقال عليه السلام لهم وما سبب إخراجكم هذا المال؟ قالوا: كنا في مركب فهاجت علينا الريح فعاب المركب وأشرفنا على الغرق وإذا نحن بطائر قد ألقى إلينا خرقة حمراء وفيها غزل فسددنا به عيب المركب فانسدّ ونذرنا أن يصدّق كلّ واحد منا مائة دينار من ماله، وهذا المال بين يديك تصدّق به على من أردت، فالتفت داود إلى المرأة وقال عليه السلام: ربك يتّجر لك في البحر وتجعلينه ظالماً؟ ثمّ أعطاها الألف دينار وقال: إذهبي بها وأنفقيها على أطفالك والله أعلم بحالك.

حكى أن جماعة من المصريّين لعنهم الله نقبوا في جوار روضة النّبي صلى الله عليه وآله وقصدوا إخراج جسده الشريف ونقله إلى مصر وكان ذلك في نصف اللّيل فسمع أهل المدينة من الجوّ: احفظوا نبيكم صلى الله عليه وآله، فأوقدوا السّراج وطافوا فرأوا ذلك النقب في الجدار وحوله

الجماعة موتى.

قال السّيد الجزائري: حكى لي جماعة من الثقات أنّه في بعض السّنين نزلت صاعقة فيها نار من السّماء على الضّريح المقدّس النبويّ ﷺ في المدينة فأحرقت طرفاً منه فقال بعض النواصب شعراً

لم يحترق حرم النبي لحادث ولكلّ شيء مبتداً وإزار
لكنّما أيدي الرّوافض لامست ذاك الجناب فطهّرته النّار

فقال بعض الشّيعة في الجواب:

لم يحترق حرم النبيّ لحادث ولكل شيء مبتداً وعواقب
لكن شياطين قد نزلا به ولكل شيطان شهاب ثاقب

روى في «البحار» أن يحيى بن خالد البرمكي سأل مؤمن الطّاق هشام بن الحكم بمحضر من الرّشيد فقال: أخبرني يا هشام هل يكون الحق في جهتين مختلفتين؟ قال هشام: الظاهر لا، قال فأخبرني عن رجلين اختصما في حكم في الدّين وتنازعا هل يخلو من أن يكونا محقين أو مبطلين أو أن يكون أحدهما محقاً والآخر مبطلاً؟ فقال هشام: لا يخلو من ذلك.

قال يحيى: فأخبرني عن عليّ والعبّاس لمّا اختصما إلى أبي بكر في الميراث أيّهما كان المحق ومن المبطل إذ كنت لا تقول أنهما كانا محقّين ولا مبطلين؟ قال هشام: فنظرت فإذا إنّني إن قلت إن علياً عليه السلام كان مبطلاً كفرت وخرجت من مذهبي، وإن قلت: إنّ العباس كان مبطلاً ضرب الرّشيد عنقي ووردت عليّ مسألة لم أكن سئلت عنها قبل ذلك الوقت ولا أعددت لها جواباً.

فذكرت قول أبي عبد الله عليه السلام يا هشام لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك فعلمت أنّي لا أخذل وعنّ لي الجواب في الحال فقلت له: لم يكن لأحدهما خطأ حقيقة وكانا جميعاً محقّين ولهذا نظير قد نطق به القرآن في قصّة داود عليه السلام يقول الله عزّ وجلّ:

﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَؤُا الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾ [ص: ٢١] إلى قوله: ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾ [ص: ٢٢].

فأي الملكين كان مخطئاً وأيّهما كان مصيباً أم تقول إنهما كانا مخطئين فجوابك في ذلك جوابي فقال يحيى: لست أقول إن الملكين أخطأ بل أقول إنهما أصابا وذلك إنّهما لم يختصما في الحقيقة ولم يختلفا في الحكم وإنّهما أظهرا ذلك لينبّها على داود عليه السلام في الخطيئة ويعرّفاه الحكم ويوقفاه عليه.

قال هشام: قلت له كذلك عليّ عليه السلام والعبّاس لم يختلفا في الحكم ولم يختصما في الحقيقة وإنما أظهرا الاختلاف والخصومة لينبّها أبا بكر على خطأه ويدلاّه على أنّ لهما في الميراث حقّاً ولم يكونا في ريب من أمرهما وإنما كان ذلك منهما على حدّ ما كان من الملكين، فاستحسن الرّشيد ذلك الجواب.

صلّى إعرابي خلف إمام فقرأ:

﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ [الأعراف: ٥٩].

ثمّ وقف وجعل يرددها، فقال الأعرابي: أرسل غيره يرحمك الله وأرحنا وأرح نفسك وصلّى أخر خلف امام فقرأ:

﴿فَلَنۡ أَبۡرَحَ ٱلۡأَرۡضَ حَتَّىٰ يَأۡذَنَ لِيٓ أَبِيٓ﴾ [يوسف: ٨٠].

فوقف وجعل يردّدها، فقال الأعرابي: يا فقيه إن لم يأذن لك أبوك في هذه اللّيلة نظل نحن وقوفاً إلى الصّباح؟ ثمّ تركه وانصرف.

في الأثران: الجاحظ كان من العلماء النّواصب وهو قبيح الصّورة حتّى قال الشاعر:

لو يمسخ الخنزير مسخاً ثانياً ما كان إلاّ دون قبح الجاحظ

قال يوماً لتلامذته: ما أخجلني إلاّ امرأة أتت بي إلى صائغ فقالت: مثل هذا، فبقيت حائراً في كلامها، فلمّا ذهبت سألت الصّائغ فقال: استعملتني لأصوغ لها صورة جني فقلت: لا أدري كيف صورته فأتت بك.

في الحديث إن شيطاناً سمينا لقى شيطاناً مهزولاً فقال: لم صرت مهزولاً؟ قال: إنّي مسلّط على رجل إذا أكل أو شرب أو أتى أهله يقول: بسم الله فحرمت المشاركة معه فصرت مهزولاً، وأنت لم صرت سميناً؟ قال: إني مسلّط على رجل غافل عن التّسمية يأكل ويشرب ويأتي أهله غافلاً فشاركته فيها كما قال تعالى:

﴿وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤].

حكي إنّ عالماً سئل عن مسألة فقال: لا أدري فقال السّائل: ليس هذا مكان الجهال، فقال العالم: المكان لمن يعلم شيئاً ولا يعلم شيئاً فأما الذي يعلم كلّ شيء فلا مكان له.

وسئل أبو بكر الواعظ عن مسألة فقال: لا أدري قيل له: ليس المنبر موضع الجهّال، فقال: إنّما علوت بقدر علمي ولو علوت بقدر جهلي لبلغت السّماء.

دخل لص دار رجل يسرق طحيناً في اللّيل فبسط رداءه ومضى إلى الطّحين ففطن به صاحب المنزل ومدّ يده وجر الرداء إليه فأتى اللّص بالطّحين ووضعه يظنّ أنّه فوق الرّداء وإذا

هو في الأرض فصاح به صاحب الدّار سارق سارق فانفلت اللص هارباً وهو يقول قد علم أيّنا السّارق أنا أو أنت.

قال الأصمعي: دخلت البادية ومعي كيس فأودعته عند امرأة منهم فلما طلبته أنكرته فقدمتها إلى شيخ فأقامت على انكارها، فقال: ليس عليها إلاّ يمين فقلت كأنك لم تسمع قوله تعالى:

ولا تقبل لسارقة يميناً ولو حلفت بربّ العالمينا

فقال: صدقت ثمّ تهددها فأقرت وردّت إليّ مالي ثمّ التفت إليّ الشّيخ فقال في أي سورة تلك الآية؟ فقلت في سورة:

ألا هبّي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

قال: سبحان الله لقد كنت ظننت أنها في سورة إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً.

ونظيره أن رجلاً أحضر ولده إلى القاضي فقال: يا مولانا إن ولدي هذا يشرب الخمر ولا يصلي، فأنكر ولده ذلك فقال أبوه: أتكون صلاة بغير قراءة؟ فقال الولد إنّي أقرأ القرآن وأعرف القراءة فقال له القاضي: إقرأ حتى أسمع فقال:

علق القلب رباباً بعدما شابت وشابا

إنّ دين الله حقّ لا ترى فيه ارتياباً

فقال له أبوه: إنّه لم يتعلّم هذا إلاّ البارحة سرق مصحف الجيران وحفظ هذا منه فقال له القاضي: قاتلكم الله يتعلم أحدكم القرآن ولا يعمل به.

قيل: ما وضعت سرى عند أحد فأفشاه فلمته لأني أحق باللوم منه إذ كنت أضيق صدراً منه قال الشّاعر:

إذ المرء أفشا سرّه بلسانه فصدر الذي يستودع السرّ أضيق

إذا ضاق صدر المرء عن سرّ نفسه ولام عليه آخراً فهو أحمق

رأى الحسن عليه السلام يهودي في أبهى زيّ وأحسنه واليهودي في حال رديء وحال رثة، فقال: أليس قال رسولكم: الدّنيا سجن المؤمن وجنّة الكافر؟ قال عليه السلام نعم، فقال: هذا حالي وهذا حالك، فقال عليه السلام: غلطت يا أخا اليهودي ولو رأيت ما وعدني الله من الثّواب وما أعدّ لك من العقاب لعلمت أنّك في الجنّة واني في السّجن[1].

(١) تصحيح اعتقدات الإمامية: ٩٧.

حكى صاحب «الأغاني» قال: صلى دلال يوماً خلف امام بمكّة فقال:

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ [ياسين: ٢٢].

فقال: ما أدرى والله، فضحك النّاس وقطعوا الصّلاة، فلمّا فرغوا عاتبه الإمام وقال: ويلك لا تدع الجنون والسّفه قال: كنت عندي إنّك تعبد الله فلمّا سمعتك تستفهم ظننت أنك قد شككت في ربك فتب إليه.

قيل: دخل أعرابي في الجامع ليصلي وكان اسمه موسى ووجد في طريقه كيساً فيه دنانير فقرأ الإمام: «وما تلك بيمينك يا موسى» فرمى إليه الكيس وقال: والله إنّك لساحر.

حكى أنّ بعضهم تمنّى في منزله وقال: يكون عندنا لحم فنطبخه على مرق فما لبث أن جاء جاره بصحن فقال: اغرفوا لنا فيه قليلاً من المرق، فقال: إن جيراننا يشمّون رائحة الأماني.

قال أبو عليّ بن سينا في رسالة المعراج: إنّ أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام مركز الحكمة وفلك الحقيقة وخزانة العقل، ولقد كان بين الصحابة كالمعقول بين المحسوس.

روى أن طائفة من العامة تناظروا مع شيخنا بهاء الملة والدّين فقالوا: كيف تجوزون قتل عثمان مع ما ورد من قوله ﷺ: «مثل أصحابي كمثل النّجوم بأيّهم اقتديتم اهتديتم؟ فقال: جوّزنا قتله بهذا الحديث لأن بعض الصّحابة افتى بقتله وبعضهم باشر قتله».

قال الحجاج يوماً لرجل: اقرء شيئاً من القرآن فقال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ① وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ②﴾ [النصر: ١، ٢].

فقال: ليس كذلك بل هي يدخلون في دين الله، قال: ذلك قبل ولايتك ولكنهم الآن يخرجون بسبّبك، فضحك وأعطاه.

صلى معروف الكرخي خلف إمام فلمّا فرغ من صلاته قال الإمام لمعروف من أين تأكل؟ قال: اصبر حتى أعيد صلاتي خلفك لأن من شكّ في رزقه شك في خالقه.

قال في «مجمع البيان» في ذكر حكم لقمان: إن مولاه دعاه فقال اذبح شاة فأتني بأطيب مضغتين منها، فذبح شاة وأتاه بالقلب واللسان، فسأله عن ذلك فقال: إنهما أطيب شيء إذا طابا وأخبث شيء إذا خبثا.

وفيه قال عبد الله بن دينار: قدم لقمان من سفر فلقى غلامه في الطّريق فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات؛ قال: ملكت أمري، قال: ما فعلت امرأتي؟ قال: ماتت، قال: جدّدت فراشي، قال: ما فعلت أختي؟ قال: ماتت، قال: سترت عورتي، قال: ما فعل أخي؟ قال: مات، قال: انقطع ظهري.

عن كشكول البهائي (ره) أن أباه حسين بن عبد الصّمد الحارثي وجد في مسجد الكوفة فصّ عقيق مكتوب عليه:

أنا درّ من السّماء نثروني يوم تزويج والد السّبطين
كنت أصفى من اللّجين بياضاً صبغتني دماء نحر الحسين

قال نعمة الله الموسوي الجزائري (ره): وجدنا في نهر تستر صخرة صغيرة صفراء أخرجها الحفّارون من تحت الأرض وعليها مكتوب بخط من لونها: بسم الله الرّحمن الرّحيم لا إله إلاّ الله محمّد رسول الله عليّ وليّ الله لمّا قتل الحسين بن عليّ بن أبي طالب بأرض كربلاء كتب دمه على أرض حصباء: وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

في رياض الجنّة تأليف بعض أصحابنا أنّ الباري عزّ وجلّ قال لعزرائيل: هل رحمت أحداً وهل هبت من أحد؟ فقال: يا رب أنت أعلم، فقال سبحانه تعالى: صدقت يا عزرائيل ولكن أحب أن تقول ذلك، فقال عزرائيل: إني يا رب رحمت طفلاً يرتضع ثدي أمّه وكان هو وأمه في مركب في البحر فغرق المركب فأمرتني أن أقبض روح أمّه فقبضتها وبقي الولد في البحر طائفاً على صدر أمّه فرحمته، وإنّي يا ربّ خفت[1] من رجل أمرتني أن أقبض روحه وكان ذا سلطان ومملكة وغلمان كثيرة وهو جالس على سريره في نهاية العافية فلما أردت قبض روحه دخلني خوف ورعب، فقال الباري سبحانه: يا عزرائيل الذي رحمته هو الذي خفت منه، ثمّ قال: المشهور أن الرّجل المذكور هو الشّداد المعروف، والعلم عند الله.

وفيه وفي غيره أنّ بهلول وقت جنونه مرّ يوماً على باب دار أبي حنيفة فوقف عند الباب ساعة فسمع أبا حنيفة يحدّث أصحابه ويقول: إنّ جعفر بن محمّد الصّادق عليه السلام يقول: إنّ الله لا يمكن رؤيته ومحال عليه الرؤية، وأيضاً إنّ العبد فاعل مختار يفعل فعله بالاختيار، ويقول: إنّ الشّيطان يعذّب بالنار وهذه الأقوال الثّلاثة غير معقولة عندي.

أمّا الأوّل: فلأنّ الله تعالى موجود وكلّ موجود يمكن رؤيته، والثّاني إنّ العبد لا اختيار له، والثالث إنّ الشّيطان خلق من النّار فلا يعذّب إذ النّار لا يعذّب بعضها بعضاً.

فلمّا سمع البهلول ذلك الكلام اغتاظ وأخذ مدراً من الأرض فضرب أبا حنيفة فأصاب رأسه وأوجعه ومضى يعدو، فتلاحقه أصحاب أبي حنيفة وجاؤوا به إليه ولأجل قرابته من المنصور الخليفة لم يقدروا أن يصلوا إليه بشيء من الضرب قال أبو حنيفة: اذهبوا به إلى الخليفة وأخبروه بما فعل، فلما أخبر المنصور بالقصّة عاتبه وقال له: لم فعلت ذلك وطلب أبا

---

(١) في نسخة: هِبْتُ.

حنيفة يعتذر إليه بحضرة البهلول، فطلب البهلول الرخصة منه في التكلم مع أبي حنيفة فأذن له.

فقال: يا أبا حنيفة ما أصابك مني؟ قال: ضربتني بالمدر فوجع رأسي، فقال البهلول: أرني الوجع حتى أنظر إليه، فقال أبو حنيفة: يا مجنون الوجع كيف يرى؟ وكيف يمكن أن تنظر إليه؟ فقال بهلول: يا ملعون الوجع موجود أم لا؟ قال: بل موجود، قال بهلول: إنك ادّعيت أنّ الله يرى لأنّه موجود والوجع أيضاً موجود فلم لا يرى؟ فلمّا سمع أبو حنيفة ذلك أطرق رأسه وأفحم.

ثمّ قال: يا أبا حنيفة ينبغي أن لا يوجع المدر رأسك لأنّك خلقت من التّراب وهو تراب، ثمّ قال: يا أبا حنيفة العبد لا فعل له ولا اختيار حسب ما زعمت فلأيّ شيء تؤاخذني بما صدر مني ولا قدرة لي عليه؟ فلما سمع الخليفة أقواله استحسن مقاله ورخصه في الانصراف بغير عتاب.

في «زهر الرّبيع» أن أبا العلى المعزي كان يتعصّب لأبي الطيب فحضر يوماً مجلس المرتضى «ره» فذكر أبو الطيب فأخذ المرتضى في ذمه والإزراء عليه، فقال المعري: لو لم يكن له من الشعر إلاّ قصيدته اللاّمية وهي:

لك يا منازل في القلوب منازل أقفرت أنت وهنّ منك أواهل

لكفى في فضله، فغضب المرتضى وأمر بسحب المعري فسحب وضرب، فلما أُخرج قال المرتضى لمن بحضرته: هل تدرون ما عنى الأعمى إنّما عنى قول المتنبي في أثناء قصيدته:

وإذا أتتك مذمتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كامل

ولما بلغ الخبر إلى أبي العلى قال: قاتله الله ما أشدّ فهمه وزكاه، والله ما عنيت غيره.

أقول: أبو العلى ذلك كان من النّواصب فصار من الزنادقة ومعروف أن المرتضى «ره» أمر بقلع عينيه وله إعتراضات على الشريعة وحكمة الله سبحانه ومن جملتها قوله:

يد بخمس مئينٍ عسجدٍ وديت ما باله قطعت في ربع دينار

وأجابه المرتضى بقوله:

عزّ الأمانة أغلاها وأرخصها ذلّ الخيانة فانظر حكمة الباري

وربما ينسب هذا الجواب إلى أخيه الرضي «ره».

في «البحار» من كتاب «الفردوس» عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا رأيت حية في الطّريق فاقتلها فإنّي قد شرطت على الجنّ أن لا يظهروا في صورة الحيات فمن ظهر فقد أحلّ بنفسه»(١).

أقول: ويناسب ذلك ويؤيّده ما ذكره شارح ديوان أمير المؤمنين في فواتحه عن أستاذه جلال الدّين الدّواني عن السّيد صفي الدّين عبد الرحمن اللايجي أنه قال: ذكر لي العالم الفاضل المتقي شيخ أبو بكر عن الشّيخ برهان الدّين الموصلي وهو رجل عالم فاضل ورع أنا توجّهنا من مصر إلى مكّة نريد الحج ونزلنا منزلاً وخرج عليه ثعبان فسار النّاس إلى قتله فقتله ابن عمي فاختطف ونحن نرى سعيه وتبادر النّاس على الخيل والركاب يريدون ردّه فلم يقدروا على ذلك فحصل للناس من ذلك أمر عظيم.

فلما كان آخر النّهار جاء وعليه السّكينة والوقار فسألناه ما شأنك؟ فقال: ما هو إلاّ أن قتلت هذا الثّعبان الذي رأيتموه فصنع بي ما رأيتم، فإذا أنا بين قوم من الجنّ يقول بعضهم قتلت أبي وبعضهم قتلت ابن عمي فتكاثروا عليّ وإذا رجل لصق بي وقال لي قل: أنا أرضى بالله وبالشريعة المحمدية صلى الله عليه وآله فقلت ذلك فأشار إليهم أن سيروا إلى الشّرع فسرنا حتّى وصلنا إلى شيخ كبير على مصطبة، فلما صرنا بين يديه قال: خلّوا سبيله وادّعوا عليه فقال الأولاد ندّعي عليه أنّه قتل أبانا فقلت: حاشا لله أنا نحن وفد بيت الله الحرام نزلنا هذا المنزل فخرج علينا الثعبان فتبادر النّاس إلى قتله فضربته فقتلته فلما سمع الشّيخ مقالتي قال: خلّوا سبيله سمعت ببطن نخل عن النّبي صلى الله عليه وآله من تزيا بغير زيّه فقتل فلا دية ولا قود.

في «البحار» عن حيوة الحيوان، روى البيهقي في «دلائل النبوّة» عن أبي دجانة واسمه سماك بن خرشة قال: شكوت إلى النّبي صلى الله عليه وآله أني نمت في فراشي فسمعت صريراً كصرير الرحى ودويّاً كدويّ النحل ولمعاناً كلمعان البرق فرفعت رأسي فإذا أنا بظلّ أسود يعلو ويطول بصحن داري فمسست جلده فإذا هو كجلد القنفذ فرمى في وجهي مثل شرر النّار فقال صلى الله عليه وآله: «عامر دارك يا أبا دجانة» ثمّ طلب دواتاً وقرطاساً وأمر عليّاً عليه السلام أن يكتب:

«بسم الله الرّحمن الرّحيم هذا كتاب من رسول ربّ العالمين إلى من طرق الدار من العمار والزوار إلاّ طارقاً يطرق بخير أمّا بعد، فإن لنا ولكم في الحقّ سعة فإن يكن عاشقاً مولعاً فاجراً مقتحماً فهذا كتاب الله ينطق علينا وعليكم إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون إنّ رسلنا يكتبون ما تمكرون، اتركوا صاحب كتابي هذا وانطلقوا إلى عبدة الأصنام وإلى من يزعم أنّ مع الله إلهاً آخر لا إله إلاّ هو كلّ شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم وإليه ترجعون حمّ لا

(١) بحار الأنوار: ١٢٦/٦٠ ح ١١٥، وتحف العقول: ١٢.

ينصرون حمعسق تفرق أعداء الله وبلغت حجة الله لا حول ولا قوّة إلاّ بالله فسيكفيكهم الله وهو السّميع العليم».

قال أبو دجانة فأخذت الكتاب وأدرجته وحملته إلى داري وجعلته تحت رأسي فبت ليلتي فما انتبهت إلاّ من صراخ صارخ يقول: يا أبا دجانة أحرقتنا هذه الكلمات فبحق صاحبك إلاّ ما رفعت عنا هذا الكتاب فلا عود لنا في دارك ولا في جوارك ولا في موضع يكون فيه هذا الكتاب قال أبو دجانة: لا أرفعه حتّى استأذن رسول الله ﷺ.

قال أبو دجانة ولقد طالت عليّ ليلتي ممّا سمعت من أنين الجن وصراخهم وبكائهم حتّى أصبحت فغدوت فصلّيت الصّبح مع رسول الله ﷺ وأخبرته بما سمعت من الجنّ وما قلت لهم فقال ﷺ: «يا أبا دجانة أرفع عن القوم فوالذي بعثني بالحقّ نبيّاً إنّهم ليجدون ألم العذاب إلى يوم القيامة».

في «المحاسن» مسنداً عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا ضللت في الطريق فناد: يا صالح يا أبا صالح أرشدونا إلى الطريق رحمكم الله[(١)]، قال عبد الله: فأصابنا ذلك فأمرنا بعض من معنا أن يتنحى وينادي كذلك قال: فتنحى فنادى ثمّ أتانا فأخبرنا أنّه سمع صوتاً برز دقيقاً يقول: الطريق يمنة أو قال يسرة، فوجدناه كما قال.

في «البحار» قال رسول الله ﷺ: «إذا أصاب أحداً منكم وحشة أو نزل بأرض مجنّة فليقل: أعوذ بكلمات الله التّامات التي لا يجاوزهنّ برّ ولا فاجر من شرّ ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السّماء وما يعرج فيها ومن فتن اللّيل ومن طوارق النهار إلاّ طارقاً يطرق بخير»[(٢)].

إذا قلّ مال المرء قلّ بهاؤه وضاقت عليه أرضه وسماؤه
إذا قلّ مال المرء لم يرض عقله بنوه ولم يعصب له أولياؤه

قيل كلّ عضو من الأعضاء فرد فهو مذكر إلاّ الكبد والطحال، وكلّ ما كان في الجسد اثنين فهو مؤنث إلا الحاجب والخد والجنب.

في الأثر أن الرّبيع بن خثيم حفر في داره قبراً فكان إذا وجد من قلبه قسوة اضطجع فيه فمكث ما شاء ثمّ يقول ربّ ارجعون لعليّ أعمل صالحاً فيما تركت ثمّ يردّ على نفسه فيقول قد ارجعتك فجد.

---

(١) بحار الأنوار: ٦٠/١٢٦.

قيل كان ملك يسير ومعه نديم له فبينما هما كذلك إذا بكلب بال على قبر فقال الملك: لعلّ هذا قبر رافضي يبول عليه الكلب، فقال نديمه: إن كان هذا رافضيّاً فالكلب لا بدّ أن يكون سنّياً.

قال الرّشيد للبهلول: أتحبّ أن تكون خليفة؟ قال: لا، وذلك إنّي رأيت موت ثلاث خلفاء ولم ير الخليفة موت بهلولين.

وفي «زهر الرّبيع» دخل رجل من أهل حمص إلى بلد فرأى فيها منارة فقال لصاحبه: ما أطول قامة من بنى هذه المنارة، فقال له صاحبه: يا أخي هل في الدّنيا من تكون قامته مثل هذه المنارة وإنّما بنوها في الأرض وهي نائمة ثمّ أقاموها.

في «زهر الرّبيع» رأيت رسالة في المشهد الرّضوي على مشرفه السّلام سنة ثمان بعد المائة والألف للإمام الجويني من أكابر علماء مذهب الشّافعي ردّ بها على مذهب الحنفية وذكر فيها أشياء كثيرة من أكاذيب أبي حنيفة وزخارفه وخلافه على ملة النّبي ﷺ وذكر من جملة الطّعون عليه: أن السّلطان محمود بن سبكتكين كان على مذهب أبي حنيفة وكان مولعاً بعلم الحديث يقرأ بين يديه وهو يسمع فوجد الأحاديث أكثرها موافقاً لمذهب الشّافعي فالتمس من العلماء الكلام في ترجيح أحد المذهبين فوقع الاتفاق على أن يصلّوا بين يديه ركعتين على مذهب الشافعي وركعتين على مذهب أبي حنيفة لينظر فيه السّلطان ويتفكّر ويختار ما هو أحسن.

فصلى القفال المروزي من أصحاب الشّافعي ركعتين على مذهب الشّافعيّ بالأركان والأذكار والطّمأنينة والطّهارة ممّا لم يجوّز غيره الشّافعي، ثمّ أمر القفال أن يصلّي بين يديه ركعتين على ما يجوّزه أبو حنيفة، فقام ولبس جلد كلب مدبوغ ولطخ ربعه بالنجاسة لأنّ أبا حنيفة يجوز الصّلاة على هذا الحال، وتوضأ بنبيذ التّمر فاجتمع عليه الذباب وتوضأ معكوساً منكوساً ثمّ استقبل القبلة فأحرم بالصّلاة من غير نيّة وأتى بالتكبير بالفارسيّة ثمّ قرأ آية بالفارسية «دو برك سبز» ثمّ نقر نقرتين كنقر الدّيك من غير فصل ومن غير ركوع وتشهد.

فقال القفال: أيّها السّلطان هذه صلاة أبي حنيفة فقال السّلطان إن لم تكن هذه لقتلتك فأنكر أصحاب أبي حنيفة هذه صلاته فأمر القفال بإحضار كتب العراقيين وأمر السّلطان نصرانيّاً يقرأ كتب المذهبين فوجدت الصّلاة على مذهب أبي حنيفة كما حكاه القفال فعدل السلطان إلى مذهب الشافعي وهذه المقالة نقلها علي بن سلطان الهروي الحنفي.

ثمّ عارض الشّافعية بأنّهم يقولون: إذا كان جماعة معهم من الماء قلتين وذلك لا يكفيهم لطهارتهم ولو كمّلوه ببولهم لكفاهم فإنّه يجب عليهم تكميله بالبول أو الغائط وهذا ممّا تمجّه العقول وتدفعه النقول.

ثمّ عارض تلك الصّلاة بما جوزه الشّافعي في الصّلاة فقال: إنّ واحداً منهم إذا اجتمع عندهم ماء بالوعة نجس حتّى صار قلّتين فتمضمض به واستنشق منه ثمّ قال نويت أن اطهّر بهذا الماء الطاهر المطهّر للصّلاة ثمّ غسل وجهه ويديه ومسح برأسه على شعرة أو شعرتين ثلاثاً أو مرّتين وغسل رجليه ثمّ انغمس فيه معكوساً ومنكوساً لكمال الطّهارة ومع هذا رعف وقاء وفصد واحتجم ولبس جلد خنزير بحري، وتحنى في اليدين والرّجلين مشبّهاً بالمخانيث والنّساء، ولطخ جميع بدنه وثيابه بماء مني منفصل عن ذنب حمار حتى اجتمع عليه الذّباب وهو فوق جبل أبي قبيس يقتدي بإمام عند الكعبة، ومع هذا همز الله أو أكبر ثمّ وقف والإمام انتقل من ركن إلى ركن وهو يقول: بس بس بسمى الله ونحوه وهو جاهل بالقرآن غير عالم بمخارج الحروف ثمّ يقول: ملك يوم الدّين بإسكان **(اللام)** والمستقيم **(بالغين)** والذين **(بالزا)** وأنعمت بتحريك **(النون)** ويختم بقوله غير المغضوب عليهم ولا الضّالّين **(بالقاف)** عوض **(الغين)** أو **(بالذال)** بدل **(الضّاد)** هذه صفة صلاة الشّافعي وأطال في التشنيع عليه قال الشّاعر:

ومصطنع المعروف من غير أهله يلاقي كما لاقى مغيث أم عامر

قيل إنّ أمّ عامر كنية الضبع وان صيّاداً أراد صيدها فطردها فالتجأت إلى بيت أعرابي فأجارها فلما جاء اللّيل أطعمها وأنامها فقامت في اللّيل إلى صبيّ فمزّقت بطنه وأكلت رأسه وخرجت ليلاً قال أبو الطيب:

ووضع النّدى في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السّيف في موضع النّدى

قال بعض الخلفاء لبعض الزّهاد: إنّك لعظيم الزّهد، فقال: إنّك أزهد منّي لأنّك زهدت في نعيم الآخرة وهو نعيم دائم عظيم وزهدت أنا في نعيم الدّنيا الحقير المنقطع.

كان بعضهم في أيّام صغره أشدّ منه ورعاً في أيّام كبره فقال:

عصيت هوى نفسي صغيراً وعندما أتتني اللّيالي بالمشيب وبالكبر
أطعت الهوى عكس القضية ليتني خلقت كبيراً ثمّ عدت إلى الصّغر

الترجمة

از جمله کلام آن جناب ولایت مآب است در ذکر عمرو بن عاص بی اخلاص، می فرماید:

تعجب می کنم، تعجب کردنی به پسر نابغه باغیه می گوید به اهل شام به درستی که در من است مزاحی و به درستی که من مردی هستم بسیار بازی کننده، شوخی می کنم و بازی می نمایم، به تحقیق که گفته است آن روسیاه حرف باطل و تباه را و گویا شده است در حالتی که گناه کننده است.

آگاه باشید که بدترین گفتار دروغ است و به درستی آن بدبنیاد حرف می زند، پس دروغ می گوید و وعده می دهد، پس خلف وعده می کند و سؤال می کند، پس اصرار می نماید در سؤال و سؤال کرده می شود، پس بخل میورزد از قضاء آمال و خیانت می کند در عهد و پیمان و قطع رحم می کند از خویشان، پس اگر واقع شود آن بدخصال در نزد قتال و جدال، پس چه بزرگ نهی کننده است و امرنماینده مادامی که شمشیرها شروع نکرده اند در محل شروع خود.

یعنی مادامی که نایره حرب مشتعل نشده است دعوی سرکردگی می کند و مشغول امر و نهی می شود، پس چون زمان ضرب و شست رسید و شجاعان روزگار مشغول کارزار گردید می باشد بزرگ ترین حیله آن با تزویر اینکه بذل کند به مردمان دُبر خود را و به این واسطه و تدبیر از دم شمشیر آب دار نجات یابد، چنانچه در جنگ صفین امام عالمیان قصد آن بدبخت بی دین را نمود و او خودش را از اسب به زمین انداخت و آن مردود ابتر علاجی از مرگ به غیر از کشف از قُبل و دبر خویش نیافت، پس آن معدن حیا و عفت از سوئت آن بدبخت رو بتافت و بازگشت.

پس می فرماید:

آگاه باشید به خدا سوگند که بازمی دارد مرا از بازی کردن ذکر موت و بازمی

دارد ابن نابغه را از گفتار حق فراموشی آخرت، به درستی که آن بیعت نکرد به معاویه تا اینکه شرط کرد از برای وی که عطا کند به او عطاء قلیلی و ببخشد او را بر ترك دین رشوت حقیری که عبارت باشد از حکومت دو روزه مصر. ص

ومن خطبة له عليه السلام وهي الرابعة والثمانون من المختار في باب الخطب

«وأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، الأَوَّلُ لا شَيْءَ قَبْلَهُ وَالآخِرُ لا غايَةَ لَهُ، لا تَقَعُ الأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ، وَلاَ تَعقِدُ القُلُوبُ منهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ، وَلاَ تَنَالُهُ التَّجْزِءةُ وَالتَّبْعِيضُ، ولا تُحِيطُ بِهِ الأَبْصَارُ وَالْقُلوبُ.

منها

«فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللَّهِ بِالْعِبَرِ النَّوافِعِ، وَاعْتَبِرُوا بِالأَيِ السَّواطِعِ، وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوالِغِ، وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَواعِظِ، فَكَأَنْ قَدْ عَلَقَتْكُمْ مَخالِبُ الْمَنِيَّةِ، وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلائِقُ الأُمْنِيَّةِ، وَدَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الأُمُورِ، وَالسِّيَاقَةِ إِلى الْوِرْدِ الْمَوْرُودِ، وكُلّ نَفْسٍ مَعَها سَائِقٌ وشَهِيدٌ، سائِقٌ يَسُوقُها إِلى مَحْشَرِها، وَشاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِها».

ومنها في صفة الجنة

«دَرَجَاتٌ مُتَفاضِلاتٌ، ومَنازِلُ مُتَفاوِتاتٌ، لاَ يَنْقَطِعُ نَعِيمُها، وَلاَ يَظْعَنُ مُقِيماً، وَلاَ يَهْرَمُ خالِدُها، وَلاَ يَبْأَسُ[1] ساكِنُها»[2].

اللغة

(**العبر**) جمع عبرة وهي ما يعتبر به أي يتّعظ و(**الآي**) جمع آية وهي العلامة وآية القرآن كلّ كلام متصل إلى انقطاعه، وقيل ما يحسن السكوت عليه و(**سطع**) الشيء يسطع من باب منع ارتفع و(**النذر**) بضمّتين جمع نذير وهو المنذر أي المخوف، قال الشارح المعتزلي: والأحسن أن يكون النذر هي الانذارات نفسها، لأنّه قد وصف ذلك بالبوالغ وبوالغ لا تكون في الأكثر إلاّ صفة المؤنث.

أقول: وعليه حمل قوله سبحانه: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ١٦].

أي كيف رأيتم انتقامي منهم وإنذاري إيّاهم مرّة بعد أخرى فالجمع للمصدر باعتبار اختلاف الأجناس والأنواع و(**علق**) الشوك بالثوب من باب تعب إذا نشب و(**المخلب**) من

(١) في نسخة: ييأس.

(٢) بحار الأنوار: ٨/ ١٦٢ ح ١٠٣، وميزان الحكمة: ١/ ٤٣٤ ح ٥٦٠.

الحيوان بمنزله الظفر للإنسان و(**مفظعات الأمور**) (**بالفاء والظاء**) المعجمة شدائدها الشنيعة و(**ظعن**) ظعناً من باب نفع ارتحل (**ولا يبأس**) (**بالباء**) الموحدة مضارع بئس كسمع يقال بئس فلان إذا أصاب بؤساً وهو الضر والشدّة، وفي بعض النّسخ لا ييأس (**بالياء**) المثناة التحتانية من اليأس بمعنى القنوط يقال يأس ييأس من باب منع، ومن باب ضرب شاذ وفي لغة كحسب.

الإعراب

قوله: (**فكأن قد علقتكم**) مخففة (**كان**) وملغاة عن العمل على الاستعمال الفصيح لفوات مشابهة الفعل بفوات فتحه الآخر ولذلك ارتفع بعدها الإسم في قوله:

ونــحــرٍ مــشــرق الــلّــون كــأن ثــديــاه حــقّــان

وإن أعملتها قلت ثدييه لكنه استعمال غير فصيح ومثله قوله:

ويــومــاً تــوافــيــنــا بــوجــه مــقــســمٍ كــأن ظــبــيــة تــعــطــوا إلى وارق الــسّــلــم

برفع (**ظبية**) على (**الاهمال**) ونصبها على (**الأعمال**) ويروى جرّها على جعل (**أن**) زائدة أي كظبية وإذا لم تعملهافقيه ضمير شأن مقدر كما في (**أن**) المخففة ويجوز أن يقال بعدم التقدير لعدم الدّاعي عليها، ثمّ هل هي في قوله للتحقيق كما قاله الكوفيون في قوله:

فــأصــبــح بــطــن مــكــة مــقــشــعــراً كــأنّ الأرض لــيــس بــهــا هــشــام

أو للتقريب كما في قولهم: كأنّك بالشتاء مقبل، وكأنّك بالدّنيا لم تكن وبالآخرة لم تزل، الوجهان محتملان وإن كان الأظهر هو الأوّل وقوله ﷺ: (**لا ينقطع نعيمها**) إما في محلّ النّصب على الحال أو في محل الرّفع على الوصف.

المعنى

إعلم أنّ هذه الخطبة كما يظهر من الكتاب مأخوذة وملتقطة من خطبة طويلة ولم نعثر بعد على أصلها وما أورده السيد «ره» هنا يدور على فصول ثلاثة:

الفصل الأول

في الشهادة بالتّوحيد وذكر بعض صفات الجمال والجلال وهو قوله: (**وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده**) في ذاته وصفاته (**لا شريك له**) في أفعاله ومخلوقاته، وقد مضى تحقيق الكلام في ذلك في شرح الفصل الثّاني من فصول الخطبة الثانية فلا حاجة إلى الإعادة (**الأول**) بالأزليّة فـ (**لا شيء قبله والآخر**) بالأبديّة فـ (**لا غاية له**) قد مضى تحقيق الأول والآخر في شرح الخطبة الرّابعة والستين، وقدّمنا هناك أن أوليّته سبحانه لا تنافي آخريته، وآخريّته لا تنافي أوّليته

كما تتنافيان في غيره سبحانه.

ونقول هنا مضافاً إلى ما سبق: أنّه سبحانه أوّل الأشياء وقبل كلّ شيء فلا يكون شيء قبله، وذلك لإستناد جميع الموجودات على تفاوت مراتبها وكمالاتها إليه، وهو مبدأ كلّ موجود فلم يكن قبله أوّل بل هو الأوّل الّذي لم يكن قبله شيء.

قال النّيسابوري في محكي كلامه: وهو سبحانه متقدّم على ما سواه بجميع أقسام التقدّمات الخمسة التي هي تقدّم التّأثير والطبع والشرف والمكان والزمان، أمّا بالتّأثير فظاهر، وأمّا بالطّبع فلأنّ ذات الواجب من حيث هو لا يفتقر إلى الممكن من حيث هو وحال الممكن بالخلاف، وأما بالشرف فظاهر، وأمّا بالمكان فلأنّه وراء كلّ الأماكن ومعها كقوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

وقد جاء في الحديث لو دليتم بحبل إلى الأرض السّفلى لهبط إلى الله ثمّ قرأ: هو الأوّل والآخر، وأما بالزّمان فأظهر.

وأما آخريّته فلأنه هو الباقي بعد فناء وجود الممكنات وإليه تنتهي كلّ الموجودات فهو غاية الغايات فلا يكون له غاية.

قال بعض العارفين: هو الآخر بمعنى أنّه غاية القصوى تطلبها الأشياء والخير الأعظم الّذي يتشوّقه الكلّ ويقصده طبعاً وإرادةً، والعرفاء المتألهون حكموا بسريان نور المحبّة له والشوق إليه سبحانه في جميع المخلوقات على تفاوت طبقاتهم وإن الكائنات السّفلية كالمبدعات العلويّة على اغتراف شوق من هذا البحر العظيم واعتراف شاهد مقرّ بوحدانيّة الحق القديم.

فهو الأوّل الذي ابتدأ أمر العالم حتّى انتهى إلى أرض الأجسام والأشباح وهو الآخر الذي ينساق إليه وجود الأشياء حتى يرتقي إلى سماع العقول والأرواح وهو آخر أيضاً بالإضافة إلى سير المسافرين، فإنهم لا يزالون مترقّين من رتبة إلى رتبة حتى يقع الرجوع إلى تلك الحضرة بفنائهم عن ذواتهم واندكاك جبال هويّاتهم، فهو تعالى أوّل من حيث الوجود، وآخر من حيث الوصول والشهود، وقيل أوليّته أخبار عن قدمه وآخريّته أخبار عن استحالة عدمه.

وفي «الكافي» بإسناده عن ميمون البان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام وقد سئل عن الأوّل والآخر فقال عليه السلام: «الأوّل لا عن أوّل قبله ولا عن بديء سبقه، والآخر لا عن نهاية كما يعقل عن صفات المخلوقين ولكن قديم أوّل آخر لم يزل ولا يزول بلا بديء ولا نهاية لا يقع عليه الحدوث ولا يحول من حال إلى حال، خالق كلّ شيء»[1].

---

(١) الكافي: ١/١١٦ ح ٦، والتوحيد: ٣١٣.

ويأتي إن شاء الله شرح هذا الحديث في شرح الخطبة المائة.

(لا تقع الأوهام له على صفة) أراد ﷺ أنه لا تناله الأوهام ولا تلحقه فتقع منه على صفة إذ الوهم لا يدرك إلاّ ما كان ذا وضع ومادّة، فأمّا الأمور المجرّدة عن الوضع والمادّة فالوهم ينكر وجودها فضلاً أن يصدق في إثبات صفة لها، والباري سبحانه مع بساطة ذاته وتجرّده ليس له صفة زائدة حتّى تدركه الأوهام أو تصفه بصفة، وقد مرّ بعض القول في ذلك في شرح الفصل الثّاني من الخطبة الأولى.

(ولا تعقد القلوب منه على كيفية) إذ ليس لذاته تعالى كيفيّة حتّى تعقد عليها القلوب فلا يعرف بالكيفوفية، وتحقيق ذلك يتوقف على معرفة معنى الكيف فنقول: إن الكيف كما قيل هي هيئة قارة في المحلّ لا يوجب اعتبار وجودها فيه نسبة إلى أمر خارج عنه ولا قسمةً في ذاته ولا نسبة واقعة في أجزائه، وبهذه القيود تفارق الأعراض الثمانية الباقية.

وأقسام الكيفيّات وأوائلها أربعة، لأنّها إمّا أن تختصّ بالكميّات من جهة ما هي كمّ كالمثلّثيّة والمربعيّة للأشكال، والاستقامة والانحناء للخطوط، والزوجية والفردية للأعداد وإما أن لا تختص بها وهي إمّا أن تكون مدركة بالحسّ راسخة كانت كصفرة الذهب وحلاوة العسل، أو غير راسخة كحمرة الخجل وصفرة الوجل وإما أن لا تكون مدركة بالحسّ وهي إمّا استعدادات للكمالات كالإستعداد للمقاومة والدّفع وللانفعال وتسمّى قوّة طبيعية كالصّلابة والمصحاحية، أو للنّقائص كالاستعداد بسرعة للإنفعال وتسمّى ضعفاً ولا قوة طبيعيّة كاللين والممراضية، وإمّا أن لا تكون استعداداً للكمالات والنقائص بل تكون في أنفسها كمالات أو نقائص فما كان منها ثابتاً يسمى ملكة كالعلم والقدرة والشّجاعة، وما كان سريع الزوال يمسّى حالاً كغضب الحليم وحلم الغضبان فهذه أقسام الكيف وأجناسها ويتدرج تحتها أنواع كثيرة.

إذا عرفت ذلك فنقول: إن من المحال أن يتصف سبحانه بها لكونها حادثة بالذّات ممكنة الوجود مفتقرة إلى جاعل يوجدها بريء الذّات عن الاتّصاف بها، أمّا حدوثها وإمكانها فلكونها ذات ماهيّة غير الوجود فكونها عرضاً قائماً بمحلّه فهي مفتقرة إلى جاعل وينتهي إفتقارها بالآخرة إلى الله سبحانه، وأمّا براءة ذاته سبحانه من الاتّصاف بها فلأنّ موجد الشيء متقدّم عليه بالوجود فيستحيل أن يكون المكيف بالكسر أي جاعل الكيف مكيفاً بالفتح أي منفعلاً وإلاّ لزم تقدّم الشيء على نفسه وكون الشيء الواحد فاعلاً وقابلاً لشيء واحد.

(ولا تناله التجزءة والتبعيض) عطف التبعيض على التجزءة إما من باب التّأكيد أو المراد بالأوّل نفي الأجزاء العقليّة كالجنس وبالفصل الثاني نفي الأجزاء الخارجية كما في الأجسام، وعلى كلّ تقدير فالمقصود به نفي التركيب عنه إذ كلّ مركب ممكن.

وأمّا ما قاله الشّارح البحراني: من أنّه إشارة إلى نفي الكميّة عنه إذ كانت التجزءة

والتبعيض من لواحقها وقد علمت أن الكمّ من لواحق الجسم والباري تعالى ليس بجسم ولي بكمّ.

ففيه أنّه خلاف الظاهر إذ التّجزئة أعمّ من التجزئة العقليّة والخارجيّة ولا دليل على التّخصيص بالثانيّة لو لم تكن ظاهرة في الأولى حسب ما أشرنا إليه فيكون مفادها على ذلك مفاد قوله عليه السلام في الخطبة الأولى: فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثناه ومن ثناه فقد جزاه.

(**ولا تحيط به الأبصار والقلوب**) وقد مرّ تحقيق ذلك في شرح الخطبة الثالثة والأربعين بما لا مزيد عليه وفي شرح الفصل الثاني من الخطبة الأولى.

الفصل الثاني

(**منها**) في التذكير والموعظة وهو قوله عليه السلام (فاتّعظوا عباد الله بالعبر النوافع) أي اعتبروا بالعبر النافعة واتعظوا بما حلّ بأهل القرون الخالية كيف صارت أجسادهم شحبةً بعد بضتها، وعظامهم نخرة بعد قوّتها، وكيف انجلوا عن الرّباع والدّور وارتحلوا عن الضياع والقصور، وطوّحت بهم طوائح الزّمن وهجرتهم[1] عن الأموال والأولاد والوطن (**واعتبروا بالآي السّواطع**) من آثار القدرة وعلامات الجلال والجبروت والعزّة أو بالآيات القرآنية المعذرة والمنذرة وبراهينها السّاطعة المشرقة.

(**وازدجروا بالنّذر البوالغ**) أي بالإنذارات الكاملة والتّخويفات البالغة الواردة في الكتاب والسنّة(**وانتفعوا بالذكر والمواعظ**) النافعة التي تضمّنتها آيات الكتاب المبين وأخبار سيّد المرسلين (**فكأنّ قد علقتكم مخالب المنية**) شبه المنيّة بالسّبع من باب الإستعارة بالكناية وإثبات المخالب تخييل وذكر العلوق ترشيح (**وانقطعت منكم علائق الأمنية**) لأن الأَجل إذ حلّ والموت إذا نزل انقطع الأهل وضلّ الحيل وتنغص اللذات وانتقض الشّهوات (**ودهمتكم مفظعات الأمور**) أي الأمور الموجبة للفظع والدّواهي الموقعة في الفزع من سكرات الموت وغمرات الفوت والجذبة المكربة والسوقة المتعبة والهجرة إلى دار الوحدة وبيت الوحشة وما يليها من شدائد البرزخ وأهوال القيامة.

(**والسّياقة إلى الورد المورود**) أي المكان الذي يرده الخلائق وعليه محشرها ومنشرها (**وكلّ نفس معها سائق وشهيد**) إقتباس من الآية في سورة قٓ وهو قوله:

﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ * وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢٠-٢١].

---

(١) في نسخة: وأزعجتهم.

أي تجيء كلّ نفس من المكلّفين يوم الوعيد ومعها **(سائق)** من الملائكة **(يسوقها إلى محشرها)** أي يحثها على السّير إليه **(وشاهد)** منهم أو من الأنبياء والرّسل والأئمة على ما سبق في شرح الخطبة الواحدة والسّبعين أو من الأعضاء والجوارح كما ورد في غير واحد من الآيات ويأتي التصريح به في الكلام المائة والثّامن والتّسعين إن شاء الله **(يشهد عليها بعملها)** وبما يعلم من حالها.

الفصل الثالث

(منها في صفة الجنة): وهو قوله: **(درجات متفاضلات ومنازل متفاوتات)** كما قال سبحانه:

﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١] وقال: ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٣﴾﴾ [آل عمران: ١٦٣] وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾﴾ [الأنفال: ٤].

وتفاوت الدّرجات وتفاضل المنازل إنّما هو بتفاوت أهل الإيمان في مراتب المعرفة والكمال، فالمؤمنون الكاملون من مراتب العمل والإخلاص ذوو الدّرجات العلى والنّاقصون فيها ذوو الدّرجات السّفلى وقد جاء في الخبر أنّ أهل الجنّة ليرون أهل علّيّين كما يرى النجم في أفق السّماء.

وفي الحديث أن في الجنّة مائة درجة بين كلّ درجتين منها مثل ما بين السّماء والأرض وأعلى درجاتها الفردوس وعليها يكون العرش وهي أوسط شيء في الجنة ومنها تفجر أنهار الجنّة فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس.

وفي بعض الرّوايات أن أقلّ ما يعطي المؤمن فيها ما يقابل الدّنيا وأشرف المنازل وأرفع المراتب هو مرتبة الرّضوان كما قال سبحانه:

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة: ٧٢].

أي رضاء الله عنهم ومحبّته أيّاهم أكبر من كلّ لذّات الجنّة، وهذه اللّذة لا يدركها كلّ أحد وإنّما هي مختصة بالأولياء التامّين في مقام المحبّة الكاملين في العبودية.

وفي رواية زرارة الواردة في ثواب البكاء على الحسين عليه السلام عن الصّادق عليه السلام وما من عبد يحشر إلاّ وعيناه باكية إلاّ الباكين على جدّي فإنّه يحشر وعينه قريرة والبشارة تلقّاه والسّرور على وجهه والخلق يعرضون وهم حدّاث الحسين تحت العرش وفي ظل العرش لا يخافون سوء الحساب يقال لهم: أدخلوا الجنّة فيأبون ويختارون مجلسه وحديثه، وأنّ الحور

لترسل إليهم إنّا قد اشتقناكم مع الولدان المخلّدين فما يرفعون رؤوسهم لما يرون في مجلسهم من السّرور والكرامة[١] الحديث.

فلا تظنن أن أعلى الدّرجات هو أعالي الجنان والجلوس مع الحور والغلمان فإن هذا من لذات البدن والرّضوان من لذّات الرّوح، ولذا كان مطمح نظر الأئمة عليهم آلاف الصّلاة والتحية تلك اللّذة المعنويّة كما يشير إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام: «ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً في جنّتك ولكن وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك»[٢] وتقابل هذه المرتبة أعني مرتبة الرّضوان لأهل السّعادة مرتبة الخذلان لأهل الشقاوة كما يشير إليه قوله تعالى حكاية عنهم:

﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢].

فإنّ قولهم أخزيته دون أحرقته أو عذّبته دليل على أنّ ألم الخزي عندهم أشدّ وأفظع من ألم الإحتراق بالنار، وذلك لأن الخزي عذاب روحانيّ وعذاب الإحتراق والأفاعي والعقارب وسائر ما أعد في جهنّم عذاب جسماني، ولا شكّ أن الأوّل أشدّ وآكد.

ثم أشار عليه السلام إلى دوام نعيم الجنّة بقوله: **(لا ينقطع نعيمها)** وقد أشير إلى ذلك في غير واحدة من الآيات مثل قوله سبحانه:

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا ۚ﴾ [الرعد: ٣٥] وقوله: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ، فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾، وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾، وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾، وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾، وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾، لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: ٢٧_٣٣] وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ [ص: ٥٤].

وإنّما لم يكن لنعمها نفاد وانقطاع لأنّ استحقاق تلك النعم إنما نشأ من ملكات ثابتة في جوهره لا تتغير ولا تتبدّل ومهما دام الاستحقاق القابل للنعمة والجود وجب دوام الإفاضة والانعام من واجب الوجود، إذ هو الجواد المطلق الذي لا بخل من جهته ولا نفاد في خزائنه **(ولا يظعن مقيمها)** أي لا يسير عنها والمراد به إما نفي سيره عنها إلى الخارج فيكون المقصود به الإشارة إلى أنها دار خلود ودوام وعلى ذلك فهذه الجملة تأكيد للجملة السّابقة، وإما نفي السير عن مقامه إلى مقام آخر فيها طلباً لما هو أحسن منه وإلى الأوّل أشير في قوله تعالى:

﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [آل عمران: ١٥] الآية وعلى الثّاني أشير في ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا * خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٧-١٠٨].

---

(١) كامل الزيارات: ١٦٩، ومدينة المعاجز: ٤/١٦٨.

(٢) شرح أصول الكافي: ١/٢٥٧، وشرح مئة كلمة: ٢١٩.

قال في «مجمع البيان»: أي دائمين فيها لا يطلبون عن تلك الجنّات تحولاً إلى موضع آخر لطيبها وحصول مرادهم فيها[١].

(ولا يهرم خالدها ولا ييأس ساكنها) لأن الهرم والبؤس متلازمان للتعب والنّصب المنفيين في حقّ أهل الجنة كما قال سبحانه حكاية عنهم:

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾، ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾﴾ [فاطر: ٣٤ـ٣٥].

أي لا يمسّنا فيها عناء ومشقّة ولا يصيبنا فيها إعياء ومتعبة.

(١) بحار الأنوار: ٨/ ٨٩، وتفسير مجمع البيان: ٦/ ٣٩٥.

الترجمة

از جمله خطبه های آن حضرت است که مشتمل است به سه فصل:

فصل اول: در مقام شهادت به توحید می فرماید:

و گواهی می دهم که نیست هیچ معبودی به سزا به جز خدا در حالتی که یگانه است و نیست شریك او را، اوّلی است که نیست هیچ چیزی پیش از او در بدایه و آخری است که نیست مراورا غایت و نهایت، واقع نمی شود وهم ها از برای او برصفتی و بسته نمی شود عقل ها از او بر کیفیّتی، از جهت اینکه او منزّه است از صفت زایده بر ذات و مبرّا است از کیفیت و چگونگی حالات و نمی رسد به دایره ذات او تجزّی و تبعّض به جهت اتصاف او به وحدت و نمی تواند احاطه کند به او ابصار و قلوب و ادراك كنند او را به حقیقت.

فصل دوم: در مقام موعظه و نصیحت می فرماید:

پس قبول موعظه نمایید ای بندگان خدا با عبرت های نافعه و عبرت بردارید به آیات باهره و منزجر بشوید با ترسانیدن های بی پایان و منتفع باشید به ذکر متذکران و موعظه های واعظان، پس گویا فرو رفته است به شما چنگال های مرگ خون آشام و بریده شده است از شما علاقه های آرزوها به ناکام و رسیده است ناگهان به شما فظع آورنده کارها و راندن به سوی محشر که محلّ ورود خلایق است آنجا و هر نفس او را است راننده و گواهی دهنده ای که گواهی می دهد به عمل ناپسندیده او.

فصل سیم: در صفت جنّت می فرماید:

درجه های بهشت بعضی تفاضل دارد به بعضی و بعض دیگر منازل آن با تفاوت است با یکدیگر، بریده نمی شود نعیم بهشت و رحلت نمی کند مقیم بهشت و پیر نمی شود کسی که مخلّد است در آن و محزون نمی شود یا مأیوس نمی گردد کسی که ساکن است در آن، بلکه ساکنان آن جوانان تازه و رعنا است و مقیمان آن ملتذّند با لذایذ بی حدّ و انتها.

ومن خطبة له عليه السلام وهي الخامسة والثمانون من المختار في باب الخطب

«قَدْ عَلِمَ السَّرائِرَ، وخَبَرَ الضَّمائِرَ، لَهُ الإحاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَلْيَعْمَلِ الْعامِلُ مِنْكُمْ في أَيامِ مَهلِهِ قَبْلَ إِرْهاقِ أَجلِهِ، وفي فراغِهِ قَبْلَ أوانِ شُغْلِهِ، وفي مُتَنَفَسِه قَبْلَ أَنْ يُؤخَذَ بِكَظمِهِ، وَلْيُمَهِّدْ لِنَفسِهِ وقَدَمِهِ، وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دارِ ظَعنِهِ لِدارِ إقامَتِهِ.

فَاللَّهَ اللَّهَ أَيُّهَا النّاسُ فيمَا إسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتابِهِ، وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ، فَإِنَّ اللَّه لَمْ يَخْلُقَكُمْ عَبَثاً، وَلَمْ يَتْرُكَكُمْ سُدًى، وَلَمْ يَدَعْكُمْ في جَهالَةٍ وَلاَ عَمًى، قَدْ سَمّى آثارَكُمْ، وَعَلِمَ أَعْمالَكُمْ، وكَتَبَ آجالَكُمْ.

وَأَنْزَلَ عَلَيْكُم الْكِتابَ تِبْياناً، وعَمَّرَ فيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْماناً، حَتى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فيما أَنْزَلَ مِنْ كِتابِهِ دينَهُ الَّذي رَضِيَ لِنَفْسِهِ، وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسانِهِ مَحابَّهُ مِنَ الأَعْمالِ ومَكارِهَهُ، ونَواهِيَهُ وأَوامِرَهُ، فَأَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ، وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ، وقَدَّمَ إِلَيْكُم بِالْوعيدِ، وأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذابٍ شَديدٍ، فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيامِكُمْ، وَاصْبِرُوا لَها أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّها قَليلٌ في كَثيرِ الأَيّامِ الَّتي تَكُونُ مِنْكُمْ[(١)] الْغَفْلَةُ، وَالتَّشاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ، وَلاَ تُرَخِّصُوا لأَنْفُسِكُمْ، فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ فيها مَذاهِبَ الظَّلَمَةِ، وَلاَ تُداهِنُوا فَيَهْجَمَ بِكُمُ الإدهانُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ.

عِبادَ اللَّهِ إِنَّ أَنْصَحَ النّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ، وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصاهُمْ لِرَبِّهِ، وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبِنَ نَفْسَهُ، وَالمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دينُهُ، وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ، وَالشَّقِيُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَواهُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسيرَ الرِّياءِ شِرْكٌ، ومُجالَسَةَ أَهْلِ الْهَوىٰ مَنْسَأَةٌ للإيمانِ، ومَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ جانِبُوا الكِذْبَ فَإِنَّهُ مُجانِبٌ للإيمانِ، الصّادِقُ عَلىٰ شفا مَنْجاةٍ وكَرامَةٍ، وَالْكاذِبُ على شَرَفِ مَهْواةٍ ومَهانَةٍ، ولا تُحاسِدُوا فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الإيمانَ كما تَأْكُلُ النّارُ الْحَطَبَ، وَلاَ تُباغِضُوا فَإِنَّها الْحالِقَةُ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الأَمَلَ يُسْهِي الْعَقْلَ، ويُنْسِي الذِّكْرَ، فَأَكْذِبُوا الأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ، وَصاحِبُهُ مَغْرُورٌ»[(٢)].

---

(١) في نسخة: فيها.

(٢) ميزان الحكمة: ١/ ١٠٣، وتفسير نور الثقلين: ٣/٣ ح ١٠.

اللغة

(السّر والسّريرة) ما يكتم وجمع الأوّل أسرار والثاني السّرائر **(خبرت)** الشيء من باب قتل علمته وامتحنته، وفي «القاموس» خبر ككرم وفي بعض النسخ خبر الضّمائر بكسر **(الباء)**، قال الشارح المعتزلي: خبر الضمائر **(امتحنها وابتلاها)** ومن رواه بكسر الباء اراد علم انتهى، فافهم.

و**(ضمير)** الإنسان قلبه وباطنه كما في «المصباح» والجمع الضّمائر، وفي «القاموس» الضمير السّر وداخل الخاطر، وعلى ذلك فهو إمّا حقيقة في الأوّل مجاز في الثاني أو بالعكس بعلاقة الحال والمحل و**(المهل)** محركة المهلة و**(الإرهاق)** الإعجال و**(الكظم)** محركة مخرج النفس و**(الظعن)** الإرتحال و**(الانهاء)** الإعلام والإبلاغ و**(الرّخصة)** التّسهيل في الأمر والجمع رخص كغرفة وغرف و**(الإدهان)** والمداهنة اظهار خلاف ما تضمر والغش.

و**(المنساة)** و**(المحضرة)** محلّ النسيان والحضور، **(والتاء)** فيهما للتكثير كما يقال أرض مسبعة أي كثير فيها السّباع و**(الشفا)** طرف كلّ شيء و**(الشرف)** محركة المكان العالي و**(المهواة)** محل السقوط و**(المهانة)** الذلة والحقارة و**(الحالقة)** الخصلة التي فيها حلق أي شؤم قال في «القاموس»: والحالق المشؤوم كالحالقة **(فالتاء)** للمبالغة وفي «القاموس» أيضاً الحالقة قطيعة الرّحم والتي تحلق رأسها في المصيبة، قال شارح «القاموس» ومنه الحديث دبّ إليكم داء الأمم البغضاء الحالقة، وهي قطيعة الرّحم، انتهى.

وأمّا تفسير الحالقة بالمستأصلة للشعر كما في شرح المعتزلي والبحراني فلم أجده في كتب اللّغة وكذلك لم أجد تفسير الحالق بما يحلق به الشّعر بل المستفاد من «القاموس» خلافه حيث ذكر للحالق معاني ولم يذكر ذلك فيها، وقال: المحلق كمنبر الموسى، فيفهم منه أن ما يحلق به الشعر ويستأصل به على وزن مفعل لا على وزن الفاعل والفاعلة.

الإعراب

(الفاء) في قوله: **(فليعمل)** فصيحة، **(فالله الله)** منصوب على الإغراء، أي فاتقوا الله، وتكرير اللّفظ نيابة عن الفعل المقدر، **(وتبايناً)** منصوب على الحالية، **(وازماناً)** على الظرفية، **(والباء)** في قوله **(بالوعيد)** زائدة، **(وبقية أيامكم)** منصوب على الظرف، **(واصبروا لها)** **(اللاّم)** بمعنى **(على)** بدليل قوله: **(فما أصبرهم على النار)**، وقوله **(فإنها قليل)** أي شيء قليل فحذف الموصوف كما حذف في قوله تعالى:

﴿وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾.

أي قبيلاً، **(ونفسه)** بالنصب مفعول **(غبن)**، **(ودينه)** بالرفع فاعل سلم.

المعنى

إعلم أنّ هذه الخطبة مسوقة للتذكير والموعظة، والمقصود بها جذب الخلق إلى طرف الحق وصدرها بالإشارة إلى بعض أوصافه سبحانه لتكون مقدمة للمقصد فقال عليه السلام **(قد علم السّرائر)** وهو كقوله سبحانه:

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ۝٧﴾ [طه: ٧] وقوله تعالى: ﴿**يعلم سركم ونجواكم**﴾ [الأنعام: ٣].

وقد مضى القول في ذلك في شرح الخطبة التاسعة والأربعين، وتمام القول في علمه تعالى بالكليّات والجزئيات والسرّ والإعلان في تنبيهات الفصل السّابع من فصول الخطبة الأولى ونقول هنا مضافاً إلى ما سبق: إن عموم علمه سبحانه مما اتفق عليه المتكلّمون والحكماء.

أمّا المتكلّمون فظاهر لأنهم تابعون للشّرع والشرع قد ورد بذلك حسبما عرفت مفصلاً في شرح الخطبتين المذكورتين.

وأمّا الحكماء فملخّص كلامهم على ما في شرح البحراني أنّه يعلم ذاته بذاته ويتحد هناك المدرك والمدرك والإدراك ولا يتعدّد إلا بحسب الاعتبارات العقلية التي تحدثها العقول البشرية، وأمّا علمه بمعلولاته القريبة منه فيكون بأعيان ذواتها، ويتّخذ هناك المدرك والإدراك ولا يتعدّدان إلاّ بالإعتبار العقلي ويغايرهما المدرك وأمّا بمعلولاته البعيدة كالماديّات والمعدومات التي من شأنها إمكان أن توجد في وقت أو تتعلّق بموجود فيكون بارتسام صورها المعقولة من المعلولات القريبة التي هي المدركات لها أوّلاً وبالذّات، وكذلك ينتهي إلى إدراك المحسوسات بارتسامها في آلات مدركاتها.

قالوا: وذلك لأنَ الموجود في الحاضر حاضر والمدرك للحاضر مدرك لما يحضر معه فإذاً لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السّموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، لكون ذوات معلولاته القريبة مرتسمة بجميع الصور، وهي التي يعبّر عنها تارة بالكتاب المبين، وتارة باللّوح المحفوظ، وتسمّى عندهم عقولاً فعّالة.

هذا ما حققه محققو الحكماء في كيفية علمه سبحانه، إلاّ أنّ الكلام بعد في صحة القول بالارتسام، وقد مضى ما فيها في شرح الفصل السّابع من الخطبة الأولى، وكيف كان فلا ريب في عموم علمه وإن لم نعلم كيفية ذلك ولم نعرفه بكنهه **(وخبر الضمائر)** أي امتحن القلوب الخير والشر أو أنّه عالم بالقلوب وبما فيها من الأسرار وخبير بما في الصّدور على الاختلاف

المتقدّم في بيان اللّغة قال سبحانه: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ﴾ [العاديات: ٩-١١].

قال بعض المحققين: الخبير هو الذي لا تعزب عنه الأخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلاّ ويكون عنده خبرة، وهو بمعنى العليم لكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة سمّى خبرة وسمى صاحبها خبيراً فهو أخصّ من مطلق العلم (**له الإحاطة بكلّ شيء**) أي علماً وحفظاً، أو إستيلاء وقدرة كما قال تعالى:

﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ﴾ [فصلت: ٥٤].

وقد مضى تفسيرها في شرح الفصل السابع من الخطبة الأولى (**والغلبة لكل شيء**) كما قال سبحانه:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

وقد مرّ بعض القول في غالبيته في شرح الخطبة الرابعة والسّتين وأقول هنا إنّ معنى غلبته بكلّ شيء يعود إلى تمام قدرته عليه وكونه قاهراً على جميع الأشياء، وليس قهره تعالى وغلبته على نحو ما يتصور فينا، بل على معنى آخر.

كما أشار إليه أبو الحسن الرّضا عليه السلام في حديث «الكافي» بقوله: وأمّا القاهر فليس على معنى نصب وعلاج واحتيال ومداراة ومكر كما يقهر العباد بعضهم بعضاً والمقهور منهم يعود قاهراً والقاهر يعود مقهوراً، ولكن ذلك من الله تعالى على أنّ جميع ما خلق ملبّس به الذلّ لفاعله وقلّة الامتناع لما أراد به لم يخرج منه طرفة عين أن يقول له كن فيكون والقاهر منا على ما ذكرت ووصفت[1].

توضيحه أن الله سبحانه لا يحتاج في قهره وغلبته إلى عمل وآلة ومدافعة وتعب وخديعة ومخالطة وحيلة كما يحتاج العباد في قهر بعضهم بعضاً إلى ذلك، إذ هذه كلّها من صفات النقص وزائدة على الذّات ومن العوارض التي يجوز انفكاكها عن المعروض فيجوز أن يكون القاهر في وقت ما لوقوع تدبيره على وفق مطلوبه مقهوراً في وقت آخر لعدم وقوع تدبيره على وفق مقصوده أو لوقوع تدبير المقهور على نحو إرادته وغلبته على تدبير القاهر كما هو المشاهد في تدبيرات السّلاطين والملوك وسائر النّاس.

بل قاهريته سبحانه عبارة عن ذلّ الخلائق لفاعلهم القديم ودخولهم في استكانة الإمكان

(١) الكافي: ١/ ١٢٣، وعيون أخبار الرضا (ع): ٢/ ١٣٥.

تحت غلبته واحتياجهم في أسر الحاجة إلى كمال قدرته بحيث لا يقدرون على الامتناع لما أراد من ذواتهم وصفاتهم وهيئاتهم ومقاديرهم وكمالاتهم ونفعهم وضرّهم وخيرهم وشرّهم للزوم حاجتهم في الذّوات والصّفات وجميع الحالات إليه ورفع أيدي الإمكان والافتقار لهم من جميع الجهات بين يديه.

ولعلّ لفظ القلّة في الحديث إشارة إلى صدور الامتناع عن بعضهم قليلاً فيما أراد منهم من أفعالهم الإختيارية، وليس ذلك لقهرهم وغلبتهم عليه، بل لأنه تركهم على حالهم ولم يجبرهم تحقيقاً لمعنى التّكليف والاختيار.

وقوله عليه السلام: **(لم يخرج منه طرفة عين أن يقول)** (ا ه) حال عن فاعله أو عن فاعل أراد، وضمير منه راجع إليه، وأن يقول فاعل لم يخرج يعني لم يخرج منه سبحانه في سلطانه على الخلق وقهره عليهم طرفة عين قول كن فيكون، فهو إشارة إلى أنّه قاهر دائماً ولا يصير مقهوراً أبداً، وفيه تنبيه على أن الممكن في بقائه يحتاج إليه سبحانه كما يحتاج إليه في وجوده.

قال بهمنيار في محكي كلامه: إن كلّ ممكن بالقياس إلى ذاته باطل وبه تعالى حقّ يرشد إليه قوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ فهو آنافأنا يحتاج إلى أن يقول له الفاعل الحق كن ويفيض عليه الوجود بحيث لو أمسك عنه هذا القول والإفاضة طرفة عين لعاد إلى البطلان الذاتي والزّوال الأَصلي كما أن ضوء الشمس لو زال عن سطح المستضيء لعاد إلى ظلمته الأَصلية.

(والقوة على كلّ شيء) وهو أيضاً يعود إلى تمام القدرة، وليس المراد به قوة البطش المعروف من المخلوق الذي هو الأَخذ الشديدة عند ثوران الغضب التناول عند الصّولة أو قوة التّعلق بالشيء وأخذه على الشّدة، لأَنّ القوة بهذا المعنى من الصّفات الجسمانية كالقوّة الشّهوية والغضبيّة وقابلة للزّيادة والنقصان، فلا يمكن اتصاف الواجب القديم بذلك بالبديهة والعيان، لكونه من صفات الإمكان كما مرّ تفصيلاً وتحقيقاً في شرح الخطبة الرّابعة والستين.

ثمّ إنه عليه السلام لمّا أشار إلى أنّه سبحانه عالم بما في الصّدور وغالب على كلّ مقدور وكان ذلك مقتضياً لانجذاب الخلق إليه ليفوزوا بما لديه علماً منهم بأنّه سبحانه طالب كلّ راغب ومدرك كلّ هارب أمر بعد ذلك بالطاعات وحذر عن الخطيئات فقال:

(فليعمل العامل منكم في أيّام مهله قبل إرهاق أجله) وهو أمر بالمبادرة إلى العمل قبل حلول الأَجل، لأَنّ الميت إذا حلّ ارتفع التّكليف وبطل، فليبادر في أيّام المهل قبل أن يحلّ الموت وينزل وقبل أن يحول بينه وبين العمل.

(وفي فراغه) من شدائد الأَهوال **(قبل أوان شغله)** بفجائع الآجال **(وفي متنفّسه)** أي سعة نفسه وخلافه **(قبل أن يؤخذ بكظمه)** وخناقه **(وليمهد لنفسه وقدمه)** قبل أن لا ينفعه ندمه

(وليتزوّد من دار ظعنه) ورحلته **(لدار إقامته)** ومحلّ فاقته، وإنّما أمر بذلك لأن سفر الآخرة مهول والسّبيل طويل والخطر جليل فمن لم يمهّد لنفسه زاداً يتقوى به ولا لقدمه محلاً يضعها عليه مع حزونة الطّريق وخشونته صعب له الوصول إلى المحلّ بل تاه في المهامة[١] وضلّ.

(فالله الله عباد الله فيما استحفظكم من كتابه) وطلب منكم تدبّر ما فيه من تكليفه وخطابه **(واستودعكم من حقوقه)** المؤدية إلى ثوابه وعقابه **(فإن الله سبحانه لم يخلقكم عبثاً)** لعباً **(ولم يترككم سدى)** هملاً كالإبل الرّتاع والجمل الرّعاع، وإنّما خلقكم على وجه الحكمة والصّواب وجعلكم عاقلاً قابلاً للتّكليف والخطاب لتستفيدوا محاسن الآداب، وتنافسوا في المكارم، وتسارعوا في المغانم وتحصّلوا المعارف والطّاعات، وتنتهوا عن المعاصي والسّيئات.

فإنه قد نصب لكم أعلام الهدى **(ولم يدعكم في جهالة ولا عمى)** فمن خبط بعد ذلك وطغى فقد ضلّ وغوى، ومن أطاع فاتّقى فلسوف يعطيه ما يرضى و**(قد سمى آثاركم)** خيرها وشرّها ورفع أخباركم نفعها وضرّها **(وعلم أعمالكم)** صغيرها وكبيرها **(وكتب آجالكم)** طويلها وقصيرها **(وأنزل عليكم الكتاب تبياناً)** وبرهاناً **(وعمّر فيكم نبيّه)** ﷺ آزنة و**(أزماناً)** لانتظام معاشكم وإصلاح معادكم وإقامة للحجّة عليكم.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

(حتّى أكمل له ﷺ ولكم فيما أنزل من كتابه دينه الذي رضى لنفسه) وأتمّ عليكم نعمته التي اختارها له ولكم من إسلامه وشرعه كما قال عزّ من قائل:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ١٥].

(وأنهى إليكم) وأعلمكم **(على لسانه)** سلام الله عليه وآله **(محابه من الأعمال)** الحسنة **(ومكارهه)** من الأفعال القبيحة **(ونواهيه)** الموجبة للشّقاوة **(وأوامره)** المحصّلة للسعادة **(فألقى إليكم المعذرة)** أي العذر في عقوبتكم يوم القيامة حتّى لا يكون لكم الحجة عليه بل يكون له الحجة عليكم **(واتخذ عليكم الحجة)** بما أنزله في كتابه لئلا تكونوا عن آياته في غفلة **(وقدم إليكم بالوعيد وأنذركم بين يدي عذاب شديد)** أي قدّم إليكم الوعيد وخوّفكم أمام العذاب الشّديد ليكون الوعيد قبل حلول العقاب والإنذار قبل نزول العقاب، لأن العقاب من دون بيان قبيح والتأديب بعد التّكليف حسن ومليح كما قال تعالى شأنه:

﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥].

فأرسل سبحانه رسله مبشّرين ومنذرين وبعث رسوله بالكتاب المبين كي لا تقولوا يوم

(١) المهامة أي المفازة، جمع مهمة.

القيامة: إنّا كنّا عن هذا غافلين **(فاستدركوا بقيّة أيّامكم واصبروا لها أنفسكم)** أي تداركوا ما أسلفتم من الذنوب والخطيئات فيما بقي لكم من الأوقات واحبسوا أنفسكم عليها بتحمل مشاق الطاعات.

وفي الحديث: الصّبر صبران صبر على ما تكره وصبر عمّا تحبّ، فالصّبر الأول: مقاومة النّفس للمكاره الواردة عليها وثباتها وعدم انفعالها، وقد يسمى سعة الصّدر وهو داخل تحت الشجاعة، والصّبر الثّاني: مقاومة النّفس لقوّتها الشهوية وهو فضيلة داخلة تحت العفة **(فإنّها قليل في كثير الأيام التي تكون منكم الغفلة والتشاغل عن الموعظة)** يعني أن الأيام الباقية الّتي يمكن فيها الاستدراك والتدارك قليلة في جنب الأيام الّتي تكون فيها الغفلة والتّشاغل وهي كثيرة بالنسبة إليها.

ولعلّ الاتيان بلفظة **(تكون)** دون **(كانت)** للأشعار بأن غفلتهم ليست مختصّة بما مضى، بل ربما تكون فيما يأتي أيضاً، وذلك لما علم من حالهم أنّهم لا يستغرقون أوقاتهم الآتية بالتدارك والطاعة فأمر عليه السلام بالتدراك فيما هو آت إذ ما مضى قد فات فافهم.

(ولا ترخّصوا لأنفسكم فتذهب بكم الرّخص فيها مذاهب الظلمة) أي مسالكها، والظاهر أن المراد بالترخيص للنفوس المسامحة المساهلة لها، فيكون المقصود بالنّهي المواظبة عليها ومجاهدتها.

روى الكلينيّ بإسناده عن السّكوني عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ النّبي صلى الله عليه وآله بعث سرية فلمّا رجعوا قال صلى الله عليه وآله: «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر» فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد النّفس»(١).

وفي «الوسائل» عن الصّدوق بإسناده عن شعيب العقرقوفي عن الصّادق عليه السلام قال: من ملك نفسه إذا رغب وإذا رهب وإذا اشتهى وإذا غضب وإذا رضى حرّم الله جسده على النار(٢).

وعن الكلينيّ عن عدّة من أصحابنا عن محمّد بن محمّد بن خالد رفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام أقصر نفسك عمّا يضرّها من قبل أن تفارقك، واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك فإنّ نفسك رهينة بعملك(٣)، هذا.

---

(١) الكافي: ٥/ ١٢ ح ٥٣ والأمالي: ٥٥٣ ح ٧٤٠.

(٢) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٤٠٠ ح ٥٨٦٠، والأمالي: ٤٠٨ ح ٥٢٧.

(٣) الكافي: ٢/ ٤٥٥ ح ٨، ووسائل الشيعة: ١٥/ ٢٩٧ ح ٢٠٥٦٠.

ويحتمل أن يكون المراد به الترخيص في الشبهات المؤدي إلى الإقتحام في الهلكات فيكون مساقة مساق ما رواه الصّدوق عنه عليه السلام قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس فقال في كلام ذكره: «حلال بيّن وحرام بيّن وشبهات بين ذلك، فمن ترك ما اشتبه عليه من الإثم فهو لما استبان له أترك، والمعاصي حمى الله فمن يرتع حولها يوشك أن يدخلها»[١].

ونظيره ما رواه في «الوسائل» عن الكراجكي في كتاب «كنز الفوائد» مسنداً عن سلام بن المستنير عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قال جدي رسول الله صلى الله عليه وآله أيها النّاس حلالي حلال إلى يوم القيامة وحرامي حرام إلى يوم القيامة ألا وقد بيّنهما الله عزّ وجلّ في الكتاب وبيّنتهما لكم في سنّتي وسيرتي، وبينهما شبهات من الشيطان وبدع بعدي من تركها صلح له أمر دينه وصلحت له مروّته وعرضه، ومن تلبّس بها ووقع فيها واتبعها كان كمن رعى غنمه قرب الحمى، ومن رعى ماشيته قرب الحمى نازعته نفسه إلى أن يرعها في الحمى، ألا وإنّ لكلّ ملك حمى ألا وإن حمى الله عزّ وجلّ محارمه فتوقوا حمى الله ومحارمه[٢]، الحديث.

(ولا تداهنوا فيهجم بكم الأدهان على المعصية) والمراد بالمداهنة إمّا المساهلة للنفس فتكون هذه الجملة تأكيداً للجملة السّابقة، وإمّا ترك المناصحة والصّدق وإظهار خلاف ما تضمر أعني النّفاق وهو الأظهر.

ومنه الحديث القدسي لعيسى عليه السلام قل لمن تمرد عليّ بالعصيان وعمل بالادهان لتتوقع عقوبتي.

ومثله في حديث الباقر عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى شعيب النبيّ عليه السلام أنّي معذّب من قومك مائة ألف أربعين ألفاً من شرارهم، وستّين ألفاً من خيارهم فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار؟ فأوحى إليه داهنوا أهل المعاصي ولم يغضبوا لغضبي[٣].

(عباد الله إن أنصح النّاس لنفسه أطوعهم لربّه) وذلك لأنّه لما كان مقصود الناصح بنصحه إيصال المنفعة إلى المنتصح وكانت أعظم المنافع وأجلّها هي السّعادة الأبدية والعناية السّرمدية المستفادة من طاعة الحضرة الرّبوبيّة، لا جرم كان أنصح النّاس لنفسه أكثرها طاعة لربّه.

(وإن أغش النّاس لنفسه أعصاهم لربّه) والغشّ خلاف النّصح وهو عبارة عن عدم الخلوص وعن إظهار خلاف ما يضمر، ولما كان غرض الغاشّ من غشّه إيصال الضّرر إلى

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ٤/ ٧٥ ح ٥١٤٩، ووسائل الشيعة: ٢٧/ ١٦١ ح ٣٣٤٩٠.

(٢) وسائل الشيعة: ٢٧/ ١٦٩ ح ٣٣٥١٥، وكنز الفوائد: ١٦٤.

(٣) تهذيب الأحكام: ٦/ ١٨١ وسائل الشيعة: ١٦/ ١٤٦ ح ٢١٢٠١.

المستغش وكان أعظم المضارّ هو الشّقاوة الأبديّة والعقوبة الدّائمة الناشئة عن عصيان الحضرة الإلهيّة، لا جرم كان أغشّ النّاس لنفسه أكثرهم معصية لربّه.

وفي هاتين الجملتين من الأمر بالطاعة والتحذير عن المعصية ما لا يخفى، إذ أحبّ الأشياء إلى الإنسان نفس الإنسان فهو دائماً طالب لمحابّها ومنافعها، هارب عن مضارّها ومكارهها، فيلزم له الإتيان بالطّاعة والحذر عن المعصية لكون الأولى جالبة للمحبوب والأخرى كاسبة للمكروه.

(والمغبون من غبن نفسه) أصل الغبن هو الخداع فالغابن خادع والمغبون مخدوع والغبن في البيع هو بيع الكثير بالقليل، ولمّا كانت الشهوات الدّنيوية واللّذائذ العاجلة زهيدة قليلة في جنب الثّمرات الأخرويّة والمنافع الآجلة، وكان المشتغل باللّذات الدّنية والصّارف عمره في الشّهوات الخسيسة قد فوت على نفسه المنافع الكثيرة والنّعم الخطيرة، فكأنّه قد باع الكثير بالقليل وفوّت على نفسه الخطير بالحقير، لا جرم كان هو غابناً لنفسه وخادعاً لها حيث بخسها ما تستحقه من ثواب الله ورضوانه، ومنه قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التغابن: ٩].

قال الطبرسي في «تفسيره»: هو تفاعل من الغبن وهو أخذ شرّ وترك خير أو أخذ خير وترك شرّ فالمؤمن ترك حظه من الدّنيا وأخذ حظه من الآخرة فترك ما هو شر له وأخذ ما هو خير له فكان غابناً والكافر ترك حظه من الآخرة وأخذ حظّه من الدّنيا فترك الخير وأخذ الشر فيكون مغبوناً، فيظهر في ذلك اليوم الغابن والمغبون، هذا.

ولما كانت السعادات الأخرويّة أنفس متاع لا متاع فوقه، والغبن فيها أعظم غبن لا غبن مثله، لذلك حصر عليه السلام المغبون فيمن غبن في ذلك وقال: المغبون من غبن نفسه على طريق المبالغة، ومثله قوله عليه السلام (والمغبوط من سلم له دينه) فإن سلامة الدّين لما كانت أعظم نعمة لا نعمة فوقها كان المنعم بذلك أحقّ بأن يغبط ويتمنّى مثل ماله من غير أن تريد زواله، وبهذا القيد يفترق الغَبطة من الحسد حسبما ستعرف.

(والسعيد من وعظ بغيره) أي السّعيد في الآخرة من لاحظ حال الغير فاتّعظ به بأن ينظر إلى حال الصّالحين ومالهم وما اعدّ الله لهم وبشّرهم به في كتابه الكريم من الجنان والغلمان والحور العين والشراب من الكوثر والتّسنيم فيحذو حذوهم ويسلك مسالكهم ويلاحظ مصير المجرمين ومقرّهم وما هيّأ الله لهم وأنذرهم به من الجحيم وظلّ من يحموم وشراب من الزّقوم والحميم فيعدل عن جادّتهم ويتنحى عن قذّتهم.

(والشّقي من انخدع لهواه) وغروره كما قال سبحانه:

﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾

[القصص: ٥٠] وقال أيضاً: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٨].

أي الخداع الذي لا حقيقة له وهو المتاع الرديء الذي يدلّس به على طالبه حتّى يشتريه ثمّ يتبيّن له رداءته والشّيطان هو المدلس **(واعلموا أن يسير الرّيا شرك)** فكيف بكثيره كما مضى تفصيلاً في شرح الخطبة الثالثة والعشرين بما لا مزيد عليه **(ومجالسة أهل الهوى منساة للإيمان ومحضرة للشّيطان)** أراد بمجالسة أهل الهوى مجالسة أهل المعاصي وقد مضى بعض الأخبار النّاهية عنها في شرح كلامه الثالث عشر.

وأقول هنا: إن كون مجالسة أهل المعصية ومخالطتهم موجبة لنسيان الإيمان ولحضور الشّيطان واضح، لأن الفساق بإقبالهم إلى اللّعب واللّهو والفسق والفجور والسّيئات بما فيهم من دواعي الهوى والشّهوات يسود ألواح خاطرهم ويرين وجه قلوبهم فيغفلون بذلك عن ذكر الحق وتذكّر الآخرة ويزيد الغفلة شيئاً فشيئاً ويشتدّ فيخرج نور الإيمان من قلوبهم ويضمحلّ ويمحو ويحضر الشيطان في مجالسهم لإغوائهم وإضلالهم، فمن جالس معهم وخالطهم يكون المجالسة والمخالطة لا محالة مؤثرة فيه، إذ المرء على دين خليله وقرينه فيقتدي بهم ويحذو حذوهم ويعمل عملهم فيكون ناسي الإيمان وقرين الشّيطان مثلهم.

ويدل على ذلك الأخبار المستفيضة بل المتواترة ففي «الوسائل» عن الكليني مسنداً عن غياث بن إبراهيم عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال: ما اجتمع ثلاثة من الجاحدين إلاّ حضرهم عشرة أضعافهم من الشّياطين، فان تكلّموا تكلّم الشّياطين بنحو كلامهم، وإذا ضحكوا ضحكوا معهم، فإذا نالوا من أولياء الله نالوا معهم، فمن ابتلى من المؤمنين بهم فإذا خاضوا في ذلك فليقم ولا يكون شرك شيطان ولا جليسه، فإن غضب الله لا يقوم له شيء ولعنته لا يردّها شيء ثمّ قال: فإن لم يستطع فلينكر بقلبه وليقم ولو حلب شاة أو فواق ناقة[1].

وعن عمرو بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند النّاس كواحد منهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «المرء على دين خليله وقرينه»[2].

وعن أبي حمزة عن علي بن الحسين عليه السلام في حديث طويل: إيّاكم وصحبة العاصية ومعونة الظّالمين ومجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم وتباعدوا من ساحتهم[3].

---

(١) الكافي: ٢/ ١٨٨، وشرح أصول الكافي ٩/ ٦٩ ح ٦.

(٢) الكافي: ٢/ ٣٧٥ ح ٣، وشرح أصول الكافي: ١/ ١٥٩.

(٣) الكافي: ٨/ ١٦ تحف العقول: ٢٥٤.

وفيه من «علل الشرائع» مسنداً عن عليّ بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: قال عليّ بن الحسين عليه السلام ليس لك أن تقعد مع من شئت لأنّ الله تبارك وتعالى[١] يقول:

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِۦۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٦٨﴾ [الأنعام: ٦٨]. الحديث.

ومن كتاب «صفات الشيعة» معنعناً عن محمد بن قيس عن أبي جعفر عن آبائه عن عليّ سلام الله عليه وعليهم قال: «مجالسة الأشرار تورث سوء الظّن بالأخيار، ومجالسة الأخيار تلحق الأشراب بالأخيار، ومجالسة الفجّار للأبرار تلحق الفجار بالأبرار فمن اشتبه عليكم أمره ولم تعرفوا دينه فانظروا إلى خلطائه، فإن كانوا أهل دين الله فهو على دين الله، وإن لم يكن على دين الله فلا حظّ لهم في دين الله، إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يواخين كافراً ولا يخالطن فاجراً، ومن آخى كافراً أو خالط فاجراً كان فاجراً كافراً»[٢] ولنعم ما قيل في هذا المعنى:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه   فكل قرين بالمقارن يقتدي

ومن مجالس الشيخ حسن ابن شيخنا الطوسي قدّس الله رسمهما مسنداً عن أبي الخير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وما مجالسة الموتى؟ قال: «كلّ ضالّ عن الإيمان وجائر[٣] عن الأحكام»[٤]، والأخبار في هذا المعنى كثيرة ولا حاجة إلى الزّيادة.

ثمّ أمر بمجانبة الكذب بقوله: **(جانبوا الكذب)** وقد مرّ الكلام في قبحه عقلاً وشرعاً في شرح كلامه الثالث والثمانين ويأتي تفصيل أقسامه في التذنيب الآتي، وعلل عليه السلام قبحه هنا بقوله: **(فإنّه مجانب للإيمان)** وأراد عليه السلام بذلك أن كلاً من الكذب والإيمان مجانب من الآخر وأن بينهما تباعداً وتجانباً.

وذلك على القول بكون الإيمان عبارة عن مجموع المعرفة وما يتبعها من الأعمال الصّالحة واضح، لأنّ الصّدق على ذلك جزء للإيمان والكذب مضادّ له فيكون مضاداً للإيمان، وأمّا على كونه عبارة عن نفس المعرفة فلأنّ الإيمان من أعظم الفضائل المنجية والكذب من أخس الرّذائل المهلكة والتباعد بين الفضيلة والرّذيلة والإنجاء والإهلاك أيضاً ظاهر.

---

(١) مسائل علي بن جعفر: ٣٤٤، ووسائل الشيعة: ١٦/ ٢٦٥.

(٢) وسائل الشيعة: ١٦/ ٢٦٥. (٣) في نسخة: حائر.

(٤) بحار الأنوار: ٧١/ ١٩٢ ح ١٠، ومستدرك سفينة البحار: ٨/ ٥٧١.

كما أشار إلى ذلك وأوضحه بقوله: **(الصّادق على شفا منجاة وكرامة)** أي على طرف من النجاة والكرامة ومشارف عليهما أو على طرف من محلّ النّجاة وقريب منها يكاد أن يقع فيها وفي الكرامة الدنيوية والأخروية **(والكاذب على شرف مهواة ومهانة)** أي على مكان عال من الهوى والهوان أو مشارف لمحل السقوط والذلّة يكاد أن يسقط منها إلى الجحيم ويقع في العذاب الأليم قال الشّاعر:

لا يكذب المرء إلاّ من مهانته ... أو عادة السوء أو من قلّة الأدب
لعفن جيفة كلب خير رائحة ... من كذبة المرء في جدٍ وفي لعبِ

ثمّ نهى عن الحسد بقوله: **(ولا تحاسدوا)** وهو من أعظم الموبقات على ما ستعرف تفصيلاً في التذنيب الآتي إن شاء الله، وعلّله بقوله **(فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب)** وهذا التعليل ممّا تظافرت الأخبار به عن النّبي ﷺ وأولاده المعصومين سلام الله عليهم.

وقد اتفقت الأخبار ككلام علمائنا الأبرار على أن الحسد مضرّ بالنّفس والجسد.

أما بالنّفس فقد قال الصّادق عليه السلام: الحاسد مضرّ بنفسه قبل أن يضرّ بالمحسود كإبليس لعنه الله أورث بحسده له اللّعنة ولآدم عليه السلام الاجتباء والهدى والرّفع إلى محل حقائق العهد والاصطفاء، فكن محسوداً ولا تكن حاسداً، فإن ميزان الحاسد أبداً خفيف يثقل ميزان المحسود، والرّزق مقسوم فماذا ينفع الحسد الحاسد وماذا يضرّ المحسود الحسد؟[1]

وقال العلماء: إن الحسد يذهل نفس الحاسد ويغرق فكره بالاهتمام بأمر المحسود حتّى لا يبقى له فراغ بتحصيل المنافع العائدة إليها بل ويمحو ما حصلت لها من الملكات الخيريّة والحسنات المنقوشة في جوهرها بطول تعود الحسد وتمادي اشتغال الفكر فيه وكثرة الحزن والهمّ، لأن نعم الله سبحانه على عباده غير معدودة، وفيوضاته غير متناهية، فإذا كان حسد الحاسد على الخلق بتلك الآلاء، والنعم دام عليه الهمّ والغمّ فيضيق وقته بل ينقطع عن اتيان الحسنات ويلقى نفسه في المهلكات وهو معنى قولهم عليهم السلام: إنّه يأكل الإيمان كما تأكل النّار الحطب؛ أي يستأصله ويفنيه ويبطله مثل إستئصال النّار للحطب وإفنائها له.

وأمّا بالجسد فقد قال أمير المؤمنين عليه السلام فيما يرويه السّيد «ره» في الكتاب: «صحّة الجسد من قلّة الحسد»[2].

وسرّه أنّ الحسود إذا دام عليه الحزن والغم بتواتر الآلاءِ والنعم على المنعم أورث ذلك

---

(١) مستدرك الوسائل: ١٢/١٨ ح ١٣٣٩٠، ومصباح الشريعة: ١٠٤.

(٢) وسائل الشيعة: ١٥/٣٦٨ ح ٢٠٧٦٧، وبحار الأنوار: ٧٠/٢٥٦ ح ٢٨.

له طول السهر وتمادى الفكر وضيق العيش وضنك المعيشة وقلّة الراحة ومضيق الباحة، فينقطع عنه الابتهاج ويؤدي ذلك إلى فساد المزاج.

ثمّ نهى عن العداوة والبغضاء بقوله **(ولا تباغضوا فإنّها الحالقة)** أي البغضاء خصلة مشؤومة كما أن المحبة والإلفة ميمونة، أو أنّها موجبة لقطيعة الرّحم، وعلى تفسير الحالقة بما تحلق الشّعر وتستأصله من موسى ونحوه كما في شرحي المعتزلي والبحراني وإن لم أجده في كتب اللّغة فالكلام مبني على الاستعارة، يعني أنّها مستأصلة للخلق أو للدّين أو كليهما كما أن موسى مستأصلة للشّعر.

نعم يدلّ على تفسيرهما ما رواه الغزالي في كتاب «إحياء العلوم» في باب ذم الحسد عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: وقال: «دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء والبغضة هي الحالقة لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدّين والذي نفس محمّد بيده لا تدخلون الجنّة حتّى تؤمنوا، ولن تؤمنوا حتّى تحابوا ألا أنبئكم بما يثبت ذلك لكم أفشوا السّلام بينكم»[١].

ومثله في «الكافي» بإسناده عن مسمع بن عبد الملك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حديث: «ألا إن في التباغض الحالقة لا أعني حالقه الشّعر ولكن حالقة الدّين»[٢].

وكيف كان فيدل على كراهة هذه الصّفة وشؤمها وإيجابها للقطيعة ولاستئصال النفوس والدّين والإيمان أن نوع الإنسان مدني بالطّبع يحتاج في انتظام أمر ومعاشه معاده إلى الاجتماع والائتلاف والتعاون والتضافر، وكان أقوى أسباب الاجتماع والتعاون هو المودّة والمحبة والمواخاة، ولذلك آخا رسول الله صلى الله عليه وآله بين الأصحاب وحثّ على الجمعة والجماعة لتصفو الإلفة وتخلص المحبة، ونهى عن التباغض لما يستلزمه من التقاطع وعدم التعاون وتسلّط أيادي الحاسدين عليهم وتحكم آراء المعاندين وأهوائهم فيهم، بل ربما ينجر إلى حسد بعضهم بعضاً وبغي بعضهم على بعض، فلا تسلم لهم نعمة ولا تصفو لهم لذّة، ولا يكون لهم فراغ العبادة، بل يكون بذلك بوارهم وهلاكهم في الدّنيا والآخرة.

ولذلك ورد في غير واحد من الأخبار النّهي عنها والحثّ على التّحاب والإلفة.

مثل ما رواه الغزالي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سيصيب أمّتي داء الأمم»، قالوا: وما داء الأمم؟ قال عليه السلام: «الأشر والبطر والتكاثر والتّنافس في الدّنيا والتباعد والتحاسد حتّى يكون البغي ثمّ الهرج»[٣].

---

(١) مشكاة الأنوار: ١٥٧.

(٢) الكافي: ٢/٣٤٦ والأمالي مالي: ١٨١.

(٣) الف حديث في المؤمن: ٣١٣.

وفي «الكافي» بإسناده عن مالك بن أعين الجهني عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أدخل الله عزّ وجلّ يده بين أيديهما وأقبل بوجهه على أشدّهما حبّاً لصاحبه، فإذا أقبل الله بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذّنوب كما يتحات الورق من الشّجر[١].

وعن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من زار أخاه في بيته قال الله عزّ وجلّ: أنت ضيفي وزائري علي قراك وقد أوجبت لك الجنة بحبك إياه»[٢].

وعن عدّة من أصحابنا عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «المؤمن مألوف لا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف».

وعن حبيب الخثعمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فاضلكم أحسنكم أخلاقاً الموطؤون أكتافاً الذين يألفون ويؤلفون وتوطأ رحالهم»[٣].

وعن أبي بصير عن أبي عبد الله قال: سمعته يقول: المتحابون في الله يوم القيامة على منابر من نور قد أضاء نور وجوههم ونور أجسادهم ونور منابرهم كلّ شيء حتى يعرفوا به فيقال: هؤلاء المتحابون في الله.

وعن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال: إن المسلمين يلتقيان بأفضلهما أشدهما حباً لصاحبه. وعن أبي عبد الجارود عن أبي جعفر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: المتحابون في الله يوم القيامة على أرض زبرجدة خضراء في ظلّ عرشه عن يمينه وكلتا يديه يمين، وجوههم أشد بياضاً وأضوء من الشّمس الطالعة، يغبطهم بمنزلتهم كلّ ملك مقرّب وكلّ نبي مرسل يقول الناس: من هؤلاء؟ فيقال: هؤلاء المتحابون في الله[٤].

وعن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: إذا جمع الله الأوّلين والآخرين فنادى مناد يسمع النّاس فيقول: أين المتحابون في الله؟ قال: فيقوم عنق من النّاس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنّة بغير حساب، قال: فتلقيهم الملائكة فيقولون: إلى أين؟ فيقولون: إلى الجنّة بغير حساب، قال: فيقولون: فأيّ ضرب أنتم من النّاس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله، قال: فيقولون: وأي شيء كانت أعمالكم؟ قالوا: كنا نحبّ في الله ونبغض في الله، قال عليه السلام: فيقولون: نعم أجر العاملين.

---

(١) الكافي: ٢/١٧٩ ح ١.

(٢) الكافي: ٢/١٧٧، وبحار الأنوار: ٧١/٣٤٥ ح ٦.

(٣) الكافي: ٢/١٠٢ ح ١٦، وتحف العقول: ٤٥.

(٤) المحاسن: ١/٢٦٤ ح ٣٣٦، والكافي: ٢/١٢٦ ح ٨.

وعن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا أردت أن تعلم أن فيك خيراً فانظر إلى قلبك، فان كان يحب أهل طاعة الله ويبغض أهل معصيته ففيك خير والله يحبّك، وإذا كان يبغض أهل طاعة الله ويحب أهل معصيته فليس فيك خير والله يبغضك والمرء مع من أحبّ، هذا[1].

وبهذه الأخبار يعلم أن المقصود بالحب والبغض في الأخبار المطلقة الآمرة بالأوّل والناهية عن الثّاني هو حبّ المؤمن وبغضه، فيجب تقييد إطلاقها بذلك وإلا فقد علمت أن بغض المنافق والكافر والعاصي مطلوب كحبّ المؤمن وبغضه منهيّ عنه كحبّهم، فالمدار في الحبّ والبغض على ما كان لله وفي الله.

ثمّ إنّه نبّه على مفاسد طول الأمل ونهى عنه بقوله **(واعلموا أن)** طول **(الأمل)** في الدّنيا **(يسهى العقل)** ويغفله عمّا يجذبه إلى الله **(وينسى الذكر)** أي يوجب نسيان ذكر الموت والآخرة وما هو نافع فيها.

وذلك لأن طويل الأمل لافتتانه بالدّنيا ولذّاتها وشهواتها وحبّه لها وتمنيه طول البقاء فيها تكون أوقاته مستغرقة في ذكرها وحديثها، وهمّته مصروفة إلى تهيّة مقتضيات هواه، ونظره مقصوراً في تحصيل مآربه ومناه، فيوجب ذلك غفلة العقل ونسيان الذكر إذ من أحبّ شيئاً كره الفكر فيما يضادّه ويعانده ومضادّة العقل للهوى وذكر الآخرة لذكر الدّنيا واضح لا غبار عليها كما قد مضى مفصّلاً في شرح الخطبة الثّانية والأربعين.

(فاكذبوا الأمل) بكثرة ذكر الموت ودوام إخطاره بالبال في الأيام واللّيال، وملاحظة أهوال المعاد وشدائد يوم التّناد، فإن ذلك يوجب ردّ الأمل وتكذيبه.

وإنّما سمّى ردّ الأمل تكذيباً له، لأن النفس حال تمنيها للمأمول تحكم حكماً وهميّاً بنيله وإدراكه، فإذا رجعت إلى صرف العقل وجوّزت بحكمه إمكان نزول الأجل قبل بلوغ الأمل كان تجويزها ذلك مكذّباً لما جزم به الوهم من الأحكام وراداً له عن ذلك.

وعلل تكذيبه بقوله: **(فإنه غرور وصاحبه مغرور)** يعني أنّ الأمل موجب للغرور والغفلة ولا أصل له ولا حقيقة إذ ربّ شيء تأمله النّفس تنقطع دونه فهو في الحقيقة ونفس الأمر:

﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

---

(١) المحاسن: ١/٢٦٣ ح ٣٣١، والكافي: ٢/١٢٧.

تذنيبان الأول في الكذب

وقد مرّ شطر من الكلام في قبحه عقلاً وشرعاً مع طائفة من الأخبار الواردة فيه في شرح الكلام الثالث والثمانين، وأردنا هنا إشباع الكلام فيه وفي تفصيل أقسامه وأحكامه.

فأقول: إن الكذب من قبائح الذنوب وفواحش العيوب ويترتّب عليه من المفاسد الدّينية والدّنيويّة ما لا يحصى، مثل كونه خرّاباً للإيمان، وجلا بالسخط الرّحمٰن، وموجباً لإهراق الدّماء وانتهاب الأموال، وباعثاً على تحليل الفرج الحرام وتحريم فرج الحلال.

إذ من دناءة الكذب أنّه يردّ شهادة صاحبه وإن كان صادقاً، ومن شرافة الصّدق أنّه يقبل شهادة المتّصف به وإن كان كاذباً، ومنشأ الكذب دناءة الهمّة وقلّة المرؤة وغلبة الحرص والخسة، ومنشأ الصّدق ارتفاع الهمة وغلبة المرؤة وكمال الفتوّة.

والكذب شعار خلق، ومورد رنق، وأدب سيء، وخلق رديء، وعادة خسيسة، وصفة خبيثة، وقل ما يجلب به الألفة، وقلّ من ألفه إلاّ أتلفه، والصّدق لباس بهي وجوهر دري؛ وصفة وصيفة، وحالة شريفة، جالبة للإلفة، كاسبة للمودّة، خدمته القلوب بالمحبّة، لحظته العيوب بالمهابة.

وكفى لقبحه شرعاً لو لم يرد به خبر إلاّ قول أمير المؤمنين في رواية «الكافي» عن أصبغ بن نباتة عنه عليه السلام: لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجدله[1][2] وكيف بذلك والأخبار الواردة فيه فوق حدّ الاستفاضة كما مضى سابقاً.

ويزيد على سائر المعاصي بأنّ أصحاب الكبائر ربّما يلحقهم الحياء والخجل من سوء عملهم، ويرجعون عن عملهم القبيح ويتوبون عنه، وأمّا الكاذب فلا يستحيي من كذبه لكونه كثير الاستعمال ومأنوساً مرفوع القبح عن نظره، ومن تعوّد نفسه بذلك قل أن يرتدع عنه.

ومن هنا قيل رأيت شريب خمر نزع، ولصا أقلع، وصاحب فواحش ارتدع وما رأيت كاذباً رجع.

إذا عرفت ذلك فنقول: إنّ الكذب على قسمين: شرعي وغير شرعي، وأعني بالشّرعي ما يجوز في الشّرع جوازاً بالمعنى الأعم، وبالغير الشرعي خلافه وأعني به الحرام وهو على قسمين جلي وخفي **أما الجلي** فهو على قسمين:

أحدهما: الكذب في حقّ النّاس أو في حق نفسه أو غيرهما، بأن يقول: وعدني فلان

---

(١) الكافي: ٢/ ٣٤٠ ح ١١، وشرح أصول الكافي: ٩/ ٤٠١ ح ١١.

(٢) في نسخة: جدّه.

كذا مع أنه لم يعده بشيء أو يقول أعطيت فلاناً كذا مع أنّه لم يعطه شيئاً، أو أنّي عالم بكذا مع أنّه جاهل به، أو نحو ذلك.

ومحصّله أن يخبر عن نفسه أو عن الغير كائناً ما كان بخبر مخالف للواقع، وأكثر الأخبار الواردة فيه محمول على هذا القسم ويزيد شناعته بأن يكذب ثمّ يروّج كذبه بالحلف بالله، وهو الذي بارز الله بالمحاربة ويمينه هذه تذر الديّار بلاقع من أهلها وتثقل الرّحم وتوجب انقطاع النسل وتدخل النّار وتبعث غضب الجبّار كما ورد في غير واحد من الأخبار، وقد عقد في «الوسائل» باباً عليها.

وثانيهما: الكذب على الله ورسوله والأئمة قال تعالى:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩].

ومن هذا القسم الأخبار الموضوعة والأحاديث المجعولة في زمن النبيّ صلى الله عليه وآله وبعده في زمن بني أميّة وبني العبّاس لعنهم الله.

قال أمير المؤمنين عليه السلام في رواية «الكافي» الطّويلة: وقد كذب على رسول الله صلى الله عليه وآله في عهده حتى قام خطيباً فقال: أيها النّاس قد كثرت عليّ الكذابة فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوء مقعده من نار(١)، هذا.

وأول من فتح باب هذا الكذب بعد النبيّ هم المتخلفون الثلاثة حيث إنّهم قالوا إن النبيّ مات ولم يوص في الخلافة بشيء فاغتصبوا بذلك الخلافة ورووا حديثاً مجعولاً من النّبيّ صلى الله عليه وآله فنهبوا حق فاطمة سلام الله عليها وغصبوا فدك ولحقهم التابعون وحذوا حذوهم.

ومن عجيب ما روى أن علم الهدى (قده) وقع بينه وبين علماء العامة مناظرة فانجرّ الكلام إلى الأخبار التي وضعوها في فضائل مشايخهم قال (ره): إنّ هذه الأخبار كلّها موضوعة فقالوا من يقدر أن يكذب على رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لهم: قد ورد في الرواية عنه أنه صلى الله عليه وآله قال في حياته: ستكثر عليّ الكذابة بعد موتي فمن كذب عليّ متعمّداً فليتبوء مقعده من النار(٢)، فهذا الحديث إمّا صدق أو كذب وعلى التّقديرين يثبت المطلوب.

وكيف كان فأكثر من ابتلا بهذا القسم من الكذب العلماء السوء، ويلحق به ما اعتاده النّاس في محاوراتهم من إنهم يكذبون ثمّ يقولون الله ورسوله أعلم.

---

(١) الكافي: ١/ ٦٢ ح١، وتحف العقول: ١٩٣.

(٢) الكافي: ١/ ٤٧ ح ٦، والمحاسن: ١/ ١١٨ ح ١٢٧.

روى في «الوسائل» من «الكافي» بإسناده عن وهب بن عبد ربه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «من قال الله يعلم فيما لا يعلم اهتز لذلك عرشه إعظاماً له».

وعن أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إذا قال العبد علم الله وكان كاذباً قال الله: وما وجدت أحداً تكذب عليه غيري؟(١)

وهذا القسم من الكذب أعني الكذب على الله ورسوله والأئمة صلوات الله وسلامه عليهم ممّا ورد في الأخبار أنّه ينقض الوضوء والصّوم.

أمّا نقضه الصّوم فهو المشهور بين علمائنا الأخيار.

وأمّا نقضه الوضوء فليس بذلك، وحملها الشّيخ قدّس الله روحه على نقضه الفضل والكمال والوجه الذي يستحق به الثواب، وبعض من قال بإبطاله الصّوم ربّما عمّمه بكونه في الدّنيا والدّين سواء كان في الأحكام أو في «الفتاوى»، وسواء أسنده إلى الله وإليهم عليهم السلام أم لا، وسواء كانت الأخبار بالقول أم بالكتابة أم الإشارة والتفصيل في كتب الفقه.

وأما الكذب الخفي: فهو أن تخبر عن نفسك أو تخاطب ربّك بما لا حقيقة له ولا أصل أو تقول شيئاً وأنت تعمل بخلافه مثل أن تقول: أستغفر الله وأتوب إليه فإنّك تظهر التّوبة وأنت غير راجع عن الخطيئة ولا قالع عن المعصية.

ولذلك روى عن ربيع بن خثيم إنّه قال: لا تقل أستغفر الله وأتوب إليه، فإنّه كذب بل قل أستغفر الله وأسأله التّوبة.

أو تقوم بين يدي ربّك في كلّ يوم وليلة وتقرأ فاتحة الكتاب في صلواتك وأقلّه عشر مرّات وتقول لربّك الحمد والثناء لك أيها المربي لنا الرحمٰن الرحيم بنا المالك لأمورنا في يوم وفودنا عليك فنحن نخصك بالعبادة لا نعبد سواك، فإنّا لو رجعنا إلى أنفسنا وأنصفنا نعرف أنّنا كاذبون في ذلك المقال وخاطِؤن في تلك الدّعوى، وكيف نكون صادقين مع ما نحن عليه من إطاعة الشّيطان وعبادته وانقياد أمره ونهيه وانفاذ حكمه والعمل بما يريده، ومن إطاعه النّفس الأمّارة والقيام بما تهويه وتشتهيه مضافاً إلى الرّيا والشّرك الذي نخفيه.

ونعم ما قال ابن عبّاس في تفسير قوله تعالى:

﴿لَا تَتَّخِذُوٓا۟ إِلَـٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١].

إنّه تعالى نهاك عن الإثنين وأنت اتّخذت الألوف فما أقلّ حياؤك وقال تعالى:

---

(١) الكافي: ٧/٤٣٧ ح ١، ووسائل الشيعة: ٢٣/٢٠٩ ح ٢٩٣٨٦.

﴿أَرَءَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾﴾ [الفرقان: ٤٣].

فقد جعل سبحانه إرادة النفس وأمنيّاتها الباطلة إلهاً، وإذا كانت هذه حالنا فكيف يصح منا دعوى تخصيصه تعالى بالعبادة، وكيف نجتري على مواجهته بذلك الخطاب الكاذب مع علمه بما في الصّدور والضّمائر وإحاطته بالبواطن والسّرائر، فكأنه ظننّا أنه سبحانه أعجز عن جميع الآلهة حتّى خصصّناه بالكذب.

ومثله قولنا: إيّاك نستعين، على طريق الحصر فإنا إذا رجعنا إلى وجداننا ولاحظنا حالنا عرفنا أنّا نستعين في أمورنا من كلّ من سواه سبحانه نعم إذا آيسنا من الخلق رجعنا إلى الخالق فكيف نخصصه بالاستعانة ونطلب منه الاعانة، ولو تأمّلنا في هذا الكذب الخفي وجدناه أضرّ بأحوالنا من الكذب الجلي لما نعيته من قبول الطّاعات ومن التأهّل للقيام على بساط المناجات، وإيرائه الحسرة والندامة وملامة النّفس اللوّامة يوم القيامة.

فواحسرتاه على ما فرّطنا في جنب الله، وواطول كربتاه على ما استخففنا في عباد الله.

أيّتها النّفس الخاطئة والقلب الجاهل القاسي بأنّك لو واجهت أحداً من النّاس وقلت له: إنّي لا أتردّد إلاّ إلى بيتك، ولا ثقة لي إلاّ بك، ولا عون لي سواك، ولا رجاء لي غيرك، ولا صديق لي دونك، مع علمك بأنّه يعلم أنّك تتردّد إلى كلّ أحد وتثق بكلّ أحد وتستعين من غيره أكثر من التردد والوثوق والاستعانة منه، ولك أصدقاء كثيرون سواه، لاستحييت من عندك وكنت خجلاً من هذا الكذب الذي واجهته به وتنفعل من ملاقاته والمراجعة إليه إلاّ بعد زمان طويل ومدّة متطاولة وأنت هنا إذ كان أوّل النّهار قلت إيّاك نستعين، ثمّ إذا جاء الظّهر قلت مثل ذلك، وهكذا مع أنّك تعمل بين هذين القولين وفيهما وبعدهما بخلاف ما قلت وتستعين الخلق وتأملهم وترجو منهم.

أفلا تعلم أن من توجّه بحاجته إلى الخلق أو جعله سبب نجحها فقد تعرض للحرمان واستحقّ من عنده سبحانه الخسران وفوات الإحسان.

فإن شئت أن تعرف ذلك بعين اليقين فانظر إلى موسى بن عمران فإنه توسّل بالفقر إلى الحق وقال:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

فقبض الله له شعيباً عليه السلام حتّى دعاه وآواه وزوّجه بنته وأعطاه العصا واليد البيضاء وبلغ أمره إلى ما بلغ.

وانظر إلى يوسف بن يعقوب كيف خاب حيث استعان من المخلوق.

﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ الشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ

فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف: ٤٢].

روى في «الكافي» عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قرأ في بعض الكتب انّ الله تعالى يقول: وعزّتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعنّ أمل كلّ مؤمّل من الناس أمل غيري باليأس، ولأكسونه ثوب المذلّة عند النّاس، ولأنحينّه من قربى، ولأبعدّنه من وصلي أيؤمّل غيري في الشّدائد والشّدائد بيدي، ويرجو غيري ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني، فمن ذا الذي أمّلني لنوائبه فقطعته دونها، ومن ذا الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجائه منّي، جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممّن لا يملّ من تسبيحي، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي. فلم يثقوا بقولي ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري إلاّ من بعد إذني، فما لي أراه لاهياً عنّي أعطيته بجودي ما لا يسألني ثم انتزعته عنه فلم يسألني ردّه وسأل غيري، أفيراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثمّ أسأل فلا أجيب سائلي أبخيل أنا فيبخلني عبدي، أوليس الجود والكرم لي؟ أوليس العفو والرحمة بيدي؟ أوليس أن محلّ الآمال فمن يقطعها دوني؟ أفلا يخشى المؤملون أن يؤملوا غيري؟ فلو أن أهل سماواتي وأهل أرض أملوا جميعاً ثم أعطيت كلّ واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكي مثقال ذرّة، (**وكيف ينقص ملك أنا قيمه؟**) فيا بؤساً للقانطين من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني، هذا[(١)].

وبقي الكلام في الكذب الشرعي وأعني ما هو سائغ في الشرع المطهّر وتحقيقه يحتاج إلى تمهيد مقدّمة وهي:

أنا قد حققنا في الأصول أن الأحكام الشّرعية تابعة للمصالح والمفاسد الواقعيّة وبيّنا هناك أن حكم الشّارع المقدّس بوجوب شيء أو حرمته من جهة أنّه أدرك فيه حسناً ملزماً واقعياً فحكم بوجوبه، أو قبحاً ملزماً واقعيّاً فحكم بحرمته، خلافاً للأشاعرة القائلين بأن الحسن والقبح إنّما هو تابع للأمر والنّهي وبأن الصّلاة مثلاً إنّما هي حسنة لتعلّق الأمر بها والكذب قبيح لتعلّق النهي عليه؛ وأنّه لو نهى الشارع عن الأولى وأمر بالثّاني لكانت الأولى قبيحة والثّاني حسناً، وقد حقّقنا بطلان هذا المذهب وفساد هذا القول في «الأصول» بما لا مزيد عليه.

إذا عرفت ذلك فنقول: إن حرمة الكذب إنّما هي من أجل ما فيه من المفسدة الواقعيّة، كالضّرر على المخاطب أو غيره أو نحو ذلك ممّا قدّمنا، وأقلّ درجات تلك المفسدة هو إلقاء

---

(١) الكافي: ٢/ ٦٧، والأمالي: ٥٨٤ ح ١٢٠٨.

المخاطب في بيداء الجهالة واعتقاده للشيء على خلاف ما هو عليه، فتلك المفسدة فيه صارت مقتضية لحرمته.

فلو فرضنا أن هذه المفسدة الواقعية كانت متعارضة بجهة حسن ومصلحة في الظاهر متداركة بها تلك المفسدة كالكذب المتضمّن لإنجاء نفس محترمة من القتل مثلاً ارتفعت الحرمة قطعاً، لانتفاء سببها.

ومثله المصلحة الواقعيّة التي في الصّدق، فإنّها اقتضت وجوبها، فلو فرضنا معارضتها لمفسدة ظاهرية راجحة عليها كالصدق المتضمّن لقتل نبيّ مثلاً تبدّل حكم الوجوب فيه بالحرمة فيكون الصدق حينئذٍ حراماً.

ثم أقول: إن جهات المفسدة الواقعية في الكذب لو كانت مساوية لجهات المصلحة الظاهرية فيه كان الكذب حينئذٍ مباحاً، لتساوي مقتضيات الحسن والقبح، وذلك كالكذب في الوعد للأَهل والأَولاد على ما سيأتي في الأَخبار، ولو كانت جهة المفسدة راجحة فهو حينئذٍ باق على حرمته.

ولو كانت جهة المصلحة راجحة، فامّا أن تكون ملزمة له فيكون حينئذٍ واجباً كالكذب والخديعة في الحرب توصّلاً إلى قتل الكافر الواجب؛ وإمّا أن لا تكون ملزمة فيكون حينئذٍ مستبحاً كالكذب لإصلاح ذات البين.

وإذا ظهر لك ذلك فاعلم أنّه قد رخّص لنا أهل البيت الأَطهار سلام الله وصلواته عليهم ما تعاقب اللّيل والنّهار في بعض أقسام الكذب في أخبارهم المأثورة ولا بأس بالإشارة إليها.

فأقول: روى ثقة الإسلام الكليني في «الكافي» عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن أبي يحيى الواسطي عن بعض أصحابه عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «الكلام ثلاثة: صدق وكذب وإصلاح بين الناس»، قال: قيل له: جعلت فداك ما الإصلاح بين النّاس؟ قال: تسمع من الرّجل كلاماً يبلغه فيخبث نفسه فتلقاه فتقول قد سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا خلاف ما سمعت منه.

وعن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن صفوان عن أبي مخلد السّراج عن عيسى بن حسان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «كلّ كذب مسؤول عنه صاحبه يوماً إلا كذباً في ثلاثة: رجل كايد في حربه فهو موضوع عنه، ورجل أصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا يريد بذلك الإصلاح بينهما، ورجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتمّ لهم»[(١)].

---

(١) الكافي: ٢/ ٣٤٢ ح ١٨، وشرح أصول الكافي: ٩/ ٤٠٥ ح ١٨.

بل المستفاد من الأَخبار الأُخرى جواز الحلف باليمين الكاذبة لدفع ظلم الظّالم عن نفسه أو ماله أو نفس أخيه المؤمن أو ماله.

مثل ما رواه في «الوسائل» عن الصدوق بإسناده عن ابن بكير عن زرارة قال: قلت لأَبي جعفر عليه السلام: نمرّ بالمال على العشّار فيطلبون منّا أن نحلف لهم فيخلّون سبيلنا ولا يرضون منّا إلاّ بذلك، قال عليه السلام فاحلف لهم فهو أحلى من التمر والزّبد، قال: وقال أبو عبد الله عليه السلام: التّقية في كلّ ضرورة وصاحبها أعلم بها حتى تنزل(١).

وعنه بإسناده عن الحلبيّ أنه سأل أبا عبد الله عليه السلام: عن الرّجل يحلف لصاحب العشور يحرز بذلك ماله، قال: نعم.

قال: وقال الصّادق عليه السلام: اليمين على وجهين إلى أن قال: فأمّا الذي يوجر عليها الرّجل إذا حلف كاذباً ولم تلزمه الكافرة فهو أن يحلف الرّجل في خلاص امرء مسلم أو خلاص ماله من متعدّ يتعدى عليه من لص أو غيره(٢).

وفيه عن الشّيخ بإسناده عن السّكوني عن جعفر عن أبيه عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إحلف بالله كاذباً ونجّ أخاك من القتل»(٣).

إلى غيره مما رواه فيه وعقد عليه باباً، والله الهادي وهو العاصم من هفوات الجنان وسقطات اللسان.

الثاني في الحسد

وهو من أعضل الداء وأكبر المعاصي وأفسدها للقلب وجرح لا يبرأ، والكلام فيه في مقامات:

المقام الأول في حده

وقد عرف بأنه انبعاث القوّة الشهوية إلى تمنّي مال الغير وحاله التي هو عليها وزوالها عن ذلك الغير، وهو مستلزم لحركة القوّة الغضبيّة وعرّفه الغزالي في «إحياء العلوم» بأنّه كراهة النّعمة وحبّ زوالها من المنعم عليه، ويقابله الغبطة وهو أن لا تحبّ زوال النعمة ولا تكره وجودها ودوامها ولكن تشتهي لنفسك مثلها، والثاني أعم من الأَول لشموله ما لو أحبّ زوال

(١) النوادر: ٧٣ ح ١٥٣، ومن لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣٦٣ ح ٤٢٨٧.
(٢) من لا يحضره الفقيه: ٣/ ٣٦٦، ووسائل الشيعة: ٢٣/ ٢٢٦ ح ٢٩٤٣٣.
(٣) وسائل الشيعة: ٢٣/ ٢٢٥ ح ٢٩٤٢٨، ووسائل الشيعة: ١٦/ ١٣٤ ح ٤.

النّعمة عن المنعم عليه وإن كان لا يتمنّاها لنفسه، وهو ناشيء عن غاية خبث الطّينة وسوء السّريرة، وأشد مما لو أحبّ زوالها عنه وانتقالها إليه فالحدّ الثّاني أولى.

الثاني في الآيات والأخبار الواردة فيه

فأقول قال سبحانه: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق: ٥].

فقد أمر نبيّه ﷺ بالاستعاذة من شر الحاسد بعد أن أمره بالاستعاذة من شرّ السّاحر فأنزله منزلته، وقال في معرض التوبيخ:

﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ [النساء: ٥٤] وقال: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

فإن مساءتهم من إصابة الحسنة وفرحهم بإصابة السّيّئة دليل على حسدهم وقال:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾.

وفي «الكافي» عن داود الرّقي قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: «اتّقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً إنّ عيسى ابن مريم عليه السلام كان من شرائعه السيح في البلاد فخرج في بعض سيحه ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللّزوم لعيسى عليه السلام فلما انتهى عيسى إلى البحر قال: بسم الله، بصحّة يقين منه فمشى على ظهر الماء، فقال الرّجل القصير حين نظر إلى عيسى عليه السلام جازه: بسم الله بصحّة يقين منه فمشى على الماء ولحق بعيسى عليه السلام فدخل العجب بنفسه فقال: هذا عيسى عليه السلام روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فما فضله عليّ قال: فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عليه السلام فتناوله من الماء فأخرجه ثمّ قال عليه السلام له: ما قلت يا قصير قال: قلت: هذا روح الله يمشي على الماء وأنا أمشي على الماء فدخلني من ذلك عجب فقال له عيسى عليه السلام: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب إلى الله عزّ وجلّ ممّا قلت قال عليه السلام: فتاب الرّجل وعاد إلى مرتبته الّتي وضعه الله فيها فاتّقوا الله ولا يحسدن بعضكم بعضاً».

وعن معاوية بن وهب قال: قال أبو عبد الله عليه السلام آفة الدّين الحسد والعجب والفخر.

وعن داود الرّقي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: قال الله تعالى لموسى بن عمران: لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي ولا تمدن عينيك إلى ذلك ولا تتبعه نفسك فإن الحاسد ساخط لنعمي صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي ومن كان كذلك فلست منه وليس مني.

وعن فضيل بن عياض عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ المؤمن يغبط ولا يحسد والمنافق يحسد ولا يغبط(١).

وعن محمّد بن مسلم قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّ الرّجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر وإنّ الحسد ليأكل الإيمان كما يأكل النار الحطب(٢).

وفي «الوسائل» من «المجالس» مسنداً عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله الصّادق عليه السلام أصول الكفر ثلاثة: الحرص، والاستكبار، والحسد(٣).

وفي «الأنوار النعمانية» للسّيد المحدّث الجزائري قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ستّة يدخلون النّار قبل الحساب بستّة: الأمراء بالجور، والعرب بالعصبيّة والدّهاقين بالكبر، والتجار بالخيانة، وأهل الرّستاق بالجهالة، والعلماء بالحسد(٤).

قال وفي حديث آخر إن الحسد عشرة أجزاء منها تسعة بين العلماء وواحد في النّاس ولهم من ذلك الجزء الحظ الأوفر، وروى ما رواه أولاً الغزالي في «إحياء العلوم» عن النّبي صلى الله عليه وآله مثله إلى غير هذه ممّا وردت فيه.

وقد استفيد منها ومن الآيات السّابقة حرمته وكونه من أعظم الموبقات مضافاً إلى إجماع علماء الإسلام عليه.

فإن قلت: فكيف التّوفيق بين هذه الأدلّة وبين حديث رفع التسعة المعروف بين الفريقين، والمروي في «الوسائل» عن الصّدوق في التّوحيد والخصال بسند صحيح عن حريز بن عبد الله عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: رفع عن أمتي تسعة أشياء: الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطرّوا إليه، والحسد، والطيرة، والتّفكر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطقوا بشفة، فإن المراد برفع تلك الأمور إمّا رفع جميع آثارها التي منها المؤاخذة عليها، أو رفع خصوص المؤاخذة، وعلى التقدير فيدلّ على رفع المؤاخذة على الحسد وعدم كونه معصية فينا في الأدلّة السابقة.

قلت: قد جمع بينهما شيخنا العلامّة المرتضى الأنصاري (قد) في «الرسائل» بحمله على ما لم يظهر الحاسد أثر حسده بلسان أو غيره بجعل عدم النطق باللّسان قيداً له.

---

(١) الكافي: ٢/٣٠٧ ح ٧، وشرح أصول الكافي: ٩/٣١٩ ح ٧.
(٢) الكافي: ٢/٣٠٦ ح ١، وسائل الشيعة: ١٥/٣٦٥ ح ٢٠٧٥٤.
(٣) الكافي: ٢/٢٨٩، الخصال: ٩٠ ح ٢٨.
(٤) منية المريد / ٢٢٤، ميزان الحكمة: ١/٦٢٦.

قال (ره): ويؤيده تأخير الحسد عن الكلّ في مرفوعة الهندي عن أبي عبد الله عليه السلام المرويّة في أواخر أبواب الكفر والإيمان من «أصول الكافي» قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: وضع عن أمّتي تسعة أشياء: الخطأ، والنسيان، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطرّوا إليه، وما استكرهوا عليه والطيرة، والوسوسة في التفكّر في الخلق، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد[1]، الحديث.

قال (ره): ولعلّ الاقتصار في النبوي الأوّل على قوله ما لم ينطق لكونه أدنى مراتب الأظهار.

قال: وروي ثلاثة لا يسلم منها أحد: الطيرة، والحسد، والظّن، قيل: فما نصنع؟ قال: إذا تطيرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقّق، والبغي عبارة عن استعمال الحسد.

قال: ولأَجل ذلك عد في الدّروس من الكبائر في باب الشّهادات إظهار الحسد لأنفسه، وفي الشرائع أن الحسد معصية وكذا بغض المؤمن والتظاهر بذلك قادح في العدالة، ثمّ قال: والانصاف أن في كثير من أخبار الحسد إشارة إلى ذلك، انتهى كلامه رفع مقامه.

أقول: أما استشهاده بكلام صاحب «الشّرائع» ففيه ما لا يخفى لصراحتها في كون نفس الحسد معصية، وكون التظاهر به قادحاً في العدالة إنّما هو لأَجل كونه طريقاً إليه لا من حيث موضوعيته فيه، ولعلّ ذلك أيضاً مراد الشّهيد في الدّروس، فانظر ماذا ترى.

وأما ما قاله من أن في كثير من أخبار الحسد إشارة إلى ذلك فهو صحيح ومن جملة تلك الأَخبار، ما رواه في الوسائل من مجالس الشّيخ حسن ابن شيخنا الطوسي (ره) معنعناً عن عليّ بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله ذات يوم لأَصحابه: ألا إنّه قد دبّ إليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد ليس بحالق الشعر لكنه حالق الدين وينجي فيه أن يكفّ الإنسان يده ويخزن لسانه ولا يكون ذا غمر على أخيه المؤمن[2].

قال صاحب «الوسائل» بعد روايته: وتقدّم ما يدلّ على العفو عن الحسد الذي لا يظهر أثره.

وفيه من «الكافي» بإسناده عن حمزة بن حمران عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة لم ينج منها نبيّ فمن دونه: التّفكّر في الوسوسة في الخلق، والطيرة، والحسد إلاّ أن المؤمن لا

---

(١) الكافي: ٢/٤٦٣ ح ٢، تحف العقول: ٥٠ ح ٢.

(٢) مسائل علي بن جعفر: ٣٣٧ ح ٨٣٠، وسائل الشيعة: ١٥/٣٦٨ ح ٢٠٧٦٨.

يستعمل حسده[(١)]، هذا.

وقال شيخنا السّيد قدّس الله روحه في مجلس الدّرس: الأقرب حمل رفع المؤاخذة على الحسد في حديث رفع التّسعة على ما كان من قبيل الخطرات القلبيّة الزائلة بسرعة وحمل ما دل على حرمته وكونه من الكبائر على ما عداه ممّا اشتدّ وتأكّد.

الثّالث في أساب الحسد

وهي كثيرة وحصرها الغزالي في «إحياء العلوم» في سبعة: العداوة، والتعزز والتكبّر، والتعجب، والخوف من فوت المقاصد المحبوبة، وحبّ الرئاسة، وخبث النّفس.

أمّا العداوة وهي أشد الأسباب ومعناها أن تكره النّعمة على غيرك لكونه عدوّاً لك وكونك مبغضاً له فإنّ البعض إذا رسخ في النّفس يقتضي التشفي والانتقام وربما يعجز المبغض عن أن يشتفى بنفسه فيتمنى زوال النعمة من المبغوض ويكون زوالها منه موجباً لفرحه كما أنّه يفرح إذا ابتلى ببلية أو أصابته مصيبة ويكون ذلك تشفيّاً لخاطره، وقد وصف الله سبحانه الكفار بهذه الصّفة في قوله: ﴿وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾ [آل عمران: ١١٨] وقوله: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وهذا القسم من الحسد ربما يفضي إلى القتال والجدال واستغراق العمر في إزالة النعمة بالحيل والسّعاية وطلب أسباب زوالها على كلّ حال.

وأمّا التعزّز فهو أن يثقل عليه ترفع غيره عليه، فإذا أصاب بعض نظرائه وأمثاله ولاية أو علماً أو مالاً خاف من تكبره عليه وهو يشقّ عليه ذلك ولا يسمح نفسه تحمل ذلك فلا يرضى بكونه منعماً عليه بتلك النّعمة حذراً من ذلك، ومحصله الخوف من تفاخر الغير عليه لا حبّ تفاخره على الغير وربما يرضى بمساواته له.

وأمّا التكبّر فهو أن يكون في طبعه أن يتكبّر على الغير ويترفع عليه ويكون الغير منقاداً له مطيعاً لأمره ونهيه صاغراً عنده، فإذا نال نعمة خاف من عدم إطاعته وانقياده له وعدم إمكان ترفعه عليه كما كان أو ترقيه إلى مقام يترفع هو عليه فيكون مطيعاً بعد ما كان مطاعاً، ومتكبّراً عليه بعد ما كان متكبراً، ومن هذا الباب كان حسد كفّار قريش في حقّ النبيّ ﷺ إذا قالوا كيف يتقدّم علينا غلام يتيم ويكون رسولاً علينا ونكون مطيعين له كما حكى الله عنهم بقوله:

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١].

وأرادوا بذلك نزوله على الوليد بن المغيرة لعنه الله أو أبي مسعود عروة بن مسعود

(١) الكافي: ٨/١٠٨ ح ٨٦، شرح أصول الكافي: ١٢/ ٤٤.

الثقفي أو غيرهما لأجل كون هؤلاء من رؤساء القبائل وذوي الأموال الجسيمة وعظيم المنزلة عندهم لا يثقل عليهم التواضع والطاعة لهم كما كان يثقل عليهم طاعته ﷺ.

وأمّا التّعجب فهو أن تكون النعمة عظيمة والمنصب جليلاً فيتعجّب من فوز مثله بمثل تلك النعمة كما حكى الله سبحانه عن الأمم السّابقة بقوله:

﴿قَالُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠] ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا﴾ [المؤمنون: ٤٧] ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَٰسِرُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المؤمنون: ٣٤].

فتعجّبوا من أن يفوز برتبة الرسالة الوحي والزلفى من الله بشر مثلهم فحسدوا وأحبّوا زوال النبوة عنهم إشفاقاً من أن يفضل عليهم من هو مثلهم في البشريّة ولم يكن مقصودهم إظهار كبر ولا طلب رئاسة ولا بينهم سابقة عداوة أو نحو ذلك من سائر أسباب الحسد.

وأمّا الخوف من فوت المقاصد العظيمة فهو يختصّ بمتزاحمين على مقصود واحد، فإنّ كلّ واحد منهما يحسد صاحبه ويريد انفراده بذلك المقصود، ومن هذا الباب تحاسد الضرّات في مقاصد الزّوجية وتحاسد الأخوة من أجل تزاحمهم على نيل المنزلة في قلب الأبوين للتوصّل إلى مقاصد الكرامة والشرافة أو المال والعزّة كما وقع من اخوة يوسف عليه السلام في حقّه ومن قابيل في حق هابيل، ومنه أيضاً تحاسد الواعظين والرّاثين ونحوهما.

وأمّا حبّ الرئاسة فمنشأه حبّ الاختصاص بنعمة لا يشاركه فيها غيره، وحب ثناء النّاس له وفرحه بتفرّده بها، فإذا رأى مشاركاً له فيها ساءه ذلك، وهو غالب في العلماء السّوء فإنّهم يحبّون أن يكونوا مرجعاً للنّاس وملجئاً، ويكون تردّدهم إليهم ولا يرضون بمشاركة الغير لهم.

ومن هذا الباب كان حسد علماء اليهود لرسول الله ﷺ فإنّهم كانوا ينكرون معرفته ولا يؤمنون به خيفة من أن تبطل رئاستهم واستتباعهم مهما نسخ علمهم.

ومنه أيضاً كان حسد الخلفاء الثلاثة لأمير المؤمنين عليه السلام مضافاً إلى العداوة والبغضاء التي كانت فيهم وغير ذلك من الأسباب السابقة، إذ لا امتناع في اجتماع الأسباب المتعددة.

والفرق بين هذا القسم وسابقه اشتراط التّزاحم على المقصود في السّابق دون ذلك، إذ ربّما ترى عالماً أو صانعاً يختصّ بفنّ مخصوص من العلم أو الصّناعة يمدحه النّاس بأنّه فريد دهره ووحيد عصره في ذلك الفنّ أو الصّناعة، فإنّه لو سمع في أقصى البلاد بنظيرٍ له فيه لساءه ذلك وأحبّ موته أو زوال النّعمة عنه.

وأمّا خبث النّفس فالحسد بذلك خارج عن جميع الأقسام السّابقة، فإنّك ترى من النّاس من ليس غرضه في رئاسة ولا تعزّز ولا تكبّر إذا وصف عنده حال عبد من عباد الله فيما أنعم

الله به عليه يشقّ عليه ذلك وإذا وصف له اضطراب أمور النّاس وإدبارهم يفرح بذلك، فهو دائماً يحبّ الإدبار لغيره ويبخل بنعم الله على عباده كأنّهم يأخذونها من ملكه وخزانته، وليس لذلك سبق ظاهر إلاّ خبث النّفس وشقائها ورذالة الطبع ودناءته ومعالجته شديدة إذ الحسد الثابت بسائر الأسباب أسبابه عارضة يتصوّر زوالها ويرجى إزالته، وهذا ناشيء من خبث الطّينة وسوء السريرة فيعسر زواله وإلى ذلك ينظر ما قيل.

كلّ العداوة قد ترجى إماطتها[1] إلاّ عداوة من عاداك من حسد

وهذه هي أسباب الحسد وقد يجتمع بعضها أو أكثرها أو جميعها في شخص فيشتدّ حسده ويتضاعف، وأكثر المحاسدات تجتمع فيها جملة من هذه الأَسباب وقلما يتجرّد سبب واحد منها، نعوذ بالله من شرور النفس وشحّ الأنفس.

الرابع

في بيان سبب كثرة الحسد بين العلماء على ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنّه عشرة أجزاء منها تسعة بين العلماء وواحد في النّاس ولهم من ذلك الجزء الحظّ الأوفر.

فأقول: العلماء إمّا علماء الدّنيا أو علماء الآخرة، والمراد بالأوّل من كان غرضه من العلم هو الدّنيا وتحصيل رئاستها وحبّ شهواتها وقنياتها وطلب الوقع في قلوب النّاس وابتغاء إقبالهم إليه، وبالثّاني هم العارفون بالله والراغبون في الآخرة والزّاهدون في الدّنيا المعرضون عنها.

والحسد إنّما هو بين الطائفة الأولى، وسببه تزاحمهم على غرض واحد إذ كل منهم يريد الفضل لنفسه دون صاحبه، ويتمنّى الاجتهاد والمرجعيّة والرئاسة وصداء النّعلين ونحو ذلك، ويريد ذلك بعينه غيره من أبناء جنسه فيتزاحمان على غرض واحد.

ومن أجل التّزاحم أيضاً ينشأ الحسد بين أفراد جنس واحد وأبناء نوع واحد كالتّاجر للتّاجر، والواعظ للواعظ، والبزّاز للبزّاز وهكذا، فإنّ الغالب أن البزّاز يحسد للبزاز دون العطار ودون الواعظ، والعالم يحسد العالم دون الصّانع.

ولما ذكرناه ترى الحسد بين علماء بلدة واحدة أكثر مما بين علماء بلدتين وما بين البلدتين القريبتين أكثر ممّا بين البلدتين النائيتين لزيادة التزاحم في الأولى على الثّانية، ومنشأ ذلك كلّه هو حبّ الدّنيا، فإنّ الدّنيا هي الّتي تضيق على المتزاحمين.

وأما علماء الآخرة العارفون بالله والمبتهجون بمعرفته سبحانه فلا يكون بينهم تحاسد،

---

(١) الإماطة: الابعاد.

لأنّ غرضهم هو الآخرة ومقصدهم هو المعرفة ولا ضيق في شيء منهما كالدّنيا ألا ترى أنّ من أحبّ معرفته سبحانه ومعرفة صفاته وأفعاله من عجائب ملوكت سمائه وأرضه لا يعادي ولا يبغض غيره ممّن كان يحبّ معرفة ذلك أيضاً؟ وذلك لسعة بحر المعرفة وعدم الضّيق فيه، بل المعلوم الواحد يعلمه ألف ألف عالم ويفرح بمعرفته ويلتذّ به ولا ينتقص لذّة أحدهم بسبب غيره، بل يحصل بكثرة العارفين ثمرة الإفادة والاستفادة والإنس والصّحبة، وغرضهم إنّما هو تحصيل المنزلة عند الله والزّلفى لديه وما عند الله أعظم من أن يضيق على الطّالبين ولا يسع الرّاغبين، إذ البحر لا ينفذ بالقطر، والشّمس لا ينقص بالذّر، وليس كمال الدّنيا إذا وقع في يد أحد خلت عنه يد الآخر أو كجاهها إذا اتصف به شخص حرم عنه غيره، إذ الجاه عبارة عن ملك القلوب ومهما امتلأ قلب شخص بتعظيم عالم انصرف عن تعظيم الآخر أو نقص عنه لا محالة فيكون سبباً للمحاسدة.

وبالجملة فنعمة العارف وجنّته معرفته الّتي هي صفة ذاته، وهو دائماً يجني ثمارها ويغتذي بفواكهها، وهي فاكهة غير مقطوعة ولا ممنوعة بل قطوفها دانية وإن غمض العين الظاهرة فروحه ترتع كلّ الأوقات في جنّة عالية ورياض زاهرة وكثرتهم لا توجب تحاسدهم بل كانوا كما قال ربّ العالمين:

﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

وهذا حالهم وهم في الدّنيا فما ظنّك بهم إذا انكشف عنهم الغطاء وشاهدوا المحبوب في العقبى فأهل العرفان واليقين براء من الحسد في الدّنيا والآخرة جميعاً، بل الحسد من صفات المبعدين عن سعة علّيين إلى ضيق سجّين، ولذلك وسم به الشّيطان اللّعين، حيث أظهر الحسد والبغضاء لما رأى اختصاص آدم بالخلافة والاجتباء ولمّا دعى إلى السجود استكبر وأبى، وتمرّد وعصى، فاستحقّ الجحيم وقيل له:

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾ [ص: ٧٧].

وإذا عرفت أنّ منشأ الحسد هو التّوارد على مقصود يضيق عن الوفاء لمن ابتغى فعليك بمقصد لا تزاحم فيه أصلاً ولذّة لا نفاد لها ونعمة لا زحمة فيها ولا يوجد ذلك في الدّنيا إلاّ في معرفة الحق تعالى ومعرفة صفاته العلياء وإن لم تكن تشتاق إلى ذلك ولا تجد لذّة لذلك فأنت في ذلك معذور لأنّك في يد هواك مغمور مقهور والصّبي لا يعرف لذة الملك والسّلطنة، وإنّما لذته في اللّهو واللّعبة، فإنّ هذه لذّة يختص بإدراكها الرّجال دون الصّبيان، والأطفال، والمعرفة مختصّة بأهل الكمال وهم الذين لا غرض لهم إلاّ الله وهم.

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

ولا يشتاق إلى هذه اللّذة غيرهم، لأنّ الشوق بعد الذّوق، ومن لم يذق لم يعرف ومن

لم يعرف لم يشتق، ومن لم يشتق لم يطلب، ومن لم يطلب لم يدرك، ومن لم يدرك بقي مع المجرمين في أسفل السّافلين.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الزخرف: ٣٦].

الخامس

في معالجة الحسد الذي هو من موبقات الذّنوب ومن الأمراض العظيمة للقلوب، والدّواء النّافع له هو أن تعرف أنّه مضرّ عليك في الدّنيا والدّين وغير مضرّ بالمحسود في الدّنيا والدّين، بل نافع له فيهما، ومهما عرفت هذا عن بصيرة وكنت صديقاً لنفسك شفيقاً لها ولم تكن عدوّاً ومبغضاً لها فارقت الحسد لا محالة.

أمّا كونه مضرّاً عليك في الدّين فلما مرّ في الأخبار السّابقة من كونه سبباً لسخط الجبّار وآكلاً للإيمان أكل الحطب للنار، بل الحاسد في الحقيقة ساخط لقضاء الله وغضبان على قدر الله كاره للنعم الّتي قسّمت بين عباد الله، وحسده في الحقيقة اعتراض على الخالق فيما منحه على الخلائق وإيراد على الحكمة وجناية على حدقة التّوحيد، وفيه متابعة الشّيطان اللّعين وأوليائه من الكفّار والمنافقين حيث إنّه حسد وقال:

﴿قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء: ٦١] ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

وكذلك أولياؤه لم يزالوا حاسدين معاندين للمؤمنين، مبغضين لهم وبعداوتهم معلنين متألّمين بفرحهم وبتألّمهم مسرورين، فمن كان حاسداً فهو للشّيطان وأوليائه قرين، وهو معهم في أسفل السّافلين.

وأمّا كونه مضرّاً عليك في الدّنيا فلأنّك تتألّم بحسدك فيها وتتعذّب به دائماً ولا تزال في همّ وغم، إذ نعم الله سبحانه في الدّنيا في حق البرّ والفاجر والمؤمن والكافر غير معدودة، وفيوضاته غير متناهية وأنت كلّما رأيت تنعّم المحسود بنعمة تألّمت وتأثّرت، فلا يحصل لك خلاص من الحزن والألم لعدم انقطاع الآلاء والنّعم، ولا يكون لك فراغ من الفكر ويطول عليك الهجود والسّهر فليطرق عليك النّصب والآلام، ويتراكم عليك الأوصاب والأسقام، لسراية المرض من القلب إلى البدن ومن الخلد إلى الجسد.

ولذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: صحة الجسد من قلة الحسد(١)، وقيل الحسد يضرّ

---

(١) وسائل الشيعة: ١٥/ ٣٦٧ ح ٢٠٧٦٦، بحار الأنوار: ٧/ ٦٥٦ ح ٢٨.

بنفس الحاسد قبل إضراره بالمحسود.

وقد روي أن رجلاً كان يغشي بعض الملوك فيقوم بحذاء الملك فيقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه اساءته، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام فسعى به إلى الملك فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك ويقول ما يقول يزعم أن الملك أبخر، فقال الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك فإنّه إذ دنا منك وضع يده على أنفه لئلاّ يشمّ ريح البحر فقال له: انصرف حتى أنظر.

فخرج من عند الملك فدعى الرّجل إلى منزله فأطعمه طعاماً فيه ثوم؛ فخرج الرّجل من عنده فقام بحذاء الملك على عادته فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه فإن المسيء سيكفيكه إساءته، فقال له الملك: ادن منّي، فدنا منه فوضع يده على فيه حذراً من أن يشمّ الملك منه رائحة الثّوم فقال الملك: ما أرى فلاناً إلاّ قد صدق وكان الملك لا يكتب بخطّه إلاّ بجائزة أو صلة، فكتب له كتاباً بخطّه إلى عامل من عمّاله:

إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه واسلخه وحشّ جلده تبناً وابعث به إليّ، فأخذ الكتاب وخرج، فلقاه الرّجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: خطّ الملك لي بجائزة، فقال: هبه لي فوهبه له، فأخذه ومضى إلى العامل فقال العامل: في كتابك أن أذبحك وأسلخك، قال: إنّ الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتى تراجع الملك، فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه وسلخه وحشي جلده تبناً وبعث به.

ثمّ عاد الرّجل كعادته إلى الملك وقال مثل قوله، فتعجب الملك وقال: ما فعلت الكتاب؟ فقال لقاني فلان فاستوهبه مني فوهبته له، قال الملك: إنّه ذكر لي أنّك تزعم أنّي أبخر، قال: ما قلت ذلك، قال: فلم وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنّه أطعمني طعاماً فيه ثوم فكرهت أن تشمّه، قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء إساءته.

وأمّا عدم كونه مضرّاً بالمحسود في الدّنيا والدّين فواضح.

أمّا الدّنيا فلأن النعمة لا تزول عنه بحسدك، بل ما قدّره الله في حقّه من النعمة والإقبال ومن طيب العيش وحسن الحال لا بدّ أن يدوم إلى أجل معلوم، لاراد لحكمه ولا دافع لقضائه، إذ كلّ شيء عنده بمقدار، ولكلّ أجل كتاب ومهما لم تزل النعمة بالحسد لم يكن على المسحود ضرر.

ولعلك تقول: ليت النعمة كانت تزول عن المحسود بحسدي فهذا غاية الجهالة والسفاهة لأنّه بلاء تشتهيه أوّلاً لنفسك، فإنّك أيضاً لا تخلو من حاسد يحسدك فلو كانت النعمة تزول بالحسد للزوم أن تنقطع عنك النعم وعن كلّ أحد بل يزول الإيمان عن المؤمنين لأن الكفار حاسدون لهم في ذلك محبّون ارتفاعه عنهم كما قال سبحانه:

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ [البقرة: ١٠٩].

وان اشتهيت أن تزول النعمة عن محسودك بحسدك ولا تزول عندك بحسد حاسدك، فهذا غاية الغباوة والحماقة، لأن كلّ واحد من الحساد يشتهي الاختصاص بهذه الخاصية فأيّ ترجيح لك على غيرك؟

فإن قلت: سلّمنا هذا كلّه ولكن ما تقول فيما رواه في «الكافي» عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن النوفلي عن السّكوني عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: كاد الفقر أن يكون كفراً وكاد الحسد أن يغلب القدر[1]، فإن المستفاد من هذه الرّواية أن الحسد له تأثير في زوال النعمة.

قلت: هذه لا تكافيء الأدلة السّابقة، لعدم سلامة سندها وقلتها بالنسبة إليها، مع إمكان الجمع بينهما بأن يقال بتأثير الحسد في الجملة كالعين الصائبة إلا أنه لا يوجب زوال النعمة بالمرّة فيمكن أن تزول النعمة التي صارت سبباً لحسد الحاسد عن المحسود ثمّ ينتقل المحسود إلى نعمة أخرى أشرف وأجل ممّا زالت منه، لما قد روي في الأخبار من أن الرّزق مقسوم، ومن قوله صلى الله عليه وآله لن تموت نفس حتّى تستكمل رزقها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، فتأمل.

وأمّا عدم كونه مضرّاً بالمحسود في الدّين فواضح مستغن عن البيان.

وأمّا انتفاعه به في الدّين والدّنيا فظاهر أيضاً.

أمّا الدّين: فلأنّه مظلوم من جهتك وأنت ظالم له وميزانه ثقيل وميزانك خفيف كما مرّ في الأخبار، وأيضاً فإنّه بصبره وتحمله على أذاك يفوز فوزاً عظيماً ويدرك ما أعدّ الله من عظيم الأجر للصّابرين كما يشهد به ما في «الوسائل» عن الصّدوق بإسناده عن معاوية بن وهب عن الصّادق جعفر بن محمّد عليه السلام قال: اصبر على أعداء النّعم فانّك لن تكافيء من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه[2]، ومثله رواية عمّار بن مروان عن أبي الحسن الأوّل عليه السلام ونحوهما أخبار أخر.

وأمّا انتفاعه به في الدّنيا: فهو إن أهم أغراض الخلق مساءة الأعداء وألذّ عيشهم أن يكون أعداؤهم معذّبين، ولا عذاب أشد ممّا أنت فيه من ألم الحسد وغاية أماني أعدائك أن يكونوا في نعمة وأن تكون في غمّ وحسرة بسببهم، وقد فعلت بنفسك ما هو مرادهم، ولذلك لا يشتهي عدوّك موتك بل يشتهي طول حياتك لتنظر ما أنعم الله به عليه وينقطع نياط قلبك

(١) الكافي: ٢/٣٠٧ ح ٤، الخصال: ١٢.

(٢) الكافي: ٢/١٠٩ ح ٣، ومن لا يحضره الفقيه: ٤/٣٩٨ ح ٥٨٥٢.

حسداً كلّما رأيته، ولذلك قيل:

لا مات أعداؤك بل خلّدوا حتّى يروا فيك الذي يكمد
لا زلت محسوداً على نعمةٍ فإنّما الكامل من يحسد

وإن شئت زيادة وضوح إضرار الحاسد بنفسه وانتفاع المحسود بحسده فاختبر ذلك بقصة يوسف عليه السلام واخوته حيث حسدوه وقالوا:

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ﴾ [يوسف: ٩]﴿يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ﴾ [يوسف: ١٠] ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ يوسف: ٢٠].

فأدركته العناية الأزليّة والرحمة الإلهية وأعطي بمحسوديته الملك والمملكة والعزّ والسّلطنة وابتلوا بحاسديّتهم بالفقر والفاقه والضر والمسكنة حتّى صاروا محتاجين إليه بسوء الأعمال فدخلوا عليه ونادوه بلسان الابتهال:

﴿يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ﴾ [يوسف: ٨٨] وسوء الحال ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ﴾ [يوسف: ٨٨].

فأصبحوا بفضله مذعنين وعن علوّ شأنه مفصحين بقوله:

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ، وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ [يوسف: ٩١].

بعد أن كانوا له حسداً، وأنت أيّها النّاقد البصير والزّكي الخبير إذا احطت خبراً بما تلوناه عليك وعرفت مضارّ الحسد ومفاسده فراقب الانصاف وجانب الاعتساف ولاحظ نفسك وامحض لها نصحك ولا تكسب لها الخسارة في الحال ولا تجلب لها الشّقاوة في المآل، ولا تبخس حظّك عند الخالق، ولا تسقط وقعك من قلوب الخلائق، ونعمة المحسود دائمة شئت أم أبيت، باقية كرهت أم رضيت، فلا تكن للشّيطان وليّاً ولا لنفسك عدوّاً ولا للمؤمنين خصيصاً، فلا تفت على نفسك فوائد الحبّة، ولا تحرمها من منافع الإلفة والمودّة، ولا توقعها في مضار البغضاء والعداوة، أفما دريت في شرح هذه الخطبة أنها حالقة للدين والإيمان، ساخطة للرّحمن، وبالله أستعيذ من خبث النفس وشرور الأنفس، وبه أعتصم من مكائد الشّيطان وموبقات الإيمان، ومنه التوفيق وعليه التكلان وهو المستعان.

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن امام انام است كه فرمود:

به تحقيق كه عالم است حقّ سبحانه و تعالى به سرها و خبير است به ضميرها، مراورا است احاطه به جميع اشياء از حيثيت علم و حفظ و غلبه به جميع مخلوقات با قهر و سلطنت و قوّت به همه موجودات با كمال اقتدار و قدرت، پس بايد عمل نمايد عمل كننده از شما در ايّام مهلت پيش از سرعت اجل او و در زمان فراغت قبل از اشتغال او و در زمان وسعت نفس زدن پيش از آنكه گرفته شود راه نفس او و بايست مهيّا نمايد از براى نفس خود توشه طاعات و از براى استوارى قدم خود بر صراط و بايد توشه بردارد از سراى رحلت خود براى سراى اقامت خود.

پس بترسيد از خدا اى بندگان خدا در آنچه كه خواسته است از شما حفظ كردن آن را از كتاب خود و در آنچه امانت نهاده پيش شما از حقوق خود، پس به درستى خداوند عالم خلق نفرموده شما را به عبث و فرونگذاشته است شما را مهمل و نگذاشته است شما را در جهالت و كورى.

به تحقيق كه بلند نموده است خبرهاى شما را و عالم است عمل هاى شما را و نوشته است اجل هاى شما را و نازل كرد بر شما كتاب را به جهت بيان هر شيء و زندگانى داد در ميان شما پيغمبر خود را زمانى چند تا آنكه كامل ساخت از براى او و از براى شما در آنچه كه نازل فرموده بود از كتاب خود دين خود را كه پسنديده بود از براى خود و اعلام نمود به شما به زبان پيغمبر خود محبوب ها و مكروه هاى خود را از عمل ها و كارها و نواهى خود را و اوامر خود را.

پس القا كرد به سوى شما معذرت خود را در عقوبت شما و أخذ نمود بر شما حجّت خود را و پيش انداخت به سوى شما تهديد و وعيد را و ترسانيد شما را پيش از عذاب شديد.

پس تدارك نمائيد در بقيّه روزگار خود و بازداريد دربقيّه أيّام نفس خود را از عمل ناشايست و متحمل باشيد به مشقت عبادت، پس به درستى كه آن بقيه ايام كم

است در میان روزگار بسیار که می باشد از شما غفلت و بی خبری و مشغول شدن از پندگیری و رخصت ندهید نفس های خود را تا اینکه ببرد شما را آن رخصت ها در راه های ظالمان و ستمکاران و مداهنه و مسامحه ننمائید با فاسقان تا اینکه بیاورد شما را آن مداهنه به معصیت.

ای بندگان خدا، به درستی که نصیحت کننده ترین خلق بر نفس سرکش خود، اطاعت کننده ترین ایشان است پروردگار خود را و به درستی که فریب دهنده ترین خلق نفس خود را، عاصی ترین ایشان است بر آفریدگار خود و زیان کار کسی است که زیان رساند نفس خود را و سودمند کسی است که سالم شود از برای او دین او و صاحب سعادت آن کسی است که پند گیرد به حال غیر خود و صاحب شقاوت آن کسی است که فریب خورد به هوا و غرور خود.

و بدانید که اندکی از ریا شرك است به خدا و هم نشینی اهل معصیت و هوا محل فراموشی ایمان است و مکان حضور شیطان و کناره جوئی کنید از کذب و بهتان که آن بیگانه است از ایمان، راست گو بر کناره نجات است و بزرگواری و دروغ گو بر گوشه هوس است و خواری و بر یکدیگر حسد مبرید، پس به درستی که می خورد حسد دین را همچنان که می خورد آتش هیزم را.

هر که را پیشه بود حقد و حسد — هرگز از آتش دوزخ نرهد
کینه از سینه خود بیرون کن — زین عمل قدر و شرف افزون کند
بیخ حقد و حسد از دل بر کن — بر فلك ساز چه عیسی مسکن

و دشمنی نکنید بر یکدیگر، پس به درستی که عداوت تراشنده ایمان است و بدانید که آرزوی دور و دراز باعث سهو عقل می شود و سبب نسیان ذکر، پس تکذیب نمائید آرزوی خود را از جهت اینکه آمال و امانی دروغ است و فریب و صاحب آن مغرور است و مفتون.

ومن خطبة له عليه السلام وهي السادسة والثمانون

من المختار في باب الخطب

وشرحها في ضمن فصول:

الفصل الأول

عِبادَ اللَّهِ إنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبادِ اللَّهِ إلَيْهِ عَبْداً أعانَهُ اللَّهُ عَلىٰ نَفْسِهِ، فَاسْتَشْعَرَ الْحُزْنَ وتَجَلْبَبَ الْخَوْفَ، فَزَهَرَ مِصْبَاحُ الْهُدَىٰ في قَلْبِهِ، وأعَدَّ الْقِرَىٰ لِيَوْمِهِ النازِلِ بِهِ، فَقَرَّبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الْبَعيدَ، وهَوَّنَ الشَّديدَ، نَظَرَ فَأَبْصَرَ، وذَكَرَ فَاسْتَكْثَرَ، وَارْتَوىٰ مِنْ عَذْبٍ فُراتٍ سُهِّلَتْ لَهُ مَوارِدُهُ، فَشَرِبَ نَهَلاً، وسَلَكَ سَبيلاً جَدَداً، قَدْ خَلَعَ سَرابيلَ الشَّهَواتِ، وتَخَلَّىٰ مِنَ الْهُمُومِ إلاّ هَمّاً واحِداً انْفَرَدَ بِهِ، فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمىٰ ومُشارَكَةِ أَهْلِ الْهَوىٰ، وصارَ مِنْ مَفاتيحِ أبْوابِ الْهُدَىٰ ومَغاليقِ أَبْوابِ الرَّدي، قَدْ أَبْصَرَ طريقَهُ، وسَلَكَ سَبيلَهُ، وعَرَفَ مَنارَهُ، وقَطَعَ غِمارَهُ، وَاسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَىٰ بِأَوْثَقِها، ومِنَ الْجِبالِ بِأَمْتَنِها، فَهُوَ مِنَ الْيَقينِ عَلَىٰ مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ، قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحانَهُ في أرْفَعِ الأُمُورِ، مِنْ إِصْدارِ كُلِّ وارِدٍ عَلَيْهِ، وتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إلىٰ أَصْلِهِ، مِصْباحُ ظُلُماتٍ، كَشّافُ عَشَواتٍ، مِفْتاحُ مُبْهَماتٍ، دَفّاعُ مُعْضَلاتٍ، دَليلُ فَلَواتٍ، يَقُولُ فَيُفْهِمُ، ويَسْكُتُ فَيَسْلَمُ، قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ، فَهُوَ مِنْ مَعادِنِ دينِهِ، وأَوْتادِ أَرْضِهِ، قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ، فَكانَ أَوَّلَ عَدْلِهِ نَفْيُ الْهَوىٰ عَنْ نَفْسِهِ، يَصِفُ الْحَقَّ ويَعْمَلُ بِهِ، وَلاَ يَدَعُ لِلْخَيْرِ غايَةً إلاّ أَمَّها، وَلا مَظِنَّةً إلاّ قَصَدها، قَدْ أَمْكَنَ الْكِتابَ مِنْ زِمامِهِ، فَهُوَ قائِدُهُ وإِمامُهُ، يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ، ويَنْزِلُ حَيْثُ كانَ مَنْزِلُهُ[١].

اللغة

(الشعار) من الثوب ما يلي شعر الجسد و**(الجلباب)** القميص أو غيره ممّا مضى في شرح الكلام الخامس والستين و**(زهر)** الشيء يزهر من باب منع صفا لونه وأضاء و**(القرى)** من قرى الضّيف من باب رمى قرى بالكسر والقصر والفتح والمدّ أضافه، وفي «المصباح» قرى بالكسر والقصر والاسم القراء بالفتح والمدّ و**(فرات)** الماء العذب **(وباللام)** اسم نهر معروف.

و**(نهل)** البعير نهلاً من باب تعب شرب الشّرب الأوّل حتّى روى و**(الجدد)** بالتحريك المستوى من الأرض و**(السّربال)** القميص و**(الغمار)** بالكسر إما جمع الغمر كالغمور وهو الماء الكثير ومعظم البحر أو جمع الغرة كالغمرات وهي الشدة والزحمة و**(العرى)** بالقصر مثل

(١) شرح مئة كلمة: ٢٢٨، بحار الأنوار: ٥٧/٢.

العروة من الدّلو والكوز ونحوهما مقبضها و(**عشوات**) بالتحريك جمع العشوة بالتّثليث وهي الأمر الملتبس.

(**والمعضلات**) الشدائد والأمور التي لا تهدي لوجهها من أعضل الأمر إذا اشتدّ و(**المعادن**) جمع معدن كمجلس وهو محل الجوهر و(**أمّه**) أمّا من باب قتل قصده و(**مظنة**) الشيء المكان الذي يظن فيه وجوه و(**الثقل**) متاع المسافر وحشمه والجمع اثقال كسبب وأسباب.

الإعراب

(**الفاء**) في قوله: (**فاستشعر الحزن**) عاطفة مشعرة بسببية ما قبلها لما بعدها كما في قولك يقوم زيد فيغضب عمرو، وكذلك أكثر الفاءات بعدها، وقوله: (**فهو من اليقين على مثل (آه**) هو مبتدأ (**وعلى**) مثل خبر له (**ومن اليقين**) حال إمّا من المبتدأ والعامل فيه الخبر وهو مبنيّ على جواز الاختلاف بين عامل الحال وعامل صاحبه، وإمّا من الضمير المستكن في الخبر فيتحد العاملان وإنما قدّمت الحال على عاملها لتوسعهم في الظروف قالوا: ومن ذلك البرّ الكرّ بستّين أي الكرّ منه بستين فمنه حال والعامل فيه بستين.

وقوله عليه السلام: (**مصباح ظلمات**) بالرفع خبر بعد خبر، وقوله: (**فكان أوّل عدله نفي الهوى**) يجوز جعل أوّل اسما ونفي الهوى خبراً وبالعكس إلاّ أن مقتضى الإعراب الموجود في نسخ الكتاب هو الأوّل حيث اعرب الأوّل مرفوعاً والنفي منصوباً وهو أيضاً مقتضى الأصل.

المعنى

اعلم أن هذا الفصل من كلامه عليه السلام مسوق بشرح حال المتقين وبيان صفات العارفين الكملين من عباد الله الصّالحين، وفي الحقيقة والمعنى هو شرح لحال نفسه الشريف وحال أولاده المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين، إذ الأوصاف الآتية لم تجمع إلاّ فيهم ولم تشاهد إلاّ منهم.

وهم المتّصفون بالفناء في الله والبقاء بالله، والمبتغون لمرضاة الله وهم أحب النّاس إلى الله والله أحبّ إليهم وأولى بهم من أنفسهم، فهم التّامون في محبّة الله والمخلصون في توحيد الله والمظهرون لأمر الله ونهيه وعباده المكرمون ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ٣٧﴾ [الأنبياء: ٣٧].

إذا عرفت هذا فأقول قوله عليه السلام (**إن من أحب عباد الله إليه عبداً أعانه الله على نفسه**) أراد بمحبّته سبحانه له إفاضة الكمالات النفسانية عليه المعدّة له بالقرب إليه تعالى والقبول بفضله وجوده، ويأتي في شرح المختار المائتين والخامس والعشرين إن شاء الله تفصيل الكلام في

معنى محبّته تعالى، ومعنى إعانته له على نفسه إعانته جنود عقله على جنود جهله وتقوية عقله على قهر نفسه الأمّارة، فإذا قوي عقله وأعين له اتّصف بأوصاف أشار عليه السلام إليها.

أوّلها: أنّه **(استشعر)** الحزن أي اتصف بالحزن وجعله ملازماً له لزوم الشّعار للجسد، وإنّما صار محزوناً لما صدر منه في الأيّام الماضية من التفريط في جنب الله حيث لم يكتسب فيها من موجبات القرب والاختصاص اضعاف ما اكتسبه.

(و) الثاني: أنه **(تجلبب الخوف)** أي جعله لازماً له لزوم الجلباب للبدن، وقد مضى تحقيق الكلام في الخوف وفي أقسامه في شرح الخطبة الخامسة والسّبعين.

والثالث: أنّه حيث اتّصف بالحزن والخوف **(ف)** استعدّ بذلك لأن **(زهر مصباح الهدى في قلبه)** أي أضاء أنوار المعارف الحقّة الإلهيّة في قلبه فصار سبباً لاهتدائه ووصوله إلى مقام القرب.

(و) الرّابع: انّه **(أعدّ القرى ليومه النّازل به)** شبّه يوم الموت وما بعده بالضّيف المتوقّع نزوله وكما أنّ من توقع نزول ضيف به يهيّأ له قرى ليبيض به وجهه عند الضيف ويكسب به المحمدة منه ولا ينفعل منه عند نزوله، فكذلك الرّجل الموصوف لمّا توقّع نزول الموت وعلم أنّه قادم لا محالة أعدّ له من وظائف الطّاعات والعبادات ما يكون موجباً لبياض[1] وجهه عند نزوله واكتسابه المحمدة والثّناء، وذلك أيضاً من ثمرات الخوف المقدم ذكره ومن شئوناته.

والخامس: أنه حيث أعدّ قرى ضيفه **(فقرب على نفسه البعيد)** والظّاهر أن المراد بالبعيد هو الموت الذي يراه الغافلون بعيداً وبتقريبه على نفسه هو مبادرته إليه وجعله له نصب عينيه وترقّبه له وعدم غفلته عنه صباحاً ومساءاً، لأنّه بعدما هيّأ أسبابه وأعدّ القرى له لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه، وأمّا ما ذكره الشّارح البحراني من احتمال كون المراد بالبعيد هو رحمة الله البعيد عن مستحقّها، وبتقريبه تحسين العمل أو كون المراد به أمله الطّويل في الدنيا وبتقريبه تقصير الأمل، فمضافاً إلى بعده في نفسه غير ملائم لظاهر العطف بالفاء وإن أمكن توجيهه بتكلف.

(و) السّادس: أنه **(هوّن الشديد)** يحتمل أن يكون المراد بالشديد شدائد الموت ودواهيه وما يتلو ذلك، فيكون المراد بتهوينها تسهيلها بالأعمال الصّالحة وهو من ثمرات إعداده القرى للموت، وأن يكون المراد به شدائد الطاعات وكلفة المجاهدات والرّياضات، فيكون المراد بتهوينها تحملها والصّبر وحبس النّفس عليها، وهو من فروع شروق مصباح الهدى في قلبه.

والسّابع: أنّه **(نظر فأبصر)** أي تفكّر في الملك والملكوت فصار ذا معرفة وبصيرة كما قال سبحانه:

---

(١) في نسخة: لابيضاض.

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

(و) الثامن: أنّه **(ذكر فاستكثر)** أي ذكر الله فاستكثر من ذكره إذ بذكره تسكن النفوس كما قال سبحانه:

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وبكثرة ذكره تنال المحمدة والثناء عند الله كما قال تعالى:

﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧].

(و) التاسع: أنّه **(ارتوى من عذب فرات سهلت له موارده)** شبه عليه السلام العلوم الحقّة والمعارف الإلهيّة المفاضة على العارف بالماء الصّافي العذب الزّلال فاستعاره لها ورشحه بذكر الارتواء كما أنّه استعار في الكلام السّابع عشر للعقائد الباطلة والآراء الفاسدة لفظ الآجن حيث قال عليه السلام في ذكر أوصاف القضاة السوء: **(حتّى إذا ارتوى من آجن)**، والمراد بسهولة موارده عدم كونها ردغة وحلة وهو كناية عن سرعة استعداده لقبول تلك العلوم المفاضة من محالها ومواردها أعني الألواح السّماويّة وألسن الملائكة ولسان النّبي صلى الله عليه وآله والرّوع في القلب والنّكث في القلوب ونحوها إن كان المراد بالموصوف الأئمة عليهم السلام على ما قدّمنا، والنّبي والأئمة سلام الله عليه وعليهم إن كان المقصود به مطلق العارف هذا وقوله عليه السلام (فشرب نهلا) إشارة إلى أنّه لما شرب من العذب الفرات وارتوى اكتفى بذلك وصار شربه الأوّل كافياً ولم يحتج بعده إلى الشّرب الثّاني لأنّه شرب من رحيق التحقيق ومن عين التوفيق شربة لا ظمأ بعدها أبداً.

(و) العاشر: أنّه **(سلك سبيلاً جدداً)** أي طريقاً مستوية عدلاً مصونة عن طرفي الإفراط والتفريط إذ اليمين والشّمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادّة الموصلة لسالكها إلى حظيرة القدس، وقد مضى تفصيلاً وتحقيقاً في شرح الفصل الثاني من الكلام السادس عشر، فتذكر.

والحادي عشر: أنّه **(قد خلع سرابيل الشّهوات)** أي نزع لباس الشهوات وخلى نفسه منها لكونها موجبة لصداء مرآت القلب مانعة عن انطباع صور الحق فيها.

(و) الثاني عشر: أنه قد **(تخلّى من الهموم)** أي هموم الدّنيا كلّها لكونها مجانبة للحق شاغلة عنه **(إلاّ همّاً واحداً انفرد به)** وهو همّه بالوصول إلى مولاه الذي به لذته وبالإنفراد بذكره ومناجاته سروره وبهجته وبمطالعة جلاله وكبريائه شعفه وفرحته.

والثّالث عشر: أنّه حيثما تخلّى من الهموم وانحصر همّه في الهمّ الواحد **(فخرج به من صفة العمى و)** عن **(مشاركة أهل الهوى)** أراد أنه باتّصافه بفضيلة العلم والحكمة خرج من صفة الجهالة وعن مشاركة أهل الهوى والشّهوة لكون الاشتراك معهم موجباً للضّلالة، وإليه

الإشارة بقوله سبحانه:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ٤١﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

(و) **الرابع عشر**: أنّه من أجل اتصافه بالعلم والحكمة أيضاً **(صار من مفاتيح أبواب الهدى ومغاليق أبواب الردى)** فبه تنفتح أبواب الرّشاد والهداية للمهتدين، وتنغلق أبواب الغوى والضّلالة للجاهلين، لكونه فاتحاً لباب المعروف ساداً لباب المنكر فبنور وجوده يهتدي الجاهلون، وبكمال ذاته يرتدع الضّالون.

والخامس عشر: أنه **(قد أبصر طريقه وسلك سبله)** أي أبصر بنور بصيرته طريقه المأمور بسلوكها فسلكها، وإلى هذا السّبيل والطريق أشير في قوله:

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن﴾ [الأنعام: ١٥٣] وفي قوله: ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٨٨].

كما مضى مشروحاً في شرح الفصل الثاني من الكلام السّادس عشر، فتذكر.

(و) **السّادس عشر**: أنّه **(عرف الذين هم مناره)** أصل المنار هو العلم المنصوب على الطّريق ليأمن به المارّة من الخروج عن الجادّة فمن عرف مناره أمن الضّلالة، والمراد به هنا هم أئمة الدّين الذي هم أعلام اليقين، فالسّالك إلى الله بقدمي الصّدق والعرفان إذا عرفهم ولزمهم وأخذ بحجزتهم أمن من الضّلال ووصل إلى حظيرة القدس والجلال التي هي منتهى الآمال، هذا إن كان الموصوف بالصّفات مطلق العارف وإن كان المقصود به هم **(عليهم السلام)** حسبما أشرنا إليه سابقاً فالمراد بالمنار هو النبي ﷺ.

(و) السابع عشر: أنه **(قطع غماره)** أشار بالغمار إلى ما كان مغموراً فيه من مشاق الدّنيا وهمومها والتّألم بسبب فقدها ومجاذبة أهلها لها وتزاحمهم عليها، فإن العارف بمعزل عن ذلك وإنما هو شأن الجاهلين الذين هم في غمرة ساهون.

(و) **الثامن عشر**: **(استمسك من العرى بأوثقها ومن الحبال بأمتنها)** والمراد بأوثق العرى وأمتن الحبال ما أشير إليها في سورة البقرة بقوله:

﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا﴾ [البقرة: ٢٥٦] وفي سورة آل عمران بقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقد فسّر العروة في الظاهر بالإيمان والحبل به وبالقرآن، وقد فسّرا في الباطن بالولاية، روى في «البحار» من «كنز جامع الفوائد» وتأويل الآيات قال: ذكر صاحب «نهج الإيمان» في

تأويل قوله:

﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢].

روى أبو عبد الله الحسين بن جبير في كتاب «نخب المناقب» لآل أبي طالب حديثاً مسنداً إلى الرّضا عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحبّ أن يستمسك بالعروة الوثقى فليستمسك بحبّ عليّ بن أبي طالب[١] عليه السلام»، وروى أيضاً في الكتاب المذكور مسنداً عن أبان بن تغلب عن جعفر بن محمّد عليهما السلام قال: نحن حبل الله الذي قال الله تعالى:

﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣].

والأخبار في هذا المعنى متظافرة.

والتاسع عشر: أنه لما استمسك بالعروة الوثقى والحبل الأمتن فترقى بذلك إلى أعلى مدارج العلم والعرفان (فـ) ـكان (**هو من اليقين على مثل ضوء الشمس**) يعني أنه رأى بعين اليقين الحقائق وشاهد دقائق الملك والملكوت لا يختلجه في ذلك شك ووهم كما يرى ببصره نور الشمس في الوضوح والجلا.

والعشرون: أنه لكمال ذاته (**قد نصب نفسه**) وعيّنها (لـ) ـأجل ابتغاء مرضاة (**الله سبحانه في أرفع الأمور من إصدار كل وارد عليه وتصيير كلّ فرع إلى أصله**) أراد عليه السلام أنه لما كمل ذاته نصب نفسه لأرفع الأمور من هداية الخلق وارشادهم إلى ما فيه رشادهم فقام بإصدار الأجوبة عن كلّ ما ورد عليه من الأسئلة ونهض برد كلّ فرع من فروع العلم إلى أصله المتشعّب عنه، وفيه إشعار وتنبيه على جواز الاجتهاد واستنباط الأحكام الشرعية الفرعية عن أدلتها التفصيلية كما عليه بناء المجتهدين من أصحابنا، خلافاً لأصحابنا الأخباريين والتفصيل معنون في «الأصول».

والحادي والعشرون: أنّه (**مصباح ظلمات**) يقتبس منه العالمون أنوار العالم ويهتدي به التائهون في ظلمات الجهل.

والثّاني والعشرون: أنه (**كشاف عشوات**) يكشف به ويميّز الأمور الملتبسة وفي بعض النسح غشوات (**بالغين**) المعجمة فالمراد أنه يكشف النقاب عن وجه الحق.

والثالث والعشرون: أنه (**مفتاح مبهمات**) به يفتح أبواب الأحكام المبهمة المغلقة.

والرّابع والعشرون: أنه (**دفاع معضلات**) يعني أنه يدفع الأعضال عن المسائل المعضلة الشرعية ويرفع الأشكال عن الأحكام المشكلة الأصلية والفرعية بكلامه الوافي وبيانه الشافي.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٤/ ٨٣ ح ١، تفسير كنز الدقائق: ١/ ٦١٥.

والخامس والعشرون: أنه (**دليل فلوات**) أراد عليه السلام أن السّالك في مسالك الفلوات كما لا يهتدي إليها إلاّ بدلالة الأدلاء الذين اعتادوا سلوكها وضبطوا مراحلها ومنازلها، فكذلك السّائر في فلوات المعقولات الطالب لطيّ مراحلها الباغي للنّزول إلى ساحة الحق والوصول إلى حظيرة القدس لا يهتدي إليها ولا يمكنه النّزول فيها إلاّ بهداية دليل هاد وإرشاد مرشد يرشد إلى الرشاد، وهو العارف المعتاد بسلوك تلك المسالك فمن لم يسلك بدلالته فهو ضال وهالك.

والسادس والعشرون: أنه (**يقول فيفهم ويسكت فيسلم**) يعني أنه يقول: إذا اقتضت الحال فيفهم لمخاطبة المقال ويسكت في مقام السّكوت فيسلم من عثرات اللّسان.

والسابع والعشرون: أنه (**قد أخلص لله فاستخلصه**) أي أخلص عمله لله وجعله خالصاً عن شوب الرّياء والشّرك على ما مضى في شرح الفصل الرّابع من فصول الخطبة الأولى، وحيث أنه أخلص لله فاستخلصه الله واختاره واختصه من بين أبناء جنسه بالرّضا عنه وإفاضة الكمالات عليه وإدنائه إلى مقام القدس.

والثّامن والعشرون: أنّه إذا اتصف بالإخلاص والاستخلاص (**فـ**) ـصار (**هو من معادن دينه وأوتاد أرضه**) شبهه عليه السلام من حيث كونه محلاً للدين ومستقراً له بالمعدن الذي يستقرّ فيه الجوهر فكما أنّ المعدن يستخرج منه الجوهر وينتزع منه، فكذلك الذي الّذين هو جوهر عقلاني يستفاد من ذلك الموصوف ويكتسب منه، وأمّا معنى كونه من أوتاد أرضه فهو أنّك قد عرفت في شرح الفصل الثالث من فصول الخطبة الأولى أنه سبحانه وتد بالصّخور والجبال ميدان أرضه واضطرابه وأنت إذا أخذت بين مجامع هذا الكلام وما تقدم ظهر لك أنّه عليه السلام جعل الموصوف بمنزلة جبل يكون وتداً للأرض مانعاً لها عن الاضطراب، وهو إمّا جار على الحقيقة إن أراد بالموصوف نفسه الشّريف ومن هو بمنزلته من أولاده المعصومين الذين لولاهم لماجت الارض بأهلها وساخت، وإمّا على المجاز بأن يكون المراد به العموم فإن الرّجل الموصوف لما كان سبباً لانتظام أمر الدّنيا وعدم اضطراب أحوال أهلها كان كالوتد للأرض، فافهم.

والتاسع والعشرون: أنه (**قد ألزم نفسه العدل فكان أوّل عدله نفي الهوى عن نفسه**) لما كان العدالة ملكة تصدر بها عن النفس الأفعال الفاضلة خلقاً لا تخلّقاً وأصولها عبارة عن الحكمة والعفّة والشجاعة، وسائر الفضائل فروعاً لها وكان العارف قد أرضى نفسه بالعبادة وغيرها حتى حصل على هذه الفضائل الخلقيّة لا جرم كان بسعيه في حصولها قد ألزم نفسه العدل.

قال الشّارح البحراني: ولما كان العدل في القوّة الشّهوية الذي هو أن يصير عفيفاً لا

خامد الشهوة ولا فاجراً أصعب من العدل على سائر القوى لكثرة موارد الشّهوة وميلها بالإنسان إلى طرف الإفراط، ولذلك قال أكثر المناهي الواردة في الشريعة هي موارد الشهوة لا جرم كان مقتضى المدح أن يبدأ بذكر نفي الهوى عن نفسه، ولأنّ السّالك أوّل ما يبدأ في تكميل القوّة العمليّة بإصلاح القوّة الشهويّة فيقف عند حدود الله ولا يتجاوزها في مأكول أو منكوح أو كسب ونحوه.

والثّلاثون: أنّه **(يصف الحقّ ويعمل به)** أي يطابق فعله قوله ويوافق قوله عمله فإن من يأمر ولا يأتمر وينهي ولا يزدجر لا يؤثر وعظه ولا يثمر إرشاده فإن الموعظة إذا صدرت عن اللّسان لا تتجاوز الآذان وإذا خرجت من القلب وقعت في القلب، وقد ذمّ الله أقواماً خالفت أفعالهم أقوالهم بقوله:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصف: ٢-٣].

(و) **الحادي والثلاثون**: أنه **(لا يدع للخير غاية إلاّ أمّها ولا مظنة إلا قصدها)** يعني أنّه همّته مقصورة على سلوك مسالك الخير وقصد مظان البرّ ليفوز غايته ويدرك نهايته.

والثاني والثلاثون: أنه **(قد أمكن الكتاب)** أي كتاب الله **(من زمانه)** أدّى زمام نفسه إلى الكتاب وفوّضه إليه ومكنه منه وهو كناية عن كونه منقاداً له مطيعاً لما اشتمل عليه من الأوامر والنواهي **(فهو قائده وإمامه)** يقوده إلى الله ويأمّه في سلوك سبيل رضوان الله **(يحلّ حيث سلّ ثقله وينزل حيث كان منزله)** قال الشارح البحراني: استعار عليه السلام وصفي الحلول والنّزول الذين هما من صفات المسافر وكنّى بحلوله حيث حلّ عن لزوم أثره والعمل بمقتضاه ومتابعته له في طريق سفره إلى الله بحيث لا ينفكّ عنه وجوداً وعدماً.

أقول: هذا إن كان المراد بالموصوف نفسه الشّريف ومن حذا حذوه، وأمّا إن أريد به مطلق العارف فالمراد بمحل القرآن ومنزله هو بيت الرّسالة والإمامة أعني مهبط الوحي ومعدن الذكر، فيكون المقصود بحلول الموصوف ونزله فيه كالقرآن كونه مقتدياً بالرّسول صلى الله عليه وآله والأئمة مقتبساً لهداهم آخذاً بولايتهم صلوات الله وتحيّاته عليه وعليهم أجمعين.

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن امام زمان و مقتداى عالميان است در وصف حال متّقين، فرموده كه:

اى بندگان خدا، به درستى از محبوب ترين بندگان خدا است به سوى او، بنده اى كه اعانت فرموده و غالب نمود خداى تعالى او را بر نفس خود، پس شعار خود گردانيد حزن را و سرپوش خود نمود ترس را، پس روشن شد چراغ هدايت در قلب او و مهيا نمود مهمانى را براى روزى كه فرود آيد به او، پس نزديك گردانيد بر نفس خود دور را كه عبارت است از موت و احوال آخرت و آسان نمود كار سخت را كه عبارت است از كلفت و مشاق عبادت، نگاه كرد به ديده عبرت به ملك و ملكوت، پس شد صاحب معرفت و بصيرت و ذكر كرد خداوند را، پس بسيار نمود از ذكر ربّ العزّت و سيراب شد از آب خوش شيرين كه آسان گردانيده شد از براى او موارد آن، پس آشاميد آب را اول بار و سبقت نمود بر سايرين و محتاج نشد به آشاميدن دوّمين و سلوك كرد راه راست محفوظ از تفريط و افراط را.

به تحقيق كه بر كند از خود پيراهن هاى شهوت ها را و خالى شد از همه همّ ها و غم ها مگر همّ واحدى كه منفرد شده است به او كه عبارت است از همّ وصول به قرب حق، پس بيرون آمد از صفت كورى و از مشاركت اهل هوا و غفلت و گرديد از كليدهاى درهاى هدايت و از آلت هاى بستن درهاى هلاكت.

به تحقيق كه ديد راه صواب خود را و سلوك نمود در راه راست خود و شناخت نشان هدايت خود را از دلايل واضحات و بريد از خود آنچه فرو رفته بود در آن از شهوات و چنگ زد از بندها به محكم ترين آنها و از ريسمان ها به استوارترين آنها، پس او از يقين بر مثال نور آفتاب است در تابندگى و درخشندگى، پس نصب كرد نفس خود را از براى خداوند در بلندترين كارها كه عبارت باشد از بازگردانيدن جواب هر واردكننده سؤال بر او و از ردّ نمودن هر فرع از فروع علوم به سوى اصل خود. چراغ تاريكى ها است، كشف كننده امرهاى مشتبه است،

راهنمای بیابان ها است، سخن می گوید، پس می فهماند و ساکت می شود، پس به سلامت می ماند.

به تحقیق که خالص نمود عبادت را از برای خدا، پس خالص نمود خداوند او را از برای خود و برگزید او را با بنای جنس به افاضه فیوضات و کمالات، پس او از معدن های دین خدا است و از میخ های زمین حق تعالی است.

به تحقیق که لازم گردانیده بر نفس خود عدل را، پس هست اوّل عدالت او دور نمودن هوا و هوس از نفس خود، تعریف می کند حق را و عمل می کند به آن، ترك نمی نماید عمل خیر را هیچ غایتی مگر اینکه قصد می کند آن را و نمی گذارد مظنه خیری مگر آنکه آهنگ می نماید آن را.

به تحقیق که متمکّن ساخت کتاب الله المجید را از مهار خود و جلوی خود را به دست او واگذار نمود، پس کتاب عزیز قائد و پیشوای او است، حلول می کند هرجا که حلول می کند بار نفیس کتاب و نزول می نماید هر مکانی که منزل نموده در آن کتاب؛ والله أعلم بالصّواب.

الفصل الثاني

وَآخَرُ قَدْ تَسَمّى عالِماً ولَيْسَ بِهِ، فَاقْتَبَسَ جَهائِلَ مِنْ جُهّالٍ، وَأَضاليلَ مِنْ ضُلاّلٍ، ونَصَبَ لِلنّاسِ أَشراكاً مِنْ حَبائِلِ غُرُورٍ، وقَوْلِ زُورٍ، قَدْ حَمَلَ الْكِتابَ عَلىٰ آرائِهِ، وعَطَفَ الْحَقَّ عَلَىٰ أَهْوائِهِ، يُؤَمِّنُ النّاسَ مِنَ الْعَظائِمِ، ويُهَوِّنُ كَبيرَ الْجَرائِمِ، يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهاتِ وَفيها وَقَعَ، ويَقُولُ أَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وَبَيْنَها اضْطَجَعَ، فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسانٍ، وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوانٍ، لاَ يَعْرِفُ باب الْهُدَىٰ فَيَتَّبِعَهُ، ولا بَابَ الْعَمىٰ فَيَصُدَّ عَنْهُ، وذٰلِكَ مَيِّتُ الأَحْياءِ[١].

اللغة

(قد تسمّى) تسمّى بفتح **(التاء)** المثناة الفوقانية. قال في «القاموس» تسمّى بكذا وبالقوم وإليهم انتسب، وفي بعض النسخ يسمّى بصيغة المضارع المجهول من باب فعل وهو الأظهر **(الجهائل)** جمع الجهالة كالعلائق والعلاقة و**(الأضاليل)** من الضّلال جمع لا واحد له من لفظه و**(ضلال)** بضم **(الضّاد)** جمع ضالّ كجاهل وجهّال وعامر وعمّار و**(الاشراك)** جمع الشّرك محركة وهو ما يصاد به و**(الزّور)** الكذب ومزخرف الكلام قال تعالى: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ﴾ و**(ضجعت)** ضجوعاً من باب نفع، وضعت جنبي بالأرض واضطجعت مثله.

الإعراب

قوله: **(وآخر)** بالرّفع صفة لمحذوف معطوف على محلّ اسم **(أنّ)** السّابق في أوّل الفصل السّابق، قوله: **(وليس به)**، من زيادة **(الباء)** في الخبر واسم **(ليس)** ضمير مستتر، **(واللاّم)** في الصورة والقلب إمّا عوض عن الضمير المضاف إليه كما هو مذهب الكوفيّين وبعض البصريين أي صورته صورة إنسان وقلبه قلب حيوان وعليه خرج الكوفيّون قوله سبحانه: فإنّ الجنّة هي المأوى، والمانعون يقولون في مثل ذلك إنّ **(اللام)** للعهد والضمير محذوف أي الصورة له أو منه وقالوا في الآية: هي المأوى له.

المعنى

اعلم أنّه لما شرح حال أحبّ العباد إلى الله سبحانه في الفصل السّابق أردف ذلك بشرح حال المبغوضين عنده تعالى فقال: **(وآخر قد تسمّى عالماً وليس به)** أي وعبد آخر قد انتسب إلى أهل العلم ونسب نفسه إليهم وليس هو بذلك أو سمّاه العوام عالماً **(فاقتبس جهائل من**

(١) ينابيع المودى لذوي القربى: ٣/ ٤٣٢، بحار الأنوار: ٢/ ٥٧.

جهال وأضاليل من ضلال) أي تعلم جهالات مركّبة وعقائد باطلة من أهل الجهالة واكتسب الآراء الموجبة للانحراف عن قصد السّبيل عن أهل الضّلالة فحذا حذوهم وسلك سبيلهم وصار جاهلاً ضالاً مثلهم **(ونصب للنّاس أشراكاً من حبائل غرور وقول زور)** يعني أنه يغرّ الخلق بأقواله الباطلة وأفعاله المزخرفة ويجذبهم بها إليه ويوقعهم في شركه وحبالته كما يغرّ الصياد الصّيد يخدعه حتى يوقعه في شركه الّذي نصبه له **(قد حمل الكتاب على آرائه)** أراد عليه السلام أنه حمل كتاب الله على مقتضى رأيه وهواه، وذلك لجهله بفحواه ومعناه وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من فسّر القرآن برأيه فليتبوّء مقعده من النّار[(١)]، وكفى بكلامه عليه السلام شاهداً أن كلاّ من الفرق المختلفة كالمشبّهة والمجسّمة والكراميّة والأشعرية والمعتزلة وغيرها على كثرتها قد تعلّق في إثبات مذهبه بالقرآن، فكلّ يأوّله على رأيه ويخرجه على معتقده مع أن قول الكل باطل وتأويل الجميع فاسد.

﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقوله عليه السلام (وعطف الحق على أهوائه) عطف تفسير وتوضيح إذ الكتاب حقّ وما فيه ومن حمله على رأيه فقد عطف الحق على هواه وجعل هواه حقّاً بتأويل ما.

﴿وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ﴾ [المؤمنون: ٧١].

(يؤمن الناس من العظائم ويهون) في نظرهم **(كبير الجرائم)** بذكر الآيات الدّالة على الوعد والأحاديث المحصّلة للطمع والرّجا كقوله تعالى:

﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقوله صلى الله عليه وآله: **(حبّ عليّ حسنة لا يضرّ معها سيئة)**، ونحو ذلك وإنما يهوّنها في نظرهم ويؤمنهم منها استجلاباً لقلوبهم وطلباً للوقع عند الجهال من الأمرا وأرباب المناصب ونحوهم من المنهمكين في الشّهوات والباغين للّذات والمقتحمين في الشبهات والمحرمات الذين لا يبالون في شيء منها طمعاً في أنه سبحانه قابل التّوبات وغافر الخطيئات وماحي السّيئات.

وهذا من تسويلات الشّيطان اللّعين وتدليسات ذلك الفاسق المتوسم بسمة العالم إذ الخوف توأم الرجاء والوعد ردف الوعيد، وهو تعالى قهّار كما أنّه غفّار، فاللاّزم للعالم أن يلاحظ المقام وينظر مواقع الكلام فيورد أدلّة الرجاء في مجالس الخائفين، وآيات الخوف في مجالس الآمنين كي لا ييأس الخائف من روح الله ولا يأمن الآمن من غضب الله.

---

(١) عوالي اللئالي: ٤/ ١٠٤، نور البراهين: ١/ ١٨٧.

(يقول أقف عند الشّبهات) توقياً وتورّعاً **(وفيها وقع)** لجهله بها وغفلته عنها والوقوف عندها فرع العلم **(ويقول اعتزل البدع)** المخالفة للقوانين الشرعية **(وبينها اضطجع)** لجهله بها أيضاً **(فالصّورة صورة إنسان)** تامّ الأعضاء والأركان بهيّ الهيئة عذب اللسان **(والقلب قلب حيوان)** له أذنان محجوب عن إدراك حقائق العرفان.

وكأين ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلّم
لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلاّ صورة اللّحم والدّم

(لا يعرف باب الهدى فيتبعه ولا باب العمى فيصدّ عنه) يعني أنه بسبب جهله المركب لا يعرف قانون الهداية إلى الرّشاد فيلزمه، ولا واجه الدّخول في الباطل فيتركه، وذلك لأَن الجاهل المركب لما أُلحد عن سبيل الله واعتقد بخلاف الواقع امتنع مع ذلك أن يعرف باب الهدى ومبدأ الدّخول إليه فلا يمكن له اتّباعه، ولمّا اعتقد أنّ ما جزم به من الباطل هو الحق امتنع معه أن يعرف مبدأ دخوله في الجهل وهو باب العمى فامتنع منه أن يصدّ عنه.

(فذلك ميت الأَحياء) يعني أنه ميّت في سلك الأَحياء، وإنّما كان ميّتاً إذ المقصود بالحياة في الحقيقة هو استكمال النّفس واكتساب الفضائل الّتي هي سبب السّعادة الأَبدية والعناية السّرمديّة، ولما كان الجاهل بمعزل عن ذلك فكان بمنزلة الميّت بل ميّتاً في الحقيقة قال الشّاعر:

ليس من مات فاستراح بميّت إنّما الميت ميّت الأَحياء

تنبيه

هذا الفصل من كلام الإمام عليه آلاف التحية والسّلام كاف في ذم العلماء السوء والقدح عليهم والطّعن فيهم، وأعني بالعلماء السوء المتّصفين بالأَوصاف المذكورة في هذا الفصل، وهم العلماء الآخذون بالبدع والآراء، والعاملون بالمقاييس والأَهواء، كعلماء العامة وقضاتها الّذين لم يأخذوا العلم من ينابيعه، ولم يتعلّموا القرآن من أهله واستغنوا عن عترة النّبي ﷺ وحيث ضاق بهم المجال في الوصول إلى حقيقة الحال اضطروا إلى الأَخذ بالرّأي والقياس ففسّروا القرآن بآرائهم، وعطفوا الحقّ على أهوائهم، وعملوا في مسائل الحلال والحرام والحدود والأَحكام بأقيستهم، فأبدعوا في الدّين، وغيّروا شرح سيّد المرسلين صلوات الله عليه وآله أجمعين، هذا.

ومثلهم في استحقاق الذّم والطّعن العلماء السوء منّا، وهم الذين تعلّموا العلم من أهله، وأخذوه من أحاديث الأئمة، ورجعوا في تفسير القرآن إلى تفسير خير الأمة إلا أنّهم لم يعملوا بعلمهم، ووصفوا الحقّ فخالف فعلهم قولهم، وهم علماء الدّنيا الذين قصدهم من العلم التّنعم بالدّنيا والتوصّل إلى الجاه والمنزلة عند أهلها.

والآيات والأخبار في ذمّ هؤلاء وتشديد الأمر عليهم فوق حدّ الاحصاء ومتجاوزة مرتبة الاستقصاء، وينبغي أن نورد هنا شطراً منها ممّا يناسب المقام.

فأقول: روى ثقة الإسلام الكلينيّ في «الكافي» عن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: منهومان لا يشبعان: طالب دنيا، وطالب علم، فمن اقتصر من الدّنيا على ما أحلّ الله له سلم، ومن تناولها من غير حلّها هلك إلاّ أن يتوب أو يراجع، ومن أخذ العلم من أهله وعمل بعلمه نجا، ومن أراد الدّنيا فهي حظّه[1].

وعن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من أراد الحديث لمنفعة الدّنيا لم يكن له في الآخرة نصيب، ومن أراد به خير الآخرة أعطاه الله خير الدّنيا والآخرة.

وعن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا رأيتم العالم محبّاً لدنياه فاتّهموه على دينكم، فإن كلّ محبّ شيء يحوط ما أحبّ وقال عليه السلام: أوحى الله إلى داود عليه السلام لا تجعل بيني وبينك عالماً مفتوناً بالدّنيا فيصدّك عن طريق محبّتي، فإنّ أولئك قطّاع طريق عبادي المريدين إليّ، إنّ أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوة مناجاتي من قلوبهم[2].

وعن ربعي بن عبد الله عمّن حدّثه عن أبي جعفر عليه السلام قال: من طلب العلم ليباهي به العلماء أو يماري به السّفهاء أو يصرف به وجوه النّاس إليه فليتبوّء مقعده من النّار، إنّ الرئاسة لا تصلح إلاّ لأهلها[3].

وعن حفص بن غياث عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يا حفص يغفر للجاهل سبعون ذنباً قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد.

وعن حفص أيضاً قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قال عيسى ابن مريم عليه السلام: ويل للعلماء السوء كيف تلظى عليهم النّار[4].

وعن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى:

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤].

قال: هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثمّ خالفوه إلى غيره[5].

(١) الكافي: ١/٤٦ ح ١، تهذيب الأحكام: ٦/٣٢٨ ح ٩٠٦.
(٢) الكافي: ١/٤٦ ح ٤، علل الشرائع: ٢/٣٩٥.
(٣) الكافي: ١/٤٧ ح ٦، شرح أصول الكافي: ٢/١٦٣ ح ٦.
(٤) الكافي: ١/٤٧ ح ٢، شرح أصول الكافي ٢/١٦٦ ح ٢.
(٥) المحاسن: ١/١٢١ ح ١٣٥.

وعن سليم بن قيس الهلالي قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يحدّث عن النّبي صلى الله عليه وآله أنه قال في كلام له: العلماء رجلان: رجل عالم أخذ بعلمه فهذا ناج، وعالم تارك لعلمه فهذا هالك، وإن أهل النّار ليتأذّون من ريح العالم التّارك لعلمه، وإن أشدّ أهل النّار ندامة وحسرة رجل دعا عبداً إلى الله فاستجاب له وقبل منه فأطاع الله فأدخله الله الجنة فأدخل الداعي النّار بترك علمه واتّباعه الهوى وطول الأمل، أمّا اتباع الهوى فيصدّ عن الحق وأمّا طول الأمل فينسي الآخرة[(١)].

وعن عبد الله بن القاسم الجعفري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلّت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصّفا.

أقول: ونعم ما قيل في هذا المعنى:

يا واعظ النّاس قد أصبحت متّهماً ... إذ عبت منهم أموراً أنت تأتيها
أصبحت تنصحهم بالوعظ مجتهداً ... فالموبقات لعمري أنت جائيها
تعيب دنيا وناساً راغبين لها ... وأنت أكثر منهم رغبة فيها

وفيه عن عليّ بن هاشم بن البريد عن أبيه قال: جاء رجل إلى عليّ بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب ثمّ عاد ليسأل عن مثلها فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: مكتوب في الإنجيل لا تطلبوا علم ما لا تعلمون ولما تعملوا بما علمتم فإنّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلاّ كفراً ولم يزدد من الله إلاّ بعداً[(٢)].

وعن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: بم يعرف النّاجي؟ قال عليه السلام: من كان فعله لقوله موافقاً فأثبت له الشهادة، ومن لم يكن فعله لقوله موافقاً فإنّما ذلك مستودع[(٣)].

أقول: قال الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

هذا والأخبار العامية في ذلك الباب كثيرة جدّاً وقد أكثر أبو حامد الغزالي في «إحياء العلوم» من رواياتها.

ففيه قال صلى الله عليه وآله: «إنّ أشدّ النّاس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه». وعنه صلى الله عليه وآله

(١) مستدرك الوسائل: ١١/٣٠٥ ح ١٣١٠٧ عوالي اللئالي: ٤/٧٦.
(٢) الكافي: ١/٤٥، وشرح أصول الكافي: ٢/١٤٤ ح ٤.
(٣) المحاسن: ١/٢٥٢ ح ٢٧٤، والكافي: ١/٤٥ ح ٥.

أنّه قال: «لا يكون المرء عالماً حتّى يكون بعلمه عاملاً»، وقال ﷺ: «العلم علمان علم على اللّسان فذلك حجّة الله على خلقه وعلم في القلب فذلك العلم النّافع»، وقال عليه السلام «إنّ العالم ليعذّب عذاباً يطيف به أهل النّار استعظاماً لشدّة عذابه»، وقال أسامة بن زيد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالعالم يوم القيامة فيلقى في النّار فتندلق أقتابه فيدور بها كما يدور الحمار بالرّحى فيطيف به أهل النّار فيقولون مالك؟ فيقول كنت آمر بالخير ولا آتيه، وأنهي عن الشّرور وآتيها»[(١)].

وروى معاذ بن جبل موقوفاً[(٢)] وموفوعاً في رواية عن النبيّ ﷺ قال: من فتنة العالم أن يكون الكلام أحبّ إليه من الاستماع، وفي الكلام تنميق وزيادة ولا يؤمن على صاحبه الخطأ، وفي الصّمت سلامة وعلم.

ومن العلماء من يخزن علمه فلا يحب أن يوجد عند غيره فذلك في الدّرك الأوّل من النّار، ومن العلماء من يكون في علمه بمنزلة السّلطان إن ردّ عليه شيء من علمه أو تهوّن بشيء من حقّه غضب، فذلك في الدّرك الثاني من النار، ومن العلماء من يجعل علمه وغرائب حديثه لأهل الشرف واليسار ولا يرى أهل الحاجة له أهلاً فذلك في الدّرك الثالث من النّار، ومن العلماء من ينصب نفسه للفتيا فيفتى بالخطأ والله تعالى يبغض المتكلّفين، فذلك في الدّرك الرّابع من النّار، ومن العلماء من يتكلّم بكلام اليهود والنّصارى ليعزّز به علمه، فذلك في الدّرك الخامس من النّار، ومن العلماء من يتّخذ علمه مروّة ونيلاً وذكراً في النّاس، فذلك في الدّرك السادس من النّار، ومن العلماء من يستفزّه الزهو والعجب فإن وعظ أنف، فذلك في الدّرك السّابع من النّار، إلى غير هذه مما رواه فيه، وهي كافية في الدّلالة على عظم وزر العالم في معاصيه وكون عذابه أشدّ وحسرته أدوم.

وسرّ ذلك أمران: **الأول**: أن العالم إذا عصى يزل بعصيانه خلق كثير كما قيل: إذا فسد العالم فسد العالم، فمن تناول شيئاً من المحرمات وقال للنّاس لا تتناولوه سخر به النّاس واستهزؤوه وزاد حرصهم على ما نهوا عنه، فيقولون لولا أنه أطيب شيء وألذّه لما كان يستأثر به نفسه ويقدم عليه فيقتدي به الخلق في سوء عمله ويتبعونه فيلحق به مثل وزرهم، مضافاً إلى وزر نفسه كما قال: من سنّ سنّة سيّئة كان له مثل وزر من عمل بها.

وعن أمير المؤمنين عليه السلام قصم ظهري رجلان: عالم متهتّك، وجاهل متنسّك فالجاهل يغرّ النّاس بتنسكه والعالم يغرّهم بتهتّكه[(٣)].

---

(١) بحار الأنوار: ٢/ ٣٨ ح ٦٤، وميزان الحكمة: ١/ ٤٧٣ ح ٦١٨.
(٢) الموضوعات: ١/ ٢٦٥.
(٣) معدن الجواهر: ٢٦، وعيون الحكم والمواعظ: ٤٧٩.

والثاني: أن عصيان العالم مع اتّصافه بصفة العلم كاشف عن منتهى خبث طينته وسوء سريرته وغاية جرءته على مولاه، وذلك بخلاف الجاهل فإنه إمّا جاهل ساذج فلا تكليف في حقّه إذ الجهل مانع من أن يتوجّه إليه حكم أو خطاب، فليس في حقّه أمر ولا نهي فلا ثواب ولا عقاب، وإمّا جاهل في الجملة فليس له معرفة مثل المعرفة الّتي للعالم ولذلك جعل الله سبحانه ثواب المطيعات من نساء النبيّ ﷺ والعاصيات منهنّ ضعف ما لغيرهنّ، لكونهنّ عارفات عالمات بإدراكهن حضور النبي ﷺ وصحبته كما قال عزّ من قائل:

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ۝٣٠، ۞ وَمَن يَقۡنُتۡ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعۡمَلۡ صَٰلِحٗا نُّؤۡتِهَآ أَجۡرَهَا مَرَّتَيۡنِ وَأَعۡتَدۡنَا لَهَا رِزۡقٗا كَرِيمٗا ۝٣١﴾ [الأحزاب: ٣٠-٣١].

وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥].

لأنهم جحدوا بعد العلم وجعل اليهود شراً من النّصارى مع أنهم ما جعلوا لله تعالى ولداً ولا قالوا: إنّه سبحانه ثالث ثلاثة إلاّ أنهم أنكروا بعد المعرفة إذ قال الله:

﴿يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ﴾ [البقرة: ١٤٦] وقال: ﴿جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩] وفي سورة الجمعة: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ بِئۡسَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥﴾.

إذا ظهر لك أيها العالم ذلك فلا يغرّنك الشّيطان ولا يصدنّك عن سبيل ربّك ولا ينبغي لك أن تعرّض نفسك للهوان ولغضب الرحمٰن، ولا يجوز لك أن تؤثر دنياك على آخرتك ولا أن تتبع هوى نفسك أو تأمر النّاس بالبرّ وتنسى نفسك، أو تقول ما لا تفعل، فقد كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون فالويل كلّ الويل لمن اتبع هواه وباع آخرته بدنياه.

عجبت لمبتاع الضّلالة بالهدى ... ومن يشتري دنياه بالدّين أعجب
وأعجب من هذين من باع دينه ... دنيا سواه فهو من ذين أعجب

الترجمة

و شخص دیگری هست که نسبت داده شده به اهل علم و حال آنکه عالم نیست، پس کسب نمود جهالت ها را از جهال روزگار و ضلالت ها را از گمراهان نابکار و نصب نمود از جهت فریفتن مردم دام های حیل ها را از ریسمان های فریب و از گفتار دروغ. به تحقیق که حمل کرده کتاب مجید را بر رأی های باطل خود و میل داده حق را بر آرزوهای عاطل خود، ایمن میگرداند مردم را از گناهان عظیم و آسان می گرداند جرم های بزرگ را.

می گوید که وقوف می کنم و باز می ایستم از شبهه ها و حال آنکه در آنها افتاده و می گوید که اعتزال می کنم و کناره جوئی می نمایم از بدعت ها و حال آنکه در میان آنها خواب کرده، پس صورت آن مثل صورت انسان است و قلب آن مثل قلب حیوان، پس نمی شناسد باب هدایت را تا پیروی کند آن را و نه باب ضلالت را، پس باز ایستد از آن، پس این شخص کذائی مرده زنده است، چه متّصف است به جهل ابدی که موت است در صورت حیات.

الفصل الثالث

فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ، وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ، والأَعْلامُ قائِمَةٌ، وَالآيَاتُ واضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ، فَأَيْنَ يُتاهُ بِكُمْ، بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ، وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ، وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ، وأَعْلامُ الدِّينِ، وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ، فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ، وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطاشِ، أَيُّهَا النّاسُ خُذُوها عَنْ خاتَمِ النَّبِيِّينَ ﷺ إنَّهُ يَمُوتُ مَنْ ماتَ مِنّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ، وَيَبْلَىٰ مَنْ بَلَى مِنّا وَلَيْسَ بِبالٍ، فَلاَ تَقُولُوا بِمَا لا تَعْرِفُونَ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيما تُنْكِرُونَ، وأَعْذِرُوا مَنْ لا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَا هُوَ، أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثِّقْلِ الأَكْبَرِ، وَأَتْرُكْ فِيكُمْ الثَّقَلَ الأَصْغَرَ، ورَكَزْتُ فيكُمْ رايَةَ الإِيمانِ، ووَقَّفْتُكُمْ عَلى حُدُودِ الْحَلالِ وَالْحَرام، وأَلْبَسْتُكُمُ الْعافِيَةَ مِنْ عَدْلِي، وفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وفِعْلِي، وأَرَيْتُكُمْ كرائِمَ الأَخْلاَقِ مِنْ نَفْسِي، فَلاَ تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيما لا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ، ولا يَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ[1].

اللغة

(**أفك**) افكاً كذب وافكه عنه صرفه وقلبه أو قلب رأيه و(**المنار**) العلم المنصوب في الطريق ليهتدي به الضّال والموضع المرتفع الذي يوقد في أعلاه النّار و(**تاه**) تيهاً وتيهاناً ضلّ وتحير وتاه في الأرض ذهب متحيّراً ومنه قوله تعالى:

﴿يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦].

أي يحارون ويضلّون و(**عمه**) في طغيانه عمها من باب تعب إذا تردد متحيّراً قال سبحانه:

﴿فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة: ١٥].

ورجل عمه وعامه أي متحيّر حائر عن الطريق و(**ورد**) البعير وغيره الماء ورداً ووروداً بلغه ووافاه من غير دخول وقد يحصل دخول فيه و(**الهيم**) بالكسر الإبل العطاش و(**بلى**) الثوب يبلى من باب رضى بلىً بالكسر والقصر وبلاء بالضمّ والمدّ.

و(**الثقل الأكبر**) في بعض نسخ الكتاب بكسر (**الثاء**) وسكون (**القاف**) و(**الثقل الأصغر**) بالتحريك قال بعض شراح الحديث في شرح قول النبيّ ﷺ إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي: إنه من الثقيل سمّيا بذلك لكون العمل بهما ثقيلاً والأكثر على أنه من الثقل محرّكة.

---

(١) شرح أصول الكافي: ٢/٣٠٢ ح ٩، والأصول الأصلية: ١٢٢.

قال في «القاموس» والثقل محرّكة متاع المسافر وحشمه وكلّ شيء نفيس مصون، ومنه الحديث إنّي تارك فيكم الثّقلين (آه) و(**ركزت الرمح**) ونحوه ركزاً من باب قتل أثبته بالأرض فارتكز و(**فرشت**) البساط وغيره فرشاً من باب قتل وضرب بسطته و(**تغلغل**) تغلغلاً أسرع.

الإعراب

(**أين**) اسم استفهام سؤال عن المكان، (**وأنّى تؤفكون**) بمعنى كيف كما فسّر به قوله:

﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣].

والمقصود بالاستفهام التوبيخ، (**والواو**) في قوله ﷺ: (**والإعلام قائمة**) للحال، وكذلك في قوله (**وبينكم**)، (**والفاء**) في قوله (**فانزلوهم**) فصيحة، والضمير في قوله (**خذوها**) راجع إلى ما يفهم من المقام من الفائدة والرّواية ونحوهما على حدّ قوله: (**توارت بالحجاب**) وقوله: (**ألم أعمل**) إما استفهام تقريري لما بعد النفي أو إنكار إبطالي وهو الأظهر، وجملة (**أنه يموت**) (آ ه) بدل من مفعول خذوها، فإن المشهور جواز ابدال الظاهر من الضمير إذا كان غائباً.

اعلم أنّه ﷺ لما شرح في الفصلين السّابقين حال المتقين والفاسقين وذكر في بيان صفات الفسّاق أنهم أخذوا الجهالة والضلالة من الجهّال والضّلال عقب ذلك بالأمر بملازمة أئمة الدّين وأعلام اليقين لكونهم القادة الهداة أدلاء على طريق النّجاة وكون لزومهم باعثاً على التّقوى ومحصلاً للقربى ووبخ المخاطبين أوّلاً بصدّهم عن الحقّ وميلهم إلى الباطل وعدولهم عن أئمة الأنام عليهم الصّلاة والسّلام بقوله: (**فأين تذهبون**) أي أيّ طريق تسلكون أبين من طريق الحقّ وهذه الجملة مأخوذة من قوله سبحانه في سورة التكوير:

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير: ٢٢ - ٢٨].

روى علي بن إبراهيم في تفسير هذه الآية عن جعفر بن محمّد ﷺ قال: حدّثنا عبد الله بن موسى عن الحسن بن عليّ بن أبي حمزة عن أبيه عن أبي بصير عن أبي عبد الله ﷺ قال: قلت: قوله:

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾ [التكوير: ٢٢].

قال: يعني النبيّ ﷺ ما هو بمجنون في نصبه أمير المؤمنين ﷺ علماً للنّاس. قلت قوله:

﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ [التكوير: ٢٤].

قال ما هو تبارك وتعالى على نبيه بغيبه بضنين عليه قلت:

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [التكوير: ٢٥].

قال: كهنة الذين كانوا في قريش فنسب كلامهم إلى كلام الشّيطان الّذين كانوا معهم يتكلّمون على ألسنتهم فقال: وما هو بقول شيطان رجيم مثل أولئك قلت:

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [التكوير: ٢٦، ٢٧].

قال عليه السلام: أين تذهبون في عليّ يعني ولايته أين تفرّون منها إن هو إلاّ ذكر للعالمين أخذ الله ميثاقه على ولايته، قلت: قوله:

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾ [التكوير: ٢٨].

قال: في طاعة عليّ والأئمة عليهم السلام من بعده **(وانّى تؤفكون)** أي تصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره وتقلبون عن طريق الهدى إلى سمت الضلالة والرّدى كما قال تعالى في سورة الأنعام:

﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَىٰ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٩٥﴾﴾ وفي سورة الملائكة: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾﴾ وفي سورة غافر:

﴿ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ٦٢ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ٦٣﴾ [غافر: ٦٢-٦٣].

قال الطبرسي في تفسير هذه الآية: أي الذي أظهر هذه الدّلالات وأنعم بهذه النّعم هو الله خالقكم ومالككم خالق كلّ شيء من السّماوات والأرض وما بينهما لا يستحقّ العبادة سواه فكيف تصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع وضوح الدّلالة على توحيده[1]، هذا.

ولا يخفى عليك أن ما ذكرته في شرح هذه الفقرة إنّما هو أخذاً بظاهر كلامه عليه السلام ولكن الأظهر بمقتضى السّياق أنه عليه السلام أراد بها توبيخ المخاطبين على العدول عنه فيكون معنى قوله: أنّى تؤفكون أنى تقلبون عني وعن ولايتي وملازمتي.

ومثل ذلك قوله عليه السلام (والأعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة) فإنه يجوز أن يراد به أعلام القدرة وآيات المقدرة وآثار التوحيد ومنار التفريد وأدلة الوجود من المهاد

(١) مجمع البيان: ٨/٤٥٢.

الموضوع والسّماء المرفوع واختلاف اللّيل والنّهار والفلك الجاري في البحر الزخّار والمطر النّازل من السّحاب الذي أحيي به الأرض بعد موتها وبث فيها من الدّواب إلى غير هذه من دلائل التوحيد والجلال وعلائم الكمال والجمال.

إلاّ أنّ الأظهر أن المراد بها هو أعلام الدّين وآيات اليقين ومنار الهدى وأئمة الورى، ويشهد بذلك ما ورد في حديث وصفهم عليهم السلام: جعلتهم أعلاماً لعبادك ومناراً في بلادك أي هداة يهتدي بهم.

ويدلّ عليه الأخبار الواردة في أنّهم عليهم السلام آيات الله وبيّناته، مثل ما في البحار من تفسير عليّ بن إبراهيم مسنداً عن أبي حمزة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ:

﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَن يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٣٩].

قال أبو جعفر عليه السلام: نزلت في الّذين كذّبوا في أوصيائهم صمّ وبكم كما قال الله في الظّلمات من كان من ولد إبليس فإنّه لا يصدق بالأوصياء ولا يؤمن بهم أبداً، وهم الذين أضلّهم الله ومن كان من ولد آدم عليه السلام آمن بالأوصياء وهم على صراط مستقيم. قال: وسمعته يقول؛ كذبوا بآياتنا كلّها في بطن القرآن إن كذبوا بالأوصياء كلّهم[1]، ومنهم في قوله:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: ٧].

قال أمير المؤمنين عليه السلام والأئمة صلوات الله عليهم، والدّليل على ذلك قول أمير المؤمنين عليه السلام: ما لله آية أكبر منّي[2].

ومنه بإسناده عن داود بن كثير الرّقي قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله:

﴿وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

قال عليه السلام: الآيات الأئمة والنّذر الأنبياء عليهم السلام.

ومنه عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله:

﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ [الشعراء: ٤].

قال: تخضع رقابهم يعني بني أمية[3]، وهي الصّيحة من السّماء باسم صاحب

(١) بحار الأنوار: ٣٦/ ١٧٥ ح ١٦٤.
(٢) بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٠٦ ح ١، وتفسير أبي حمزة الثمالي: ١٦٣ ح ٨٩.
(٣) بحار الأنوار: ٩/ ٢٢٨ ح ١١٦، ومعجم أحاديث الإمام المهدي: ٥/ ٢٩٦ ح ١٧٢٦.

الأمر عليه السلام إلى غير ذلك مما ورد عنهم عليهم السلام في تفسير الآيات القرآنية مما لا نطيل برواياتها، فقد ظهر بذلك كلّه أنهم المراد بالآيات الواضحة فيكون إطلاقها عليهم باعتبار أنهم علامات جليلة واضحة لعظمة الله وقدرته وعلمه ولطفه ورحمته.

فما آية لله أكبر منهم ... فهم آية من دونهم كلّ آية

سرى سرّهم في الكائنات جميعها ... فمن سرّهم لم يخل مثقال ذرّةٍ

هذا وقوله (**فأين يتاه بكم بل كيف تعمهون**) تأكيد لقوله فأين تذهبون وأنّى تؤفكون، فإنه لمّا سألهم عن إفكهم وذهابهم ووبخهم عليه أكده بذلك مشيراً به إلى أن الإفك والذّهاب موجب لتيههم وتحيّرهم وعمههم وضلالتهم.

وأكد الجملة الحالية السّابقة أعني قوله: (**والاعلام قائمة**) الخ بقوله (**وبينكم عترة نبيّكم**) مشيراً به إلى أنّهم المراد بالإعلام والآيات، والمراد بعترة النّبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.

ويدلّ عليها ما في «البحار» من «العيون» و«معاني الأخبار» عن الهمداني عن علي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن غياث بن إبراهيم عن الصّادق عن آبائه عليهم السلام قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن معنى قول رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّي مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي، من العترة؟ فقال: أنا والحسن والحسين والأئمة التسعة من ولد الحسين عليهم السلام تاسعهم مهديهم وقائمهم لا يفارقون كتاب الله ولا يفارقهم حتّى يردوا على رسول الله صلى الله عليه وآله حوضه[1].

وسيأتي في شرح الخطبة الثّالثة والتسعين مزيد تحقيق في معنى العترة إن شاء الله (**وهم أزمة الحقّ وألسنة الصدق**) يعني أنّهم عليهم السلام القائدون يقودون الخلق إلى الحق كما تقاد النّاقة بالزمام إلى الطريق، وهم تراجمة الوحي كما أن اللّسان ترجمان النفس ويدلّ على الأوّل وصفهم في فقرات الزيارة الجامعة بقوله: وقادة الأمم، يعني أنهم عليهم السلام قادة الأمم إلى معرفة الله ودينه يقودونهم بدعائهم وتعريفهم وأمرهم وترغيبهم إلى المعرفة والدّين، فمن أجاب قادوه إلى الجنة ومن أناب ساقوه إلى النّار كما قال عليه السلام: أنا قسيم الجنّة والنّار، وهو نعمة الله على الأبرار ونقمته على الفجّار.

ويدلّ على الثاني وصفهم عليهم السلام في فقرات الزيارة المذكورة بقوله: وتراجمة لوحيه، يعني أنّهم المؤدّون من الحق إلى الخلق فلا يخفى ما بين القرينتين في كلامه عليه السلام من الحسن واللّطف حيث إن محصل معناهما أنهم عليهم السلام دلائل للخلق على الحق ووسائط للحق إلى الخلق، هذا.

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ١١٤، وكتاب سليم بن قيس: ٢٩٧.

ويجوز أن يكون المراد بقوله: **(وهم أزمة الحقّ)** أن زمام الحق بيدهم عليهم السلام فيكون مساقه مساق قول رسول الله ﷺ: الحقّ مع عليّ وهو مع الحق أينما دار[(١)].

ومن طرق الخاصة متواتراً عن النّبي ﷺ والأئمة صلوات الله وسلامه عليه وعليهم: الحق مع الأئمة الاثنى عشر، وفي فقرات الزيارة الجامعة: والحق معكم وفيكم ومنكم وإليكم وأنتم أهله ومعدنه[(٢)].

وأن يكون المراد بقوله عليه السلام (وألسنة الصدق) أنهم لا يقولون إلاّ صدقاً وحقّاً فيكون تصديقاً لدعاء إبراهيم حيث إنّه دعا ربّه بما حكاه الله عنه بقوله في سورة الشعراء:

﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤].

أي اجعل صادقاً من ذرّيتي يجد أصل ديني ويدعو النّاس إلى ما كنت أدعوهم إليه، فاستجاب الله دعوته واصطفى من ذرّيته محمّداً وآله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم وجعلهم لسان صدق له.

ويؤيد ذلك ما في تفسير القمي عند قوله:

﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ﴾ [الشعراء: ٨٤].

قال: هو أمير المؤمنين عليه السلام. وفي «مجمع البيان» في تفسير قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

قال الطّبرسي أي اتّقوا معاصي الله واجتنبوا وكونوا مع الصّادقين الذي يصدقون في أخبارهم ولا يكذبون، ومعناه كونوا على مذهب من يستعمل الصدق في أقواله وأفعاله وصاحبوهم ورافقوهم وقد وصف الله الصّادقين في سورة البقرة بقوله:

﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ [البقرة: ١٧٧] إلى قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

فأمر سبحانه بالاقتداء بهؤلاء، وقيل: المراد بالصّادقين هم الذين ذكرهم الله في كتابه وهو قوله:

﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَـٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

يعني حمزة بن عبد المطلب وجعفر بن أبي طالب.

---

(١) بحار الأنوار: ٩٩/ ١٢٩، وشرح الزيادة الجامعة: ٢٤.

(٢) الكافي: ١/ ٢٩٤، والخصال: ٥٥٩.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ [الاحزاب: ٢٣] يعني علي بن أبي طالب عليه السلام.

وروى الكليني عن أبي صالح عن ابن عبّاس قال: كونوا مع الصّادقين مع عليّ عليه السلام وأصحابه.

وروى جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله وكونوا مع الصّادقين، قال: مع آل محمّد سلام الله عليهم[(1)].

ثمّ إنّه عليه السلام بعد توصيف العترة الطّاهرة بأنّهم أزمة الحقّ وألسنة الصدق أمر بتعظيمهم وإجلالهم بقوله: **(فأنزلوهم بأحسن منازل القرآن)** قال الشّارح المعتزلي في شرحه: إنّه عليه السلام أمر المكلّفين أن يحروا العترة في إجلالها وإعظامها والانقياد والطّاعة لأوامرها مجرى القرآن.

وقال الشّارح البحراني: اعلم أن للقرآن منازل: الأولى القلب وهو فيه بمنزلتين: **إحداهما**: منزلة الإكرام والتّعظيم، **والثانية**: منزلة التصور فقط، **الثالثة**: منزلته في الوجود اللّساني بالتلاوة، **الرابعة**: منزلته في الدفاتر والكتب، وأحسن منازله هي الأولى فالمراد إذاً الوصية بإكرامهم ومحبّتهم وتعظيمهم كما يكرم القرآن بالمحبّة والتّعظيم.

أقول: فعلى ما ذكراه يكون معنى كلامه عليه السلام أنزلوهم بأحسن المنازل التي كان للقرآن، والأظهر عندي أن معناه أنزلوهم بأحسن المنازل التي أثبتها القرآن لهم، فإن المنازل الثابتة لهم عليهم السلام بالآيات القرآنيّة متفاوتة مختلفة في العلوّ والرفعة فأمر عليه السلام بإنزالهم بأحسن المنازل وأسنى المراتب، وهو بأن يستمسكوا بأظهر الآيات دلالة على رفعة شأنهم وعلوّ مقامهم مثل قوله سبحانه:

﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [المائدة: ٥٥] الدّال على خلافتهم وولايتهم (ع) بقوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]. الدّال على عصمتهم وطهارتهم وقوله: ﴿قُل لَّا أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] الدّال على ملازمتهم ومودّتهم.

روى الطّبرسي في «مجمع البيان» في تفسير الآية الأخيرة من كتاب شواهد التنزيل مرفوعاً إلى أبي أمامة الباهلي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إن الله خلق الأنبياء من أشجار شتى وخلقت أنا وعليّ من شجرة واحدة فأنا أصلها وعلي فرعها والحسن والحسين ثمارها وشيعتنا أوراقها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها نجا، ومن زاغ هوى، ولو أنّ عبداً عبد الله بين الصّفا والمروة ألف عام ثمّ ألف عام ثمّ ألف عام حتى يصير كالشن البالي ثمّ لم يدرك محبّتنا أكبّه

(١) بحار الأنوار: ٢٤/ ٣٠ ح ٢٦، والتبيان: ٥/ ٣١٨.

الله على منخريه في النّار[١] ثمّ تلا:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

قال الطبرسي: وروى زاذان عن عليّ عليه السلام قال: فينا في **(ال حم)** آية لا يحفظ مودّتنا إلاّ كلّ مؤمن[٢] ثمّ قرأ هذه الآية وإلى هذا أشار الكميت في قوله:

وجدنا لكم في آل حم آية تأوّلها منّا تقيّ ومعرب

وفي «البحار» ذكر أبو حمزة الثّمالي في تفسيره حدّثني عثمان بن عمير عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله حين قدم المدينة واستحكم الإسلام قالت الأنصار فيما بينهم: نأتي رسول الله فنقول له: إنه تعروك أمور فهذه أموالنا فاحكم فيها غير حرج ولا محظور عليك، فأتوه في ذلك فنزل:

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

فقرأها عليهم فقال: تودّون قرابتي من بعدي، فخرجوا من عنده مسلمين لقوله، فقال المنافقون: إنّ هذا لشيء افتراه في مجلسه أراد بذلك أن يذلّلنا لقرابته من بعده فنزلت:

﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الشورى: ٢٤].

فأرسل إليهم فتلاها عليهم فبكوا واشتدّ عليهم فأنزل الله:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥] الآية.

فأرسل في أثرهم فبشّرهم وقال: **(ويستجيب الله الذين آمنوا)**[٣] وهم الذين سلّموا لقوله ثمّ قال سبحانه: ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣].

أي من فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسناً بأن نوجب له الثواب.

وذكر أبو حمزة الثمالي عن السّدي أنّه قال: اقتراف الحسنة المودّة لآل محمّد صلى الله عليه وآله.

وصحّ عن الحسن بن عليّ عليهما السلام أنّه خطب النّاس فقال في خطبته: أنا من أهل البيت الذين افترض الله مودّتهم على كلّ مسلم فقال:

---

(١) بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٣٠، والإمام علي: ٧٣.
(٢) بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٣٠، والغدير: ٢/ ٣٠٨ ح ٦.
(٣) بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٣١، وتفسير الصافي: ٤/ ٣٧٦.
(٤) تفسير القرطبي: ١٦/ ٢٦.

﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣].

فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت(١).

وروى إسماعيل بن عبد الخالق عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: إنّها نزلت فينا أهل البيت أصحاب الكساءِ(٢)، انتهى كلامه رفع مقامه.

وقال الفخر الرّازي في التفسير الكبير: نقل صاحب «الكشاف» عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: من مات على حبّ آل محمّد مات شهيداً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مغفوراً له، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات تائباً، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات مؤمناً مستكمل الإيمان، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد بشره ملك الموت بالجنّة ثمّ منكر ونكير، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد يزفّ إلى الجنّة كما تزفّ العروس إلى بيت زوجها، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد جعل الله قبره مزار ملائكة الرّحمة، ألا ومن مات على حبّ آل محمّد مات على السنّة والجماعة.

ألا ومن ومات على بغض آل محمّد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمّد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمّد، لم يشمّ رائحة الجنّة(٣)، قال: هذا هو الذي رواه صاحب «الكشّاف».

وأنا أقول: آل محمّد صلى الله عليه وآله هم الذين يؤول أمرهم إليه فكلّ من كان أمرهم إليه أشدّ وأكمل كانوا هم الآل ولا شكّ أن فاطمة وعليّاً والحسن والحسين كان التعلّق بينهم وبين رسول الله أشدّ التّعلّقات، وهذا كالمعلوم بالنّقل المتواتر فوجب أن يكونوا هم الآل، وأيضاً اختلف النّاس في الآل فقيل: هم الأقارب، وقيل: هم أمّته فإن حملناه على القرابة فهم الآل وإن حملناه على الأمة الذين قبلوا دعوته فهم أيضاً آل، فثبت أنّ على جميع التقديرات هم الآل وأمّا غيرهم فهل يدخلون تحت لفظ الآل؟ فمختلف فيه.

قال: وروى صاحب «الكشاف» أنه لمّا نزلت هذه الآية قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ فقال صلى الله عليه وآله: «عليّ وفاطمة وابناهما»، فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبيّ صلى الله عليه وآله وإذا ثبت هذا وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيد التّعظيم.

---

(١) مقاتل الطالبين: ٣٣، وبحار الأنوار: ٢٣/ ٢٣٢.

(٢) بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٥١ ح ٢٦.

(٣) شرح أصول الكافي: ٧/ ٥٥ ح ٧، وبحار الأنوار: ٧/ ٢٢٢.

ويدلّ عليه وجوه:

الأوّل: قوله تعالى: «إلاّ المودّة في القربى»، **والثاني**: لا شكّ أنّ النبي ﷺ كان يحبّ فاطمة عليها السلام قال ﷺ: «فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها»[1]، وثبت بالنّقل المتواتر من محمّد ﷺ أنّه كان يحبّ عليّاً والحسن والحسين، وإذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمّة مثله لقوله:

﴿وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨] ولقوله: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور: ٦٣] ولقوله: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١] ولقوله سبحانه: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

الثّالث: أنّ الدّعاء للآل منصب عظيم ولذلك جعل هذا الدّعاء خاتمة التشهّد في الصّلاة وهو قوله: اللّهمّ صلّ على محمّد وعلى آل محمّد وارحم محمّداً وآل محمّد، وهذا التّعظيم لم يوجد في حقّ غير الآل فكلّ ذلك يدلّ على أن حبّ آل محمّد واجب، وقال الشّافعي:

يا راكباً قف بالمحصب من منى ... واهتف بساكن خيفها والنّاهض
سحراً إذا فاض الحجيج إلى منى ... فيضاً كما نظم الفرات الفائض
إن كان رفضاً حبّ آل محمّد ... فليشهد الثّقلان أنّي رافضي

انتهى كلام الرازي خذله الله.

أقول: ولا يكاد ينقضي عجبي من هذا النّاصب أنّه مع نقله تلك الأخبار المستفيضة المتفق عليها بين الفريقين وإقراره بهذه الفضائل للآل كيف يتعصّب في حق أئمته ويرضى بخلافتهم ويذعن بإمامتهم مع أن دلالة هذه الأخبار على كفرهم وشقاوتهم غير خفية إذ بغضهم لأهل بيت الرّسول في حياته وبعد وفاته ظاهر، وأذاهم لبضعته في إحراق بابها وإسقاط جنينها وغصب فدك منها واضح، وتسليطهم بني أميّة وبني أبي معيط على رقاب أهل البيت وما جرى من الظلم والجور بسبب ذلك عليهم السلام غني عن البيان، وإنما أنطق الله لسانه على الحقّ إتماماً للحجّة وإكمالاً للبيّنة لئلا يقول يوم القيامة:

﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢]﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ [الرعد: ٣٣] ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

ثمّ إنّ الشّارح المعتزلي قال في شرح هذه الفقرة أعني قوله عليه السلام: (**فأنزلوهم بأحسن**

(١) بحار الأنوار: ٣٣/ ٢٣٤.
(٢) بحار الأنوار: ٢٣/ ٢٣٤، وشجرة طوبى: ١/ ٧.

منازل القرآن) بعد كلامه الذي قدّمنا ذكره:

فإن قلت: فهذا القول منه عليه السلام يشعر بأن العترة معصومة فما قول أصحابكم في ذلك؟

قلت: نصّ أبو محمّد بن مشنويه في كتاب «الكفاية» على أنّ عليّاً عليه السلام معصوم وإن لم يكن واجب العصمة ولا العصمة شرط في الإمامة لكن أدلّة النصوص قد دلّت على عصمته والقطع على باطنه ونفسه وإنّ ذلك أمر اختصّ هو به دون غيره من الصّحابة، والفرق ظاهر بين قولنا: زيد معصوم وبين قولنا: زيد واجب العصمة، لأنّه إمام ومن شرط الإمام أن يكون معصوماً فالاعتبار الأوّل مذهبنا والاعتبار الثّاني مذهب الإماميّة، انتهى كلامه هبط مقامه.

وفيه أنّك قد عرفت في مقدّمات شرح الخطبة الشقشقيّة بما لا مزيد عليه وفي غيرها أيضاً أن العصمة شرط في الإمامة، ومحصّل ما قلناه هناك: أنّ غير المعصوم لا يؤمن منه الخطأ والضّلال فكيف يأمنه النّاس في ضلالته وخطئه، وإن شئت زيادة الاستبصار، فارجع ثمة.

وأما قوله عليه السلام: (وردوهم ورود الهيم العطاش) فأشار به إلى اقتباس العلوم واكتساب الأَنوار منهم، فإنهم **(عليهم السلام)** لما كانوا ينابيع العلوم وكان علمهم بمنزلة العذب الفرات وكان الخلق محتاجين إليهم في ذلك حسن منه عليه السلام أن يأمرهم بورودهم ويشبه ورودهم بورود الإبل الظّمآن على الماء وهو نظير قوله سبحانه:

﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْـلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

قال الحارث: سألت أمير المؤمنين عليه السلام عن هذه الآية قال: والله إنّا لنحن أهل الذّكر نحن أهل العلم نحن معدن التأويل والتنزيل.

ثمّ إنّه عليه السلام لما ذكر فضائل الآل ومناقبهم عقّب ذلك وأكده بذكر منقبة أخرى وفضيلة عظمى رواها عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: **(أيّها الناس خذوها عن خاتم النّبيين)** وسيّد المرسلين (صلى الله عليه وآله) أجمعين **(إنّه يموت من مات منّا وليس بميت ويبلى من بلي منّا وليس ببال)**.

اعلم أنّ هذا الحديث من مشكلات الأَحاديث ومتشابهاتها وقد اختلف في توجيهه أنظار الشّراح وتأوّله كلّ بما يقتضيه سليقته ومذاقه، وأعظمهم خبطاً وأشدّهم وهماً الشارح البحراني مع فضله وذكائه وبراعته في علم الحكمة حسبما تطلع عليه ولا غرو فيه فإن الحكمة بعيدة عن مذاق الأَخبار وحاجبة من اقتباس الأنوار والأَسرار المودعة في كنوز أحاديث الأَئمة الأَطهار.

وأنا أتمسّك في شرح المقام بحبل العناية الأَزليّة وأستمد من الحضرة الإلهية وأستمسك بذيل أهل بيت العصمة والطّهارة، وأبين أوّلاً جهة الإشكال وهو أن كلامه عليه السلام بظاهره

متناقض حيث إنّه نفى الموت والبلا عنهم بعد إثباتها عليهم والإيجاب يناقض السلب والسّلب للإيجاب، وأيضاً إنهم عليهم السّلام هل يحكم بموتهم وبلاهم في الواقع ونفس الأمر على ما هو مقتضى الشطر الإيجابي من القضيتين أو لا يحكم بشيء منهما في حقهم على ما يقتضيه الجزء السّلبي منهما.

فأقول: وبالله التوفيق، إنّ حلّ الإشكال في المقام موقوف على تحقيق الكلام في كلّ من القضيتين وبه يرتفع التناقض من البين.

فأمّا القضية الأولى فمحصّل القول فيها أنّ النّبي والأئمة صلوات الله وسلامه عليه وعليهم إلاّ الحجّة المنتظر عجلّ الله فرجه قد انتقلوا من دار الدّنيا إلى دار الآخرة وخرجت أرواحهم من أبدانهم وجرى الموت عليهم حقيقة كما هو نص الجزء الإيجابي من هذه القضية، ونفي الموت عنهم إنما هو من مفتريات عبد الله بن سبأ ومن حذا حذوه من الغلاة مخالف لإجماع الأمة ولنّص الكتاب والسنّة وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ (٣٠)﴾ وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

وأمّا سلب الموت عنهم **(عليهم السلام)** في الجزء الثّاني من القضية فهو محمول على حياتهم بأجسادهم المثالية كما هو مذهب جمع من أصحابنا على ما حكى عنهم الطّبرسي في «مجمع البيان» في تفسير قوله: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

وإليه ذهب المحدّث المجلسي في كتاب حق اليقين ونسبه فيه على ما ببالي إلى المفيد (ره).

وقال في «البحار» في المجلد الرابع عشر منه: ونحن لا ننكر الأجساد المثالية وتعلق الأرواح بها بعد الموت بل نثبتها لدلالة الأحاديث المعتبرة عليها، بل لا يبعد عندي وجودها قبل الموت أيضاً فتتعلق بها الأرواح في حال النوم وشبهه من الأحوال لضعف تعلقها بالأجساد الأصلية فيسير بها في عوالم الملك والملكوت ولا أستبعد في الأرواح القوية تعلقها بالأجساد المثالثة الكثيرة، وتصرفها في جميعها في حاله فلا يستبعد حضورهم عليهم السلام في آن واحد عند جمع كثير من المحتضرين وغيرهم[1].

وقال (ره) في المجلد التاسع منه بعد نقله رواية البرسي في «مشارق الأنوار» استقبال أمير المؤمنين وحضوره جنازة نفسه في ظهر الكوفة عند تشييع الحسنين **(عليهما السلام)** لها:

(١) البحار: ٥٤: ٣٥٥.

ولا أردّ هذه الرّواية لورود الأَخبار الكثيرة الدالة على ظهورهم **(عليهم السلام)** بعد موتهم في أجسادهم المثالية كما نقلنا عنه في شرح الكلام التاسع والسّتين، ولا بعد في ذلك أي في ثبوت الأَجساد المثالية لهم، فقد ثبت ذلك في حق المؤمنين الذين هم من فاضل طينتهم وأشعّة أنوارهم فكيف وهو عليه السلام أمير المؤمنين وهو وأولاده المعصومون سادات أهل الإيمان واليقين بهم سعد من سعد وبولايتهم فاز من فاز وكلّ الكمالات فيهم ومنهم وبهم وإليهم.

روى الكلينيّ في «الكافي» بإسناده عن القاسم بن محمّد عن الحسين بن أحمد عن يونس بن ظبيان قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: ما يقول النّاس في أرواح المؤمنين؟ فقلت: يقولون: تكون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش، فقال أبو عبد الله عليه السلام: سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، يا يونس إذا كان ذلك أتاه محمّد صلى الله عليه وآله وعليّ وفاطمة والحسن والحسين والملائكة والمقرّبون **(عليهم السلام)** فإذا قبضه الله عزّ وجلّ صيّر تلك الروح في قالب كقالبه في الدّنيا فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصّورة التي كانت في الدّنيا[1].

ورواه في «مجمع البيان» عن «تهذيب الأَحكام» للشيخ عن القاسم بن محمّد نحوه.

وفي «الكافي» بإسناده عن أبي بصير قال: قلت لأَبي عبد الله عليه السلام: إنا نتحدث عن أرواح المؤمنين أنّها في حواصل طيور خضر ترعى في الجنّة وتأوي إلى قناديل تحتْ العرش فقال عليه السلام: لا إذاً ما هي في حواصل طير، قلت: فأين هي؟ فقال عليه السلام: في روضة كهيئة الأَجساد في الجنة[2].

وفي «مجمع البيان» و«الصافي» من «التهذيب» عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين، فقال: في الجنة على صور أبدانهم لو رأيته لقلت فلان[3].

وكيف كان فلا غبار على ذلك، وإطباق المشايخ على القدح في يونس بن ظبيان ونسبتهم له إلى الغلو والكذب مع مدح بعضهم له وتلقي جمع منهم روايته هذه بالقبول وبنائهم على مضمونها مع اعتضادها بالرّوايات الأخرى لا يقدح في روايته هذه والعمل عليها، هذا هو الذي يقتضيه النظر الجليل في توجيه سلب الموت عنهم **(عليهم السلام)**.

وأمّا الذي يقتضيه النظر الدقيق فهو أن يقال بحياتهم بعد موتهم بأجسادهم الأَصلية التي

(١) الكافي: ٣/ ٢٤٥ ح ٤٧٤١، وبحار الأنوار: ٦/ ٢٧٠.

(٢) مستدرك سفينة البحار: ٤/ ٢٢١.

(٣) تهذيب الأحكام: ١/ ج٤٦٦ ح ١٥٢٧، وتفسير الصافي: ١/ ٢٠٤.

كانت في الدنيا، ولا غرو فيه بعد دلالة الأخبار المعتبرة عليه.

مثل ما في «الوسائل» في باب كراهة الإشراف على قبر النبيّ ﷺ من فوق عن الكلينيّ عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد البرقي عن جعفر بن المثنى الخطيب قال: كنت بالمدينة وسقف المسجد الذي يشرف على القبر قد سقط، والفعلة يصعدون وينزلون ونحن جماعة، فقلت لأصحابنا: من منكم له موعد يدخل على أبي عبد الله عليه السلام الليلة؟ فقال مهران بن أبي نصر: أنا، وقال إسماعيل بن عمّار الصّيرفي: أنا، فقلنا: سلاه عن الصّعود لنشرف على قبر النبي ﷺ، فلما كان من الغد لقيناهما فاجتمعنا جميعاً، فقال إسماعيل: قد سألناه لكم عمّا ذكرتم فقال: ما أحب لأحد منهم أن يعلوه فوقه ولا آمنه أن يرى منه شيئاً يذهب منه بصره أو يراه قائماً يصلي أو يراه مع بعض أزواجه.

وفي «البحار» من «المناقب» لابن شهر آشوب عن عبد الله بن سليمان وزياد بن المنذور والحسن العباس بن حريش كلّهم عن أبي جعفر عليه السلام وأبان بن تغلب ومعاوية بن عمّار وأبو سعيد المكاري كلّهم عن أبي عبد الله عليه السلام: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لقي الأوّل فاحتج عليه ثمّ قال: أترضى برسول الله ﷺ بيني وبينك؟ فقال: وكيف بذلك؟ فأخذ بيده فأتى به مسجد قبا فإذا رسول الله ﷺ فيه فقضى له على الأوّل.

وفيه من «إرشاد القلوب» عن الصّادق عليه السلام في حديث طويل ذكر فيه احتجاج أمير المؤمنين عليه السلام على أبي بكر بحديث الغدير وغيره فقال أبو بكر: لقد ذكرتني يا أمير المؤمنين أمراً لو يكون رسول الله ﷺ شاهداً فأسمعه منه، فقال أمير المؤمنين: الله ورسوله عليك من الشّاهدين يا أبا بكر إذا رأيت رسول الله ﷺ حيّاً ويقول لك إنّك ظالم لي في أخذ حقّي الذي جعله الله لي ولرسوله دونك ودون المسلمين أتسلّم هذا الأمر إليّ وتخلع نفسك منه؟ فقال أبو بكر: يا أبا الحسن وهذا يكون أرى رسول الله ﷺ حيّاً بعد موته يقول لي ذلك؟ فقال أمير المؤمنين: نعم يا أبا بكر، قال: فأرني ذلك إن كان حقّاً، فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله ورسوله عليك من الشّاهدين إنك تفي بما قلت؟ قال أبو بكر: نعم فضرب أمير المؤمنين عليه السلام على يده وقال: تسعى معي نحو مسجد قبا فلمّا ورداه تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام فدخل المسجد وأبو بكر من ورائه فإذا برسول الله ﷺ في قبلة المسجد، فلمّا رآه أبو بكر سقط لوجهه كالمغشيّ عليه فناداه رسول الله ﷺ: ارفع رأسك أيها الضّليل المفتون، فرفع أبو بكر رأسه وقال: لبيّك يا رسول الله أحياة بعد الموت يا رسول الله؟ فقال عليه السلام: ويلك يا أبا بكر[1].

﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩] الحديث، ونحوها أخبار أخرى.

---

(١) مدينة المعاجز: ٣/ ١٦.

وأنت بعد ذلك لو سنحت بخاطرك سوانح الشبهات وخالجتك الشكوك واحتملت تأويل هذه الأَخبار بالأَجساد المثالية وأردت أن يطمئن قلبك بجواز الحياة على الأَجساد الأَصلية.

فراجع إلى ما رواه في «البحار» من «المناقب» عن أبان بن تغلب والحسين بن معاوية وسليمان الجعفري وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر كلّهم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لمّا حضر رسول الله المماة دخل عليه عليّ عليه السلام فأدخل رأسه معه ثمّ قال: يا علي إذا أنا متّ فغسلني وكفني ثمّ اقعدني وسائلني واكتب، ومن «تهذيب الأَحكام» فخذ بمجامع كفني ثمّ اسألني عما شئت فوالله لا تسألني عن شيء إلاّ أجبتك[1].

ورواه فيه من «البصائر» و«الكافي» و«الخرائج» عن البزنطي عن فضيل عن أبي عبد الله عليه السلام مثله، وفيه وفي رواية أبي عوانة بإسناده قال عليّ عليه السلام: ففعلت فأنبأني بما هو كائن إلى يوم القيامة.

وفي «البحار» أيضاً من «الخرائج» عن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: أمرني رسول الله صلى الله عليه وآله إذا توفي أن أستسقي سبع قرب من بئر غرس فأغسله بها، فإذا غسلته وفرغت من غسله أخرجت من في البيت قال: فإذا أخرجتهم فضع فاك على فيّ ثمّ سلني عمّا هو كائن إلى أن تقوم الساعة من أمر الفتن، قال عليّ عليه السلام: ففعلت ذلك فأنبأني بما يكون إلى أن تقوم الساعة، وما من فئة تكون إلاّ وأنا أعرف أهل ضلالها من أهل حقها[2].

ومن «الخرائج» أيضاً عن حفص بن البختري عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين: إذا أنا متّ فغسّلني وكفّني وما أملي عليك فاكتب قلت: ففعل؟ قال: نعم[3].

ويزيد توضيحاً لذلك الأخبار الواردة في كتاب المقاتل من أنّ الرّأس الأَطيب الأَطهر الأَنور للسّيد الشّهداء روحي وجسمي له الفداء كان ينظر ويتحرّك ويتكلّم بعد قتله عليه السلام فيكبّر تارة ويحوقل أخرى ويقرأ من القرآن آية الكهف وغيرها على السّنان ويخبر عن ما سنح بخاطر ابن وكيدة بالكوفة، إلى غير هذه ممّا شوهدت منه من المعجزات والكرامات، أفيمكن لك أن تقول إن ذلك لم يكن رأسه الأصلي وإنّما كان رأسه المثالي؟ فإذا جازت الحياة على الرأس الذي هو جزء من البدن الشريف سلام الله عليه فكيف بالبدن تمامه.

---

(١) بصائر الدرجات: ٣٠٤ ح ٩، والكافي: ٣/ ١٥٠ ح ١.

(٢) بحار الأنوار: ٢٢/ ٥١٧ ح ٢٥، والأنوار البهية: ٤٦.

(٣) مكاسب الرسول: ١/ ٤١٧ ح ١.

وقد روى غير واحد من أرباب المقاتل المعتبرة جلوس الجسد المذبوح عند وداع أهل بيته عليه السلام له ومعانقته لبنته الصغيرة ووصيّته إليها بأن يقول لشيعته:

شيعتي ما إن شربتم ماء عذب فاذكروني — أو سمعتم بغريب أو شهيد فاندبوني

إلى آخر الأبيات التي خرجت من الحلقوم الشّريف لعن الله قاتليه وظالميه أبد الآبدين ودهر الداهرين.

فحاصل الكلام وفذلكة المرام أني لا أمنع من تصرّفات أرواحهم الكليّة في أجسادهم الأصليّة كتصرّفها في الأجساد المثالية على ما عليه أساطين العلماء بأقدار من الله سبحانه وإفاضة منه الحياة عليهم بعد موتهم إظهاراً لشرفهم ورفعتهم وكرامتهم وإتماماً للحجة في بعض المقامات.

﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال: ٤٢].

ولا أرى مانعاً من ذلك إلاّ ما في المجلس التّاسع عشر من كتاب «أسرار الشّهادات» من أنّ القول بتعلق الأرواح بالأجساد الدّنيويّة الأصليّة قبل قيام السّاعة أو قبل الرّجعة ممّا قام الإجماع على بطلانه.

ولكنّك خبير بما فيه إذ المسألة غير معنونة في كلام الأصحاب فكيف يمكن دعوى الإجماع وبعد الغضّ عن ذلك غايته أنّه إجماع منقول بخبر الواحد وهو على القول بحجيته لا يكافيء الأخبار المستفيضة الدّالّة على خلافه.

ويؤيّد ما ذكرته ويقربه ما في «مجمع البيان» في تفسير الآية السّابقة أعني قوله:

﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ﴾ [البقرة: ١٥٤].

فإنّه بعد ما أشكل في حياة الشهداء بقوله: فإن قيل: فنحن نرى جثة الشهداء مطروحة على الأرض لا تنصرف ولا يرى فيه شيء من علامات الأحياء، قال (ره) ما نصّ عبارته:

فالجواب أمّا على مذهب من يقول من أصحابنا أن الإنسان هو النفس إن الله يجعل لهم أجساماً كأجسامهم في دار الدّنيا يتنعمون فيها دون أجسامهم التي في القبور فإنّ النّعيم والعذاب إنّما يحصل عنده إلى النّفس التي هي الإنسان المكلّف عنده دون الجثة إلى أن قال: فأمّا على مذهب من قال من أصحابنا إنّ الإنسان هذه الجمل المشاهدة وإن الرّوح هو النّفس المتردّدة في مخارق الحيوان وهو أجزاء الجوّ فالقول أنه يلطف أجزاء من الإنسان لا يمكن أن يكون الحيّ حيّاً بأقلّ مما يوصل إليها النّعيم وإن لم تكن تلك الجملة بكمالها، لأنّه لا يعتبر الأطراف وأجزاء السّمن في كون الحي حيّاً، فإنّ الحي لا يخرج بمفارقتها من كونه حيّاً[1].

---

(١) مجمع البيان: ١/ ٤٣٩.

وربّما قيل: بأن الجثة يجوز أن تكون مطروحة في الصورة ولا تكون ميتة فتصل إليها اللّذات كما أنّ النّائم حيّ وتصل إليه اللّذات مع أنه لا يحسّ ولا يشعر بشيء من ذلك، فيرى في النوم ما يجد به السّرور والالتذاذ حتى يودّ أن يطول نومه فلا ينتبه.

وقد جاء في الحديث أنّه يفسح له مدّ بصره ويقال له: نم نومة العروس، وقريب منه ما في التّفسير الكبير للفخر الرّازي حيث قال:

فإن قيل: نحن نشاهد أجسادهم ميتة في القبور فكيف يصح ما ذهبتم إليه؟

قلنا: أما عندنا فالبنية ليست شرطاً في الحياة ولا امتناع في أن يعيد الله الحياة إلى كلّ واحد من تلك الذّرات والأجزاء الصّغيرة من غير حاجة إلى التركيب والتأليف، وأمّا عند المعتزلة فلا يبعد أن يعيد الله إلى الأجزاء التي لا بدّ منها في ماهية الحيّ ولا يعتبر بالأطراف ويحتمل أيضاً أن يحييهم إذا لم يشاهدوا.

وبالجملة فقد تقرّر ممّا ذكرنا جواز الحياة على الأبدان الأصلية في الجملة وارتفع بعد ذلك في نظرك بما نسبه الطبرسي إلى جمع من أصحابنا والفخر الرّازي إلى المعتزلة مع أنه لا يعبؤ باستبعاد العقول بعد دلالة نصّ الآية وقيام الأخبار المستفيضة عليه، هذا.

وأمّا القضية الثانية أعني قوله: **(ويبلى من بلى منا)** وليس ببال، فقد ظهر تحقيق الكلام فيها مما سبق إذ بعد القول بحياة الأبدان على الوجه الذي قلناه لا يتصوّر البلى لمنافاتها له، نعم لا ينافيها على الوجه الذي اختاره الأشاعرة والوجه الذي ذهب إليه المعتزلة وجمع من أصحابنا على ما عرفت في نقل كلامهم.

ويدلّ على ذلك أي على عدم البلى ظواهر الأخبار السّابقة مضافة إلى ما في «الكافي» عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن الحكم عن زياد بن أبي الجلال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما من نبيّ ولا وصيّ نبيّ يبقى في الأرض أكثر من ثلاثة أيام حتّى ترفع روحه وعظمه إلى السّماء وإنّما يؤتى مواضع آثارهم ويبلغونهم من بعيد السّلام ويسمعونهم في مواضع آثارهم من قريب[(١)].

وفي «الوسائل» عن الشيخ بإسناده عن محمّد بن سنان عن المفضل بن عمر قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: إني أشتاق إلى الغرّي فقال: ما شوقك إليه؟ فقلت له: إنّي أحب أن أزور أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام: هل تعرف فضل زيارته؟ قلت: لا إلاّ أن تعرّفني، فقال عليه السلام: إذا زرت أمير المؤمنين عليه السلام فاعلم أنّك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم عليّ بن أبي طالب عليه السلام[(٢)]، الحديث.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٢/ ٥٥٠ ح ٣، وكامل الزيارات: ٥٤٤ ح ٨٣١.

(٢) وسائل الشيعة: ١٤/ ٣٨٤ ح ٢٧، وبحار الأنوار: ٩٧/ ٢٥٨.

وما في شرح المعتزلي عن النبي ﷺ أن الأرض لم تسلّط عليّ وأنها لا تأكل لي لحماً ولا تشرب لي دماً.

وفي «الفقيه» عن الصّادق عليه السلام إن الله عزّ وجلّ حرّم عظامنا على الأرض وحرّم لحومنا على الدود أن يطعم منها شيئاً.

وقال النّبي ﷺ: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم»، قالوا: يا رسول الله وكيف ذلك؟ قال ﷺ: «أما حياتي فإن الله عزّ وجل يقول: **﴿وما كان الله ليعذّبهم وأنت فيهم﴾** [الأنفال: ٣٣]، وأمّا مفارقتي إيّاكم فإن أعمالكم تعرض عليَّ كلّ يوم فما كان من حسن استزدت الله لكم وما كان من قبيح استغفرت الله لكم»، قالوا: وقد رحمت يا رسول الله ﷺ يعنون صرت رميماً فقال ﷺ: «كلاّ إنّ الله تبارك وتعالى حرّم لحومنا على الأرض أن يطعم منها شيئاً»، هذا[1].

ومقتضى الجمع بين هذه الأخبار والأخبار الدالة على نقل عظام آدم عليه السلام إلى الغريّ وعظام يوسف إلى الأرض المقدسة هو اختصاص حكم عدم البلى بهذه الشجرة المباركة أعني خاتم النبيّين وأوصيائه المعصومين سلام الله عليهم أجمعين.

فإن قلت: فإذا قلت بعدم البلى على ما يقتضيه قوله عليه السلام: ليس ببال، فكيف التوفيق بينه وبين قوله: ويبلى من بلى منّا المقتضي لثبوت البلى؟

قلت: ذلك محمول على زعم أغلب الخلق فإن أسراء عالم الحواس من الناس لمّا زعموا أن الموت ملازم للبلى وقاسوا أولياء الله وعباده المصطفين بسائر الخلق ولم يعرفوا أنّهم لا يقاس بهم أحد فأثبتوا البلى في حقّهم ولذلك عقب عليه السلام الإيجاب بالسّلب كما أنّ الله سبحانه ردّ حسبان الخلق وزعمهم لكون القتل مستلزماً للموت في سورة البقرة بقوله:

﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤] وفي سورة آل عمران بقوله: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾[آل عمران: ١٦٩] فإن قوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [البقرة: ١٥٤].

في الآية الأولى دليل على أنّهم لم يكن لهم شعور بحياتهم فإذا لم يكن لهم شعور بذلك فلا يكون لهم شعور بعدم البلى البتة من حيث الملازمة بينه وبين الموت في نظرهم كملازمة الموت للقتل عندهم، هذا.

وأما حمل البلى على بلى الأكفان فبعيد، وأبعد منه حمله على بلى الأبدان وحمل عدم البلى على عدمه للأرواح كما يظهر من شرح البحراني حيث قال في شرح هاتين الفقرتين ما

(١) من لا يحضره الفقيه: ١/١٩١ ح ٥٨٢، ووسائل الشيعة: ١٦/١٠٩ ح ٢١١٠٨.

نصّ عبارته: وإشارة النّبي ﷺ بهذه الكلمة تقرير لقوله تعالى:

﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٩] الآية.

ولما اتفقت عليه كلمة العلماء ونطقت به البراهين العقلية أن أولياء الله لا يموتون ولا يبلون وإن بليت أجسادهم.

قال بعض الخائضين فيما لا يعنيه: قوله: ويبلى من بلى منّا، نصّ جلي على أن أجساد الأولياء تبلى، وذلك يخالف ما يعتقده النّاس من أن أجسادهم باقية إلى يوم القيامة.

قلت: الاعتقاد المذكور لبعض الناس إنّما نشأ من قول الرسول ﷺ في قتلى بدر: زمّلوهم بكلومهم ودمائهم فإنهم يحشرون يوم القيامة وأوداجهم تشخب دماً، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٩]، الآية وليس ولا واحد منهما بدال على أن الأجساد لا تموت ولا تبلى.

أمّا الخبر فليس مقتضاه أنها تبقى صحيحة تشخب دماً إلى يوم القيامة، بل ذلك ممّا يشهد ببطلانه الحس، بل يحمل على أنها كما تعاد يوم القيامة تعاد مجروحة تشخب جراحها دماً كهيئتها يوم موتها.

وأمّا الآية فالذي أجمع عليه علماء المفسّرين أنّ الحياة المذكورة فيها هي حياة النّفوس، وهو ظاهر في سبب نزولها عن ابن عباس (رض) قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأحد جعل الله أرواحهم في أجواف طيور خضر ترد أنهار الجنّة وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل من ذهب معلّقة في ظلّ العرش فلمّا وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا: من يبلغ إخواننا عنّا أنّا في الجنّة نرزق لئلا يزهدوا في الجهاد ولا يتكلّموا عند الحرب؟ فقال الله عزّ وجلّ: أنا أبلّغهم عنكم فنزلت: ﴿ولا تحسبنّ الذين قتلوا﴾ [آل عمران: ١٦٩]، الآية»،[1].

فإذاً لا منافاة بين كلامه عليه السلام وما ورد في القرآن والخبر، ومقصوده عليه السلام بهذه الكلمة تقرير فضيلتهم وأنّهم أولياء باقون عند ربّهم في ظل كرامته، انتهى كلامه.

وقد تحصل منه أنه (ره) يحمل الموت والبلى في كلامه عليه السلام على بلى الأجساد وموتها ويحمل عدم الموت والبلى فيه على حياة النفوس والأرواح وبقائها وأنت خبير بما فيه:

أمّا أوّلاً: فلأن القول ببلى أجساد الأئمة وموتها خلاف ما هو المستفاد من الأخبار المستفيضة السّابقة.

(١) تفسير الميزان: ٤/٧٢، وفتح القدير: ١/٤٠١.

وثانياً: أن الإمام عليه السلام إنما أتى بالحديث النبوي صلى الله عليه وآله إظهاراً للرفعة والكرامة ومقصوده عليه السلام به المفاخرة وبيان فضيلة ومنقبة مختصة بهم **(عليهم السلام)**، ومن المعلوم أن بقاء الأرواح مع بلى الأجساد ليس فضيلة مخصوصة بأهل بيت الرسالة بل هي جارية في حق سائر النّاس من المؤمنين والكفّار، وقد مرّ في شرح الخطبة الثانية والثمانين أن أرواح المؤمنين في وادي السّلام وأرواح الكفّار في البرهوت، فأيّ معنى لحمل عدم البلى فيه علي عدم بلى الأرواح، مع أن استعمال لفظ البلى وعدم البلى إنّما هو مصطلح في الأجساد والأجسام دون الأنفس والأرواح وهو واضح لا يخفى، بل الأرواح لا يتصوّر في حقها البلى فلا معنى لنفي البلى عنها إلاّ على وجه السالبة بانتفاء الموضوع.

وثالثاً: قوله (ره): قلت: الاعتقاد المذكور إنّما نشأ من قول الرسول صلى الله عليه وآله (آه) فيه أن سند الاعتقاد المذكور ليس منحصراً فيما ذكره بل قد دلّ عليه ما قدّمناه من الأدلة.

ورابعاً: أن دعوى اتّفاق المفسّرين على كون الحياة المذكورة في الآية هي حياة النفوس ممنوعة، لما عرفت سابقاً اختلاف المفسّرين فيها، فمنهم من يحملها على الحياة بالأجساد المثالية، ومنهم من يحملها على الحياة بالأبدان الأصليّة، ومنهم من يحملها على حياة النفوس فكيف يمكن مع هذا الخلاف دعوى الاتفاق، وما أبعد ما بين هذه الدّعوى وبين إنكار البعض حديث الأرواح مستدلاً بكون الروح عرضاً لا يتنعّم، فإن دعوى الشارح للاتفاق واقع في طرف الإفراط كما أن إنكار هذا البعض في جانب التفريط من حيث أنّ الروح جسم لطيف هوائي حسّاسة فعّالة وليس عرضاً كما توهّمه، فيجوز أن يتنعّم ويلتذّ.

وخامساً: أن الحديث الذي نقله عن ابن عباس في مقام الاستظهار به قد عرفت ردّ الصادق عليه السلام له في روايتي يونس بن ظبيان وأبي بصير المتقدّمتين، والله العالم بحقائق الأمور، والمحصّل لما في الصدور وإنّما أطنبت الكلام في المقام لكونه من مزالق الأقدام محتاجاً إلى كشف الحجاب عن المرام وقد وضح لك فيه ما اقتضت الأدلة من الكتاب والسّنة ومن الله سبحانه أسأل العصمة والسداد من الخطأ في القول والاعتقاد بمحمد وآله الأطهار الأمجاد.

ثم إنّه عليه السلام لمّا ذكر مناقب آل العباء ومن خصّه الله بالولاية والولاء وأكّده بحديث سلب الموت والبلى وكان ذلك بعيداً عن مذاق العوام وأمراً عجيباً عند العقول والأوهام ومظنة للرد والإنكار لا جرم أردفه بقوله: **(ولا تقولوا بما لا تعرفون فإنّ أكثر الحق فيما تنكرون)** وهو نهي لهم عن القول في حق العترة بما لا يعرفون وعن التسرع إلى رد ما يستعجبون معلّلاً بأن أكثر الحق فيما ينكرون.

والمقصود به أن صاحب الولاية لا يقاس بالنّاس إذ شؤونات الولاية المطلقة بعيدة عن

الوهم والقياس وإدراكات الخلق أغلبها مقصورة على عالم الحواس، والجاهل ربما ينكر بداء جهالته الحق إذا خالف طبعه أو عجز عن إدراكه فهمه أو سبق إليه اعتقاده ضدّه بشبهة أو تقليد أو بما انقدح في وهمه من شك وترديد، فلا يجوز الخوض في اللّجاج والعناد بمجرد الاستغراب والاستبعاد.

وقوله: **(واعذروا من لا حجة لكم عليه وأنا هو)**، أما من الأعذار بمعنى الإنصاف من أعذر الرّجل إذا أنصف، أو من الأعذار بمعنى إثبات العذر وهو الأنسب الأظهر، فالمقصود به على ذلك أنّه عليه السلام كان مأموراً من الله سبحانه ومن رسوله صلى الله عليه وآله بالإبلاغ والتذكير والإنذار والتحذير، وقد بلّغ وذكّر وأنذر وحذّر، فكان له الحجة على المخاطبين وثبت له العذر في مقام السؤال كما أن لله وكذلك لرسوله الحجة على جميع الخلائق حيث احتجّ بما نهج وأعذر بما أنذر، وهذا بخلاف ما لو فرّط عليه السلام وقصّر في الإبلاغ والتذكار فيكون حينئذٍ لهم الحجة عليه ويثبت لهم العذر فيما يلحقهم من العذاب بأن يقولوا:

﴿إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٢].

وبه جاهلين، فلا يجوز لك أن تؤاخذنا بما لم نعلم وتعذّبنا بما لم نفهم، فطلب عليه السلام منهم أن يثبتوا له العذر فيما يلحقهم من العذاب ونكال العقاب لا لأنفسهم حيث أوضح لهم المحجة البيضاء ودلهم على الطريقة الوسطى وهداهم إلى الشريعة الغرّاء.

كما أفصح عليه السلام عن ذلك بقوله: **(ألم أعمل فيكم بالثقل الأكبر وأترك فيكم الثقل الأصغر)** وهو استفهام تقريري يقول عليه السلام: إني قد عملت فيكم بكتاب الله وبما فيه من الحلال والحرام والحدود والأحكام، وتركت فيكم عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظت وصيّته بالإعزاز والإكرام، وعبّر عنهما بالثقلين تبعاً للحديث النبوي صلى الله عليه وآله المعروف بين الفريقين.

وإنما سمّيا بذلك إمّا لعظم خطرهما وجلالة قدرهما من الثقل وهو المتاع النفيس، وإمّا لكون العمل بهما ثقيلاً وإمّا لأجل أنّ الثقل متاع المسافر وحشمه فكأنّه عليه السلام لما شارف الانتقال إلى جوار ربّه تعالى جعل نفسه كالمسافر الذي ينتقل من منزل إلى منزل وجعل الكتاب والعترة كمتاعه وحشمه، لأنهما أخصّ الأشياء به، قاله الشارح المعتزلي.

والأظهر ما قلناه إذ متاع المسافر وحشمه يكونان معه ولا يخلفان بعده، هذا.

وأمّا تسمية القرآن بالأكبر والعترة بالأصغر مع كون العترة أفضل من القرآن عندنا وكونهم قيمين له فقد قال الشارح البحراني: أشار بكونه أكبر إلى أنه الأصل المتّبع المقتدى به.

أقول: وليس بشيء إذ العترة أيضاً أصل متّبع مقتدى، ويحتمل أن يكون وصفه به من جهة أنه لما كان معجزاً للرسالة وسنداً لها والولاية وأساساً للدّين وسناداً للشرع المبين ولولاه لم يثبت رسالة ولا شريعة ولا ولاية ولا دين ولا إيمان لا جرم وصفه به.

ويمكن استظهار ذلك ممّا رواه أبو سعيد الخدري قال: قال النّبي ﷺ: إنّي تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا على الحوض.

وأظهر منه ما في رواية أبي جعفر عليه السلام عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: يا أيّها النّاس إنّي تارك فيكم الثقلين: الثقل الأكبر والثقل الأصغر إن تمسكتم بهما لن تضلّوا ولن تبدّلوا، فإنّي سألت الله اللّطيف الخبير لا يفترقان حتّى يردا على الحوض فأعطيت، فقيل: فما الثقل الأكبر وما الثقل الأصغر؟ فقال: الثقل الأكبر كتاب الله عزّ وجلّ سبب طرفه بيد الله عز وجل وطرف بأيديكم والثقل الأصغر عترتي أهل بيتي[١].

ويمكن أن يقال: إن كتاب الله لما كان حجة على عموم الخلق من النبيّ ﷺ والأئمة (**عليهم السلام**) وأمتهم، وحجية العترة كانت مخصوصة بالأمة فقط جعله أكبر لذلك، هذا.

وفي قوله عليه السلام: (ألم أعمل فيكم) (آه) تعريض وإشعار بعدم عمل غيره به وهو كذلك.

ويوضحه ما في «غاية المرام» من تفسير عليّ بن إبراهيم قال: حدثني أبي عن صفوان بن يحيى عن أبي الجارود عن عمران بن ميثم عن مالك بن ضمرة عن أبي ذر (ره) قال: لما نزلت هذه الآية:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

قال رسول الله ﷺ: «ترد عليّ أمّتي يوم القيامة على خمس رايات فراية مع عجل هذه الأمة فأسألهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟» فيقولون: أمّا الأكبر فحرفناه ونبذناه وراء ظهورنا، وأمّا الأصغر فعاديناه وأبغضناه وظلمناه فأقول: «ردّوا إلى النّار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم».

ثمّ ترد عليّ راية مع فرعون هذه الأمّة فأقول لهم ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فحرّفناه ومزّقناه وخالفناه، وأما الأصغر فعاديناه وقاتلناه، فأقول: ردّوا إلى النّار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ تردّ عليّ راية هي مع سامريّ هذه الأمّة فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فعصيناه وتركناه، وأما الأصغر فخذلناه وضيّعناه فأقول: ردّوا إلى النّار ظماء مظمئين مسودة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية ذي الثدية مع أوّل الخوارج وآخرهم وأسألهم: ما فعلتم بالثقلين من

(١) بصائر الدرجات: ٤٣٤، وبحار الأنوار: ٢٣/١٤٠ ح ٨٩.

بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فمزقناه وبرءنا منه وأمّا الأصغر فقاتلناه وقتلناه فأقول: ردّوا إلى النّار ظماء مظمئين مسودّة وجوهكم.

ثمّ ترد عليّ راية مع إمام المتّقين وسيّد المسلمين وقائد الغرّ المحجلين ووصيّ رسول ربّ العالمين فأقول لهم: ما فعلتم بالثقلين من بعدي؟ فيقولون: أمّا الأكبر فاتبعناه وأطعناه، وأمّا الأصغر فأحببناه وواليناه وزرناه ونصرناه حتّى أهريقت فيهم دمائنا، فأقول: ردّوا إلى الجنّة رواء مرويّين مبيضّة وجوهكم ثمّ تلى رسول الله ﷺ:

﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ❁ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦-١٠٧].

وقد أخذ السّيد إسماعيل الحميري مضمون هذا الحديث في أبيات من قصيدته المعروفة، وهي هذه الأبيات:

والنّاس يوم الحشر راياتهم ... خمس فمنها هالك أربع
فراية العجل وفرعونها ... وسامري الأُمّة المشنع
وراية يقدمها أبكم ... عبد لئيم لكع أكوع
وراية يقدمها نعثل ... لا بردّ الله له مضجع
وراية يقدمها حبتر ... للزّور والبهتان قد أبدع
وراية يقدمها حيدر ... ووجهه كالشمس إذ تطلع
مولى له الجنة معمورة ... والنّار من إجلاله يفزع
إمام صدق وله شيعة ... يرووا من الحوض ولم يمنعوا
بذاك جاء الوحي من ربنا ... يا شيعة الحقّ فلا تجزعوا

ثمّ قال عليه السلام: (وركزت فيكم راية الإيمان) شبه عليه السلام الإيمان بالراية لأنّه يهتدي به إلى سلوك سبيل الحقّ كما يهتدي بالراية أمام الجيش ونحوها، وذكر الركز ترشيح للتشبيه والمقصود إني أثبت فيكم الإيمان (**ووقفتكم على حدود الحلال والحرام**) أي جعلتكم واقفين عليهما مطلعين على جهاتهما (**وألبستكم العافية من عدلي**) أراد بالعافية السلامة من الظلم ومن أذى الظالمين واستعار لفظ اللّباس لها (**وفرشتكم المعروف من قولي وفعلي**) المعروف اسم لكلّ ما عرف من طاعة الله والتّقرب إليه والإحسان إلى النّاس وكلّ ما يندب إليه الشرع من

(١) بحار الأنوار: ٣٧/٣٤٦ ح ٣، وتفسير الصافي: ١/٣٧٠.

المحسنات والمقبحات، وإن شئت قلت: المعروف اسم لكل فعل يعرف حسنه بالشرع والعقل يقول عليه السلام: **(بسطت بساط المعروف بالأقوال والأفعال) (وأريتكم كرائم الأخلاق من نفسي)** أي أوضحتها لكم وشاهدتموها مني متكرّره.

وقد سئل الصّادق عليه السلام عن مكارم الأخلاق فقال عليه السلام: العفو عمن ظلمك، وصلة من قطعك، وإعطاء من حرمك، وقول الحقّ ولو على نفسك(١).

وفي حديث آخر في «الكافي» عن الصّادق عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خص رسله بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم فإن كانت فيكم فاحمدوا الله واعلموا أنّ ذلك من خير وإلاّ تكن فيكم فاسألوا الله وارغبوا إليه فيها فذكرها عشرة: اليقين، والقناعة، والصبر، والشكر، والحلم، وحسن الخلق، والسخاء، والغيرة، والشجاعة، والمروة(٢) وفي الدّيوان المنسوب إليه عليه السلام:

إنّ المكارم أخلاق مطهرة فالدّين أولها والعقل ثانيها
والعلم ثالثها والحلم رابعها والجود خامسها والفضل سادسها
والبرّ سابعها والصّبر ثامنها والشكر تاسعها واللين باقيها
والنفس تعلم أنّي لا أصادقها ولست أرشد إلاّ حين أعصيها

وكيف كان فكونه عليه السلام مبدأ مكارم الأخلا ومنشأ محاسن الآداب مما لا ريب فيه بل ذلك غنيّ عن البيان، ولا بأس بالإشارة إلى بعض ما ورد في حسن خلقه وبشره وحلمه وعفوه وإشفاقه وعطفه صلوات الله عليه تيمناً وتوضيحاً.

ففي «البحار» من «مناقب ابن شهر آشوب» عن «مختار التّمار» عن أبي مطر البصري أن أمير المؤمنين مرّ بأصحاب التّمر فإذا هو بجارية تبكي فقال: يا جارية ما يبكيك؟ فقالت: بعثني مولاي بدرهم فابتعت من هذا تمراً فأتيتهم به فلم يرضوه فلمّا أتيته به أبى أن يقبله، قال عليه السلام: يا عبد الله إنّها خادم ليس لها أمر فاردد إليها درهمها وخذ التمر، فقام إليه الرّجل فلكزه فقال النّاس: هذا أمير المؤمنين عليه السلام فربا الرّجل واصفرّ وأخذ التمر ورد إليها درهمها، ثمّ قال: يا أمير المؤمنين ارض عني فقال: ما أرضاني عنك أن أصلحت أمرك(٣).

وفي «فضائل أحمد» إذا وفيت النّاس حقوقهم(٤)، ودعا غلاماً له مراراً فلم يجبه فخرج

(١) وسائل الشيعة: ١٥/ ١٩٩ ح ٢٠٢٧٢، وبحار الأنوار: ٦٦/ ٣٦٨ ح ٦.

(٢) المحاسن: ١/ ١٩٢، والكافي: ٢/ ٥٦ ح ٢.

(٣) الغارات: ٢/ ٧١٤، وبحار الأنوار: ٤١/ ٤٨ ح ١.

(٤) مناقب آل أبي طالب: ١/ ٣٧٩..

فوجده على باب البيت فقال عليه السلام: ما حملك على ترك إجابتي؟ قال: كسلت إجابتك وأمنت عقوبتك، فقال عليه السلام: الحمد لله الذي جعلني ممن تأمنه خلقه امض، فأنت حرّ لوجه الله.

وجاءه أبو هريرة وكان تكلّم فيه وأسمعه في اليوم الماضي وسأله حوائجه فقضيها فعاتبه أصحابه على ذلك فقال عليه السلام: إنّي لأستحيي أن يغلب جهله علمي وذنبه عفوي ومسألته جودي.

ولما أدرك عمرو بن عبدود لم يضربه فوقعوا في عليّ فردّ عنه حذيفة فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: مه يا حذيفة فإنّ علياً سيذكر سبب وقفته ثمّ إنّه ضربه فلما جاء سأله النّبي عن ذلك فقال عليه السلام: قد كان شتم بي وتفل في وجهي فخشيت أن أضربه بحظ نفسي فتركته حتى سكن ما بي ثم قتلته في الله[١].

وكان عليه السلام بشره دائم وثغره باسم غيث لمن رغب وغياث لمن ذهب مآل الآمل وثمال الأرامل يتعطف على رعيته ويتصرف على مشيته ويكفّه بحجته وتكفيه بمهجته.

ونظر إلى امرأة على كتفها قربة ماء فأخذ منها القربة فحملها إلى موضعها وسألها عن حالها فقالت: بعث علي بن أبي طالب زوجي إلى بعض الثغور فقتل وترك عليّ صبياناً يتامى وليس عندي شيء فقد ألجأتني الضّرورة إلى خدمة الناس، فانصرف عليه السلام وبات ليلته قلقاً فلما أصبح حمل زنبيلاً فيه طعام فقال بعضهم: أعطني أحمله عنك، فقال عليه السلام: من يحمل وزري عنّي يوم القيامة فأتى وقرع الباب فقالت: من هذا؟ قال: أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة فافتحي فإن معي شيئاً للصّبيان فقالت: رضي الله عنك وحكم بيني وبين عليّ بن أبي طالب، فدخل وقال: إنّي أحببت اكتساب الثواب فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين وبين أن تعلّلين الصبيان لأخبز أنا، فقالت: أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر ولكن شأنك والصّبيان فعلّلهم حتى أفرغ من الخبز. قال: فعمدت إلى الدّقيق فعجنته وعمد علي عليه السلام إلى اللّحم فطبخه وجعل يلقم الصبيان من اللّحم والتمر وغيره، فكلّما ناول الصبيان من ذلك شيئاً قال له: يا بنيّ اجعل عليّ بن أبي طالب في حل ممّا أمر في أمرك فلما اختمر العجين قالت: يا عبد الله اسجر التنور، فبادر عليه السلام بسجره فلما أشعله ولفح في وجهه يقول: ذق يا علي هذا جزاء من ضيّع الأرامل واليتامى، فرأته امرأة تعرفه عليه السلام، فقالت: ويحك هذا أمير المؤمنين عليه السلام، قال: فبادرت المرأة وهي تقول: وا حيائي منك يا أمير المؤمنين، فقال عليه السلام: بل وا حيائي منك يا أمة الله فيما قصرت في أمرك[٢].

(١) مستدرك الوسائل: ١٨/٢٨، وبحار الأنوار: ٤١/٥١.

(٢) بحار الأنوار: ٤١/٥٢، والأنوار العلوية: ١١٨.

ثمّ إنّه عليه السلام بعد ما أشار إلى جملة من فضائله ومناقبه أردفه بقوله: (**فلا تستعملوا الرّأي فيما لا يدرك قعره البصر ولا يتغلغل**) أي لا يسرع ولا يدخل (**إليه الفكر**) والمقصود بذلك النهي عن استعمال الرأي فيما ذكره عليه السلام من خصائص العترة الطّاهرة وعجائب ما خصهم الله به من الأنوار الباهرة.

يقول عليه السلام: إن أمرنا صعب لا تهتدي إليه العقول والأنظار، ولا تدرك قعره الأبصار، ولا تغلغل فيه الأفكار، فلا تجوز المبادرة إلى ردّ ما تأبى عنه العقول والأفهام في حقّهم عليهم السّلام، فإن حديثهم صعب مستصعب لا يحتمله إلاّ ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للإيمان.

تنبيه

لما كان هذا الفصل من كلامه عليه السلام مسوقاً لإظهار مناقب الآل ومشتملاً على فضائل العترة الطّاهرين سلام الله عليهم أجمعين أحببت أن أورد هنا شطراً من كراماتهم ومعجزاتهم وعجائب شؤوناتهم المروية بالأسانيد الغرية.

فمنها

ما في المجلّد التاسع من «البحار» وجادة في بعض الكتب قال: حدثنا محمّد بن زكريا العلا قال: حدثنا محمد بن الحسن الصفّار المعروف بابن المعافا عن وكيع عن زاذان عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال:

كنا مع مولانا أمير المؤمنين فقلت: يا أمير المؤمنين أحب أن أرى من معجزاتك شيئاً، قال: (**صلوات الله عليه**): أفعل إن شاء الله عزّ وجلّ، ثمّ قام ودخل منزله وخرج إليّ وتحته فرس أدهم وعليه قباء أبيض وقلنسوة بيضاء، ثمّ نادى يا قنبر أخرج إليّ ذلك الفرس فأخرج فرس آخر أدهم فقال عليه السلام: اركب يا أبا عبد الله.

قال سلمان: فركبته فإذا له جناحان ملتصقان إلى جنبه قال: فصاح به الإمام (**صلوات الله عليه**) فتعلق في الهواء وكنت أسمع خفيف أجنحة الملائكة وتسبيحها تحت العرش، ثمّ خطونا على ساحل بحر عجاج مغطمط[1] الأمواج فنظر إليه الإمام شزراً فسكن البحر من غليانه فقلت له: يا مولاي سكن البحر من غليانه من نظرك إليه، فقال صلوات الله عليه: يا سلمان خُشي أن آمر فيه بأمر.

ثمّ قبض على يدي وسار على وجه الماء والفرسان تتبعان لا يقودهما أحد، فوالله ما

---

(١) الغطمطة: اضطراب موج البحر.

ابتلّت أقدامنا ولا حوافر الخيل.

قال سلمان: فعبرنا ذلك البحر فدفعنا إلى جزيرة كثيرة الأَشجار والأَثمار والأَطيار والأَنهار، وإذا شجرة عظيمة بلا صدع ولا زهر فهزّها **(صلوات الله عليه)** بقضيب كان في يده فانشقّت وخرج منها ناقة طولها ثمانون ذراعاً وعرضها أربعون ذراعاً وخلفها قلوص فقال **(صلوات الله عليه)**: ادن منها واشرب من لبنها.

قال سلمان: فدنوت منها وشربت حتى رويت وكان لبنها أعذب من الشهد وألين من الزّبد وقد اكتفيت. قال **(صلوات الله عليه)**: هذا حسن يا سلمان، فقلت: مولاي حسن؛ فقال صلوات الله عليه: تريد أن أريك ما هو أحسن منه؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين.

قال سلمان: فنادى مولاي أمير المؤمنين اخرجي يا حسناء قال: فخرجت ناقة طولها عشرون ومائة ذراع وعرضها ستّون ذراعاً ورأسها من الياقوت الأَحمر وصدرها من العنبر الأَشهب وقوائمها من الزبرجد الأَخضر وزمامها من الياقوت الأَصفر وجنبها الأَيمن من الذهب وجنبها الأَيسر من الفضة وعرفها من اللّؤلؤ الرطب فقال **(صلوات الله عليه)**: يا سلمان اشرب من لبنها.

قال سلمان: فالتقمت الضّرع فإذا هي تحلب عسلاً صافياً مخلصاً، فقلت: يا سيّدي هذه لمن؟ قال عليه السلام: لك ولك ولسائر الشيعة من أوليائي، ثمّ قال: ارجعي إلى الصّخرة ورجعت من الوقت وسار بي في تلك الجزيرة حتى ورد بي إلى شجرة عظيمة عليها طعام يفوح منه رائحة المسك، فإذا بطائر في صورة النسر العظيم.

قال سلمان رضي الله عنه: فوثب ذلك الطّائر فسلم عليه **(صلوات الله عليه)** ورجع إلى موضعه فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذه المائدة؟ فقال عليه السلام: هذه منصوبة في هذا المكان للشيعة من مواليّ إلى يوم القيامة فقلت: ما هذا الطّائر؟ قال **(صلوات الله عليه)**: ملك موكّل بها إلى يوم القيامة فقلت: وحده يا سيّدي، فقال عليه السلام: يجتاز به الخضر عليه السلام في كلّ يوم مرّة.

ثمّ قبض عليه السلام على يدي وسار إلى بحرٍ ثانٍ فعبرنا وإذا جزيرة عظيمة فيها قصر لبنة من ذهب ولبنة من فضة بيضاء شرفها من عقيق أصفر وعلى كلّ ركن من القصر سبعون صفاً من الملائكة فأتوا وسلّموا، ثمّ أذن لهم فرجعوا إلى مواضعهم.

قال سلمان رحمه الله تعالى: ثمّ دخل أمير المؤمنين عليه السلام القصر فإذا أشجار وأثمار وأنهار وأطيار وألوان النبات فجعل الإمام عليه السلام يمشي فيه حتّى وصل إلى آخره فوقف عليه السلام على بركة كانت في البستان ثمّ صعد إلى قصر فإذا كرسيّ من الذّهب الأَحمر فجلس عليه

(**صلوات الله عليه**) وأشرفنا على القصر فإذا بحر أسود يغطمط أمواجه كالجبال الرّاسيات، فنظر (**صلوات الله عليه**) شزراً فسكن من غليانه حتّى كان كالمذنب.

فقلت: يا سيّدي سكن البحر من غليانه لما نظرت إليه فقال عليه السلام: خشي أن آمر فيه بأمر أتدري يا سلمان أيّ بحر هذا؟ فقلت: لا يا سيّدي، فقال: هذا الذي غرق فيه فرعون وملائه المذنبة حملها جناح جبرئيل عليه السلام ثمّ زجّها في هذا البحر فهو يهوي لا يبلغ قراره إلى يوم القيامة.

فقلت: يا أمير المؤمنين هل سرنا فرسخين؟ فقال عليه السلام: يا سلمان سرت خمسين ألف فرسخ ودرت حول الدّنيا عشر مرات.

فقلت: يا سيّدي وكيف هذا؟ قال عليه السلام: إذا كان ذو القرنين طاف شرقها وغربها وبلغ إلى سدّ يأجوج ومأجوج فأنا يتعذر عليّ وأنا أمير المؤمنين وخليفة ربّ العالمين، يا سلمان أما قرأت قول الله عزّ وجلّ حيث يقول:

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

فقلت: بلى يا أمير المؤمنين فقال عليه السلام: أنا ذلك المرتضى من الرسول الذي أظهره الله عزّ وجلّ على غيبه أنا العالم الرّباني أنا الذي هون الله له الشّدائد فطوى له البعيد.

قال سلمان رضي الله عنه: فسمعت صائحاً يصيح في السّماء أسمع الصوت ولا أرى الشخص وهو يقول: صدقت صدقت أنت الصّادق المصدّق صلوات الله عليك.

قال: ثمّ نهض صلوات الله عليه فركب الفرس وركبت معه وصاح بهما فطارا في الهواء ثم خطونا على باب الكوفة هذا كلّه وقد مضى من اللّيل ثلاث ساعات.

فقال صلوات الله عليه لي: يا سلمان الويل كلّ الويل لمن لا يعرفنا حقّ معرفتنا وأنكر ولايتنا أيّما أفضل محمّد صلى الله عليه وآله أم سليمان عليه السلام؟ قلت: بل محمّد صلى الله عليه وآله.

ثمّ قال عليه السلام: فهذا آصف بن برخيا قدر أن يحمل عرش بلقيس من فارس بطرفة وعنده علم من الكتاب ولا أفعل أنا ذلك وعندي مائة كتاب وأربعة وعشرون كتاباً أنزل الله تعالى على شيث بن آدم عليه السلام خمسين صحيفة، وعلى إدريس النبيّ عليه السلام ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عليه السلام عشرين صحيفة، والتوراة، والإنجيل، والزّبور والفرقان.

فقلت: صدقت يا أمير المؤمنين هكذا يكون الإمام صلوات الله عليه، فقال عليه السلام: إنّ الشّاك في أمورنا وعلومنا كالممتري في معرفتنا وحقوقنا، قد فرض الله عزّ وجلّ في كتابه في

غير موضع، وبيّن فينا ما وجب العمل به، وهو غير مكشوف(١).

ومنها

ما فيه أيضاً من الكتاب المذكور قال: روى الأصبغ بن نباتة قال: كنت يوماً مع مولانا أمير المؤمنين عليه السلام إذ دخل عليه نفر من أصحابه منهم أبو موسى الأشعري وعبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وأبو هريرة والمغيرة بن شعبة وحذيفة بن اليمان وغيرهم، فقالوا: يا أمير المؤمنين أرنا شيئاً من معجزاتك الّتي خصك الله بها.

فقال عليه السلام: ما أنتم وذلك وما سؤالكم عمّا لا ترضون به؟ والله تعالى يقول: وعزّتي وجلالي وارتفاع مكاني إنّي لا أعذّب أحداً من خلقي إلاّ بحجّة وبرهان وعلم وبيان، لأنّ رحمتي سبقت غضبي وكتبت الرّحمة عليّ فأنا الرّاحم الرّحيم والودود العلي، وأنا المنان العظيم، وأنا العزيز الكريم، فإذا أرسلت رسولاً أعطيته برهاناً وأنزلت عليه كتاباً فمن آمن بي وبرسولي فأولئك هم المفلحون الفائزون ومن كفر بي وبرسولي فأولئك هم الخاسرون الذين استحقّوا عذابي، فقالوا: يا أمير المؤمنين نحن آمنّا بالله وبرسوله وتوكّلنا عليه.

فقال عليّ عليه السلام: اللّهم أشهد على ما يقولون وأنا العليم الخبير بما يفعلون، ثمّ قال: قوموا على اسم الله وبركاته، قال: فقمنا معه حتى أتى بالجبانة ولم يكن في ذلك الموضع ماء قال: فنظرنا فإذا روضة خضراء ذات ماء، وإذا في الروضة غدران وفي الغدران حيتان، فقلنا: والله إنّها لدلالة الإمامة فأرنا غيرها يا أمير المؤمنين وإلاّ قد أدركنا بعض ما أردنا.

فقال عليه السلام: حسبي الله ونعم الوكيل ثمّ أشار عليه السلام بيده العليا نحو الجبّانة فإذا قصور كثيرة مكلّلة بالدّر والياقوت والجواهر وأبوابها من الزّبرجد الأخضر وإذا في القصور حور وغلمان وأنهار وأشجار وطيور ونبات كثير، فبقينا متحيرين متعجبين وإذا وصائف وجواري وولدان وغلمان كاللؤلؤ المكنون فقالوا: يا أمير المؤمنين لقد اشتدّ شوقنا إليك وإلى شيعتك وأوليائك، فأومأ إليهم بالسّكون.

ثمّ ركض الأرض برجله عليه السلام فانفلقت الأرض من منبر من ياقوت أحمر فارتقى إليه فحمد الله وأثنى عليه وصلى على نبيّه صلى الله عليه وآله.

ثمّ قال عليه السلام: غمضوا أعينكم فغمضنا أعيننا فسمعنا حفيف أجنحة الملائكة بالتّسبيح والتّهليل والتحميد والتعظيم والتقديس، ثمّ قاموا بين يديه قالوا: مرنا بأمرك يا أمير المؤمنين وخليفة ربّ العالمين صلوات الله عليك.

---

(١) بحار الأنوار: ٢٨/٢٧ ح ١٠، والمحتضر: ١٦٠.

فقال ﷺ: يا ملائكة ربّي ائتوني بإبليس الأبالسة وفرعون الفراعنة قال: فوالله ما كان بأسرع من طرفة عين حتى أحضروه عنده.

فقال ﷺ: ارفعوا أعينكم، قال: فرفعنا أعيننا ونحن لا نستطيع أن ننظر إليه من شعاع نور الملائكة، فقلنا: يا أمير المؤمنين الله الله في أبصارنا فما ننظر شيئاً البتة وسمعنا صلصلة السّلاسل واصطكاك الأغلال وهبت ريح عظيمة فقالت الملائكة: يا خليفة الله زد المعلون لعنة وضاعف عليه العذاب فقلنا: يا أمير المؤمنين الله الله في أبصارنا ومسامعنا فوالله ما نقدر على احتمال هذا السر والقدر قال: فلمّا جرّه بين يديه قام وقال: واويلاه من ظلم آل محمّد ﷺ واويلاه من اجترائي عليهم ثمّ قال: يا سيّدي ارحمني فإنّي لا أحتمل هذا العذاب فقال ﷺ: لارحمك الله ولاغفر لك أيّها الرّجس النجس الخبيث المخبث الشيطان.

ثمّ التفت ﷺ إلينا وقال: تعرفون هذا باسمه وحسبه؟ قلنا: نعم يا أمير المؤمنين فقال: سلوه حتّى يخبركم من هو، فقالوا: من أنت؟ فقال: أنا إبليس الأبالسة وفرعون هذه الأمة، أنا الذي جحدت سيّدي ومولاي أمير المؤمنين وخليفة ربّ العالمين وأنكرت آياته ومعجزاته.

ثمّ قال أمير المؤمنين: غمّضوا أعينكم فغمضنا، فتكلّم ﷺ بكلام أخفى فإذا نحن في الموضع الذي كنا فيه لا قصور ولا ماء ولا غدران ولا أشجار.

قال الأصبغ بن نباتة رضي الله عنه: والذي أكرمني بما رأيت من تلك الدلائل والمعجزات ما تفرّق القوم حتى ارتابوا وشكّوا وقال بعضهم: سحر وكهانة وإفك فقال أمير المؤمنين (**عليه السلام**): إنّ بني إسرائيل لم يعاقبوا ولم يمسخوا إلاّ بعد ما سألوا الآيات والدّلالات فقد حلّت عقوبة الله بهم والآن حلت لعنته فيكم وعقوبته عليكم[١]، قال الأصبغ بن نباتة رضي الله عنه: إنّي أيقنت أن العقوبة حلت بتكذيبهم الدّلالات والمعجزات.

ومنها

ما في المجلد السّابع من «البحار» من كتاب «الاختصاص» عن ابن أبي الخطاب عن موسى بن سعدان عن حفص الأبيض التّمار قال: دخلت على أبي عبد الله ﷺ أيّام قتل المعلى بن خنيس وصلبه (ره) فقال ﷺ: يا حفص إني أمرت لمعلى بن خنيس بأمر فخالفني فابتلي بالحديد:

إنّي نظرت إليه يوماً وهو كئيب حزين فقلت: مالك يا معلّى كأنّك ذكرت أهلك ومالك

---

(١) بحار الأنوار: ٤٢/ ٥٥، والأنوار العلوية: ١٦٠.

وعيالك؟ فقال: أجل فقلت: ادن منّي فدنى منّي فمسحت وجهه فقلت: أين تراك؟ فقال: أراني في بيتي هذه زوجتي وهؤلاء ولدي فتركته حتى تملأ منهم واستترت منه حتّى نال ما ينال الرجل من أهله.

ثم قلت له: ادن مني، فمسحت وجهه فقلت: أين تراك؟ فقال: أراني معك بالمدينة وهذا بيتك فقلت له: يا معلّى إنّ لنا حديثاً من حفظه علينا حفظ الله عليه دينه ودنياه، يا معلّى لا تكونوا أسراء في أيدي النّاس بحديثنا إن شاؤوا منّوا عليكم وإن شاؤوا قتلوكم، يا معلّى إنّ من كتم الصّعب من حديثنا جعله الله نوراً بين عينيه ورزقه الله العزة في النّاس، ومن أذاع الصّعب من حديثنا لم يمت حتّى يعضّه السّلاح أو يموت بخيل، يا معلى فأنت مقتول فاستعدّ(١).

ومنها

ما فيه من «الخرائج» قال: روى أبو القاسم بن قولويه عن محمّد بن يعقوب عن محمّد بن إدريس عن محمّد بن حسان عن عليّ بن خالد قال: كنت بالعسكر فبلغني أنّ هناك رجلاً محبوساً أتى من ناحية الشام مكبولاً وقالوا: إنّه تنبأ، فأتيت الباب وداريت البوّابين حتّى وصلت إليه فإذا رجل له فهم وعقل فقلت له: ما قصّتك؟ قال:

إنّي كنت بالشّام أعبد الله في الموضع الذي يقال: إنّه نصب فيه رأس الحسين عليه السلام، فبينما أنا ذات ليلة في موضعي مقبل على المحراب أذكر الله إذ نظرت شخصاً بين يدي فنظرت إليه، فقال لي: قم، فقمت معه فمشى بي قليلاً فإذا أنا في مسجد الكوفة قال: أتعرف هذا المسجد؟ قلت: نعم هذا مسجد الكوفة فصلّى وصلّيت معه ثمّ خرج وخرجت معه فمشى بي قليلاً وإذا نحن بمسجد الرّسول صلى الله عليه وآله، فسلّم على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّمت وصلّى وصلّيت معه، ثم خرج وخرجت معه فمشى بي قليلاً وإذا نحن بمكّة وطاف بالبيت فطفت معه فخرج ومشى بي قليلاً فإذا أنا في موضعي الذي كنت أعبد الله فيه بالشّام وغاب الشخص عن عيني فتعجبت ممّا رأيت.

فلمّا كان في العام المقبل رأيت ذلك الشخص فاستبشرت به ودعاني فأجبته وفعل كما فعل في العام الأوّل فلمّا أراد مفارقتي بالشام قلت: سألتك بالذي أقدرك على ما رأيت من أنت؟ قال:

أنا محمد بن عليّ بن جعفر، فحدّثت من كان يصير إليّ بخبره فرقى ذلك إلى

(١) بحار الأنوار: ٢/ ٧٤ ح ٤٢، وكتاب الغيبة: ٣٨.

محمّد بن عبد الملك الزيّات فبعث إلي فأجلدني وكبلني في الحديد وحملني إلى العراق وحبست كما ترى وادّعى عليّ المحال فقلت: أرفع عنك القصة إليه؟ قال: ارفع فكتبت عنه قصّته شرحت أمره فيها ودفعتها إلى الزّيات فوقع في ظهرها: قل للذي أخرجك من الشّام في ليلة إلى الكوفة إلى المدينة إلى مكة أن يخرجك من حبسي.

قال علي بن خالد: فغمني ذلك من أمره ورققت له وانصرفت محزوناً فلمّا أصبحت باكرت الحبس لأعلمه بالحال وآمره بالصّبر والعزاء فوجدت الجند والحراس وصاحب السجن وخلقاً كثيراً من النّاس يهرعون، فسألت عنهم وعن الحال فقيل: إن المحمول من الشام المتنبي فقد البارحة من الحبس فلا يدرى خسف به الأرض أو اختطفته الطير وكان هذا المرسل أعني عليّ بن خالد زيدياً فقال بالإمامة، وحسن اعتقاده[1].

ومنها

حديث البساط المعروف ورويته من نسخة قديمة عندي قال الرّاوي: خبر من خزانة مولانا مفترض الطاعة على الخلق أجمعين أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

حدّثنا أبو عبد الله بن زكريّا عن ابن جوهر بن الأسود عن محمّد بن سابغ يرفعه إلى سلمان الفارسي (رض) انه قال:

كنا جلوساً عند مولانا أمير المؤمنين عليه السلام ذات يوم أنا وولديه الحسن والحسين عليهم السلام ومحمّد بن حنيفة ومحمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر ومقداد بن أسود الكندي، فإذا التفت إليه الحسن عليه السلام وقال: يا أمير المؤمنين إن سليمان بن داود قال: فهب لي من لدنك ملكاً لا ينبغي لأحد من النّاس وأعطاه الله تعالى ذلك، فهل ملكت شيئاً من ملك سليمان؟ فقال له أمير المؤمنين: والذي فلق الحبّة وبرأ النّسمة لقد ملك أبوك ملكاً لا يملك أحد قبله ولا بعده، فقال الحسن عليه السلام: إنّا نحبّ أن ننظر مما ملّكه الله إيّاك من الملكوت ليزداد النّاس إيمانهم.

فقال عليه السلام: نعم وكرامة وقام وصلّى ركعتين ثمّ ذهب إلى صحن داره ونحن نراه، فمدّ يده نحو المغرب حتّى بان لنا من كفّه سحابة وهو يمدّها حتّى أوقفها على الدّار، وإلى جانب تلك السحابة سحابة أخرى، ثم أشار إلى ريح وقال: اهبطي إلينا أيّتها الرّيح فوالله العظيم لقد رأينا السّحاب والرّيح قد هبطا يقولان:

نشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له ونشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله ونشهد أنّك وصي رسول كريم محمّدٍ رسول الله وأنت وليّه، من شكّ فيكم فقد هلك ومن تمسّك بك فقد سلك سبيل النجاة.

(١) الكافي: ١/٤٩٣، الثاقب في المناقب: ٥١١.

ثمّ تطأطأت السّحابتان حتى صارتا كأنهما بساطان ورائحتهما كالمسك الأذفر فقال لنا أمير المؤمنين عليه السلام: اجلسوا على الغمام فجلسنا وأخذنا مواضعنا.

ثمّ قال سلمان: إنّ أمير المؤمنين قال: أيتها الرّيح ارفعينا، فرفعتنا رفعاً رفيعاً فإذا نحن وأمير المؤمنين في تلك على كرسيّ من نور وعليه ثوبان أصفران وعلى رأسه تاج من ياقوتة صفراء وفي رجليه شراك من ياقوت يتلألأ وفي يده خاتم من درّة بيضاء يكاد نور وجهه يذهب الأبصار.

فقال له: يا أبتاه إنّ سليمان بن داود كان يطاع بخاتمه وأمير المؤمنين عليه السلام بماذا يطاع؟ فقال عليه السلام: يا ولدي أنا وجه الله، وعين الله، ولسان الله، وأنا ولي الله، وأنا نور الله، وأنا كنز الله في الأرض، وأنا القدرة المقدّرة، وأنا الجنة والنّار، وأنا سيّد الفريقين.

يا ولدي أتحبّ أن أريك خاتم سليمان بن داود؟ قال: نعم، فأدخل يده تحت ثيابه واستخرج خاتماً عليه فصّ من ياقوت مكتوب عليها أربعة أسطر، وقال: هذا والله خاتم سليمان بن داود.

قال سلمان: فبقينا متعجبين من ذلك فقال عليه السلام: من أي تعجبون وما هذا العجب إنّي لأرينكم اليوم ما لم يره أحد قبلي إلى بعدي.

فقال الحسن عليه السلام: يا أمير المؤمنين إنا نحب أن ترينا يأجوج ومأجوج والسّد فقال عليه السلام للرّيح: سيري، فقال سلمان: فوالله لمّا سمعت الريح قوله دخلت تلك السّحاب ورفعنا إلى الهواء حتّى أتينا إلى جبل شامخ في الهواء وعليه شجرة جافة وتساقط أوراقها فقلنا: ما بال هذه الشجرة قد جفت وماتت، قال: سلوها فإنها تخبركم فقال الحسن عليه السلام: ما بالك أيّتها الشّجرة قد حلّ بك ما نراه منك؟ فما أجابت، فقال لها أمير المؤمنين: بحقي عليك أيتها الشجرة أجيبيهم.

قال سلمان: فوالله لقد سمعنا وهي تقول: لبّيك لبّيك يا وصيّ رسول الله وخليفته من بعده حقّاً، فقالت للحسين: يا أبا محمّد إنّ أباك أمير المؤمنين يجيئني في كلّ ليلة ويسبّح عندي الله عزّ وجلّ ويستظلّ بي فإذا فرغ من تسبيحه جاءته غمامة بيضاء تفوح منها مسك وعليها كرسيّ فيجلس عليها ثمّ يسير به فلا أراه إلى وقته ذلك، وكان يتعاهدني كلّ ليلة وكنت أعيش من رائحته فقطعني منذ أربعين ليلة لم أعرف له خبراً والذي تراه مني مما أنكرته من فقده والغم والحزن فاسأله يا سيدي حتّى يتعاهدني بجلوسه عندي فقد عشت من رائحته في هذا الوقت وبنظري إليه، قال: فبقينا متعجبين من ذلك فقام عليه السلام ومسح يده المباركة عليها.

قال سلمان: والله الذي نفسي بيده لقد سمعت لها أنيناً وأنا أراه وهي تخضر حتى أنبتت ورقاً وأثمرت بقدرة الله عز وجل وببركاته عليه السلام، فأكلنا فكانت أحلى من السّكر، فقلنا: يا أمير

المؤمنين هذا عجب فقال ﷺ: الذي ترون بعدها أعجب ثمّ عاد ﷺ إلى موضعه وقال للرّيح: سيري بنا، فدخلت الريح تحت السّحابة ورفعنا حتى رأينا الدنيا بمثل دور الرأس ورأينا في الهواء ملكاً رأسه تحت الشمس ورجلاه في قعر البحور ويده في المغرب والأخرى في المشرق فلما خبرنا به قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمّداً عبده ورسوله وأنّك وصيّه حقاً لا شك فيك ومن شكّ فيك فهو كافر.

فقلنا: يا أمير المؤمنين من هذا الملك وما بال يده في المغرب وأخرى في المشرق؟ فقال ﷺ: أنا أقمته بإذن الله هٰهنا ووكلته بظلمات الليل وضوء النّهار ولا يزال كذلك إلى يوم القيامة وإنّي أدبر أمر الدّنيا وأصنع ما أريد بإذن الله وأمره وأعمال الخلائق إليّ وأنا أدفعها إلى الله عزّ وجلّ.

ثمّ سار بنا حتى وقفنا على يأجوج ومأجوج، فقال ﷺ للريح: اهبطي تحت هذا الجبل وأشار بيده إلى جبل شامخ إلى قرب السدّ ارتفاعه مد البصر وإذا به سواد كأنه قطعة ليلة يفور منه دخان فقال ﷺ: يا أبا محمّد أنا صاحب هذا السّد على هؤلاء العبد.

فقال سلمان: فرأيتهم ثلاثة أصناف: صنف طوله مائة وعشرون ذراعاً من عرض ستّين ذراعاً، والصّنف الثّاني طوله مائة وسبعون ذراعاً من عرض ثمانين ذراعاً، والصّنف الثالث أحدهم يفرش إذنه تحت والأخرى فوقه.

ثمّ قال للريح: سيري بنا إلى قاف فسارت بنا إلى جبل من ياقوتة خضراء وهو محيط بالدّنيا وعليه ملك في صورة بني آدم وهذا الموكل بقاف فلما نزل الملك إلى أمير المؤمنين ﷺ قال: تريد أن تسألني أن آذن لك فقد أذنت فأسرع الملك وقال: بسم الله الرّحمن الرّحيم ثمّ طار.

قال سلمان: وطفنا في ذلك حتى انتهينا إلى شجرة جافة من الشجرة الأولى فقلنا: يا أمير المؤمنين ما بال هذه الشّجرة قد ماتت؟ فقال: سلوها قال الحسن ﷺ: وقمت ودنوت أنا وأبي ﷺ وقلت لها: أقسمت عليك بحقّ أمير المؤمنين أن تخبرينا ما بالك وأنت في هذا المكان قال سلمان: فكلّمت بلسان طلق وهي تقول:

يا أبا محمّد إني كنت أفتخر على الأشجار فصارت الأشجار تفتخر عليّ وذلك أن أباك كان يجيئني في كلّ ليلة عند الثلث الأول من اللّيل يستظل بي ساعة ثمّ يأتيه فرس أدهم فيركبه ويمضي فلا أراه إلى وقته وكنت أعيش من رائحته وأفتخر به فقطعني منذ أربعين ليلة فغمّني ذلك فصرت كما ترى.

فقلنا: يا أمير المؤمنين اسأل الله في ردّها كما كانت فمسح يده المباركة ثمّ قال: يا شاه شاهان فسمعنا لها أنيناً وهي تقول: أشهد أنّك أمين هذه الأمّة ووصي رسول الله من تمسّك

بك فقد نجا ومن خالفك فقد غوى، ثمّ اخضرت وأورقت فجلسنا تحتها وهي خضرة نضرة.

فقلنا: أين ذهب هذا الملك الموكّل بقاف؟ قال عليه السلام: إلى زيارة الملك الموكل على ظلمات اللّيل وضوء النّهار فقلنا: يا أمير المؤمنين ما يزالون عن مواضعهم إلاّ بإذنك؟ فقال عليه السلام: والذي رفع السّماء بغير عمد ما أظنّ أحداً يزول عن موضعه بغير إذني إلاّ احترق.

فقلنا: يا أمير المؤمنين كنت معنا جالساً في منزلك فأيّ وقت كنت في قاف؟ فقال عليه السلام لنا: غمّضوا أعينكم فغمضناها ثمّ قال عليه السلام: افتحوها، ففتحناها فإذا نحن قد بلغنا مكّة، فقال عليه السلام: لقد بلغنا ولم يشعر أحد فكذلك كنت بقاف ولم يشعر أحد منكم.

فقلنا: يا أمير المؤمنين هذا العجب من وصيّ رسول الله فقال: والله إنّي أملك من الملكوت ما لو عاينتموه لقلتم أنت أنت، وأنا وأنا عبد الله مخلوق من الخلائق آكل وأشرب.

ثمّ أتينا إلى روضة نضرة كأنها من رياض الجنّة فإذا نحن بشاب يصلّي بين قبرين، فقلنا: يا أمير المؤمنين من هذا الشّاب؟ فقال: أخي صالح وهذان قبر أبويه يعبد الله بينهما، فلمّا نظر إلينا صالح أتى إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يبكي، فلمّا فرغ من بكائه فقلنا: ممّا تبكي؟ فقال: إن أمير المؤمنين كان يمرّ بي كلّ يوم عند الصّبح وكنت آنس به وأزداد في العبادة فقطعني منذ أربعين يوماً فأهمّني ذلك ولم أملك من شدة شوقي إليه وأصابني ما تراه، فقلنا: يا أمير المؤمنين هذا هو العجب من كلّ ما رأينا أنت معنا في كلّ يوم وتأتي إلى هذا الفتى.

فقال عليه السلام: أتحبّون أن أرينكم سليمان بن داود؟ فقلنا: نعم، فقام عليه السلام وقمنا معه ومشينا حتى دخلنا بستان لم نر قطّ مثله وفيه من جميع الفاكهة والأنهار تجري والأطيار تتغنّى، فلما نظرت الأطيار إلى أمير المؤمنين عليه السلام جعلت تظلّ على رأسه.

فإذا نحن بسرير عليه شابّ ملقى على ظهره وليس في يده خاتم وعند رأسه ثعبان وعند رجليه ثعبان فلمّا نظرا إلى أمير المؤمنين عليه السلام انكبّا على قدميه يمرغان وجوههما على التراب ثمّ صارا كالتّراب فقلنا: يا أمير المؤمنين هذا هو سليمان؟ قال: نعم وهذا خاتمه ثمّ أخرج من يده الخاتم وجعله في يد سليمان ثمّ قال: قم يا سليمان بإذن من يحيي العظام وهي رميم وهو الله الذي لا إله إلا هو الحيّ القيوم القهّار ربّ السّماوات والأرضين ربّي وربّ آبائنا الأوّلين.

قال سلمان: فسمعنا سليمان يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحقّ ليظهره على الدّين كله ولو كره المشركون، وأشهد أنّك وصيّ رسول الله الأمين الهادي، وإنّي سألت ربّي عز وجلّ أن أكون من شيعتك ولولا ذلك ما ملكت شيئاً.

قال سلمان: فلما سمعت ذلك وثبت وقبلت أقدام أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ نام سليمان

وقمنا ندور في قاف فسألته ما وراء قاف؟ فقال عليه السلام: وراءه أربعين دنيا كلّ دنيا مثل الدّنيا التي جئنا أربعين مرّة، فقلت له: يا أمير المؤمنين كيف علمك بذلك؟ قال عليه السلام: كعلمي بهذه الدّنيا ومن فيها وبطرف السّماوات والأرضين.

يا سلمان كتبت على اللّيل فأظلم، وعلى النهار فأضاء، أنا المحنة الواقعة على الأعداء الطامة الكبرى، أسماؤنا كتبت على العرش حتّى استند، وعلى السّماوات فقامت، وكتبت على الأرض فسكنت، وعلى الرّياح فذرت، وعلى البرق فلمع وعلى النّور فسطع، وعلى الرّعد فخشع، وأسماؤنا مكتوبة على جبهة إسرافيل الذي جناحه في المشرق والمغرب وهو يقول: سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والرّوح.

ثمّ قال عليه السلام لنا: اغمضوا أعينكم فغمضنا ثمّ قال عليه السلام: افتحوها ففتحنا فإذا نحن بمدينة لم نر أكبر منها وإذا الأسواق بائرة وأهلها قوم لم نر أطول منهم خلقاً كلّ واحدة كالنخلة، فقلنا: من هؤلاء القوم فما رأينا أعظم منهم خلقاً؟ قال عليه السلام: هؤلاء قوم عاد وهم كفّار لا يؤمنون بيوم الميعاد وبمحمّد صلى الله عليه وآله، فأحببت أن أرينكم إيّاهم في هذا الموضع ولقد مضيت بقدرة الله تعالى، واقتلعت مدينتهم وهي مدائن الشّرق وأتيتكم بها وأنتم لا تشعرون، وأحببت أن أقاتل بين يديكم.

ثمّ دنا منهم فدعاهم إلى الإيمان فأبوا فحمل عليه السلام عليهم وحملوا عليه ونحن نراهم ولا يرونا فتباعد عنهم ودنا منا فمسح يده عليه السلام على أبداننا وقلوبنا وقال: ثبتوا على الإيمان ثمّ مشى إليهم ودعاهم ثانية إلى الإيمان ونحن نراهم فأبوا ثم زعق زعقة.

قال سلمان: فوالذي نفسي بيده لقد ظننت أن الأرض قد انقلبت والجبال قد تدكدكت ورأيتهم صرعى كأعجاز نخل خاوية قال: لا أضعف إيمانكم.

قال لنا: أتحبّون أن أرينكم ما هو أعجب من هذا؟ فقلنا: يا أمير المؤمنين ما لنا قوّة والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فعلى من لا يؤمن بك لعنة الله ولعنة الملائكة والنّاس أجمعين.

ثمّ صاح عليه السلام بالغمامة، فإذا هي قد أقبلت فقال: اجلسوا على السحابة فجلسنا وجلس هو على الأخرى ثمّ تكلّم بما لم نفهمه فما استتم كلامه حتّى طارت بنا في الهواء، ثمّ رفعتنا حتى رأينا الدنيا مثل دور الدراهم ثمّ حططنا دار أمير المؤمنين علي عليه السلام في أقلّ من طرفة عين وأنزلنا والمؤذن يؤذّن للظهر وكنا مضينا عند طلوع الشمس، فقلنا: هذا هو العجب كنّا في قاف وقطعنا ورجعنا في خمس ساعات، فقال أمير المؤمنين: لو أردت أطوف بكم الدّنيا وجميع السماوات والأرض في أقل من مدّ البصر لفعلت بقدرة الله تعالى وجلاله وبركة رسوله صلى الله عليه وآله وأنا وصيّه ولكن أكثر النّاس لا يعلمون.

فقال سلمان: قلنا: لعن الله من جحدك وغصب حقّك وضاعف عليهم العذاب الأَليم وجعلنا ممن لا يفارق منك ساعة في الدّنيا والآخرة بمحمّد وآله عليهم السّلام.

أقول: ورواه المحدث العلاّمة المجلسي طاب ثراه في المجلد السابع من «البحار» من كتاب «المختصر»[١] للشيخ حسن بن سليمان من كتاب «منهج التحقيق إلى سوء الطريق» لبعض علماء الإمامية بإسناده عن سلمان الفارسي نحو ما رويناه وقال بعد ما أورده: أقول: هذا خبر غريب لم نره في «الأصول» التي عندنا ولا نردها ونردّ علمها إليهم عليهم السلام.

ومنها

ما في المجلّد الثّامن من «البحار» من كتاب «المحتضر» عن بعض العلماء في كتابه عن جابر بن عبد الله الأَنصاري قال: إنّ أمير المؤمنين كان يخرج في كلّ جمعة ظاهر المدينة ولا يعلم أحد أين يمضي، قال: فبقي على ذلك برهة من الزّمان، فلما كان في بعض الليالي قال عمر بن الخطاب: لا بد من أن أخرج وأبصر أين يمضي عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال: فقعد له عند باب المدينة حتى خرج ومضى على عادته فتبعه عمر وكان كلّما وضع عليّ عليه السلام قدمه في موضع وضع عمر رجله مكانها، فما كان إلا قليلاً حتى وصل إلى بلدة عظيمة ذات نخل وشجر ومياه غزيرة ثمّ أن أمير المؤمنين عليه السلام دخل إلى حديقة بها ماء جار فتوضأ ووقف بين النخل يصلّي إلى أن مضى من اللّيل أكثره.

وأمّا عمر فإنّه نام فلما قضى أمير المؤمنين عليه السلام وطره من الصّلاة عاد ورجع إلى المدينة حتى وقف خلف رسول الله صلى الله عليه وآله وصلّى معه الفجر فانتبه عمر فلم يجد أمير المؤمنين في موضعه فلما أصبح رأى موضعاً لا يعرفه وقوماً لا يعرفهم ولا يعرفونه فوقف على رجل منهم.

فقال له الرجل: من أنت ومن أين أنت؟ فقال عمر: من يثرب مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله فقال له الرّجل: يا شيخ تأمل أمرك وأبصر ما تقول فقال: هذا الذي أقوله لك قال الرّجل: متى خرجت من المدينة؟ قال: البارحة قال له: اسكت لا يسمع الناس منك فتقتل أو يقولون: هذا مجنون، فقال: الذي أقول حق.

فقال له الرّجل: حدّثني كيف حالك ومجيئك إلى هٰهنا؟ فقال عمر رضي الله عنه: كان عليّ بن أبي طالب في كلّ ليلة جمعة يخرج من المدينة ولا نعلم أين يمضي فلمّا كان في هذه اللّيلة تبعته وقلت: أريد أن أبصر أين يمضي فوصلنا إلى هٰهنا فوقف يصلي ونمت ولا أدري ما صنع.

فقال له الرّجل: ادخل هذه المدينة وأبصر الناس واقطع أيامك إلى ليلة الجمعة فما لك

(١) المحتضر: ٦٦، والبحار: ٣٠/٣٣٣ ح ١٥٧.

أن يحملك إلى الموضع الذي جئت منه إلاّ الرّجل الذي جاء بك، فبيننا وبين المدينة أزيد من مسيرة سنتين فإذا رأينا من يرى المدينة ورأى رسول الله ﷺ نتبرك به ونزوره وفي بعض الأحيان نرى من أتى بك فتقول أنت قد جئتك في بعض ليلة من المدينة.

فدخل عمر إلى المدينة فرأى النّاس كلّهم يلعنون ظالمي أهل بيت محمد ﷺ ويسمونهم بأسمائهم واحداً واحداً وكلّ صاحب صناعة يقول ذلك وهو على صناعته، فلما سمع عمر ذلك ضاقت عليه الأَرض بما رحبت وطالت عليه الأيّام.

حتّى جاء ليلة الجمعة فمضى إلى ذلك المكان فوصل أمير المؤمنين عليه السلام إليه على عادته فكان عمر يترقّبه حتى مضى معظم اللّيل وفرغ من صلاته وهم بالرّجوع فتبعه عمر حتّى وصلا الفجر المدينة، فدخل أمير المؤمنين عليه السلام المسجد وصلّى خلف رسول الله ﷺ وصلّى عمر أيضاً ثمّ التفت النبيّ إلى عمر فقال: يا عمر أين كنت أسبوعاً لا نراك عندنا فقال عمر: يا رسول الله كان من شأني كذا وكذا وقصّ عليه ما جرى له فقال النبي ﷺ: لا تنس ما شاهدت بنظرك، فلمّا سأله من سأله عن ذلك فقال: نفذ فيّ سحر بني هاشم[1].

قال المجلسي (ره) أقول: هذا حديث غريب لم أره إلاّ في الكتاب المذكور، هذا.

وغرائب شؤوناتهم عليهم السلام متجاوزة عن حد الإحصاء ولو أردت ذكر يسير من كثير لصار كتاباً كبير الحجم وفيما أوردته كفاية للمستبصر وهداية للمهتدي، والله العالم الخبير بمقامات حججه وأوليائه الكرام عليهم الصّلاة والسّلام.

(١) المحتضر: ٦٨، وبحار الأنوار: ٣٠/ ٣٣٥.

الترجمة

پس کدام راه می روید ای مردمان گمراه؟ و کجا بازگردانیده می شوید ای خلق تباه؟ وحال آنکه علامات هدایت برپا است و آیات قدرت روشن و هویدا است و مناره های بلندپایه به جهت هدایت مرکوز و منصوب است. پس کجا حیران گردانیده می شوید در تباهی؟ بلکه چگونه متردّد می باشید در گمراهی؟ و حال آنکه در میان شما است اهل بیت پیغمبر شما و ایشان زمام های حق اند و زبان های صدق، پس نازل نمایید ایشان را در نیکوترین منزل های قرآن و وارد شوید به ایشان مثل وارد شدن شتران عطشان به آب فرات و روان.

ای مردمان اخذ نمائید این روایت را از حضرت خاتم الانبیاء علیه التحیة والثناء: به درستی که می میرد کسی که مرد از ما و حال آنکه مرده نیست به حقیقت و می پوسد آنکه پوسیده از ما و حال آنکه پوسیده نیست در واقع، پس قائل نشوید به چیزی که معرفت ندارید به آن، زیرا که اکثر حق در آن چیزی است که شما انکار می نمایید آن را و معذور دارید شخصی را که حجت نیست شما را بر او و منم آن شخص.

آیا عمل نکردم در میان شما به بار گران بزرگتر که عبارت است از قرآن؟ و آیا نگذاشتم در میان شما بار گران کوچکتر که عبارت است از عترت سیّدالبشر؟ و مرکوز ساختم در میان شما رایت ایمان و اسلام را و واقف گردانیدم شما را به حدود حلال و حرام و پوشانیدم به شما لباس عافیت را از عدل و انصاف خود و گسترانیدم از برای شما بساط امر معروف را از گفتار و کردار خود و بنمودم به شما خلق های پسندیده از نفس خود، پس استعمال نکنید رأی های خود را در آنچه که درك نمی نماید نهایت آن را بصر و سرعت نمی تواند کند به سوی آن فکرهای ارباب فکر و نظر و آن عبارت است از مقامات نورانیّه ائمه أنام علیهم الصلاة و السّلام.

الفصل الرابع

منها حَتّى يَظُنَّ الظّانُ إنَّ الدُّنْيا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَني أُمَيَّةَ، تَمْنَحُهُمْ دَرَّها، وَتُورِدُهُمْ صَفْوَها، وَلاَ يُرْفَعُ عَنْ هَذِهِ الأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلاَ سَيْفُها، وَكَذِبَ الظّانُّ لِذَلِكَ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِن لَذيذِ الْعَيْشِ يَتَطَعَّمُونَها بُرْهَةً، ثُمَّ يَلْفِظُونَها جُمْلَةً(١).

اللغة

(**عقلت**) البعير عقلاً من باب ضرب حبسته بعقال و(**منح**) زيد عمراً يمنح من باب منع أعطاه ومنه المنحة بالكسر وهي الشاة أو النّاقة المعادة للبنها و(**الدّر**) في الأصل اللّبن ثمّ استعمل في كلّ خير ونفع ومنه قولهم: لله درّه و(**مجّ**) الشّراب من فيه مجّاً قذفه ورماه وانمجّت نقطة من القلم ترششت، والمجّة في النسخ بفتح (**الميم**) والأنسب أن يكون بالضمّ وهو على ما في «القاموس» نقط العسل على الحجارة و(**البرهة**) مدّة من الزّمان لها طول.

الإعراب

(**حتّى**) لانتهاء الغاية وقد حذف المغيا وترك ذكره في الكتاب، (**والواو**) في قوله: (**وكذب الظّان**) حالية، وجملة (**يتطعمونها**) في محل الرفع صفة لمجّة.

المعنى

اعلم أن المستفاد من شرح المعتزلي أنّ هذه الخطبة ملتقطة من خطبة طويلة حذف السّيد منها كثيراً ولم أعثر بعد على تمامها، وهذا الفصل من جملة أخباره الغيبية مسوق لبيان حال بني أميّة وابتلاء الخلق بهم، ولعل ما قبل هذا الفصل أنّه:

يليكم ولاة يتمادون في الطّغيان والغفلة، ويكون النّاس بهم في طول عناء وشدّة (**حتّى يظنّ الظان أنّ الدّنيا معقولة على بني أمية**) أي محبوسة في أيديهم لا تتجاوز عنهم إلى غيرهم كالناقة المحبوسة بالعقال (**تمنحهم درّها وتوردهم صفوها**) أي تعطيهم منفعتها وتبذل لهم صافي فوائدها كما أن المنحة تعطي لبنها لحالبها وتبذله له (**ولا يرفع عن هذه الأمة سوطها ولا سيفها**) أي لا يرفع عن الأمّة عذاب الدّنيا بهم وتجوز بلفظ السوط والسّيف عن القتل والاستئصال والعذاب لكونهما آلتين لهما (**وكذب الظان لذلك**) في ظنه وزعمه (**بل هي مجّة**

(١) بحار الأنوار: ٣١/٥٤٨ ح ٥٠، ينابيع المودة لذوي القربى: ٣/ ٤٣٣.

من للذيذ العيش) أي حقيرة قليلة كالريقة التي تمجّ من الفم **(يتطعّمونها برهة)** من الزمان ويلتذون بها مدّة ملكهم وإمارتهم **(ثمّ يلفظونها جملة)** أي يرمونها بكلّيتها وهو كناية عن زوالها عنهم بالمرّة.

أقول: وقد كان الأمر على ما أخبر به الإمام عليه السلام فإن بني أميّة قد تسلّطوا على العباد، وتملكوا البلاد، ونهبوا الأموال، وقتلوا الرّجال، وأراقوا دماء الشّيعة بكلّ بلدة، وقطعوا الأيدي والأرجل على الظنّة، ولم يخرج عليهم خارج إلا وظفروا عليه وقهروه، ولم يقم لإزالة ملكهم قائم إلاّ وغلبوا عليه وقتلوه، حتى ظنّ الناس أن الدّنيا معقولة عليهم، وسلطنتها دائمة في حقّهم، فأذن الله في هلاكهم وأراد زوال ملكهم فاختلفت كلمتهم وتضعضع أمرهم فزالت دولتهم:

﴿كَرَمَادٍ ٱشۡتَدَّتۡ بِهِ ٱلرِّيحُ فِي يَوۡمٍ عَاصِفٖۖ﴾ [إبراهيم: ١٨].

وقد كانت مدّة ملك السّلطنة ألف شهر على ما أخبر الله به نبيّه صلى الله عليه وآله.

كما قال الصّادق عليه السلام في رواية «الكافي»: أري رسول الله صلى الله عليه وآله في منامه أن بني أميّة يصعدون على منبره من بعده ويضلّون النّاس عن الصراط القهقري فأصبح كئيباً حزيناً قال: يا جبرئيل إنّي رأيت بني أميّة في ليلتي هذه يصعدون منبري يضلّون النّاس عن الصّراط القهقري، فقال: والذي بعثك بالحقّ نبيّاً إني ما اطلعت فعرج إلى السّماء، فلم يلبث أن نزل عليه بآي من القرآن يونسه بها:

﴿أَفَرَءَيۡتَ إِن مَّتَّعۡنَٰهُمۡ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ * مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧] وأنزل عليه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ۝٣﴾ [القدر: ١-٣].

ملك بني أميّة[1].

وبمعناه أخبار أخرى.

(١) الكافي: ٤/١٥٩ ح ١٠، وبحار الأنوار: ٢٨/٧٧ ح ٣٦.

الترجمة

این فصل متضمن اخبار از ابتلاء اهل روزگار به بنی امیّه کج رفتار و زوال ملك از آن طایفه بدکردار است، می فرماید:

تا اینکه گمان می کند گمان کننده اینکه دنیا محبوس است و مربوط به بنی امیه در حالتی که می دهد به ایشان منفعت خود را و وارد می کند ایشان را به آب صافی خود و رفع نمی شود از این امت تازیانه دنیا و نه شمشیر آن و حال آنکه دروغ گفت گمان برنده آن؛ یعنی ظن او به دوام دولت بنی امیّه فاسد است، بلکه آن دولت ایشان چیز قلیل و حقیری است از لذت زندگانی به منزله آبی که از دهن می اندازند، ملتذ می شوند با آن زمانی، پس بیندازند آن را بالمرّه چون انداختن لقمه از دهان و این کنایه است از زوال ملك ایشان بالکلّیه.

ومن خطبة له عليه السلام وهي السابعة والثمانون من المختار في باب الخطب

وهي مرويّة في كتاب «الرّوضة» من «الكافي» باختلاف كثير تطلع عليه إن شاء الله بعد الفراغ من شرح ما أورده السيد (ره) في الكتاب وهو قوله عليه السلام:

أمّا بَعد فَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَقْصِمْ جَبّاري دَهْرٍ قَطُّ إلاّ بَعْدَ تَمْهِيلٍ ورَخاءٍ، وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ إلاّ بَعْد أَزْلٍ وَبَلاءٍ، وفي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ، وَاسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ، وما كُلُّ ذي قَلْبٍ بِلَبِيبٍ، وَلاَ كُلُّ ذي سَمْعٍ بِسَميعٍ، وَلا كُلُّ ذي ناظِرٍ بَصير، فَيا عَجَباً وَمَا لِي لا أَعْجَبُ مِنْ خَطَأ هَذِهِ الْفِرَقِ عَلَىٰ اخْتِلاَفِ حُجَجِها في دِينِها، لا يَقْتَصونَ أَثَرَ نَبِيٍّ، وَلاَ يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ، لاَ يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ، وَلاَ يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ، يَعْمَلُونَ في الشُّبُهاتِ، ويَسيرُونَ في الشَّهَواتِ، المعرُوفُ فيهِمْ ما عَرَفُوا، وَالْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ ما أَنْكَرُوا، مَفْزَعُهُمْ في الْمُعْضَلاتِ إلىٰ أَنْفُسِهِمْ، وتَعْوِيلُهُمْ في الْمُبْهَماتِ عَلىٰ آرائِهِمْ، كَأَنَّ كُلَّ امْرِىءٍ مِنْهُمْ إمامُ نَفْسِهِ، قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فيما يَرىٰ بِعُرىً وَثِقاتٍ وأَسْبابٍ مُحْكَماتٍ[١].

اللغة

(**قصمه**) يقصمه من باب ضرب كسره وأبانه أو كسره وإن لم يبن و(**الجبار**) كلّ عات و(**مهله**) تمهيلاً أجله و(**رخى**) العيش ورخو (**بالياء**) (**والواو**) رخاوة من باب تعب وقرب إذا اتّسع فهو رخيّ على وزن فعيل والرّخا اسم منه، وفي بعض النسخ الإرجاء (**بالجيم**) من باب الأفعال وهو التأخير فيكون عطفه على التّمهيل من باب التوضيح والتّفسير و(**جبرت**) العظم جبراً من باب قتل أصلحته و(**الأزل**) الضّيق والشدّة و(**العتب**) بالسّكون الموحدة ويروى بفتح (**التاء**) وهو الشّدة والأمر الكريه و(**الخطب**) الأمر المعظم كما في قوله: فما خطبك يا سامري، ويروى من خصب (**بالصاد**) المهملة وهو السّعة ورخاء العيش.

وفي بعض النسخ استقبلتم من خطب واستدبرتم من عتب، وفي بعض النسخ فياعجبي بالإضافة إلى (ياء) المتكلم (**يقتصون**) وما بعده من الأفعال في بعض النسخ بصيغة المذكر باعتبار المعنى وفي بعضها بصيغة التأنيث باعتبار ملاحظة لفظ الفرقة وعود الضمير فيها إليها و(**عفّ**) يعف من باب ضرب عفّاً وعفافاً وعفافة بفتحهن وعفة بالكسر فهو عف وعفيف كفّ عما لا يحلّ وامتنع منه.

(١) الأصول الأصلية: ١٢٢، عيون الحكم والمواعظ: ٣٦١.

وفي بعض النسخ يعفون بسكون (**العين**) والتخفيف من العفو وهو الصفح وترك عقوبة المستحق و(**المعضلات**) في النسخ بفتح الضاد وكذلك في الخطبة السابقة والمضبوط في «القاموس» و«الأوقيانوس» بصيغة الفاعل وهي الشدائد من أعضل الأمر إذا اشتد و(**العرى**) جمع العروة كمدية ومدى وهو ما يستمسك به الشيء ومنه عروة الكوز لمقبضه وإذنه و(**السبب**) الحبل وما يتوصل به إلى الاستعلاء[1] ثمّ استعير لكلّ شيء يتوصلّ به إلى أمر من الأمور.

الإعراب

(**قطّ**) من ظروف الزّمان ومعناه الوقت الماضي عموماً ولا يستعمل إلاّ بمعنى أبداً والغالب استعماله في الماضي المنفيّ وقد يستعمل بدون النّفي لفظاً ومعنى، نحو كنت أراه قطّ أي دائماً وقد استعمل بدونه لفظاً لا معنى، نحو هل رأيت الذّئب قطّ وهو مبنيّ لأن بعض لغاته على وضع الحروف وبنائه على الضّم حملاً على أخيه عوض لأن عوض للمستقبل المنفي وهو للماضي المنفي وبني عوض على الضمّ لانقطاعه عن الإضافة كقبل وبعد.

قال الرّضي: الأولى أن يقال بنى لتضمنه لام الاستغراق لزوماً لاستغراقه جميع الماضي بخلاف أبداً فليس الاستغراق لازماً لمعناه، ألا ترى إلى قولهم: طال الأبد على أبد، (**ودون**) ظرف مبني على الفتح يقال: هذا دون ذلك أي أقرب منه، ومنه المثل دونه خرط القتاد، (**وعجباً**) إما منصوب على النّداء والتنوين عوض عن المضاف إليه أي يا عجبي أحضر، أو منتصب على المصدر أي يا نفس أعجب عجباً، (**وما**) استفهامية (**ومن خطأ**) إما متعلّق بعجباً أو أعجب على سبيل التنازع، وعلى اختلاف إما بمعنى (**اللام**) كما في قوله:

﴿وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فتكون علّة للخطأ، وإمّا بمعنى (**مع**) كما في قوله تعالى:

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ﴾ [الإنسان: ٨].

بناء على عود الضّمير في حبّه إلى الطعام دون الله سبحانه، ويحتمل أن يكون للاستعلاء المجازي والمتعلّق محذوف والتقدير من (**خطأ هذه الفرق**) مبنيّاً على اختلاف حججها، (**وفي دينها**) متعلّق بالخطأ، وجملة (**لا يقتصّون**) استئناف بيانيّ مسوق لبيان جهة الخطأ أو جهة الاختلاف على سبيل منع الخلو، فافهم جيّداً، وتحتمل الحالية والأوّل أظهر، (**وكانّ كلّ امرء**) من حروف المشبّهة وفي بعض النسّخ بحذفها وإسقاطها، قال الشّارح المعتزلي وهو

(١) في نسخة: الغير.

حسن أقول: بل إثباتها أحسن ويظهر وجهه بالتأمّل.

المعنى

اعلم أن مقصوده عليه السلام بهذه الخطبة توبيخ النّاس وذمّهم على اختلافهم في الدّين وعدولهم عن الإمام المبين واستبدادهم بالآراء واعتمادهم على الأهواء فمهد عليه السلام أوّلاً مقدّمة متضمّنة للتّخويف والتّحذير والتّنبيه والتّذكير وقال:

(أمّا بعد) حمد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله وآله (فإن) عادة (الله سبحانه) قد جرت في القرون الخالية والأمم الماضية على أنّه (لم يقصم جبّاري دهر قط) ولم يكسر عظام أحد منهم ولم يهلكهم (إلاّ بعد تمهيل ورخاء) أفلم تر أولاد سبقا فلقد آتاهم الله سوابغ الآلاء وروافغ النّعماء وكان لهم في مسكنهم جنتان.

﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا۟﴾ [سبأ: ١٥].

فأرسل عليهم سيل العرم ومزّقهم بما كفروا كلّ ممزق.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم: ٥].

أولم تر إلى شدّاد بن عاد كيف بنى:

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ * ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَٰدِ * وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ * وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ [الفجر: ٧-١٠].

الذي طغى في البلاد، ومن حذا حذوهما ممّن ملك الرّقاب وتسلّط على العباد فأكثر فيهم الفساد.

﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾﴾ [الفجر: ١٣] ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الزمر: ٢١].

ومقصوده عليه السلام بهذا الكلام إنذار من قصده بالأفهام من أهل زمانه وتحذيرهم من الانغماس في الغفلة والافتتان بالرخاء والدّعة والاغترار ببضاضة الشّباب وغضارة الصّحة كي لا يلحقهم ما لحق من قبلهم ولا يأخذهم ربّهم بسوء فعلهم فيكونوا عبرة لمن بعدهم (ولم يجبر عظم أحد من الأمم) ولم يظهرهم على عدوّهم (إلا بعد أزل وبلاء) وضيق وعناء.

وتصديق ذلك في الأمم الماضية بما وقع لبني إسرائيل من فرعون حيث جعلهم في الأرض شيعاً يذبّح أبناءهم ويستحيي نساءهم وفيه بلاء مبين فلما تمّت البليّة وعظمت الرزية جبر الله كسرهم وشدّ أزرهم وأغرق فرعون وجنوده أجمعين ومنّ على الذين استضعفوا في الأرض وجعلهم أئمة وجعلهم الوارثين.

وفي الأمة المرحومة بما وقع يوم الأحزاب عند اجتماع العرب الأتراب إذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً وقالوا: هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلاّ إيماناً وتسليماً وقال المنافقون: ما وعدنا الله ورسوله إلاّ غروراً فلما ابتلوا بذاك وأيقنوا بالقتل والهلاك أنعم الله عليهم وأعانهم بريح وجنودٍ لم يروها وكان الله قوياً عزيزاً.

وفي هذا الكلام تنبيه على الثبات والصبر ورجاء الظّفر والصبر وعدم اليأس من روح الله والقنوط من رحمة الله عند ضيق المسالك والتقحم في المهالك، هذا.

ويحتمل أن يكون مقصوده عليه السلام بالفقرة الأولى أعني قوله: **(لم يقصم جبّاري دهر)** (اه) الإشارة إلى مآل حال معاوية وأمثاله من جبابرة دهره عليه السلام والباغين عليه من طلحة والزّبير ومن حذا حذوهما من العتاة، والتنبيه على أن الله يقصم ظهرهم ويكسر صولتهم ويسلبهم ملكهم ودولتهم وإن طالت مدّتهم وشوكتهم كما قال تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ * ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ * مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء: ٢٠٥-٢٠٧].

وبالفقرة الثانية أعني قوله: **(ولم يجبر عظم أحد)** (اه) تسلّي هم أصحابه وكآبتهم بالوهن والضعف والضّنك والضّيق الذي أصابهم من المتخلفين ومعاوية وأصحابه رضي الله عنهم وحثّهم على الاتفاق والائتلاف وتحذيرهم من التّفرق والاختلاف، إذ في الاجتماع رجاء النّصرة والاختلاف مظنة المغلوبية.

ويؤيد هذا الاحتمال في الفقرتين ويعاضده التّأمل في سائر فقرات الخطبة على رواية الرّوضة الآتية **(وفي دون ما استقبلتم من عتب واستدبرتم من خطب معتبر)** يحتمل أن يكون المراد بالعتب الذي استقبلوه عتابه عليه السلام وموجدته عليهم بتشتّت الآراء وتفرّق الأهواء، وهو على رواية العتب بسكون **(التاء)**، وبالخطب الذي استدبروه الأمور المعظمة والملاحم التي وقعت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم السّقيفة ويوم الشورى ويوم الدّار وأن يكون المراد بالعتب الشدائد والكراية التي أصابتهم من المتخلّفين وهو على رواية العتب بفتح **(التاء)** وبالخطب الأهوال التي كانوا يرونها من المشركين في بدء الإسلام حيث كانوا قليلين وكان المشركون كثيرين فأيّدهم الله بنصره بالتأليف بين قلوب المؤمنين وأظهرهم على الكافرين.

(و) كيف كان فهو عليه السلام يقول: **(إن فيما استقبلتم واستدبرتم من الأمور المفيدة للاتّعاظ والاعتبار لعبرة لأولي الفهم والعقل والذكاء، وموعظة لذوي الأبصار والأسماع)**، وإنما يتذكر أولو الألباب، ويعتبر السّميع البصير المميّز للقشر من اللّباب، لأنهم المنتفعون بالعبر

والحائزون قصب السّبق في مضمار الاعتبار بصحيح النّظر إذ (**ما كلّ ذي قلب بلبيب ولا كلّ ذي سمع بسميع ولا كلّ ذي ناظر ببصير**) فربّ قوم لهم أرجل لا يمشون بها، ولهم أيد لا يبطشون بها، ولهم عقول لا يفقهون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم أعين لا يبصرون بها، وفي ذلك تحريض على الاتّعاظ والاعتبار وترغيب في الازدجار والادّكار.

(**فيا عجباً وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها**) وأدلتها (**في دينها**) تعجّب عليه السلام من اختلاف الفرق وأخطائهم في الدين وافتراقهم في شرع سيّد المرسلين اعتماداً منهم على أدلتهم المتشتّتة وحججهم المختلفة، واتّكالاً على أصولهم التي أصّلوها وقواعدهم التي فصّلوها، واستبداداً منهم بعقولهم الفاسدة وآرائهم الكاسدة:

ويبيّن عليه السلام جهة الخطأ والاختلاف بأنهم (لا يقتصّون أثر نبيّ) لأنّهم لو اقتصوه واتّبعوه لما اختلفوا إذ ما جاء به النّبي صلى الله عليه وآله واحد وشرعه واحد وكتابه واحد فلو اقتفوه لاتّفقوا وأصابوا حسبما مرّ توضيحه في الكلام الثّامن عشر وشرحه (ولا يقتدون بعمل وصيّ) إذ الوصيّ مقتد في عمله بالنّبي صلى الله عليه وآله فلو اقتدوا به لكانوا مقتدين بالنّبيّ وبه مهتدين ولم يكن هناك اختلاف وخطأ حسبما عرفت آنفاً وحيث اختلفوا علم أنّهم كانوا تاركين أثره غير مقتدين عمله.

ويوضح ذلك ما في «غاية المرام» من «أمالي الشّيخ» مسنداً عن المجاشعي عن الرّضا عن آبائه عليهم السلام قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول لرأس اليهود: على كم افترقتم؟ فقال: على كذا وكذا فرقة، فقال عليّ عليه السلام: كذبت، ثمّ أقبل على الناس وقال: والله لو ثنّيت لي الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم وبين أهل القرآن بقرآنهم، افترقت اليهود على أحد وسبعين فرقة سبعون منها في النّار وواحدة ناجية في الجنة وهي التي اتّبعت يوشع بن نون وصيّ موسى، وافترقت النّصارى على اثنتين وسبعين فرقة إحدى وسبعون فرقة في النّار وواحدة في الجنة وهي التي اتبعت شمعون وصيّ عيسى (ع)، وتفترق هذه الأمّة على ثلاث وسبعين اثنتان وسبعون فرقة في النار وواحدة في الجنّة وهي الّتي اتّبعت وصيّ محمّد صلى الله عليه وآله وضرب بيده على صدره ثمّ قال عليه السلام: ثلاث عشرة فرقة من الثلاث وسبعين فرقة كلّها تنتحل مودّتي وحبّي واحدة منها في الجنّة وهم النمط الأوسط واثنتا عشرة في النّار[1].

و(لا يؤمنون بغيب) المراد بالغيب إما القرآن الذي يصدّق بعضه بعضاً.

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

وإمّا مطلق ما غاب من الحواس من توحيد الله ونبوّة الأنبياء وولاية الأوصياء والرجعة

(١) الأمالي: ٥٢٤، والاحتجاج: ١/٣٩٢.

والبعث والحساب والجنّة والنّار وسائر الأمور التي يلزم الإيمان بها ممّا لا يعرف بالمشاهدة وإنّما يعرف بالبراهين والأدلة التي نصبها الله عليه، وعلى أيّ تقدير فانتفاء الإيمان بالغيب أيضاً من أسباب اختلاف الفرق وجهات أخطائها في المذاهب إذ لو كانوا يؤمنون بالغيب وبه مذعنين لكانوا مهتدين إلى الحق والصّواب في كلّ باب فإن:

﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] و﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢-٣].

(ولا يعفون عن عيب) إذ ملكه العفاف والوقوف عند المحرّمات والشّبهات مانعة عن الاستبداد بالآراء التي نشأت منها الفرقة والاختلاف موجبة للفحص عن الحق والاهتداء إلى صوب الصّواب، وحيث لم يكن لهم عفاف وحائطة في الدين لم يبالوا في أيّ واد يهيمون، وعلى رواية لا يعفون بالتخفيف، فالمراد به عدم العفو عن عيوب النّاس، وعلى هذه الرّواية فهو من فروعات الخطأ في الدّين إذ العفو عن عيوب المذنبين من صفات المتّقين والمصيبين من المؤمنين كما شهد به الكتاب المبين:

﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ * ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٤].

(يعملون في الشّبهات) أي لا يقفون في ما اشتبه عليهم أمره ولا يبحثون عن وجه الحق فيه بل يعملون فيه بما أدّى هواهم اليه وإليه الإشارة في قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ﴾ [يونس: ٢٧] وفي قوله: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

روى في «الوسائل» من تفسير عليّ بن إبراهيم عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير الآية الأولى قال عليه السلام: هؤلاء أهل البدع والشّبهات والشّهوات يسود الله وجوههم يوم يلقونه(١).

وعنه عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير الآية الثانية قال: هم النّصارى والقسّيسون والرّهبان وأهل الشّبهات والأهواء من أهل القبلة والحرورية وأهل البدع(٢).

(١) وسائل الشيعة: ٢٧/ ١٧٢ ح ٣٣٥٢٢، تفسير القمي: ١/ ٣١١.
(٢) وسائل الشيعة: ١٨/ ١٢٦ ح ٣٣٥٠٠، بحار الأنوار: ٢/ ٢٩٨ ح ٢٣.

(ويسيرون في الشّهوات) لما لاحظ عليه السلام ميل طباعهم إلى اللّذات الدّنيوية وانهماكهم في الشّهوات النفسانية قاطعين مراحل الأوقات بالتّلذذ بتلك اللّذات والشّهوات لا جرم جعل الشّهوات بمنزلة طرق مسلوكة وجعل اشتغالهم بها بمنزلة السّير في تلك الطرق (المعروف فيهم ما عرفوه) بعقولهم الفاسدة وإن لم يكن معروفاً في الشريعة (والمنكر عندهم ما أنكروا) بآرائهم الكاسدة وإن لم يكن منكراً في الحقيقة (مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم) دون الأئمة الذين يهدون بالحق وبه يعدلون (وتعويلهم في المبهمات على آرائهم) دون أهل الذكر الذين أمر بسؤالهم بقوله:

﴿فَسْئَلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

(كان كلّ امرىء منهم إمام نفسه) وكأنّ دليل كلّ واحد منهم رأيه وهواه **(قد أخذ منها فيما يرى)** ويظنّ **(بعرى وثقات)** لا انفصام لها **(وأسباب محكمات)** لا يضل من تمسّك بها وإنّما مثلهم في ذلك:

﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤١] ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

تكملة

هذه الخطبة مرويّة في كتاب «الرّوضة» باختلاف كثير عن أحمد بن محمّد الكوفي عن جعفر بن عبد الله المحمّدي عن أبي روح فرج بن قرة عن جعفر بن عبد الله عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خطب أمير المؤمنين عليه السلام بالمدينة فحمد الله فأثنى عليه وصلّى على النبي صلى الله عليه وآله ثم قال عليه السلام:

أمّا بعد، فإنّ الله تبارك وتعالى لم يقصم جبّاري دهر إلاّ من بعد تمهيل ورخاءٍ، ولم يجبر كسر عظم من الأمم إلاّ بعد أزل وبلاء، أيّها النّاس في دون ما استقبلتم من خطب واستدبرتم من خطب معتبر، وما كلّ ذي قلب بلبيب، ولا كلّ ذي سمع بسميع، ولا كلّ ذي ناظر عين ببصير.

عباد الله أحسنوا فيما يعنيكم النّظر فيه ثمّ انظروا إلى عرصات من قد أفاده الله بعلمه كانوا على سنّة من آل فرعون أهل جنّات وعيون وزروع ومقام كريم، ثمّ انظروا بما ختم الله لهم من النّضرة والسّرور والأمر والنّهي ولمن صبر منكم العاقبة في الجنان والله مخلّدون ولله عاقبة الأمور.

فيا عجباً وما لي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها لا

يقتفون أثر نبيّ ولا يقتدون بعمل وصيّ ولا يؤمنون بغيب ولا يعفون عن عيب، المعروف فيهم ما عرفوا، والمنكر عندهم ما أنكروا، وكلّ امرىءٍ منهم إمام نفسه وأخذ منها فيما يرى بعرى وثيقات وأسباب محكمات فلا يزالون بجور ولم[1] يزدادوا إلاّ خطأً لا ينالون تقرّباً ولن يزدادوا إلاّ بعداً من الله عزّ وجلّ أنس بعضهم ببعض وتصديق بعضهم لبعض، كلّ ذلك وحشة مما ورّث النّبيّ الأميّ ﷺ ونفوراً ممّا أدّى إليهم من أخبار فاطر السّماوات والأرض.

أهل حسرات وكهوف وشبهات، وأهل عشوات وضلالة وريبة، من وكله الله إلى نفسه ورأيه فهو مأمون عند من يجهله غير المتّهم عند من لا يعرفه، فما أشبه هؤلاء بأنعام قد غاب عنها رعاؤها.

وواأسفاً من فعلات شيعتي من بعد قرب مودّتها اليوم كيف يستذلّ بعدي بعضها بعضاً، وكيف يقتل بعضها بعضاً، المتشتّتة غداً من الأصل النّازلة بالفرع المؤمّلة الفتح من غير جهة، كلّ حزب منهم آخذ بغصن أينما مال الغصن مال معه.

إنّ الله وله الحمد سيجمع هؤلاءِ لشرّ يوم لبني أميّة كما يجمع قزع الخريف يؤلّف بينهم ثمّ يجعلهم ركاماً كركام السّحاب، ثمّ يفتح لهم أبواباً يسيلون من مستشارهم كسيل الجنتين سيل العرم، حيث بعث عليهم فارة فلم يثبت عليه أكمّة ولم يردّ سننه رض طود يذعذهم الله في بطون أودية ثمّ يسلكهم ينابيع في الأرض يأخذ بهم من قوم حقوق قوم، ويمكّن من قوم لديار قوم، تشريداً لبني أميّة، ولكي لا يغتصبوا ما غصبوا، يضعضع الله بهم ركناً وينقض الله بهم طي الجنادل من أرم ويملأ منهم بطنان الزّيتون.

فوالذي فلق الحبّة وبرأ النسمة ليكونن ذلك وكأنّي أسمع صهيل خيلهم وطمطمة رجالهم وأيم الله ليذوبنّ ما في أيديهم بعد العلوّ والتّمكين في البلاد كما تذوب الألية على النّار، من مات منهم مات ضالاً والله عزّ وجلّ يقضي منهم من درج ويتوب الله عزّ وجلّ على من تاب، ولعل الله يجمع شيعتي بعد التّشتت لشرّ يوم لهؤلاء، وليس لأحد على الله عزّ ذكره الخيرة بل لله الخيرة والأمر جميعاً.

أيها النّاس إنّ المنتحلين للإمامة من غير أهلها كثير ولو لم تتخاذلوا عن مرّ الحقّ ولم تهنوا عن توهين الباطل لم يتشجّع عليكم من ليس مثلكم، ولم يقومن قوي عليكم على هضم الطاعة وإزوائها عن أهلها، لكن تهتم كما تاهت بنو إسرائيل على عهد موسى عليه السلام، ولعمري ليضاعفنّ عليكم البتّة بعدي أضعاف ما تاهت بنو إسرائيل.

ولعمري أن لو قد استكملتم من بعدي مدة سلطان بني أميّة لقد اجتمعت على سلطان

(١) في نسخة: لن.

الداعي إلى الضّلالة وأحييتم الباطل وخلفتم الحقّ وراء ظهوركم، وقطعتم الأدنى من أهل بدر ووصلتم الأبعد من أبناءِ الحرب لرسول الله.

ولعمري أن لو قد ذاب ما في أيديهم لدنا التمحيص للجزاء وقرب الوعد وانقضت المدة وبدا لكم النجم ذو الذّنب من قبل المشرق، ولاح لكم القمر المنير، فإذا كان ذلك فراجعوا التّوبة واعلموا أنكم إن اتّبعتم طالع المشرق سلك بكم مناهج الرسول ﷺ فتداويتم من العمى والصّمم والبكم، وكفيتم مؤنة الطلب والتعسّف ونبذتم الثقل الفادح من الأعناق، ولا يبعد الله إلاّ من أبى وظلم واعتسف وأخذ ما ليس له[1].

﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، هذا.

ورواها المفيد في «الإرشاد» عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام إلى قوله: **(بل لله الخيرة والأمر جميعاً)** باختلاف كثير وزيادات كثيرة على رواية «الروضة»، وروى قوله عليه السلام: (لو لم تتخاذلوا عن نصرة الحق) إلى آخر رواية «الروضة» في ضمن خطبة أخرى رواها عن مسعدة عن أبي عبد الله عليه السلام عن أمير المؤمنين عليه السلام قال أنه خطبها بالكوفة وبينها وبين رواية «الروضة» أيضاً اختلاف كثير من أراد الاطلاع، فليراجع «الإرشاد».

توضيح

(العرصات) جمع العرصة وهي كلّ بقعة من الدّور واسعة ليس فيها بناء **(أفاده الله بعلمه)** في بعض النسخ **(بالفاء)** من أفدت المال أعطيته وفي بعضها **(بالقاف)** من أقاده خيلاً أعطاه ليقودها ولعلّ المعنى أنه أعطاه الله زينة الحياة الدنيا مع علمه بحاله بحسب اقتضاء حكمته ومقتضى عدالته كما قال في سورة هود عليه السلام:

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ﴾ [هود: ١٥-١٦] الآية.

والمراد بمن أفاده الله هو المتخلفون الغاصبون للخلافة، وفي رواية «الإرشاد» أباده بدل أفاده وهو الأنسب وعليه فالضّمير في **(بعلمه)** راجع إلى من أي كان علمه سبباً للهلاكة **(والسنة)** الطريقة أي كانوا على طريقة من طرائق آل فرعون و**(أهل جنات)** بالكسر عطف بيان لآل فرعون.

وقوله: **(في الجنان)** متعلّق بقوله: مخلّدون، والقسم معترض بين الظرف ومتعلّقه **(فلا**

---

(١) الكافي: ٨/٦٦، شرح أصول الكافي: ١١/٤٠٤.

يزالون بجور) (**الباء**) امّا بمعنى (**في**) أو للمصاحبة والملابسة (**كلّ ذلك**) بالنّصب مفعول به للفعل المحذوف و(**وحشةً**) مفعول له أي ارتكبوا كلّ ذلك وحشة.

والمراد بما ورث النّبي ﷺ ما ورثه آله المعصومين من الخلافة والولاية (**والفاطر**) المخترع (**أهل حسرات**) خبر محذوف المبتدأ أي هم أهل حسرات في الآخرة و(**الكهوف**) جمع كهف وهو الغار الواسع في الجبل، وفي بعض النسخ كفوف شبهات وهو جمع كف والكلام جار على الاستعارة والنّاقة (**العشواء**) لا تبصر أمامها و(**من وكله الله**) مبتدأ وخبره (**فهو مأمون**) ووكله إلى نفسه تركه إليها، وفي هذا كلّه تعريض على الخلفاء كما لا يخفى (**والرّعا**) بكسر (**الرّاء**) جمع الرّاعي و(**الفعلات**) جمع الفعلة وهي العادة (**المتشتّتة**) إما بالجر صفة لشيعتي وإمّا بالرّفع على أنّه خبر مبتدؤه أي هم المتشتّتة.

ولعلّ المراد بتشتّتهم عن الأَصل وبنزولهم بالفرع ما صدر من بعض الشيعة كالزّيدية والأفطحية والإسماعيلية ونحوهم حيث عدلوا عن الإمام الأَصل وتعلّقوا بالفرع وأملوا الفتح من غير جهة فأخطأوا و(**القزع**) محركة قطع من السحاب والواحدة قزعة و(**الرّكام**) الأوّل بالضّم من الرّكم وهو جمع شيء فوق آخر، والثّاني بالفتح وهو السحاب المتراكم و(**المستثار**) محل الاستثارة من الثور وهو الهيجان والوثوب ونهوض القطا والجراد.

و(**سيل العرم**) جمع عرمة كفرحة وهو سدّ يعترض به الوادي جمع عرم أو هو جمع بلا واحداً وهو الإحباس تبني في البادية الأودية والجرذ الذكر والمطر الشّديد وواد وبكلّ فسر قوله تعالى سيل العرم و(**الأكمة**) كالقصبة التل الصّغيرة و(**لم يردّ سننه**) من سنّ الماء صبّها أو من سنّ الطريقة سارها و(**الرض**) هنا الحجارة و(**الطّود**) الجبل أو عظيمه و(**ذعذع**) المال وغيره فرّقه وبدّده و(**ضعضعه**) هدمه حتّى الأَرض و(**ينقض الله**) من النقض (**بالضاد**) المعجمة.

ولعلّه عليه السلام كنّى بـ (**طي الجنادل من أرم**) القصور والبساتين المشرفة المطويّة بالحجارات المسنّدة التي كانت لبني أميّة و(**بطنان الزيتون**) كناية عن الشّام كما في قوله تعالى: والتّين والزّيتون و(**الطمطمة**) العجمة في اللّسان و(**درج**) يدرج من باب قعد وسمع درجاً ودروجاً مشى و(**المنتحلين للإمامة**) المدّعين لها لنفسه وهو لغيره و(**من غير أهلها**) بيان للمنتحلين و(**إزوائها عن أهلها**) أي صرفها وطيّها عنه و(**التمحيص**) (**بالصاد**) المهملة الابتلاء.

واعلم أنّ هذه الخطبة الشّريفة متضمّنة لجملة من الأَخبار الغيبيّة وفقراتها الأَخيرة من قبيل المتشابهات وعلمها موكول إليهم (**عليهم السلام**) إذ أهل البيت أدرى بما فيه إلاّ أنا نورد في تفسيرها على سبيل الاحتمال ما أورده الخليل القزويني في شرحه على «الروضة» بتغيير يسير منّا، فأقول:

لعلّ مراده عليه السلام بقوله: (**مع أن الله وله الحمد**) ـ (**١٠**) أنّه سبحانه يجمع هذه الفرق

المختلفة على اختلافهم لاستئصال بني أميّة وهو شرّ يوم لهم وقد كان ذلك في سنة اثنتين وثلاثين ومائة حسبما أخبر عليه السلام به حيث انقرضت سلطنة بني أميّة لظهور دولة العبّاسيّة واجتماع الجنود من خراسان على أبي مسلم المروزيّ لكن دفعوا الفاسد بالأفسد.

وشبّه عليه السلام اجتماعهم باجتماع سحاب الخريف المتراكم يقول عليه السلام: (**إنّ الله يفتح لهم بعد اجتماعهم أبواباً يهيجون من مكانهم**)، كسيل الجنّتين اللّتين كانتا لأولاد سبأ، وهو سيل العرم حيث بعث الله الجرذ وهو الفأرة الكبيرة على السّد الذي كان لهم فقلع الصّخر منهم وخرب السّد فسال الماء وغشيهم السّيل وخرب دور أولاد سبأ وقصورهم وبساتينهم ولم يثبت عليه التّلال ولم تردّه أحجار الجبال.

وكذلك هؤلاء يخرجون على كثرتهم واحتشامهم لاستئصال بني أمية وتخريب الدور والقصور منهم من مستشارهم وهو خراسان وقد وقع ذلك على ما أخبر عليه السلام حيث اجتمع الجيش واتفقوا على أبي مسلم المروزي وجعلوه أميراً لهم وتوجّهوا نحو مروان الحمار وهو آخر خلفاء بني أميّة.

وقوله عليه السلام: (يذعذعهم الله) - (ا ه) إشارة إلى تفرّقهم في الأودية وكونهم كتائب مختلفة يسلكون فيها سلوك الينابيع في الأرض وجريانها فيها.

(**يأخذ بهم من قوم حقوق قوم**) (ا ه) أي يأخذ الله ببني العبّاس من بني أميّة حقوق بني هاشم ويقاصّ بهم منهم ويجزيهم بهم جزاء ما ظلموا في حقّ آل محمّد صلى الله عليه وآله وإن لم يصل الحق إليهم ويمكّن بهم (**عليهم السلام**) لقوم من بني العباس في ديار قوم من بني أميّة كلّ ذلك طرداً لبني أميّة وإبعاداً لهم، ولكي لا يغتصبوا ما غصبوا من بني هاشم وبني عباس وغيرهم يهدم الله بهم أركان بني أمية ويكسر بهم قصورهم المسنّدة المطويّة بالأحجار التي كانت بالشّام ويملأ من جيوشهم بلاد الشّام.

فوالله الفالق الباري إنّ ذلك لكائن لا محالة وكأنّي أسمع أصوات خيولهم وطمطمة رجالهم، أي كلماتهم العجمية وذلك أنّ لسانهم كان لسان العجم.

وقوله عليه السلام: (**وايم الله ليذوبنّ**) (ا ه) بيان لحال بني العبّاس بعد القهر والغلبة يقول عليه السلام: إنّهم بعد العلوّ والتمكّن في البلاد وقوام الأمر وتمام السلطنة ينقرضون ويفنون كما تفنى وتذوب الألية على النّار، وقد كان ذلك في سنة خمسين وستمائة حيث قتل المستعصم وهو آخر خلفاء العباسيّة على يد هولاكو ويحتمل أن يكون إشارة إلى حال بني أمية.

وقوله عليه السلام: (**والله عزّ وجلّ يفضي منهم من درج**)، في النسخ (**بالفاء**) والظاهر أن يكون تحريفاً ويكون (**بالقاف**) أي الله يميت من سعى من بني أمية فيكون كناية عن أن من أراد

الخروج منهم يقتله الله، وفي بعض النسخ وإلى الله يقضي وهو الصحيح أي وإلى الله ينتهي منهم من درج فيكون كناية عن ما ذكرنا وإشارة إلى أن من تاب منهم تاب ضالاً وأمره إلى الله يعذّبه كيف يشاء ويتوب على من تاب كمعاوية بن يزيد ونحوه من بني أميّة.

(ولعلّ الله يجمع شيعتي بعد التشتّت)، لعلّه إشارة إلى ظهور دولة الحقّة القائميّة ولا يلزم اتّصالها بملكهم.

(وليس لأحد) إلى قوله: **(جميعاً)** إشارة إلى كون هذه الأمور سهلةً بيد الله سبحانه إذ هو القاهر القادر فوق عباده وهو المختار الفعّال لما يشاء ليس لأحد معه الاختيار وهو على كلّ شيء قدير.

وقوله عليه السلام: (أيّها النّاس) (ا ه) إشارة إلى اغتصاب الخلافة وتوبيخ لهم على التثاقل والتخاذل يقول عليه السلام: إن المدّعين للخلافة من الذين لم يكونوا أهلاً لها كثير ولو لم يكن منكم التّخاذل يوم السّقيفة والشورى عن إقامة الحقّ والوهن عن توهين الباطل لم يجسر عليكم أحد ولم يقدر على غلبة الطّاعة وصرفها عن أهلها ولكنكم تحيّرتم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله كما تحيّرت بنو إسرائيل على عهد موسى بن عمران عليه السلام وليكوننّ تحيّركم بعدي أضعاف ما تحيّرت بنو إسرائيل.

وقوله: **(لقد اجتمعتم على سلطان الدّاعي إلى الضّلالة)**، أراد به اجتماعهم على بني العبّاس ودعائهم إلى الضّلالة لترويجهم مذهب الزنادقة.

وقطعتم الأدنى من أهل بدر، أراد به أولاده المعصومين **(عليهم السلام)** حيث إن الظّفر في بدر لم يكن إلاّ بأبيهم سلام الله عليهم وكان أقرب النّاس إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وكذلك أولاده عليهم السلام.

(ووصلتم الأبعد من أبناء الحرب) (ا ه) أراد به بني العباس حيث أن أباهم كان من جملة المحاربين لرسول الله صلى الله عليه وآله في غزوة بدر ثمّ تاب وأسلم والمراد بقطع الأوّلين ووصل الآخرين أخذهم بني العباس خلفاء لهم دون الأئمة عليهم السلام.

ثمّ قال: **(ولعمري أن لو قد ذاب ما في أيديهم)**، أي أيدي بني أميّة وهو الشام وما والاها وأشار عليه السلام بذوبانها إلى قتل وليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان واختلاف أهل الشام واضطراب دولة بني أميّة وقد كان في السّنة ست وعشرين ومائة وامتدّت سلطنتهم بعد ذلك إلى ستّ سنين بمنتهى التزلزل والاضطراب ولذلك قال عليه السلام: **(لدنى التمحيص للجزاء)**، أي قرب ابتلاؤهم بجزاء أعمالهم وذلك بقتل الأحياء منهم وإخراج الأموات منهم من القبور كما هو في السّير مشهور وفي الكتب مسطور.

(وانقضت المدّة)، أراد به المدة المقدرة لبني أميّة وكانت ألف شهر.

(وبدا لكم النجم ذو الذّنب)، أراد به أبا مسلم المروزي حيث خرج من خراسان وهو من بلاد المشرق مع جنوده نحو الشّام وتسميته بالنجم لكونه كالنجم يرمى به الشياطين من بني أميّة وتوصيفه بذي الذنب لكون ظهوره لانتصار بني العباس دون آل محمّد سلام الله عليهم.

(ولاح لكم القمر المنير)، أراد به أبا الحسن عليّ بن موسى الرضا عليه وعلى آبائه آلاف التحيّة والثّناء فقد طلع في المشرق وانتشرت أنوار علمه في الآفاق ثمّ غاب هناك بغدر المأمون.

(فإذا كان ذلك)، أي ذوبان ما في أيديهم أو انقضاء المدة أو طلوع القمر المنير، فراجعوا التوبة.

ثمّ قال عليه السلام: **(واعلموا أنّكم إن اتّبعتم طالع المشرق)**، أراد به القمر المنير سلك بكم منهج الطّريقة البيضاء والصّراط المستقيم، فتداويتم من الضّلالة والغواية وكفيتم مؤنة طلب العلم من غير مظانه، وسلمتم من التعسّف والأخذ على غير الطريق المستقيم، ونبذتم ثقل استنباط التكاليف الشّرعية من أعناقكم حيث أنّكم تأخذونها من أهلها فيكفيكم مؤنتها ولا يبعد الله من رحمته إلاّ من أبى من قبول الحق وظلم أهل الحق وأخذ على غير الطريق وانتحل ما ليس له بحقّ.

﴿وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]، هذا.

وبنحو ما قلناه في شرح هذا الحديث الشريف فسّره المحدث العلاّمة المجلسي (ره) في «البحار» إلاّ أنّه خالفنا في شرح الفقرات الأخيرة حيث قال: قوله عليه السلام: **(لو قد ذاب ما في أيديهم)** أي ذهب ملك بني العبّاس، **(لدنى التمحيص للجزاء)** أي قرب قيام القائم عليه السلام وفيه التّمحيص والابتلاء ليجزي الكافرين ويعذّبهم في الدّنيا، **(وقرب الوعد)** أي وعد الفرج، **(وانقضت المدة)** أي قرب انقضاء مدّة أهل الباطل، **(والنجم ذو الذنب)** من علامات ظهور القائم عليه السلام، والمراد بالقمر المنير القائم عليه السلام، وكذا طالع المشرق إذ مكة شرقية بالنسبة إلى المدينة، أو لأنّ اجتماع العساكر إليه عليه السلام وتوجهه إلى فتح البلاد من الكوفة وهي كالشرقية بالنسبة إلى الحرمين ولا يبعد أن يكون ذكر القمر ترشيحاً للاستعارة أي القمر الطّالع من مشرقه.

(والثقل القادح) الديون المثقلة والمظالم أو بيعة أهل الجور وطاعتهم وظلمهم إلاّ من أبى أي من طاعة القائم عليه السلام أو الرّب تعالى، واعتسف أي مال عن طريق الحق إلى غيره أو ظلم على غيره، انتهى كلامه فتكون هذه الفقرات على ما ذكره أيضاً إشارة إلى ظهور دولة الحقة والله العالم.

الترجمة

این خطبه شریفه متضمن توبیخ و مذمت خلق است به جهت اختلاف ایشان در دین و تشتّت آراءشان در احکام شرع مبین و عدول ایشان از تمسک حبل المتین که عبارت است از امام زمان و زمین، می فرماید:

اما بعد از حمد و ثنای الهی و صلوات بر حضرت رسالت پناهی، پس به درستی که خداوند تعالی نشکست هرگز گردن کشان روزگار را مگر بعد از مهلت و وسعت در حیات و اصلاح نفرموده است استخوان شکسته احدی را از امّت های پیغمبران مگر بعد از شدّت و تنگی و امتحان و در نزد آنچه استقبال نمودید از ملامت و عتاب من و استدبار کردید از اهوال و کارهای بزرگ زمن عبرت است صاحب عبرت و بصیرت را و نیست هر صاحب قلب عاقل و دانا و نه هر صاحب گوش سمیع و شنوا و نه هر صاحب نظر بصیر و بینا.

پس ای نفس تعجب کن و چیست مرا که تعجب نکنم از خطای این فرقه های بی ادب بر اختلاف حجت های ایشان در دین و مذهب که متابعت نمی کنند بر اثر خیرالبشر و اقتدا نمی نمایند بر عمل وصی پیغمبر، ایمان نمی آورند به غیب و عفت نمیورزند از گناه و عیب، عمل می کنند در شبهه ها و سیر می نمایند در شهوت ها، معروف در میان ایشان چیزی است که خود شناخته اند او را به میل طبیعت ومنکر نزد ایشان چیزی است که خود انکار کرده اند آن را نه به مقتضای شریعت.

مرجع ایشان در شداید به نفس خودشان است نه بر أئمه و اعتماد ایشان در مبهمات به رأی خودشان است نه به عترت خیرالبشر؛ گویا هر مردی از ایشان امام و مقتدای خودش هست در دین. به تحقیق که تمسک نموده است از نفس خود در چیزی که ظن می کند به بندهای استوار و ریسمان های محکم تاب دار؛ یعنی اعتقادش این است آنچه اخذ نموده است آن را از نفس خود در احکام در استحکام مانند حکم الهی است.

ومن خطبة له عليه السلام وهي الثامنة والثمانون من المختار في باب الخطب

وأوّل فقراتها مرويّة في «الكافي» وفي ديباجة تفسير عليّ بن إبراهيم القمي أيضاً باختلاف تطلع عليه.

أَرْسَلَهُ عَلَى حِين فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الأُمَمِ، واعْتِزام مِنَ الْفِتَنِ، وانْتِشَارٍ مِنَ الأُمُورِ، وتَلَظٍّ مِنَ الْحُرُوبِ، والدُّنْيَا كاسِفَةَ النُّورِ، ظاهِرَةُ الْغُرُورِ، عَلَىٰ حينِ اصْفِرارٍ مِنْ ورَقِها، وإِياس مِنْ ثَمَرِها، واغْوِرارٍ مِنْ مائِها، قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ الْهُدَى، وظَهَرَتْ أَعْلاَمُ الرَّدَىٰ، فَهِيَ مُتَهَجِّمَةٌ لأَهْلِها، عابِسَةٌ في وَجْهِ طالِبِها، ثَمَرَتُهَا الْفِتْنَةُ، وطَعامُها الْجيفَةُ، وشِعارُهَا الْخَوْفُ، ودِثارُهَا السَّيْفِ، فاعْتَبِرُوا عِباد اللّهِ وَاذكُرُوا تِيكَ الَّتِي آباؤُكُمْ وإِخْوَانُكم بِها مُرْتَهَنُونَ، وعَلَيْهَا مُحاسَبُونَ، ولَعَمْري ما تَقادَمَتْ بِكُمْ ولا بِهِمُ الْعُهُودُ، ولا خَلَتْ فيما بَيْنَكُمْ وبَيْنَهُمُ الأَحْقابُ وَالْقُرُونُ، وما أَنْتُمُ الْيَوْمَ مِنْ يَوْم كُنْتُمْ في أَصْلاَبِهِمْ بِبَعِيدٍ، وَاللّهِ ما أَسْمَعَهُمُ الرَّسُولُ شَيْئاً إِلاّ وَها أَنا ذَا الْيَوْمَ مُسْمِعُكَمُوهُ، وماَ أَسْمَاعُكُمُ الْيَوْمَ بِدُونِ أَسْماعِهِمْ بِالأَمْسِ، وَلاَ شُقَّتْ لَهُمُ الأَبْصارُ، وَلاَ جُعِلَتْ لَهُمُ الأَفْئِدَةُ في ذَلِكَ الأَوانِ إِلاّ وَقَدْ أُعْطيتُمْ مِثْلَهَا في هَذَا الزَّمانِ، ووَاللّهِ ما بُصِّرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيئاً جَهِلُوهُ، ولا أُصْفيتُمْ بِهِ وحُرِمُوهُ، وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ الْبَلِيَّةُ جائِلاً خِطامُها، رَخواً بِطانُها، فَلا يَغُرَّنَّكُمْ ما أَصْبَحَ فيهِ أَهْلُ الْغُرُورِ، فَإِنَّما هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلىٰ أَجَلٍ مَعْدُودٍ(١).

اللغة

(الفترة) ما بين الرّسولين من رسول الله و**(الهجعة)** بفتح **(الهاء)** وسكون **(الجيم)** النومة ليلاً من الهجوع بالضّم كالجلسة من الجلوس و**(الاعتزام)** العزم من اعتزمه وعليه وتعزم أراد فعله وقطع عليه ويروى واعترام **(بالراء)** المهملة من عرام الجيش بالضم كغراب حدّتهم وشدّتهم وكثرتهم والعرام من الرّجل الشّراسة والأذى و**(التّلظى)** التلهب و**(كسف)** الشمس والقمر كسوف أو ذهب نورهما واحتجبا و**(اغور)** الماء اغوراراً كاحمر وتغور ذهب في الأرض واغورت الشمس غابت قال سبحانه:

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۢ﴾ [الملك: ٣٠].

أي صار ماؤكم غائراً **(فهي متهجّمة)** من هجم عليه هجوماً انتهى إليه بغتة وهجم البيت

---

(١) الكافي: ١/ ٦٠ ح ٧، شرح أصول الكافي: ٢/ ٢٨٧ ح ٧.

انهدم وفي النسخ متجهّمة بتقديم (**الجيم**) على (**الهاء**) من تجهّمه فلان استقبله بوجه كريه، وبهما روى بيت الصّديقة الطّاهرة سلام الله عليها وعلى أبيها وبعلها وبنيها عند غصب فدك:

تـهـجـمـنـا رجـال واسـتـخـف بـنـا لـمـا فـقـدت وكـلّ الأرض مـغـتـصـب

و(**الأحقاب**) جمع حقب بضم (**الحاء**) و(**القاف**) وبسكون (**القاف**) أيضاً ثمانون سنة أو أكثر وقيل: الدهر وقيل: السّنة وقيل: السنون و(**القرون**) جمع القرن قال الفيروزآبادي: أربعون سنة أو عشرة أو عشرون أو ثلاثون أو خمسون أو ستّون أو سبعون أو ثمانون أو مائة أو مائة وعشرون (**ولا أصفيتم**) على البناء للمفعول من باب الأفعال، قال سبحانه:

﴿أَفَأَصْفَنكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ﴾ [الإسراء: ٤٠].

أي آثركم و(**جائلاً خطامها**) أي مضطرباً غير مستقر من الجولان والخطام من الدّابة (**بالخاء**) المعجمة (**والطاء**) المهملة مقدم أنفها وفمها، ويطلق على الزمام، وهو المراد هنا باعتبار أنه يقع على الفم أو الأنف وما يليه، ومنه الحديث كأن خطام جمله ﷺ ليف و(**البطان**) حزام القتب يقال: أبطن البعير أي سدّ بطانه.

الإعراب

(**على حين فترة**) للاستعلاء المجازي، وجملة (**والدّنيا كاسفة النّور**)، منصوبة المحل على الحاليّة من ضمير أرسله، (**وعلى حين اصفرار**) ظرف مستقرّ خبر ثان (**للدّنيا**) ويحتمل الحال أيضاً وجملة (**قد درست**) حال أيضاً، (**ولعمري**) جملة قسميّة، وقوله: (**وما أنتم اليوم**) (**ما**) حجازيّة عاملة عمل ليس، (**وأنتم**) اسمها (**وببعيد**) خبرها زيد فيه (**الباء**) كما تزاد في خبر (**ليس**) مطّرداً، (**واليوم**) متعلّق به، وكذلك من يوم وجملة (**جهلوه**) صفة لشيئاً.

وجملة (**وحرموه**) حال من ضمير به وفيه دليل على عدم لزوم (**قد**) في الجملة الحالية الماضية المثبتة كما عليه جمهور علماء الأدبية، اللهمّ إلاّ أن يقال: إن الجملة في معنى النفي إذ مقصوده ﷺ نفي الإصفاء عن المخاطبين والمحرومية عن الغائبين معاً ولذلك جيء بالواو والضمير، (**والفاء**) في قوله: (**فلا يغرّنكم**) فصيحة.

المعنى

اعلم أنّ مقصوده ﷺ بهذه الخطبة هو التذكير والموعظة والتّنبيه عن نوم الغفلة والتحذير من الغرور والفتنة، ومهّد أوّلاً مقدمة متضمنة للإشارة إلى حالة النّاس حين البعثة وأيّام الفترة وأنّه سبحانه أرسل إليهم رسولاً يزكّيهم ويعلّمهم الكتاب والحكمة وآثرهم بتلك النّعمة العظيمة والموهبة الجسيمة بعد ما كانوا في شدّة الابتلاء والمحنة ومنتهى الاضطراب والخشية وسوء الحال والكآبة، ليتذكر السّامعون بتلك النّعمة العظمى والمنحة الكبرى فيشكروا

لله ويلازموا طاعة الله ويسلكوا سبيل الله سبحانه فقال عليه السلام:

(أرسله) أي محمّداً صلى الله عليه وآله (على حين فترة من الرّسل) أي على حين سكون وانقطاع من الرّسل وذلك أنّ الرسل إلى وقت رفع عيسى كانت متواترة وبعد رفعه (ع) انقطع الوحي والرّسالة خمسمائة سنة على ما في بعض روايات أصحابنا أو ستّمائة سنة كما عن البخاري عن سلمان، والأوّل أشهر وأقوى ويأتي حديث آخر في ذلك إن شاء الله في شرح الفصل السّادس من الخطبة المائة والحادية والتسعين وهي الخطبة المعروفة بالقاصعة ثمّ بعث الله محمّداً صلى الله عليه وآله.

وإنّما قيّد صلى الله عليه وآله نعمة الإرسال والإنزال بتلك الحال وما يتلوها من الأحوال بياناً للواقع وإظهاراً لجلالة تلك النعمة وجزالة تلك الموهبة حسبما أشرنا إليه فإنّ النعمة يتزايد قدرها بحسب تزايد منافعها، ولا ريب أنّ خلوّ الزمان عن الرّسول يستلزم ظهور الفساد والشّرور وانتشار البغي والفجور وكثرة الهرج والمرج، وتلك أحوال مذمومة وأفعال مشؤومة توجب تبدّل النّظام واختلال الأحكام والانهماك في الجهالات والتورّط في الضّلالات ولحوق الذّم بهم بمقدار ما يلحقهم من المدح في حال الطاعة والقيام بوظائف العبادة المتفرّعة على وجود الدليل وبعث الرّسول صلى الله عليه وآله.

(وطول هجعة من الأمم) استعار لفظ الهجعة التي هي عبارة من النّوم في اللّيل لانغماسهم في ظلمة الجهالة والضّلالة، ورشحها بذكر الطول الذي هو من ملائمات المستعار منه على حد قوله:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت﴾ [البقرة: ١٦].

(واعتزام من الفتن) نسبة الاعتزام إلى الفتن مجاز كنّى به عن فروعها بينهم كأنها قاصدة لهم مريدة إيّاهم وعلى رواية الاعترام (**بالرّاء**) المهملة فالمراد كثرتها وشدّتها وتأذي الناس بها **(وانتشار من الأمور)** أي تفرق أمور الخلق في معاشهم وعدم جريانها على قانون منتظم **(وتلظّ من الحروب)** شبّه الحرب بالنّار في الإفساد والإهلاك وأسند إليها التّلظّي الذي هو الاشتعال والالتهاب على سبيل الاستعارة وكنّى به عن هيجانها وثورانها أيّام الفترة ففي الكلام استعارة مكنية وتخييلية.

(والدّنيا كاسفة النّور) استعار النور للعلم المقتبس من الأنبياء والحجج بشباهة أن كلاً منهما سبب لهداية الأنام في الضّلالة والظلام، ورشحها بذكر الكسف الذي من ملائمات النّور وأراد به عدم وجود هذا النّور في ذلك الزمان **(ظاهرة الغرور)** أراد ظهور اغترار النّاس بها وشيوع افتتانهم بشهواتها ولذاتها **(على حين اصفرار من ورقها وإياس من ثمرها واغورار من مائها)** شبّه عليه السلام الدنيا بشجرة مثمرة مورقة في اشتمالها على ما تشتهيه الأنفس وتلذّ الأعين على سبيل الاستعارة بالكناية وذكر الورق والثمر والماء تخييل. وإثبات الاصفرار والإياس

والاغورار ترشيح، وأراد بتلك الترشيحات بيان خلوّ الدنيا يومئذٍ عن آثار العلم والهداية وما يوجب السعادة في البداية والنهاية.

ويمكن جعله مركّباً من استعارات متعدّدة ويكون المراد بيان خلوّ الدنيا حينئذٍ من الأَمن والرّفاهية والمنافع الدّنيوية ليكون ما يذكر بعده تأسيساً.

وتوضيح ذلك الوجه ما ذكره الشارح البحراني حيث قال: استعار لفظ الثمرة والورق لمتاعها وزينتها ولفظ الاصفرار لتغيّر تلك الزينة عن العرب في ذلك الوقت وعدم طراوة عيشهم إذاً وخشونة مطاعمهم كما يذهب حسن الشّجرة باصفرار ورقها فلا يلتذّ بالنّظر إليها، وعنى بالإياس من ثمرها انقطاع مآل العرب إذاً من الملك والدّولة وما يستلزمه من الحصول على طيبات الدّنيا.

وكذلك استعار لفظ الماء لموادّ متاع الدّنيا وطرق لذّاتها ولفظ الاعورار لعدم تلك الموادّ من ضعف التجارات والمكاسب وعدم التملّك للأمصار وكلّ ذلك لعدم النظام العدلي بينهم وكلّها استعارات بالكناية.

ووجه الاستعارة الأولى أن الورق كما أنّه زينة الشّجر وبه كماله كذلك لذّات الدّنيا وزينتها، ووجه الثّانية أنّ الثمر كما أنه مقصود الشجرة غالباً وغايتها كذلك متاع الدّنيا والانتفاع به هو مقصودها المطلوب منها لأكثر الخلق، ووجه الثّالثة أنّ الماء كما أنه مادّة الشجرة وبه حياتها وقيامها في الوجود كذلك موادّ تلك اللّذّات هي المكاسب والتجارات والصّناعات، وقد كانت العرب خالية من ذلك ووجوه باقي الاستعارات ظاهرة.

(**قد درست «منار الهدى»**) كناية عن فقدان حجج الدّين وانتفاء أدلّة الحق (**وظهرت أعلام الرّدى**) كناية عن غلبة أدلة الباطل وظهور أئمّة الضّلال (**فهي متهجّمة لأهلها**) أي داخلة عليهم عنفاً لكونها غير موافقة لرضاهم أو منهدمة عليهم غير باقية في حقّهم أو ملاقية لهم بوجه كريه وهو على رواية متجهمة بتقديم (**الجيم**) على (**الهاء**) (**عابسة في وجه طالبها**) أراد به عدم حصول بغية الطالبين منها كما لا تحصل من الرّجل المنقبض الوجه الذي يلوي بشرته. قال سبحانه:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ * أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾ [عبس: ١-٢].

(**ثمرتها الفتنة**) أي الضّلال عن طريق الحق والتيه في ظلمة الباطل وفيه استعارة مكنية وتخييليّة حيث شبّه الدّنيا بشجرة مثمرة وأثبت الثّمرة لها وجعل ثمرتها الفتنة إمّا من باب التهكم أو من حيث إن الثمرة كما أنها الغاية المقصودة من الشجرة فكذلك غاية الدّنيا عند أهلها هي الفتنة والضّلال (**وطعامها الجيفة**) يحتمل أن يكون المراد بالجيفة الميتة والحيوان الغير المزكى ممّا كان العرب يأكلها في أيّام الفترة حتى حرّمتها الآية الشريفة أعني قوله:

﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ﴾ [المائدة: ٣].

أي المضروبة بالخشب حتى تموت ويبقى الدّم فيها فيكون أطيب كما زعمه المجوس «وَالْمُتَرَدِّيَةُ» أي التي تردّت من علوّ فماتت وقد مرّ في شرح الخطبة السّادسة والعشرين أن أكثر طعام العرب كان الخشب والخبائث، ويجوز أن يراد بالجيفة الأعمّ من ذلك أعني مطلق ما لا يحلّ في الشريعة المطهّرة سواء كان من قبيل الخبائث والميتات أو من قبيل الأموال المغصوبة المأخوذة بالنّهب والغارة والسّرقة ونحوها على ما جرت عليه عادة العرب وكانت دأباً لهم **(وشعارها الخوف ودثارها السّيف)** الشّعار ما يلي شعر الجسد من الثّياب والدّثار ما فوق الشّعار من الأثواب ومناسبة الخوف بالشّعار والسّيف بالدّثار غير خفية على ذوي الأنظار.

ثمّ إنّه بعدما مهد المقدمة الشريفة وفرغ من بيان حالة العرب في أيّام الفترة شرع في الموعظة والنّصيحة بقوله: **(فاعتبروا عباد الله)** بما كانت عليه الإخوان والآباء والأقران والأقرباء **(واذكروا تيك)** الأعمال القبيحة والأحوال الذميمة **(التي آباؤكم وإخوانكم بها مرتهنون)** ومحبوسون وعليها محاسبون ومأخوذون.

ثمّ أشار عليه السلام إلى تقارب الأزمان وتشابه الأحوال بين الماضي والغابرين بقوله: **(ولعمري ما تقادمت بكم ولا بهم العهود)** حتّى تغفلوا **(ولا خلت فيما بينكم وبينهم الأحقاب والقرون)** حتّى تذهلوا **(وما أنتم اليوم من يوم كنتم في أصلابهم ببعيد)** حتّى تنسوا ولا تعتبروا فلكم اليوم بالقوم اعتبار وفيما جرت عليهم تبصرة وتذكار.

(والله ما أسمعهم الرّسول شيئاً إلاّ وها أناذا مسمعكموه) فليس لكم عليّ حجّة بعدم الإبلاغ والإسماع **(وما إسماعكم اليوم بدون إسماعهم بالأمس)** فليس لكم معذرة بالوقر في الآذان والأسماع **(ولا شقت لهم الأبصار)** المبصرة **(ولا جعلت لهم الأفئدة)** المتدبرة **(في ذلك الأوان إلا وقد أعطيتم مثلها في هذا الزّمان)** فلا يمكن لكم أن تقولوا إنّا كنّا في عمى من هذا وكنّا به جاهلين، ولا أن تعتذروا بأنّه لم يجعل لنا أفئدة وكنّا منه غافلين.

(ووالله ما بصّرتم بعدهم شيئاً جهلوه) بل علّموا ما علّمتم **(ولا أصفيتم)** وأوثرتم **(به وحرموه)** بل منحوا ما بذلتم فلم يبق بينكم وبينهم فرق في شيء من الحالات وكنتم مثلهم في جميع الجهات فإذا انتفى الفارق فما بالكم لا تسمعون ولا تبصرون ولا تفهمون ولا تذكرون، وقد أسمع أسلافكم فسمعوا، وبصّروا فتبصروا وذكروا فتذكّروا وعمروا فنعموا، وعلّموا ففهموا.

ثمّ حذرهم وأنذرهم بإشراف الابتلاء والمحنة ونزول البلية بقوله: **(ولقد نزلت بكم البلية)** لعلّه أراد بها فتنة معاوية ودولة بني أميّة **(جائلاً خطامها رخواً بطانها)** استعارة بالكناية عن

خطرها وصعوبة حال من يعتمد عليها ويركن إليها كما أنّ من ركن إلى النّاقة التي جال خطامها ولم تستقر في وجهها وأنفها وارتخى حزامها فركبها كان في معرض السّقوط والهلاك.

ثمّ أردف ذلك بالنّهي عن الاغترار بالدّنيا فقال: **(ولا يغرنّكم ما أصبح فيه أهل الغرور)** من الاغترار بزخارفها ولذّاتها والانهماك في شهواتها وطيّباتها بظنّ دوامها وثباتها **(فإنّما هو ظلّ ممدود إلى أجل)** محدود **(معدود)** بيناً ترونه سابغاً حتّى قلص وزائداً حتّى نقص.

تكملة

قد أشرنا سابقاً إلى أن أوّل فقرات هذه الخطبة مرويّة في «الكافي» باختلاف لما هنا فأحببت أن أوردها على ما هو دِيننا في الشّرح فأقول:

روى الكلينيّ عن محمّد بن يحيى عن بعض أصحابه عن هارون بن مسلم عن مسعدة ابن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيّها النّاس إنّ الله تبارك وتعالى أرسل إليكم الرّسول صلى الله عليه وآله، وأنزل عليه الكتاب وأنتم أميّون عن الكتاب ومن أنزله وعن الرسول ومن أرسله على حين فترة من الرّسل، وطول هجعة من الأمم، وانبساط من الجهل، واعتراض من الفتنة، وانتقاض عن المبرم، وعمى عن الحق، واعتساف من الجور، وامتحاق من الدّين، وتلظّ من الحروب، على حين اصفرار من رياض جنّات الدّنيا، ويبس من أغصانها، وانتشار من ورقها، وإياس من ثمرها، واغورار من مائها.

قد درست أعلام الهدى، وظهرت أعلام الردى، فالدّنيا متهجّمة[1] في وجوه أهلها؛ مكفهرة مدبرة غير مقبلة، ثمرتها الفتنة، وطعامها الجيفة، وثمارها الخوف، ودثارها السّيف، مزّقتم كلّ ممزّق، وقد أعمت عيون أهلها، وأظلمت عليها أيّامها، قد قطعوا أرحامهم، وسفكوا دماءهم، ودفنوا في التّراب الموؤودة بينهم من أولادهم، يحتاز دونهم طيب العيش ورفاهية خفوض الدّنيا، لا يرجون من الله ثواباً، ولا يخافون والله منه عقاباً.

حيّهم أعمى نجس، وميّتهم في النّار مبلس، فجاءهم صلى الله عليه وآله بنسخة ما في الصحف الأولى وتصديق الذي بين يديه وتفصيل الحلال من ريب الحرام، ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق لكم أخبركم عنه أنّ فيه علم ما مضى وعلم ما يأتي إلى يوم القيامة وحكم ما بينكم وبيان ما أصبحتم فيه تختلفون، فلو سألتموني عنه لعلّمتكم[2].

ورواه عليّ بن إبراهيم القمي أيضاً في ديباجة تفسيره نحوه ولقلة موارد الاختلاف لم نطل بروايتها.

---

(١) في نسخة: متجهمة.

(٢) الفصول المهمة في أصول الأئمة: ١/ ٤٨٣ ح ٦٧٨، تفسير نور الثقلين: ٣/ ٧٥ ح ١٨١.

بيان

قال في «النهاية»: إنّا أمّة أميّة لا نكتب ولا نحسب أراد أنّهم على أصل ولادة أمّهم لم يتعلّموا الكتاب والحساب فهم على جبلّتهم الأولى، وقيل: الأمي الذي لا يكتب ومنه الحديث بعثت إلى أمّة أميّة قيل للعرب: أميّون لأنّ الكتابة كانت فيهم عزيزة أو عديمة، انتهى.

قال بعض شراح الحديث: ولعل المراد هنا من لا يعرف الكتابة والخط والعلم والمعارف وضمن معنى ما يعدى بعن كالنّوم والغفلة، قوله: واعتراض من الفتنة يحتمل أن يكون عروضها وانتشارها في الآفاق، قوله: وانتقاض عن المبرم المبرم المحكم وقد أشار به إلى ما كان الخلق عليه من استحكام أمورهم بمتابعة الأنبياء وأراد بانتقاضه فساده.

والمكفهرّ من الوجوه من اكفهرّ على وزن اقشعر القليل اللّحم الغليظ الذي لا يستحيي والمتعبس، قوله: مزّقتم كلّ ممزّق التفات من الغيبة إلى الخطاب والممزّق مصدر بمعنى التمزيق وهو التفريق والتّقطيع، والمراد به تفرقهم في البلدان للخوف أو تفرّقهم في الأديان والآراء، والموؤدة البنت المدفونة حيّة وكانوا يفعلون ذلك في الجاهليّة ببناتهم لخوف الإملاق أو العار كما قال سبحانه:

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨-٩].

يجتاز دونهم طيب العيش ورفاهيّة خفوض الدّنيا، يجتاز **(بالجيم)** **(والزاء)** المعجمة من الاجتياز وهو المرور والتجاوز، والرفاهية السعة في المعاش، والخفوض جمع الخفض وهي الدعة والرّاحة أي يمرّ طيب العيش والرّفاهية التي هي خفض الدّنيا أو في خفوضها متجاوزاً عنهم من غير تلبث عندهم، قوله: **(أعمى نجس)** **(بالنّون)** **(والجيم)** وفي بعض النسخ **(بالحاء)** المهملة من النّحوسة والمبلس من الإبلاس وهو الإياس من رحمة الله ومنه سمي إبليس، قوله: **(بما في الصّحف الأولى)** أي التوراة والإنجيل والزّبور وغيرها من الكتب المنزلة وهو المراد بالذي بين يديه كما قال تعالى:

﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [المائدة: ٤٦].

وقوله: **(فاستنطقوه الأمر)** للتعجيز، وسائر الفقرات واضحة ممّا قدّمنا.

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن حضرت است كه متضمن مى باشد بعثت حضرت خاتم رسالت را در ايام فترت و بيان حالت خلق را در ايام جاهليت و مشتمل است به موعظه و نصيحت و تنبيه از نوم غفلت و جهالت، مى فرمايد:

فرستاد حق سبحانه و تعالی پیغمبر آخرالزّمان را، درحین فتور و انقطاع از پیغمبران و در زمان درازی خواب غفلت از امّتان و در هنگام عزم از فتنه ها و در وقت انتشار از کارها و در حین اشتعال از نائره حروب و کارزارها و در حالتی که دنیا منکسف بود نور او، ظاهر بود غرور او، ثابت بود بر زردی برگ خود و مأیوسی از ثمر خود و فرورفتن آب خود. به تحقیق که مندرس شده بود علم های هدایت و ظاهر گشته بود نشان های ضلالت.

پس دنیا هجوم آورنده بود بر اهل خود و عبوس بود در روی طالبان خود، میوه او فتنه بود و طعام او جیفه و پوشش او ترس بود از دشمنان و لباس بیرونی او شمشیر برّان، پس عبرت بردارید ای بندگان خدا و یاد آورید آن حالت را که بود پدران شما و برادران شما به سبب آن حالت مرهون و محبوس و به جهت آن محاسب و مأخوذ و قسم به زندگانی خود که دیر نشده است به شما و نه به ایشان عهدها و زمان ها و نگذشته است در مابین شما و ایشان روزگارها و قرن ها و نیستید شما امروز از روزی که بودید در پشت های ایشان دور، یعنی مدتی نیست که شما در اصلاب آباء خود بودید ایشان با سایر خویشان از شما مفارقت کردند و شما هم در اندك زمانی به ایشان ملحق خواهید شد.

به خدا سوگند که نشنوانید به شما رسول خدا علیه التحیة والثناء چیزی را مگر این که من شنواننده ام به شما آن را و نیست سمع های شما امروز کم از سمع های ایشان دیروز و شکافته نشد ایشان را دیده ها و گردانیده نشد ایشان را قلب ها در آن زمان، مگر اینکه عطا شدید شما مثل آن را در این زمان.

و به خدا قسم که نموده نشدید شما بعد از ایشان چیزی را که ایشان جاهل آن بوده باشند و برگزیده نشدید به چیزی در حالتی که ایشان محروم بوده باشند از او و به تحقیق که فرود آمد به شما بلاها در حالتی که جولان کننده است مهار آن، سست بی ثبات است تنگ آن، پس مغرور نسازد شما را آنچه که صباح کرد در آن اهل غرور و ارباب شرور، پس این است و جز این نیست که آن دنیا سایه ای است کشیده شده تا مدت شمرده شده، مشحون به انواع قصور و محتوی به کمال و ضعف و فتور.

ومن خطبة له عليه السلام وهي التاسعة والثمانون من المختار في باب الخطب

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيرِ رُؤْيَةٍ، وَالْخالِقِ مِنْ غَيرِ رَوِيَّةٍ، الَّذي لَمْ يَزَلْ قائِماً دائِماً، إِذْ لاَ سَماءٌ ذَاتُ أَبْراجٍ، وَلاَ حُجُبٌ ذاتُ أَرْتاجٍ، وَلاَ لَيْلٌ داجٍ، ولا بَحْرٌ ساجٍ، ولا جَبَلٌ ذُو فُجاجٍ، ولا فَجٌّ ذُو اعْوِجاجٍ، ولا أَرْضٌ ذاتُ مِهادٍ، ولا خَلْقٌ ذُو اعْتِمادٍ، ذَلِكَ مُبْتَدِعُ الْخَلْقِ ووارِثُهُ، وإِلٰهُ الْخلْقِ ورازِقُهُ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ دائِبانِ في مَرْضاتِهِ، يُبْلِيانِ كُلَّ جَديدٍ، ويُقَرِّبانِ كُل بَعيدٍ، قَسَّمَ أَرْزاقَهُمْ، وأَحصىٰ آثارَهُمْ وأَعْمالَهُمْ وَعَدَ أَنْفاسِهِمْ وخائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ وما تُخْفي صُدُورُهُمْ مِنَ الضَّميرِ، ومُسْتَقَرَّهُمْ ومُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ الأَرْحَامِ وَالظُّهورِ، إِلَىٰ أَنْ تَتناهى بِهِمُ الْغاياتِ، هُوَ الَّذِي اشْتَدَّتْ نَقْمَتُهُ على أَعْدائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ، وَاتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لأَوْلِيائِهِ في شِدَّةِ نَقْمَتِهِ، قاهِرُ مَنْ عازَّهُ، ومُدَمِّرُ مَنْ شاقَّهُ، ومُذِلُّ مَنْ ناواهُ، وغالِبُ مَنْ عاداهُ، مَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفاهُ، ومَنْ سَأَلَهُ أَعْطاهُ، ومَنْ أَقْرَضَهُ قَضاهُ، ومَنْ شَكَرَهُ جَزاهُ، عِبادَ اللَّهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا وحاسِبُوها مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحاسَبُوا، وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ الْخِناقِ، وَانْقادُوا قَبْلَ عُنْفِ السِّياقِ، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنِ عَلَىٰ نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا واعِظٌ وزاجِرٌ، لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيرِها زاجِرٌ ولا واعِظٌ[١].

اللغة

(الزوية) من روات في الأمر أي تفكّرت فيه وأصلها رؤيته واستعمالها في «لسان العرب» بغير همز ومثلها برية و**(الأبراج)** جمع البرج كالأركان والرّكن لفظاً ومعنى و**(الأرتاج)** إما مصدر باب الأفعال من ارتج الباب أغلقه أو جمع الرّتج محركة كالأسباب والسّبب وهو الباب العظيم[٢].

قال الشارح المعتزلي: ويبعد رواية من رواه ذات أرتاج لأنّ فعالاً قل أن يجمع على أفعال «انتهى» وأراد به أن أرتاج على تقدير جمعيته واحدة رتاج وجمعه عليه قليل، وفيه أنه يرتفع الاستبعاد بجعله جمعاً للرتج حسبما قلنا وهو كثير.

و**(دجى)** اللّيل دجوّا ودجوا أظلم فهو داج وليلة داجية و**(سجى)** البحر سجواً سكن و**(الفجاج)** جمع الفجّ فهو الطريق الواسع بين جبلين و**(المهاد)** الفراش و**(عازه)** معازه غالبه قال

(١) ميزان الحكمة: ٤/ ٣٦٠٠ ح ٤١٣٩، وبحار الأنوار: ٤/ ٣١٠ ح ٣٨.

(٢) الرتاج: ككتاب وهو الباب المغلق وعليه باب صغير.

سبحانه: وعزني في الخطاب أي غلبني و(**دمّره**) تدميراً أهلكه و(**شاقّه**) مشاقّة وشقاقاً خالفه وعاداه و(**ناواه**) أي عاداه واللفظة مهموزة وإنما لينها لملاحظة السّجع وأصلها من النواء وهو النّهوض لأن كلّ المتعاديين ينهض إلى قتال الآخر و(**العسف**) بالضم ضد الرفق.

الإعراب

قوله: (**إذ لا سماء**) (**إذ**) ظرف للزمان الماضي وملازم للإضافة إلى الجمل، (**ولا**) بمعنى (**ليس**)، (**وسماء**) اسمها وخبرها محذوف منصوباً على الأعمال كما هو مذهب أهل الحجاز، أو (**سماء**) مرفوع على الابتداء وخبره موجود بالرّفع على الإهمال وهو مذهب بني تميم والأوّل أقوى، وجملة (**والشّمس والقمر**) (ا ه) مستأنفة، وجملة (**يبليان**) **في محل** النّصب على الحال من ضمير دائبان، (**وعدد أنفاسهم**) في بعض النسخ بجرّ أنفاسهم على إضافة العدد إليها وكونه اسمه فيكون عطفاً على آثارهم وفي بعضها بنصبها على كونه مفعولاً لعدد وجعله فعلاً مجرّداً من باب قتل أو مزيداً من باب التفعيل أي أحصى أنفاسهم، وعلى هذا فتكون الجملة معطوفة على الجملة السّابقة، (**وخائنة**) بالنّصب عطف على (**آثارهم أو أنفاسهم**) على الاحتمال الثّاني أو عدد على الاحتمال الأوّل، وكذلك (**مستقرّهم ومستودعهم**)، (**ومن الأرحام**) والظّهور متعلّق بالمستقرّ والمستودع على إرادة التّكرار وقوله: (**حتّى يكون قيد للمنفي**) أعني يعن دون النفي.

المعنى

اعلم أنه عليه السلام صدّر هذه الخطبة الشّريفة بجملة من الصّفات الجمالية والجلالية الإلهية، وذيلها بالموعظة والنّصيحة والحث على التزود والاستعداد للآخرة فقال عليه السلام: (**الحمد لله المعروف من غير رؤية**) يعني أنّه سبحانه معروف بدلائل الملك والملكوت وآثار القدرة والجبروت ومدرك بحقائق الإيمان من غير رؤية ومشاهدة بالعيان، لكونها من لواحق الإمكان كما مرّ توضيحاً وتحقيقاً في شرح الخطبة التاسعة والأربعين (**والخالق من غير روية**) أراد أنه تعالى خالق للأشياء بنفس قدرته التّامة الكاملة غير محتاج في خلقها إلى رويّة وفكرة كما يحتاج إليها نوع الإنسان في إيجاد شيء، وذلك أن فائدة القوّة المفكّرة تحصيل المطالب المجهولة من المباديء المعلومة والجهل محال على الله سبحانه (**الذي لم يزل قائماً دائماً**) أمّا دوامه سبحانه فلأنّ وجوب الوجود يستحيل عليه العدم في الأزل والأبد، وأمّا قيامه فالمراد به إما الدّوام والبقاء وإمّا القيام بأمور العالم والقيمومة على كلّ شيء بمراعاة حاله ودرجة كماله والحافظ لكلّ شيء والمدبّر لأمره أو الرّقيب على كلّ شيء والحافظ عليه وبه فسّر قوله سبحانه:

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

والأَوّل أنسب بقوله: **(إذ لا سماء ذات أبراج)** لأَن القيمومة بالمعنى الأَوّل من صفات الذّات وبالمعنى الثاني من صفات الفعل وبعد السّماء ووجود العالم لأَنّه إذا لم يكن العالم مخلوقاً بعد لم يصدق عليه أنه قائم بأمره إلاّ بالقوّة لا بالفعل، فافهم. والمراد بالأبراج إمّا الأَركان كما هي معناها في اللغة وإمّا ما فسّر به قوله تعالى:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ [البروج: ١].

ولهم في تفسيره ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها هي البروج الاثنا عشر التي فيها عجيب الحكمة إذ سير الشّمس فيها ومصالح العالم السّفلي مرتبطة بسير الشّمس.

وثانيها: أن البروج هي منازل القمر.

وثالثها: أنها هي عظام الكواكب سمّيت بروجاً لظهورها وسيأتي تفصيل الكلام في ذلك في شرح الفصل الرابع من الخطبة الآتية **(ولا حجب ذات أرتاج)** أي ذات أبواب أو ذات أغلاق.

واعلم أنّه قد كثر في الأَخبار العاميّة والخاصيّة ذكر الحجب والسّرادقات وتظافرت الأَخبار في وجودها من جملة تلك الرّوايات رواية الحسن البكري التي تقدّمت في التذييل الأَوّل من تذييلات الفصل الثامن من فصول الخطبة الأولى.

ومنها ما في «البحار» من «الدرّ المنثور» للسيوطي عن سهل بن سعد وعبد الله بن عمر قالا: قال رسول الله ﷺ: دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة ما يسمع من نفسٍ من حسن تلك الحجب إلاّ زهقت نفسه[1].

ومنها ما فيه عن شرح النهج للكيدري عن النّبي ﷺ في حديث المعراج قال: فخرجت من سدرة المنتهى حتّى وصلت إلى حجاب من حجب العزة ثمّ إلى حجاب آخر حتّى قطعت سبعين حجاباً وأنا على البراق وبين كلّ حجاب وحجاب مسيرة خمسمائة سنة إلى أن قال: ورأيت في علّيين بحاراً وأنواراً وحجباً غيرها لولا تلك لاحترق كل ما تحت العرش من نور العرش[2].

قال: وفي الحديث أن جبرئيل ﷺ: قال: لله دون العرش سبعون حجاباً لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربّنا.

(١) بحار الأنوار: ٥٥/ ٤٤ ح ٢، الدر المنثور: ٦/ ١٣.

(٢) بحار الأنوار: ٥٥/ ٤٥.

أقول: قال النّوري في «المحكي» عن «شرح صحيح مسلم»: سبحات بضم السّين والباء أي نوره وأراد بالوجه الذّات، وقال في «البحار»: سبحات الله جلاله وعظمته وهي في الأصل جمع سبحة، وقيل: أضواء وجهه، وقيل: سبحات الوجه محاسنه لأنك إذا رأيت الوجه الحسن قلت: سبحان الله، هذا.

والأخبار في هذا المعنى كثيرة روى شطراً منها في «البحار» وقال بعد روايتها: والتحقيق أن لتلك الأخبار ظهراً وبطناً وكلاهما حقّ.

فأما ظهرها فإنّه سبحانه كما خلق العرش والكرسي مع عدم احتياجه إليهما كذلك خلق عندهما حجباً وأستاراً وسرادقات، وحشاها من أنواره الغريبة المخلوقة له ليظهر لمن يشاهدها من الملائكة وبعض النبيّين ولمن يسمعها من غيرهم عظمة قدرته وجلال هيبته وسعة فيضه ورحمته، ولعلّ اختلاف الأعداد باعتبار أن في بعض الإطلاقات اعتبرت الأنواع، وفي بعضها الأصناف والأشخاص أو ضمّ بعضها إلى بعض في بعض التعبيرات أو اكتفى بذكر بعضها في بعض الرّوايات.

وأمّا بطنها فلأنّ الحجب المانعة عن وصول الخلق إلى معرفة كنه ذاته وصفاته سبحانه أمور كثيرة:

منها: ما يرجع إلى نقص المخلوق وقواه ومداركه بسبب الإمكان والافتقار والاحتياج والحدوث وما يتبع ذلك من جهات النّقص والعجز وهي الحجب الظلمانية.

ومنها: ما يرجع إلى نوريّته وتجرّده وتقدّسه ووجوب وجوده وكمال عظمته وجلاله وسائر ما يتبع ذلك وهي الحجب النورانية وارتفاع تلك الحجب بنوعيه محال، فلو ارتفعت لم يبق بغير ذات الحق شيء، أو المراد بكشفها رفعها في الجملة بالتخلي عن الصفات الشهوانية والأخلاق الحيوانيّة والتخلق بالأخلاق الرّبانية بكثرة العبادات والرّياضات والمجاهدات وممارسة العلوم الحقة، فترتفع الحجب بينه وبين الله سبحانه في الجملة فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيناتهم وإرادتهم وشهواتهم فيرون بعين اليقين كماله سبحانه ونقصهم، وبقائه وفنائهم، وعزّه، وذلّهم، وغناه وافتقارهم، بل يرون وجودهم المستعار في جنب وجوده الكامل عدماً، وقدرتهم الناقصة في جنب قدرته الكاملة عجزاً بل يتخلّون عن إرادتهم وعلمهم وقدرتهم فيتصرف فيهم إرادته وقدرته وعلمه سبحانه، فلا يشاؤون إلاّ أن يشاء الله، ولا يريدون سوى ما أراد الله، ويتصرفون في الأشياء بقدرة الله، فيحيون الموتى ويردّون الشمس ويشقّون القمر كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما قلعت باب خيبر بقوة جسمانية بل بقوّة ربانيّة، والمعنى الذي يمكن فهمه ولا ينافي أصول الدّين من الفناء في الله والبقاء بالله هو هذا المعنى.

وبعبارة أخرى الحجب النّورانية الموانع التي للعبد عن الوصول إلى قربه وغاية ما يمكنه

من معرفته سبحانه من جهة العبادات كالرّياء والعجب والسّمعة وأشباهها والظلمانية ما يحجبه من المعاصي عن الوصول إليه، فإذا ارتفعت تلك الحجب تجلى الله له في قلبه وأحرق محبته ما سواه حتّى نفسه عن نفسه، وكل ذلك لا يوجب عدم الإيمان بظواهرها، إلاّ بمعارضة نصوص صحيحة صريحة صارفة عنها، وأوّل الإلحاد سلوك التأويل من غير دليل والله الهادي إلى سواء السّبيل، انتهى كلامه رفع مقامه.[1]، هذا.

والأشبه أن يراد بقوله عليه السلام: **(ولا حجب ذات أرتاج)** المعاني الظاهرة لها وإن أمكن إرادة معانيها الباطنة في الجملة، وأما احتمال أن يراد بالحجب السّماوات كما في شرحي المعتزلي والبحراني فبعيد مع سبق قوله عليه السلام: (إذ لا سماء ذات أبراج) **(ولا ليل داج)** أي مظلم **(ولا بحر ساج)** أي ساكن **(ولا جبل ذو فجاج ولا فج ذو اعوجاج)** وهو مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا﴾ [نوح: ١٩-٢٠].

أي طرقاً واسعة، وقيل: طرقاً مختلفة عن ابن عبّاس، وقيل: سبلاً في الصّحاري وفجاجاً في الجبال **(ولا أرض ذات مهاد)** وهو مأخوذ من قوله سبحانه:

﴿وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ۝٤٨﴾ [الذاريات: ٤٨].

أي مهدناها ليستقروا عليها فنعم الماهدون نحن، وفي سورة النّبأ.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ۝٦﴾ [النبأ ٦].

أي وطأ وقراراً ومهيئاً للتصرف فيه من غير أذيّة، والمصدر بمعنى المفعول أو الحمل على المبالغة أو المعنى ذات مهاد **(ولا خلق ذو اعتماد)** أي صاحب قوّة وبطش.

(ذلك) المتّصف بالصّفات الأزليّة والموصوف بأوصاف السّرمديّة **(مبتدع الخلق)** ومخترعه على غير مثال سبق أو موجده من العدم المحض **(ووارثه)** الباقي بعد فنائه **(وإله الخلق)** ومعبوده **(ورازقه)** بجميل آلائه وجزيل نعمائه **(والشمس والقمر دائبان في مرضاته)** هو مأخوذ من قوله سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾ [إبراهيم: ٣٣].

وأصل الدئب هو مرور الشيء في العمل على عادة مطردة أراد عليه السلام أن الشّمس والقمر يدأبان في سيرهما وإنارتهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة وفي إصلاح النبات والحيوان على ما فيه رضاؤه سبحانه وتقتضيه حكمته البالغة ويرتضيه تدبيره التام الكامل **(يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد)** نسبه إبلاء الجديد وتقريب البعيد إليهما باعتبار كون حركاتهما من الأسباب المعدّة لحدوث الحوادث في هذا العالم وفيهما تنبيه على وجوب التجافي عن الدّنيا

---

(١) بحار الأنوار: ٥٥/٤٧.

والاستعداد للآخرة، وإشارة إلى أن ما يتجدد ويحدث من لذات الدنيا وزخارفها فهو في معرض البلى والزّوال وأن ما يستبعده أهل الغفلة من الموت والفناء قريب إليه وإن كان بعيداً في نظره (**قسم أرزاقهم**) بينهم على وفق ما جرى عليه قلم التقدير وكتبه يد التّدبير في الكتاب المكنون واللّوح المحفوظ كما قال سبحانه:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

(**وأحصى آثارهم وأعمالهم**) وإحصائهما كناية عن العلم بهما كما قال سبحانه:

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَـٰرَهُمْ﴾ [يس: ١٢].

أي ما قدموا من الأعمال وما سنوه بعدهم حسنة كانت أو قبيحة ومنه:

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ [الإنفطار: ٥].

وقيل: آثارهم أي أقدامهم في الأرض وأراد مشيهم إلى العبادة وخطاهم إلى المساجد (**وعدد أنفاسهم وخائنة أعينهم وما تخفي صدورهم من الضمير**) وهو اقتباس من قوله تعالى:

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩].

قال في «مجمع البيان»: أي خيانتها وهي مسارقة النظر إلى ما لا يحل النّظر إليه والخائنة مصدر كما أن الكاذبة واللاغية بمعنى الكذب واللّغو وقيل: إن تقديره يعلم الأعين الخائنة، وقيل هو الرمز بالعين وفيه أقوال أخرى (**ومستقرهم ومستودعهم من الأرحام والظهور**) وفيه ملامحة إلى قوله سبحانه:

﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ۝٦﴾ [هود: ٦].

أي يعلم موضع قرارها والموضع الذي أودعها فيه من أرحام الأمهات وأصلاب الآباء وظهورهم، ويعلم كل أحوالهم من حين ابتدائهم (**إلى أن تتناهى بهم الغايات**) ويقف كل عند غايته المكتوبة من خير أو شرّ (**هو الذي اشتدت نقمته على أعدائه في سعة رحمته واتسعت رحمته لأوليائه في شدّة نقمته**) لا يخفى ما في هذه القرينة من حسن المقابلة.

قال الشارح البحراني: وأشار بذلك إلى كمال ذاته بالنّسبة إلى ملوك الدّنيا مثلاً، فإنّ أحدهم في حالة غضبه على عدوّه لا يتسع لرحمته ولا رحمة غيره، وكذلك في رحمته لأوليائه لا يجتمع معها غضبه عليهم؛ ولمّا ثبت أنه تعالى هو الغني المطلق المنزّه عن صفات المخلوقين وأنّه المعطي لكل قابل ما يستحقه من غير توقف في وجوده على أمر من ذاته، وكان أعداء الله مستعدّون ببعدهم عنه لقبول سخطه وشدّة نقمته في الآخرة، لا جرم أولاهم ذلك وإن كانوا في الدنيا في سعة رحمته وشمول نعمته، وكذلك أولياؤه لما استعدّوا القبول

رحمته وشمول نعمته أفاضها عليهم فهم في حظيرة قدسه على غاية من البهجة والسّعادة وضروب الكرامة وإن كانوا بأجسادهم في ضروب من العذاب وشقاوة الفقر والضنك في الدّنيا، وذلك لا يملكه إلاّ حليم لا يشغله غضب عن رحمته، عدل حكيم لا تمنعه رحمته عن إنزال عقوبته سبحانه ليس إلاّ هو.

(قاهر من عازه) أي غالبه وعتى عن أمره كفرعون إذ قال: أنا ربّكم الأعلى فأخذه الله نكال الآخرة والأولى وغيره من العتاة والطغاة، حيث قسم الله سبحانه ظهرهم وكسر عظمهم وقهرهم بالموت والإذلال، وأنزل عليهم شديد النكال **(ومدمّر من شاقه)** أي مهلك من كان مشاقاً له ومنحرفاً عن طريق الهدى إلى سمت الرّدى **(ومذل من ناواه)** يجعله محتاجاً إلى غيره **(وغالب من عاداه)** أي المستولي عليه بقهره **(من توكل عليه كفاه)** كما قال في كتابه العزيز:

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

أي الكافي له يكفيه أمر دنياه وآخرته **(ومن سأله أعطاه)** إذ لا تفنى خزائنه السؤال، ولا تدخل عليها نقص ولا زوال.

وفي الحديث القدسي: «يا عبادي لو أن أوّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلّ إنسان مسألته ما نقص ذلك ممّا عندي شيئاً إلاّ كما ينقص المخيط إذا دخل البحر»[(١)].

أي لا ينقص شيئاً وإنما ضرب المثل بالمخيط والبحر لأنّه وإن كان يرجع شيء قليل محسوس لكنه لقلّته بالنسبة إلى أعظم المرئيات عياناً لا يرى ولا يعد شيئاً فكأنّه لم ينقص منه شيء.

(ومن أقرضه قضاه) أي من أنفق ماله في سبيله وطاعته أعطاه الله عوض ما أنفق وإنّما سمّى الإنفاق قرضاً تلطفاً للدّعاء إلى فعله وتأكيداً للجزاء عليه، فإن القرض يوجب الجزاء وهو مأخوذ من قوله سبحانه في سورة البقرة: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾.

روى الطبرسي عن الصادق عليه السلام أنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ [النمل: ٨٩].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ربّ زدني» فأنزل الله[(٢)]:

(١) سبل السلام: ٤/ ١٧٦، وكنز العمال: ١٥/ ٩٢٤.
(٢) معاني الأخبار: ٣٩٨، والأربعون حديثاً: ٦٧.

﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾ [الأنعام: ١٦١].

فقال رسول الله ﷺ: «زدني» فأنزل الله سبحانه:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

والكثير عند الله لا يحصى.

قال الكلبي في سبب نزول هذه الآية: إنّ النبيّ ﷺ قال: «من تصدّق بصدقة فله مثلاها في الجنّة»[١]، فقال أبو الدحداح الأنصاري واسمه عمرو بن الدحداح: يا رسول الله إنّ لي حديقتين إن تصدقت بإحداهما فإنّ لي مثليهما في الجنّة؟ قال: نعم، وأمّ الدّحداح معي؟ قال: نعم، قال: والصبية معي؟ قال: نعم، فتصدق بأفضل حديقته فدفعها إلى رسول الله فنزلت الآية فضاعف الله له صدقته ألفي ألف، وذلك قوله أضعافاً كثيرة قال: فرجع أبو الدحداح فوجد أمّ الدّحداح والصّبية في الحديقة التي جعلها صدقة فقام على باب الحديقة وتحرّج أن يدخلها فنادى يا أم الدّحداح، قالت: لبيك يا أبا الدّحداح، قال: إني جعلت حديقتي هذه صدقة واشتريت مثليها في الجنّة وأمّ الدّحداح معي والصّبية معي قالت: بارك الله لك فيما شريت وفيما اشتريت فخرجوا منها وأسلموا الحديقة إلى النّبي ﷺ فقال النبي: «كم من نخلة متدل عذوقها لأَبي الدحداح في الجنّة».

وفي «منهج الصادقين» قال النبيّ ﷺ: «كم من عذق رواح ودار فياح في الجنّة لأَبي الدّحداح»[٢].

(**ومن شكره جزاه**) أي من اعترف بنعمته سبحانه وفعل ما يجب فعله من الطاعة وترك ما يجب تركه من المعصية أعطاه الله سبحانه بشكره الجزاء الجميل والثواب الجزيل.

ثم إنه بعد ما ذكر جملة من النعوت الجلالية والصفات الجمالية لله سبحانه أردف ذلك بالعظة والنصيحة فقال: (**عباد الله زنوا أنفسكم من قبل أن توزنوا**) أي زنوها في الدنيا قبل الوزن في الآخرة فأما الوزن في الدنيا فهو اعتبار الأَعمال وضبطها بميزان العدل أي مراعاة الاستقامة على حاق الوسط المصون من طرفي التفريط والإفراط، فإن اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادّة، وأمّا الوزن الأخروي فقد أشير إليه في قوله سبحانه:

﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾﴾، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٨].

(١) تفسير مجمع البيان: ٢/ ١٣٧، ومستدرك الوسائل: ٧/ ٢٦٢ ح ٨١٩٦.

(٢) مستدرك الوسائل: ٧/ ٢٦٢ ح ٨١٩٦، وتفسير مجمع البيان: ٢/ ١٣٧.

قال الطبرسي في معناه قيل: إن الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وأنه لا ظلم فيها وقيل: إن الله ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيامة فيوزن به أعمال العباد الحسنات والسيئات، ثم اختلفوا في كيفيّة الوزن لأن الأعمال أعراض لا يجوز وزنها فقيل: توزن صحائف الأعمال، وقيل: يظهر علامات الحسنات والسّيئات في الكفتين فيراها الإنسان، وقيل: تظهر الحسنات في صورة حسنة والسّيئات في صورة سيئة، وقيل: توزن نفس المؤمن ونفس الكافر، وقيل: المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العظم ومقدار الكافر في الذلة كما قال سبحانه: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥][(١)].

---

(١) قال الفيض الكاشاني في كتاب «قرة العيون» في وزن الأعمال: كلّ ما يدركه الإنسان بحواسه يرتفع منه أثر إلى روحه ويجتمع في صحيفة ذاته وخزانة مدركاته، وكذلك كلّ مثقال ذرّة من خير أو شرّ يعمله يرى أثره مكتوباً ثمّة سيّما ما رسخت بسببه الهيئآت وتأكّدت به الصّفات وصار خلقاً وملكة، فإنّ ذلك ممّا يوجب خلود الثواب والعقاب، فكلّ إنسان نفسه صحيفة أعماله وهو كتاب منطو اليوم عن مشاهدة الأبصار، وإنّما ينكشف بالموت ورفع ما تورده الشواغل الحسّية المعبّر عنه بقوله تعالى: **﴿وإذا الصّحف نشرت﴾**. سورة التكوير: ١٠.

فإذا حان حين ذلك وهو يوم تبلى السرائر صار الغيب شهادة والسّر علانيّة والخبر عياناً فيقال: **﴿لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد﴾**. سورة ق: ٢٢، **﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحقّ إنّا كنّا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾**. سورة الجاثية: ٢٩.

فمن كان في غفلة من حساب سرّه فإذا وقع بصره على ذلك والتفت إلى صفحة باطنة وصحيفة قلبه يقول: **﴿ما لهذا الكتاب لايغادر صغيرة ولا كبيرة إلاّ أحصاها﴾**. سورة الكهف: ٤٩.

ثمّ من كان من أهل السعادة وأصحاب اليمين وكانت معلوماته أموراً قدسيّة واعماله صالحة وأخلاقه حسنة فقد أوتي كتابه بيمينه من جهة علّيين، **﴿إنّ كتاب الأبرار لفي علّيين وما أدريك ما عليّيون كتاب مرقوم يشهده المقرّبون﴾**. سورة المطففين: ١٨ . ٢١، وذلك لأنّ كتابه به جنس الألواح العالية والصحف المكرّمة المرفوعة المطهّرة **﴿بأيدي سفرة كرام بررة﴾**، فليس عليه سوى العرض كما قال سبحانه: **﴿فأمّا من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه﴾** إلى قوله: **﴿في الأيّام الخالية﴾**. سورة الحاقة: ١٩ . ٢٤.

ومن كان من الأشقياء المردودين وكانت معلوماته مقصورة على الجرميّات وأعماله خبيثة وأخلاقه سيّئة فقد أوتي كتابه بشماله من جهة سجّين، **﴿كلا إنّ كتاب الفجّار لفي سجّين وما أدريك ما سجّين كتاب مرقوم ويلّ يومئذ للمكذّبين﴾**. سورة المطففين: ٧ ـ ١٠، وذلك لأنّ كتابه من جنس الأوراق السفلية والصحائف الحسّية القابلة للاحراق، فلا جرم يعذّب بالنّار كما قال سبحانه: **﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَه * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَه﴾** إلى قوله: **﴿لا يأكله إلاّ الخاطئون﴾**. سورة الحاقة: ٢٥ . ٣٧.

﴿وأمّا من أوتي كتابه وراء ظهره﴾. سورة الانشقاق: ١٠ فهم الذين اوتوا الكتاب **﴿فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً﴾**. سورة آل عمران: ١٨٧ فقيل لهم **﴿ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً﴾**. سورة الحديد: ١٣؛ فإنّه حين نبذه وراء ظهره **﴿ظنّ أن لن يحور﴾**. سورة الانشقاق: ١٤ **﴿فسوف يدعو ثبوراً ويصلى سعيراً﴾**. سورة الانشقاق: ١١ . ١٢، وميزان كلّ شيء هو المعيار الذي يعرف به قدر ذلك الشيء. قد تقدم من المصنف (قد) في الرابعة من التاسعة تفصيل ذلك فراجع فميزان يوم القيامة ما يوزن به قدر كلّ إنسان وقيمته على حسب عقيدته وخلقه وعمله، **﴿لتجزى كلّ نفس بما كسبت﴾**. سورة الجاثية: ٢٢.

وليس ذلك إلاّ الإمام المعصوم، إذ به وباقتفاء آثاره وترك ذلك والقرب عن طريقته والبعد عنها يعرف مقدار النّاس وقدر حسناتهم وسيئآتهم، فميزان كلّ أُمّة نبي تلك الأمّة ووصي نبيّها والشريعة التي أتى بها **﴿فمن**

(وحاسبوها من قبل أن تحاسبوا) أي حاسبوها في الدّنيا قبل المحاسبة في الآخرة أما المحاسبة الأخروية فقد مرّ في شرح الكلام الحادي والثمانين تحقيق الكلام فيها وأما المحاسبة الدّنيوية فهي عبارة عن ضبط الإنسان على نفسه أعمالها الخيرية والشرية ليزكيها بما ينبغي لها ويعاقبها على فعل ما لا ينبغي وستطلع على مزيد توضيح لها في ضمن الأخبار الآتية **(وتنفّسوا قبل ضيق الخناق)** وهو استعارة لانتهاز الفرصة للعمل قبل تعذره بحلول الأجل وتعلق حبائل الموت وإنشاب أظفار المنية والفوت **(وانقادوا)** لأوامر الله سبحانه ونواهيه **(قبل عنف السياق)** أي قبل السّوق العنيف وهو سوق ملك الموت بالجذبة المكربة التي تقدّمت الإشارة إليها في شرح الفصل السّابع من فصول الخطبة الثّانية والثمانين.

(واعلموا أنه من لم يعن على نفسه حتى يكون له منها واعظ وزاجر لم يكن له من غيرها

ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون ومن خفّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم﴾. سورة الأعراف: ٨. ٩، سورة المؤمنون: ١٠٢. ١٠٣. قال الطبرسي أعلا الله مقامه في تفسير قوله تعالى: **﴿والوزن يومئذ الحق﴾** من سورة الأعراف ما ملخصه: ذكر فيه أقوال (أحدها) أن الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وأنه لا ظلم فيها على أحد، (ثانيها) أن الله ينصب ميزاناً له لسان وكفتان يوم القيامة فتوزن به أعمال العباد، (ثالثها) إن المراد بالوزن ظهور مقدار المؤمن في العِظم ومقدار الكافر في الذلة فمن أتى بالعمل الصالح الذي يثقل وزنه أي يعظم قدره فقد أفلح ومن أتى بالعمل السيء الذي لا وزن له ولار قيمة فقد خسر. وقال في كيفية الوزن: واختلفوا في كيفية الوزن لأن الأعمال أعراض ولا تجوز عليها الأعادة لا يكون لها وزن فقيل: توزن صحائف الأعمال، وقيل: تظهر علامات للحسنات وعلامات للسيئات في الكفتين فتراها الناس وقيل: تظهر للحسنات صورة حسنة وللسيئات صورة سيئة وقيل: توزن نفس المؤمن والكافر قال: يؤتى بالرجل العظيم الجثة فلا يزن جناح بعوضة. وقال العلامة المجلسي أعلا الله مقامه في آخر كلامه في باب الميزان من البحار: فنحن نؤمن بالميزان ونرد علمه إلى حملة القرآن ولا نتكلف علم ما لم يوضح لنا بصريح البيان والله الموفق وعليه التكلان.

روى الصدوق بإسناده عن هشام بن سالم قال: سألت أبا عبد الله ﷺ عن قول الله عز وجلّ: **﴿ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تظلم نفس شيئاً﴾**. سورة الأنبياء: ٤٧ قال: «هم الأنبياء والأوصياء». التوحيد: ٢٦٨، معاني الأخبار: ٣٢.

وفي رواية أخرى عنهم**﴿عليهم السلام﴾** «نحن الموازين القسط ليوم القيامة». بحار الأنوار: ٧ / ٢٤٣، وما ورد أنّه يوزن به الصّحف فالمراد بالصّحف النفوس الإنسانيّة كما دريت، وما ورد أن له لساناً وكفّتين فتمثيل للمعنى بالصورة كما ورد في سائر نظائره.

وفي الاحتجاج عن الصّادق ﷺ إنّه قيل له: أو ليس توزن الأعمال؟ قال: «لا، لأنّ الأعمال ليست أجساماً، وإنّما هي صفة ما عملوا، وإنّما يحتاج إلى وزن الشيء من جهل عدد الأشياء، ولا يعرف ثقلها وخفّتها، وإن الله لا يخفى عليه شيء». قيل: فما معنى الميزان؟ قال: «العدل» قال: فما معناه في كتابه **﴿فمن ثقلت موازينه؟﴾** قال: «فمن رجّح عمله». الاحتجاج: ٢ / ٩٨. ٩٩.

وفي كتاب التوحيد عن أمير المؤمنين ﷺ في قوله تعالى: **﴿فأمّا من ثقلت موازينه﴾**. سورة القارعة: ٦ و**﴿من خفّت موازينه﴾**. سورة القارعة: ٨ قال: «الحسنات ثقل الميزان والسّيئآت خفة الميزان». التوحيد: ٢٦٨.

زاجر ولا واعظ) يعني من لم يعنه الله سبحانه على نفسه حتّى يجعل له منها واعظاً وزاجراً لم ينفعه الزّجر والوعظ من غيرها.

والمراد بإعانة الله له أن يعدّ نفسه النّاطقة لقبول الخيرات ويؤيّدها على نفسه الأمّارة بالسّوء حتى تكون مقهورة عندها فيحصل له الاستعداد لقبول المواعظ والزواجر ويكمل له الانتفاع بها.

روى في «الوسائل» عن محمّد بن إدريس في «السّرائر» نقلاً من كتاب «المشيخة» للحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي قال: كان عليّ بن الحسين عليه السلام يقول: ابن آدم إنّك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة من همّتك، وما كان الخوف لك شعاراً والحزن لك دثاراً، ابن آدم إنّك ميّت ومبعوث وموقوف بين يدي الله عزّ وجلّ فأعدّ جواباً[1].

إيقاظ في ذكر نبذ من الأخبار الواردة في محاسبة النفس

وبيان كيفية المحاسبة فأقول

روى في «الوسائل» من «الكافي» بإسناده عن إبراهيم بن عمر اليماني عن أبي الحسن الماضي عليه السلام قال: ليس منّا من لم يحاسب نفسه في كلّ يوم، فإن عمل حسناً استزاد الله وإن عمل سيّئاً استغفر الله منه وتاب إليه[2].

ومن «الخصال» و«معاني الأخبار» للصدوق مسنداً عن عطاء عن أبي ذر «ره» في حديث قال: قلت: يا رسول الله فما كانت صحف إبراهيم؟ قال صلى الله عليه وآله: كانت أمثالاً كلّها أيّها الملك المبتلى المغرور إنّي لم أبعثك لتجمع الدّنيا بعضها على بعض، ولكن بعثتك لترد عنّي دعوة المظلوم فإنّي لا أردّها وإن كانت من كافر، وعلى العاقل ما لم يكن مغلوباً أن تكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يتفكّر فيها صنع الله إليه، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال فإن هذه الساعة عون لتلك السّاعات واستجمام للقلوب وتفريغ لها[3].

ومن مجالس الشيخ بإسناده عن أبي ذر ره، في وصيّة النبي صلى الله عليه وآله، أنه قال: «يا أبا ذر حاسب نفسك قبل أن تحاسب فإنّه أهون لحسابك غداً، وزن نفسك قبل أن توزن، وتجهز

---

(١) تحف العقول: ٢٨٠، ووسائل الشيعة: ١٦/ ٩٦ ح ٢١٠٧٦.

(٢) الكافي: ٢/ ٤٥٣ ح ١، وتحف العقول: ٣٩٦.

(٣) وسائل الشيعة: ١١/ ٣٨٧ ح ٤، وبحار الأنوار: ١٢/ ٧١ ح ١٤.

للعرض الأكبر يوم تعرض لا تخفى على الله خافية إلى أن قال: يا أبا ذر لا يكون الرّجل من المتّقين حتّى يحاسب نفسه أشدّ من محاسبة الشريك شريكه فيعلم من أين مطعمه ومن أين مشربه ومن أين ملبسه من حلال أو من حرام، يا أبا ذر من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أين أدخله النّار»[١].

ومن تفسير العسكري عن آبائه عن عليّ عن النّبي سلام الله عليه وعليهم قال عليه السلام: أكيس الكيّسين من حاسب نفسه وعمل لما بعد الموت، فقال رجل: يا أمير المؤمنين كيف يحاسب نفسه؟ قال: إذا أصبح ثمّ أمسى رجع إلى نفسه وقال: يا نفس إنّ هذا يوم مضى عليك لا يعود إليك أبداً والله يسألك عنه بما أفنيته فما الذي عملت فيه أذكرت الله أم حمدته أقضيت حوائج مؤمن فيه أنفست عنه كربة أحفظته بظهر الغيب في أهله وولده أحفظته بعد الموت في مخلفيه أكففت عن غيبة أخ مؤمن أعنت مسلماً ما الذي صنعت فيه؟ فيذكر ما كان منه فإن ذكر أنه جرى منه خير حمد الله وكبّره على توفيقه، وإن ذكر معصيةً أو تقصيراً استغفر الله وعزم على ترك معاودته[٢].

وعن عليّ بن موسى بن طاوس في كتاب محاسبة النّفس قال: ورأيت في كتاب مسعدة بن زياد من أصول الشيعة فيما رواه عن الصّادق عليه السلام عن أبيه قال: اللّيل إذا أقبل نادى مناد بصوت يسمعه الخلائق إلاّ الثقلين يا ابن آدم إنّي خلق جديد إنّي على ما فيّ شهيد فخذ منّي فإنّي لو طلعت الشّمس لم أرجع إلى الدّنيا ولم تزدد فيّ من حسنة ولم تستعتب فيّ من سيئة وكذلك يقول النّهار إذا أدبر اللّيل[٣]، وبالله التّوفيق.

الترجمة

از جمله خطب شريفه آن امام انام است عليه الصلوةوالسلام كه فاتحه اش متضمّن است بعض صفات كماليه الهيّه را و خاتمه اش مشتمل است بر موعظه و نصيحت مى فرمايد:

حمد و ثنا خداوند معبود به حقى را سزا است كه شناخته شده است بى حس و بصر و خلق نموده بى فكر و نظر، آنچنان پروردگارى كه دايم است بالذات و متصف است به بقا و ثبات در وقتى كه نبود هيچ آسمان صاحب برج ها و نه حجاب هاى صاحب درها و نه شب

(١) وسائل الشيعة: ١٦/ ٩٨ ح ٢١٠٨٠، وسائل الشيعة: ١١/ ٣٧٩ ح ٢١٠٨٠.
(٢) وسائل الشيعة: ١٦/ ٩٨ ح ٢١٠٨١، وبحار الأنوار: ٦٧/ ٧٠.
(٣) وسائل الشيعة: ١٦/ ٩٩ ح ٢١٠٨٥، ومستدرك الوسائل: ٥/ ٢٠٤ ح ٥٦٩٩.

تاریك و نه بحر ساکن غیرمتحرك و نه کوهی که صاحب راه های فراخ است و نه راه های فراخ که متصف است به اعوجاج و کجی و نه زمینی که صاحب فرش است و قرار و نه خلقی که صاحب قوّت است و اقتدار.

این ذات موصوف به صفات کمالات آفریننده خلایق است و وارث ایشان و معبود مخلوقات است و رزق دهنده ایشان و آفتاب تابنده و ماه درخشنده حرکت کننده اند به عادت مستمره بر طبق رضای او در حالتی که فانی می کنند هر جدید را و نزدیك می نمایند هر بعید را، قسمت فرموده است روزی های خلق را و شمرده است اثرها و عمل های ایشان را و تعداد نموده نفس های ایشان را و عالم است به خیانت چشم های ایشان و به آنچه پنهان می کند سینه های ایشان از آنچه که در دل می گیرند از قصد عصیان و غیر آن و دانا است به قرارگاه و محل ودیعه ایشان از ارحام مادران و اصلاب پدران تا آنکه به نهایت می رسد ایشان را غایت ها؛ یعنی خبیر است به جمیع احوال و اعمال ایشان از ابتدا تا انتها.

آن خداوندی که شدید است عقوبت او بر اعداء خود در وسعت رحمت او و وسعت دارد رحمت او بر اولیاء خود در شدت عقوبت او، قهرکننده کسی است که غلبه گی جوید بر او و هلاك کننده کسی است که نزاع کند با او و ذلیل کننده کسی است که عناد ورزد با او و غلبه کننده کسی است که عداوت نماید او را، هرکه توکل کرد بر او کفایت نمود او را و هرکس سؤال کرد از او عطا فرمود او را و هرکه قرض داد به او و مال خود را در راه او صرف نمود، عوض داد به او و هر که شکرانه نعمت او را به جا آورد جزای خیر داد به او.

ای بندگان خدا بسنجید نفس های خود را به میزان عدل در دنیا پیش از آنکه سنجیده شوید به میزان عمل در آخرت و محاسبه کنید با نفس های خود پیش از آن که به مقام محاسبه آورده شوید در قیامت و نفس زنید و فرصت غنیمت شمارید پیش از تنگ شدن گلو و مطیع و منقاد باشید پیش از رانده شدن با مشقت به سوی آخرت.

و بدانید آن کسی که اعانت فرموده نشده بر نفس خود تا آنکه باشد او را از آن نفس پنددهنده و زجرکننده، نیست او را از غیر نفس او زجرکننده و نه پنددهنده؛ یعنی کسی که اعانت نفرموده باشد خداوند او را بر غلبه نفس امّاره او تا اینکه مستعد و قابل شود بر قبول موعظه و نصیحت از پیش خود ثمری نمی بخشد او را موعظه و نصیحت دیگران؛ والله اعلم.

ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الأشباح وهي التسعون من المختار في باب الخطب

وهي من خطبه المشهورة روى بعض فقراتها المحدث العلاّمة المجلسي (ره) في «البحار» من كتاب «مطالب السّؤول» لمحمّد بن طلحة الشافعي، ورواها الصّدوق في التّوحيد مسنداً باختصار واختلاف كثير لما أورده السّيد (ره) في الكتاب.

قال: حدّثني عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق (ره)، قال: حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفي، قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل البرمكيّ، قال: حدّثني عليّ بن العبّاس، قال: حدّثني إسماعيل بن مهران الكوفيّ عن إسماعيل بن إسحاق الجهني عن فرج بن فروة عن مسعدة بن صدقة قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: بينا أمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر بالكوفة إذ قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين صف لنا ربّك تبارك وتعالى لنزداد له حبّاً وبه معرفة، فغضب أمير المؤمنين ونادى: الصّلاة جامعة فاجتمع النّاس حتّى غصّ المسجد بأهله ثمّ قام متغيّر اللّون فقال: الحمد لله إلى آخر ما رواه هذا، وشرح ما أورده السّيد (ره) هنا في ضمن فصول:

الفصل الأول

قال السّيد (ره): وهي من جلائل خطبه عليه السلام وكان سأله سائل أن يصف الله له حتّى كأنّه يره عياناً، فغضب عليه السلام لذلك:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي لا يَفِرُهُ الْمَنْعُ وَالْجُمُودُ، وَلا يُكْديهِ الإِعْطاءُ وَالْجُودُ.

إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقِصٌ سِواهُ، وكُلُّ مانِعٍ مَذْمُومٌ ما خَلاهُ، هُوَ الْمَنّانُ بِفَوائِدِ النِّعَمِ، وعَوائِدِ الْمزيدِ وَالْقِسَمِ، عِيالُهُ الْخَلْقُ، ضَمِنَ أَرْزاقَهُمْ، وقَدَّرَ أَقْواتَهُمْ وَنَهَجَ سَبيلَ الرّاغِبينَ إِلَيْهِ، وَالطّالِبينَ ما لَدَيْهِ، ولَيْسَ بِما سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِما لَمْ يُسْأَلْ، الأَوَّلُ الَّذي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ، وَالآخِرُ الَّذي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ، وَالرّادِعُ أَناسِيَّ الأَبْصارِ عَنْ أَنْ تَنالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ، ما اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحالُ، ولا كانَ في مَكانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الانْتِقالُ، وَلَوْ وَهَبَ ما تَنَفَّسَتْ عَنْهُ الْحالُ، ولا كانَ في مَكانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الانْتِقالُ، وَلَوْ وَهَبَ ما تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعادِنُ الْجِبالِ، وضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدافُ الْبِحارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيانِ، ونُثارَةِ الدُّرِّ وحَصيدِ الْمَرْجانِ، ما أَثَّرَ ذلِكَ في جُودِهِ، وَلاَ أَنْفَدَ سِعَةَ ما عِنْدَهُ، ولَكانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخائِرِ الأَنْعامِ، ما لا

تَنفدْهُ مَطالِبُ الأَنامِ، لأَنَّهُ الْجَوادُ الَّذي لا يَغيضُهُ سُؤالُ السّائِلينَ، وَلاَ يُبْخِلُهُ إِلْحاحُ الْمُلِحّينَ(١).

اللغة

(**الأشباح**) جمع الشبح وهو الشخص كالأسباب والسبب و(**وفر**) الشيء يفر من باب وعد وفوراً تمّ وكمل، ووفرته وفراً من باب وعد أيضاً أتممته وأكملته يتعدى ولا يتعدى والمصدر فارق و(**اكدى**) الرّجل إذا بخل أو قلّ خيره أو قلل عطائه قال سبحانه: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾﴾ [النجم: ٣٤].

وأصله كدى كرمى ومنه أرض كادئة بطيئة الإنبات و(**الأناسي**) جمع الإنسان وهو المثال الذي يرى في سواد العين و(**الأصداف**) جمع الصدف بالتحريك وهو غشاء الدّر و(**الفلز**) بكسر (**الفاء**) (**واللام**) وتشديد (**الزاء**) وكعتل. قال في «القاموس»: نحاس أبيض تجعل منه القدور المفرغة أو خبث الحديث أو الحجارة أو جواهر الأرض كلها أو ما ينفيه الكير من كل ما يذاب منها و(**العقيان**) الذّهب الخالص ويقال: هو ما ينبت نباتاً وليس ممّا يحصل من الحجارة و(**نثارة**) الدر ما تناثر منه.

قال الشارح المعتزلي: وتأتي فعالة تارة للجيد المختار وتارة للساقط المتروك فالأوّل نحو الخلاصة والثاني نحو القلامة و(**الدر**) جمع الدّرة وهي اللّؤلؤة العظيمة و(**غاض**) الماء نقص وغاضه الله كإغاضه أنقصه يتعدى بنفسه وبالهمز و(**أبخلته**) وجدته بخيلاً.

الإعراب

قوله عليه السلام: (**وكل مانع مذموم ما خلاه**) الأصل في خلا أنه لازم يتعدى إلى المفعول (**بمن**) نحو خلت الدار من الأنيس، وقد تضمن معنى جاوز فيتعدى بنفسه كقولهم: افعل هذا وخلاك ذم أي جاوزك.

قال الرّضي: وألزموها هذا التضمن في باب الاستثناء فيكون ما بعدها في صورة المستثنى (**بإلا**) التي هي أمّ الباب ولهذا الغرض التزموا إضمار فاعله إلى أن قال: وفاعل خلا عند النحاة بعضهم، وفيه نظر لأن المقصود في جاءني القوم خلا زيداً أنّ زيداً لم يكن معهم أصلاً ولا يلزم من مجاوزة بعض القوم إياه وخلو بعضهم منه مجاوزة الكلّ وخلوّ الكل، والأولى أن يضمر فيه ضمير راجعاً إلى مصدر الفعل المتقدم أي جاءني القوم خلا مجيئهم زيداً، كقوله تعالى: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

(١) بحار الأنوار: ٥٤/١٠٧، ونهج السعادة: ١/٥٤٤.

فيكون مفسر الضمير سياق القول، هذا.

(وما) فيه مصدرية ولذلك التزم انتصاب ما بعده لأَن **(ما)** المصدرية تدخل على الفعلية غالباً، والاسمية قليلاً وليس بعدها اسمية فتعين الفعلية فتعين أن يكون فعلاً فوجب النصب والمضاف محذوف أي وقت ما خلا مجيئهم زيداً، وذلك أن الحين كثيراً ما يحذف مع **(ما)** المصدرية نحو: ما ذر شارق ونحوه ذكر ذلك كله نجم الأَئمة الرضى **(ره)**.

قال: وجوّز الجرمي الجر بعد ماخلا وما عدا على أن **(ما)** زائدة، ولم يثبت، انتهى.

أقول: حمل **(ما)** على الزيادة في كلام الإمام عليه السلام على تقدير ثبوته أقرب إلى المعنى كما لا يخفى، وحملها على المصدرية محتاج إلى التكلف كما هو غير خفي على الفطن العارف، وإضافة الفوائد إلى النعم بيانية، وفي قوله **(وعوائد المزيد)** من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة، **(والقسم)** عطف على **(العوائد)**، وجملة **(ضمن)** في محل النصب على الحالية من ضمير عياله.

المعنى

اعلم أنّ هذه الخطبة الشريفة كما ذكره السيد (ره) من جلائل خطبه عليه السلام ومشاهرها وتسمى بخطبة الأشباح لاشتمالها على ذكر الأشباح والأشخاص من الملائكة وكيفية خلقهم وبيان أقسامهم، ولعل غضبه عليه السلام على السائل من أجل أن غرض السائل كان وصفه تعالى بصفات الأَجسام وزعمه جواز معرفته سبحانه بالاكتناه كما يشهد به قوله: **(كأنه يراه عياناً)**، فغضب عليه السلام لذلك وتغير لونه لأَجل ذلك ووصفه بأوصاف العزّ والكمال وصفات الجبروت والجلال فقال:

(الحمد لله الذي لا يفره المنع والجمود) أي لا يوجب وفور ماله المنع والإمساك **(ولا يكديه الإعطاء والجود)** أي لا يقلل إعطاءه البذل والإحسان يقول عليه السلام: إنه سبحانه ليس كملوك الدنيا يتزيد بالإمساك وينتقص بالإنفاق إذ مقدوراته سبحانه غير متناهية وما عنده لا يدخله نقص ولا فناء، بل يدخلان الفاني المحدود ويشهد به ما مر في شرح الخطبة السابقة من الحديث القدسي: **(يا عبادي لو أنّ أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كلّ إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندي شيئاً إلاّ كما ينقص المخيط إذا دخل البحر)** أي لا ينقص شيئاً.

وإلى ما ذكرنا أشار عليه السلام بقوله: **(إذ كل معط منتقص سواه)** وبحار فضله لا ينقص بالإفضال، وخزائن كرمه لا تقل بالإنعام والنوال.

ولما نبه عليه السلام على عدم إمكان دخول النقصان في بحر فضله وجوده أردف ذلك بنفي لحوق الذم بمنعه على وجوده بقوله: **(وكل مانع مذموم ما خلاه)** وذلك لأَن كل مانع غيره إنما

يمنع لخوف الضيق والمسكنة وخشية الفقر والفاقة أو بخل نفسه الأمارة، فحري أن تلحقه المذمة والملامة وأما الله القدوس السبحان فلما كان منزهاً عن صفات النقصان؛ ومحالاً أن يلحقه طواريء الإمكان، فليس منعه لضيق أو بخل، وإنّما يمنع بمقتضى حكمة بالغة وداعي مصلحة خفية أو ظاهرة، فمنعه في الحقيقة عين الفضل والإحسان والعطاء والامتنان.

كما ورد في الحديث القدسي: «إن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك»[١].

وفي حديث آخر: وإن من عبادي المؤمنين لعباداً لا يصلح لهم أمر دينهم إلا بالفاقة والمسكنة والسقم في أبدانهم فأبلوهم بالفاقة والمسكنة والسقم فصلح إليهم أمر دينهم وأنا أعلم بما يصلح عليه أمر دين عبادي المؤمنين[٢].

فيصلح **(هو المنان فوائد النعم)** أي كثير الإنعام على العباد والمعطي لهم ابتداء من غير سبق سؤال، وبه فسّره الفيروزآبادي.

ويدلّ عليه ما رواه الطريحي قال: وفي حديث عليّ عليه السلام وقد سئل عن الحنّان والمنّان فقال: الحنّان هو الذي يقبل على من أعرض عنه، والمنّان هو الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال[٣].

وبذلك ظهر أن جعل المنّان مبالغة في المنّة وإظهار الاصطناع كما في شرح البحراني ممّا لا وجه له بل هو تفسير بالرأي في مقابلة النصّ، ولا بأس بذكر كلامه لتوضيح مرامه.

قال في شرح هذه الفقرة: المنة تذكير المنعم للمنعم عليه بنعمته والتطاول عليه بها كقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٠].

في غير موضع من كتابه وهي صفة مدح للحق سبحانه وإن كان صفة ذم لخلقه. والسّبب الفارق أن كلّ منعم سواه يحتمل أن يتوقع لنعمته جزاء ويستفيد كمالاً يعود إليه ممّا أفاده، وأيسره توقع الذكر ويقبح ممّن يعامل بنعمته ويتوقع جزاء أن يمنّ بها لما يسلتزمه المن من التّطاول والكبر وتوقع الجزاء والحاجة إليه مع التّطاول والكبر مما لا يجتمعان في العرف، إذ التّطاول والكبر إنما يليقان بالغنى عن ثمرة ما تطاول به إلى آخر ما ذكره.

أقول: أمّا قبح الامتنان من المخلوق فممّا لا ريب فيه، لكونه ناشئاً من خسّة النفس ودناءة الهمّة ولذلك مدح الله سبحانه عباده المتقين بما حكى عنهم بقوله: ﴿إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ [الإنسان: ٩].

---

(١) عوالي اللئالي: ٢/ ١٠٨، وتفسير مجمع البيان: ٩/ ٥٢.

(٢) الكافي: ٢/ ٦٠، وشرح أصول الكافي: ٨/ ١٩٩ ح ٣.

(٣) مستدرك سفينة البحار: ٢/ ٤٥١، ومجمع البحرين: ١/ ٥٩٠.

كما أنه لا ريب في جوازه على الله سبحانه، ويدلّ عليه صريح الكتاب والسّنة، وأما جعل المنّان من أسمائه سبحانه بذلك المعنى فلا دليل عليه، بل الدليل قائم على خلافه حسبما عرفت، مع أن إرادة هذا المعنى في هذا المقام أعني كلام الإمام عليه السلام على فرض ثبوت أصله ممّا يأبى عنه الذوق السّليم والطبع المستقيم إذ المعنى الذي ذكرنا أولى بالتمدح منه كما لا يخفى، هذا.

وما أبعد ما بين ما ذكره الشّارح وما ذهب إليه السّيد عليخان شارح الصحيفة السّجادية من نفي جواز المنة على الله رأساً كعدم جوازه على الخلق حيث قال في شرح دعاء طلب الحوائج عند شرح قوله عليه السلام: (**يا من لا يبيع نعمه بالأثمان، ويا من لا يكدّر عطاياه بالامتنان**): الامتنان افتعال من المنّ وهو إظهار الاصطناع واعتداد الصنائع كأن تقول: ألم أعطك كذا، ألم أحسن إليك، ألم أعنك؟ وهو تعبير يكدّر المعروف وينغصه، فلهذا نهى الشارح عنه بقوله: ﴿لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَـٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

ومن هنا قيل: سيّان من منح النائل ومنّ، ومن منح السّائل وضنّ، والمراد بنفي تكديره تعالى عطاياه بالامتنان نفي الامتنان عنه رأساً فهو من باب نفي الشيء بلازمه أي لا امتنان فلا تكدير.

ثمّ لما كان الامتنان بالمعنى المذكور رذيلة ناشئة عن دناءة النّفس وصغر الهمة واستعظام النعمة والإحسان كان تعالى منزّه عن الامتنان، لأَن كلّ نعمة من نعمه تعالى وإن عظمت وكلّ عطيّة من عطاياه وإن جلّت بالنّسبة إلى العبد المعطي والمنعم عليه فهي حقيرة بالنّسبة إلى عظمته جلّت قدرته، وشأنه تعالى أجلّ من أن تكون لها عنده موقع فيمنّ بها ويعتدّ بها على من أعطاه وأنعم عليه، وقول بعض العلماء: إنّ المنّة بالمعنى المذكور صفة مدح للحقّ سبحانه وإن كان صفة ذمّ للمخلوق ليس بشيء وعبارة الدّعاء تشهد ببطلانه، انتهى.

أقول: والإنصاف أن نفي الامتنان عنه سبحانه رأساً لا وجه له مع نصّ الآية الشّريفة أعني قوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَـٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَـٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧].

بخلافه ودلالة الآيات الواردة في مقام الامتنان عليه بل المنفي عنه هو الامتنان المتصور في الخلائق.

بيان ذلك أن الامتنان من المنعم على المنعم عليه تارة يكون لإرادة مكافأة الأنعام وطلب العوض من الثّواب الآجل والثناء العاجل، وبعبارة أخرى لتوقع منفعة عائدة على المنعم بإنعامه، وأخرى إرادة تذكّر المنعم عليه للنّعمة واستعداده بذلك لقبول نعمة أخرى وتحصيل منفعة ثانية من دون أن يكون للمنعم فيه تحصيل فائدة واكتساب منفعة لنفسه أصلاً.

فالامتنان على الوجه الأوّل هو القبيح وإليه يعود منه الخلائق، وأمّا الثاني فلا قبح فيه

أصلاً بل هو حسن يشهد به الوجدان فلا غبار على جوازه على الله سبحانه وعلى ما حققته فمعنى قوله عليه السلام: **(يا من لا يكدّر عطاياه بالامتنان)**: أن امتنانه لا يوجب التكدّر كما يوجبه امتنان غيره إذ غرضه تعالى منه ليس إلاّ محض التفضل والتطول وإيصال نعمة أخرى إلى الممتنّ عليه، وغرض غيره منه تحصيل منفعة لنفسه فمنّته تكشف عن عدم خلوص إحسانه وكونه مشوباً بالأغراض النفسانية، وعلى ذلك فالمنفي في كلام الإمام عليه السلام هو التكدير لا أصل الامتنان وإلاّ امتنع الجمع بينه وبين الأدلّة الدّالة على الامتنان ويكون مناقضاً صريحاً لها، فافهم واغتنم، والله العالم.

وقوله: **(وعوائد المزيد والقسم)** قال البحرانيّ: أي معتادهما، وهو سهو إذ العوائد جمع العائدة لا العادة حتّى يكون بمعنى المعتاد، والعائدة كما في «القاموس» المعروف والصّلة والعطف والمنفعة، والمزيد مصدر إما بمعنى الفاعل أو المفعول وإضافة العائدة إليه من باب إضافة الموصوف إلى صفته لا بالعكس كما هو لازم ما فسّره البحراني، والمراد أنّه سبحانه منّان على العباد بصلاته وعطوفاته الزائدة أو المزيد وقسمه المقدرة.

(عياله الخلق ضمن أرزاقهم وقدّر أقواتهم) لما كان عيال الرّجال عبارة عمن يمونه وينفق عليه ويصلح حاله استعار لفظه للخلائق بالنّسبة إلى ربّهم لخلقه لهم وتربيته في حقّهم وإصلاحه حالهم في المعاش والمعاد.

قال البحراني: واستعار لفظ الضّمان لما وجب في الحكمة الإلهيّة من وجود ما لا بدّ منه في تدبير إصلاح حالهم من الأقوات والأرزاق وتقدير أقواتهم إعطاء كلّ ما كتب له في اللّوح المحفوظ من زائد وناقص، انتهى، وهذا هو المشار إليه بقوله سبحانه:

﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا﴾ [الزخرف: ٣٢].

واعلم أن الرزق في اللّغة هو العطاء ويطلق على النصيب المعطى، وأمّا في العرف فقالت الأشاعرة: هو مطلق ما ينتفع به حيّ مباحاً كان أو حراماً بالتغذي أو بغيره، وذهب أصحابنا كالمعتزلة إلى أنه ما صحّ انتفاع الحيوان به وليس لأحد منعه منه فلا يكون الحرام رزقاً، لأنّ الله سبحانه منع من الانتفاع به وأمر بالزّجر عنه ولا بأس بذكر أدلّة الطرفين ليتّضح الحق من البين.

فأقول: استدلّ الأشاعرة بما رووه عن صفوان بن أميّة قال: كنّا عند رسول الله صلى الله عليه وآله إذ جاء عمر بن قرّة فقال: يا رسول الله إنّ الله كتب عليّ الشّقوة فلا أراني أرزق إلاّ من دفي يكفي فأذن لي في الغناء، فقال صلى الله عليه وآله: «لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة كذبت أي عدوّ الله والله لقد رزقك الله حلالاً طيباً، فاخترت ما حرّم الله عليك مكان ما أحلّ الله لك من حلاله»[1]،

(١) بحار الأنوار: ٥/ ١٥٠، ونور البراهين: ٢/ ٣٢٥.

وبقوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

تقريب الاستدلال ما ذكره الفخر الرّازي في التفسير الكبير حيث قال: تعلّق أصحابنا بهذه الآية في إثبات أن الرّزق قد يكون حراماً قالوا: لأنّه ثبت أن إيصال الرّزق إلى كلّ حيوان واجب على الله تعالى بحسب الوعد وبحسب الاستحقاق، والله تعالى لا يخلّ بالواجب، ثمّ قد نرى إنساناً لا يأكل من الحلال طول عمره فلو لم يكن الحرام رزقاً لكان الله تعالى ما أوصل رزقه إليه فيكون تعالى قد أخلّ بالواجب وذلك محال، فعلمنا أن الحرام قد يكون رزقاً.

وأجيب عن الأوّل تارة بالطّعن في السّند، وأخرى بأنّه على تقدير صحّته لا بد من تأويله بأن إطلاق الرّزق على الحرام فيه لمشاكلة قوله فلا أراني أرزق، على حد قوله: ومكروا ومكر الله، وباب المشاكلة وإن كان نوعاً من المجاز لكنه واسع كثير الورود في الكتاب والسنة معروف الاستعمال في نظم البلغاء ونثرهم فلا بد من المصير إليه جمعاً بين الأدلّة.

وعن الثّاني يمنع وجود مادة النقض إذ لا نسلم وجود حيوان لا يرزق إلاّ بالحرام مدّة عمره، أمّا غير الإنسان فواضح إذ لا يتصور بالنّسبة إليه حلّ ولا حرمة.

أمّا الإنسان فلأنّه في أيّام الصّبا وعدم التّكليف لا يتّصف ما يأكله بالحرمة كعدم اتصافه بالإباحة، بل هو كالحيوان في عدم اتصاف أفعاله بشيء من الأحكام الخمسة.

وأما بعد البلوغ فلأنّه بعد ما كان الرّزق أعم من الغذاءِ باتفاق المعتزلة والأشاعرة يشمل التنفّس في الهواء ومعلوم أنه مباح في حقّه قطعاً فلم يوجد حيوان لا يرزق إلاّ بالحرام طول عمره، ويوضحه أنّه لو مات إنسان قبل أن يأكل شيئاً حلالاً أو حراماً لزم أن يكون غير مرزوق فما هو جواب الأشاعرة فهو جوابنا.

واستدلّ المعتزلة على المذهب المختار بقوله سبحانه: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣].

حيث مدحهم بإنفاقهم من رزقه فلا بد أن يكون الرّزق حلالاً إذ الإنفاق من الحرام بمعزل عن إيجاب المدح.

أقول: ولا يخفى ما فيه: إذ يجوز جعل (من) تبعيضيّة فيكون معنى الآية أنّهم ينفقون بعض ما رزقهم الله، ومدحهم بذلك يستلزم أن يكون ما أنفقوه حلالاً ولا يستلزم أن يكون جميع ما رزقهم الله حلالاً، وهو واضح.

واستدل بعض أصحابنا بما رواها العامة والخاصّة من خطبته ﷺ في حجة الوداع وهي صريحة غير قابلة للتّأويل. ورواها الكليني بإسناده إلى الإمام أبي جعفر محمّد بن علي

الباقر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع: ألاَ إن الرّوح الأَمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتّى تستكمل رزقها، فاتّقوا الله وأجملوا في الطلب ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرّزق أن تطلبوه بشيء من معصية الله، فإن الله تعالى قسم الأَرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسمها حراماً، فمن اتقى الله وصبر أتاه رزقه من حلّه، ومن هتك حجاب ستر الله وعجل وأخذه من غير حلّه قصّ به من رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيامة[1]، هذا.

وبقي الكلام في أن الرزق هل يقبل الزيادة والنّقصان بالسّعي وعدمه ظاهر بعض الأَخبار العدم، وهو ما رواه في «الكافي» بإسناده إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: أيّها النّاس اعلموا أن كمال الدين طلب العلم والعمل به ألا وإن طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال إنّ المال مسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه[2].

وفي دعاء الصّحيفة السجادية على صاحبها آلاف الصّلاة والسّلام والتّحية: جعل لكل روح منهم قوتاً معلوماً مقسوماً من رزقه لا ينقص من زاده ناقص ولا يزيد من نقص منهم زائد[3].

يعني أن من زاد الله رزقه منهم لا ينقصه ناقص، ومن نقصه سبحانه لا يزيده زائد، وتقديم المفعول في الفقرتين لمزيد الاعتناء ببيان فعله من الزيادة والنقصان وهو نصّ في أن غيره تعالى لا يستطيع أن يتصرف في الرزق المقسوم بالزيادة والنقص.

وفي رواية أخرى: إن أرزاقكم تطلبكم كما تطلبكم آجالكم فلن تفوتوا الأَرزاق كما لم تفوتوا الآجال.

والمستفاد من الأَدلة الأخر مدخلية الطلب والسّعي فيها، مثل ما رواه في «الوسائل» من «كنز الفوائد» للكراجكي قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: الدّنيا دول فاطلب حظك منها بأجمل الطلب[4].

وفيه عن شيخنا الطوسي قدس الله روحه بإسناده عن عليّ بن عبد العزيز قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما فعل عمر بن مسلم؟ قلت: جعلت فداك أقبل على العبادة وترك التجارة، فقال: ويحه أما علم أن تارك الطلب لا يستجاب له دعوة، إن قوماً من أصحاب

---

(١) شرح أصول الكافي: ٨/ ٢٣٦، الفصول المهمة في أصول الأئمة: ١/ ٢٧٠.
(٢) الكافي: ١/ ٣٠ ح ٤، وشرح أصول الكافي ٢/ ٧ ح ٤.
(٣) الصحيفة السجادية: ٢٢.
(٤) الخصال: ٦٣٣، ووسائل الشيعة ١٧/ ٤٧ ح ٢١٩٤٧.

رسول الله ﷺ لما نزلت: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا * وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا: قد كفينا، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأرسل إليهم فقال: «ما حملكم على ما صنعتم؟» فقالوا: يا رسول الله تكفّل الله لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقال: «إنّه من فعل ذلك لم يستجب له عليكم بالطلب»(١).

وعن الكليني بإسناده عن عمر بن يزيد قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: أرأيت لو أنّ رجلاً دخل بيته وأغلق بابه أكان يسقط عليه شيء من السّماء؟

وعن أحمد بن فهد في «عدّة الدّاعي» عن عمر بن يزيد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إني لأركب في الحاجة التي كفانيها الله، ما أركب فيها إلاّ الالتماس أن يراني الله أضحي في طلب الحلال أما تسمع قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

أرأيت لو أنّ رجلاً دخل بيتاً وطين عليه بابه وقال: رزقي ينزل عليّ كأين يكون هذا أما أنّه يكون أحد الثّلاثة الذين لا يستجاب لهم دعوة، قلت: من هؤلاء؟ قال عليه السلام: رجل عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له، لأنّ عصمتها في يده ولو شاء أن يخلي سبيلها، والرّجل يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه فيجحد حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له لأنه ترك ما أمر به، والرجل يكون عنده الشّيء فيجلس في بيته فلا ينتشر ولا يطلب ولا يلتمس الرّزق حتّى يأكله فيدعو فلا يستجاب له(٢)، وبمعناها روايات أخر.

ويمكن الجمع بينها وبين الأخبار السّابقة بجعل الرزق على قسمين: **أحدهما**: ما ليس للطلب والسعي مدخلية فيه، **والثاني**: ما لا ينال إلاّ بالطلب فيحمل الأخبار السّابقة على القسم الأوّل، والأدلة الأخيرة على القسم الثّاني.

ويشهد على هذا الجمع ما رواه في «الوسائل» من «مقنعة المفيد» قال: قال الصادق عليه السلام: الرزق مقسوم على ضربين: **أحدهما**: واصل إلى صاحبه وإن لم يطلبه، **والآخر**: معلق بطلبه فالذي قسم للعبد على كل حال آتيه وإن لم يسع له والذي قسم له بالسّعي فينبغي أن يلتمسه من وجوهه وهو ما أحلّه الله دون غيره، فإن طلبه من جهة الحرام فوجده حسب عليه يرزقه وحوسب به(٣).

(١) الكافي: ٥/ ٨٤ ح ٥، ومن لا يحضره الفقيه: ٣/ ١٩٢ ح ٣٧٢١.
(٢) وسائل الشيعة: ١٧/ ٢٨ ح ٢١٨٩٦، ونهج السعادة: ٧/ ٣٣٦.
(٣) وسائل الشيعة: ١٧/ ٤٧ ح ٢١٩٤٦، والفصول المهمة في أصول الأئمة: ١/ ٢٧٣ ح ٢٩٦.

(ونهج سبيل الراغبين إليه والطالبين ما لديه) كما قال سبحانه: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].

أراد أنّه تعالى أوضح السّبيل للراغبين إلى النظر إلى وجهه الكريم، والطالبين لما عنده من الفوز العظيم بما وضعه لهم من الشرع القويم والدين المستقيم **(وليس بما سئل بأجود منه بما لم يسأل)** تنزيه له سبحانه عن صفات الخلق فإنّهم يتحركون بالسؤال وتهزهم الطلبات فيكونون بما سألهم السائل أجود منهم بما لم يسألوا، لكونه أسهل عندهم وأقرب إلى الإنجاح، إذ السائل لا يسأل ما ليس في وسع المسؤول عنه وما هو أعز عنده ولذلك كانوا بما سئلوا أجود، وأما الله تبارك وتعالى فليس في عموم جوده وخزانة كرمه تفاوت بين المسؤول وغير المسؤول.

بيان ذلك على ما حققه الشّارح البحراني (ره) أن فيضان ما صدر عنه سبحانه له اعتباران:

أحدهما: بالنظر إلى جوده، وهو من تلك الجهة غير مختلف في جميع الموجودات بل نسبتها إليه على سواء بذلك الاعتبار فلا يقال: هو بكذا أجود منه بكذا وإلاّ لاستلزم ذلك أن يكون ببعض الأشياء أبخل أو إليها أحوج فيلزمه النقصان تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

الثاني: بالنظر إلى الممكن نفسه، والاختلاف الواقع في القرب والبعد إلى جوده إنّما هو من تلك الجهة فكل ممكن كان أتم استعداداً وأقبل للوجود وأقل شرطاً ومعانداً كان أقرب إلى جوده.

إذا عرفت ذلك ظهر لك أن السّائل إن حصل له ما سأله من الله دون ما لم يسأل فليس حرمانه مما لم يسأل لعزّته عند الله، وليس بينه وبين المسؤول بالنسبة إلى جوده تفاوت، بل إنّما خصّ بالمسؤول لوجوب وجوده له عند تمام قبوله له بسؤاله دون ما لم يسأله ولو سأل ما لم يسأله واستحق وجوده لما كان في الجود الإلهي بخل به ولا منع في حقه، وإن عظم خطره وجلّ قدره ولم يكن له أثر نقصان في خزائن ملكه وعموم جوده.

(الأول الذي لم يكن له قبل فيكون شيء قبله، والآخر الذي ليس له بعد فيكون شيء بعده) قد سبق في شرح الخطبة الرابعة والستين معنى أوليّته وآخريته تعالى وظهر لك هناك أنّ أوليّته لا تنافي آخريّته، وآخريّته لا تنافي أوليّته ونزيد هنا بياناً ونقول: إن الأشياء في سلسلة الوجود بداية ونهاية منتهية إليه سبحانه، فهو أوّل الأشياء وآخرها ليس شيء قبله ولا شيء بعده.

قال النيسابوري في تفسيره: معنى الأول والآخر أنه أوّل في ترتيب الوجود وآخر إذا عكس الترتيب، فإنه ينطبق على السلسلة المترتبة من العلل إلى المعلولات ومن الأشرف إلى الأخس وعلى الأخذ من الوحدة إلى الكثرة مما يلي الأزل إلى ما يلي الأبد ومما يلي المحيط

إلى ما يقرب من المركز، فهو تعالى أوّل بالترتيب الطبيعي وآخر بالترتيب المنعكس، انتهى.

ومراده بالترتيب المنعكس أن الأشياء إذا نسبت إلى أسبابها وقفت عنده، وذلك أنك إذا نظرت إلى وجود شيء وفتّشت عن سببه ثم عن سبب سببه وهكذا فتنتهي بالآخرة إليه تعالى، لأنّه آخر ما ينحلّ إليه اجتماع أسباب الشيء، فظهر بذلك أن كونه أوّلاً وآخراً إنما هو بالنّظر إلى ذاته المقدس لا باعتبار تقدّمه زماناً وتأخره زماناً، لكون الزمان متأخراً عنه تعالى إذ هو من لواحق الحركة المتأخرة عن الجسم المتأخر عن علّته، فلا تلحقه القبليّة والبعديّة الزمانية فضلاً أن تسبق عليه أو تلحق به، فلم يكن شيء قبله ولا بعده لا من الزمانيات ولا من غيرها.

وذكر الشارح المعتزلي في المقام وجهاً آخر وهو أن يكون المراد أنه الذي لم يكن محدثاً أي موجوداً قد سبقه عدم فيقال إنه مسبوق بشيء من الأشياء أما المؤثر فيه أو الزمان المقدم عليه وأنه ليس بذات يمكن فناؤها وعدمها فيما لا يزال فيقال: إنه ينقضي وينصرف فيكون بعده شيء من الأشياء الزمان أو غيره.

(والرادع أناسيّ الأبصار عن أن تناله أو تدركه) أراد به امتناع رؤيته سبحانه لكونه تعالى منزهاً عن الجهة والمكان، والباصرة لا تتعلق إلاّ بما كان فيهما وقد تقدّم تفصيل ذلك وتحقيقه بما لا مزيد عليه في شرح الخطبة التاسعة والأربعين وهذا اللّفظ وإن كان بظاهره يعطي مذهب الأشاعرة من أن يجوز إدراكه ورؤيته ولكنه خلق في الأبصار مانعاً عن إدراكه، إلاّ أنّه لا بدّ من تأويله وحمله على ما ذكرنا بعد قيام الأدلة القاطعة من العقل والنقل على استحالة إدراكه من حيث ذاته.

(ما اختلف عليه دهر فيختلف منه الحال) أراد بذلك كونه منزّهاً عن لحوق الزمان وعن التغيّرات الجارية على الزّمانيات فان مبدأ التّغيرات والاختلاف في الأحوال هو الزمان، فلما كان متعالياً عن الزمان كان منزهاً عن اختلاف الحالات الذي هو من لواحق الإمكان.

ويوضح ذلك ما رواه في «الكافي» بإسناده عن ابن يعفور قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾.

وقلت: أمّا الأوّل فقد عرفناه، وأمّا الآخر فبين لنا تفسيره، فقال: إنه ليس شيء إلاّ يبيد أو يتغير أو يدخله التغير والزوال أو ينتقل من لون إلى لون ومن هيئة إلى هيئة ومن صفة إلى صفة ومن زيادة إلى نقصان ومن نقصان إلى زيادة إلاّ ربّ العالمين فإنّه لم يزل ولا يزال بحالة واحدة، هو الأوّل قبل كل شيء وهو الآخر على ما لم يزل، ولا تختلف عليه الصفات والأسماء كما تختلف على غيره مثل الإنسان الذي يكون تراباً مرّة، ومرّةً لحماً ودماً ومرّة رفاتاً ورميماً، وكالبسر الذي يكون مرّةً بلحاً، ومرّة بسراً، ومرة تمراً، فتتبدّل عليه الأسماء والصّفات والله عزّ وجلّ بخلاف ذلك.

(ولا كان في مكان فيجوز عليه الانتقال) أراد بذلك تنزيهه عن الكون في المكان

لاستلزامه الافتقار الذي هو من صفات الإمكان وإذا لم يكن في مكان فلا يجوز عليه الانتقال منه إلى غيره، إذ جواز الانتقال إنما هو من شأن ذي المكان بل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤].

ونسبة جميع الأَمكنة إليه تعالى على سواء: ﴿وهو يعلم سركم ونجواكم﴾ ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وقد مرّ تحقيق ذلك في شرح الفصل الخامس والسّادس من فصول الخطبة الأولى فتذكر.

(ولو وهب ما تنفست عنه معادن الجبال وضحكت عند أصداف البحار من فلزّ اللّجين والعقيان ونثارة الدّر وحصيد المرجان ما أثر ذلك في جوده) أشار عليه السلام بذلك إلى سعة جوده سبحانه وعموم كرمه وكمال قدرته وعدم تناهي مقدوراته، ولا يخفى ما فيه من فخامة اللفظ مع عظم المعنى، حيث إنّه عليه السلام شبّه المعادن بحيوان يتنفّس فيخرج من جوفه الهواء، وكذلك المعادن يخرج من بطونها الفلزات، ثم شبه الأَصداف بإنسان يضحك وأثبت لها الضّحك بملاحظة أن الصّدف أوّل ما ينشق وينفتح ويبدو منه اللؤلؤ يشبه بفم الإنسان الضاحك واللؤلؤ فيه يشبه بالأسنان واللّحمة فيه تشبه اللّسان في رقّة طرفه ولطافته.

ولما ذكر ما يخرج من المعادن والأَصداف مجملاً، فصّل.

بقوله: من فلزّ اللّجين والعقيان، وهو تفسير لما يخرج من معادن الجبال وإنّما خصهما بالذكر مع عدم الاختصاص لأنّهما أعظم ما يتنافس فيه المتنافسون ويغتنمه أبناء الزمان، ولا عبرة بالنحاس والرّصاص ونحوهما في جنبهما.

وبقوله: **(ونثارة الدّر وحصيد المرجان)**، وهو بيان لما يخرج من الأَصداف والدّر كبار اللؤلؤ والمرجان صغاره ولصغره شبهه عليه السلام بالحبّ الحصيد وربما يطلق المرجان على الخرز الأَحمر المعروف قال الشاعر:

أدمى لها المرجان صفحة خدّه ... وبكى عليها اللّؤلؤ المكنون

هو خرز يخرج من البحر أيضاً، وربما فسّر به قوله: ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ * بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمٰن: ١٩-٢٠]﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ [الرحمٰن: ٢٢].

ولكنه ليس مراداً في كلام الإمام عليه السلام ولا يمكن حمله عليه كما هو ظاهر.

وكيف كان فالمقصود أنه سبحانه لو بذل جميع ما في الأَرض من الكنوز والمعادن البرّية والبحرية لأحد لم يؤثر ذلك في جوده **(ولا أنفد سعة ما عنده)** من خزائن كرمه **(ولكان عنده من ذخائر الإنعام ما لا تنفده مطالب الأنام)** وذلك لعدم إمكان إحصاء ما عنده بعدّ، وعدم

وقوفه وانتهائه إلى حدّ **(لأنّه الجواد الذي لا يغيضه سؤال السّائلين ولا يبخله إلحاح الملحين)** يعني لا يوجب سؤال السّائلين على كثرته نقصاناً في جوده ولا إصرار المصرين بخلاً في كرمه، لأن البخل والنقصان من توابع المزاج ولواحق الإمكان، وهو منزّه عن ذلك بالضرورة والعيان، بل عنده نيل السؤلات وإنجاح الحاجات، وما يسأله السائلون على كثرته يسير في وجده، وما يستوهبه الطالبون على خطره حقير في وسعه وكرمه لا يضيق عن سؤال أحد، ويده بالعطاء أعلى من كل يد.

الترجمة

از جمله خطب آن حضرت است که معروف است به خطبه اشباح و این خطبه های جلیله او است و بود سؤال نمود سائلی از او اینکه وصف کند پرودگار عالم را از برای او به اندازه ای که گویا آن را آشکارا می بیند، پس غضب کرد آن حضرت از این جهت و فرمود:

حمد و ثنا خدایی را سزا است که بسیار نمی گرداند مال او را منع و امساك نمودن و کم نمی گرداند عطاء او را بذل و بخشش کردن از جهت اینکه هر عطاکننده کم کننده است مال خود را سوای او و هر منع نماینده مذموم است غیر از حضرت او سبحانه.

او است بسیار احسان کننده به فواید نعمت ها و به منفعت های زایده و قسمت های مقدره، عیال او است مخلوقات، ضامن شده است به روزی های ایشان و مقدر فرموده است قوت های ایشان را، واضح نموده است راه راغبان را به سوی خود و راه طالبان را به آنچه نزد او است و نیست او به آنچه که سؤال کرده شده باجودتر از او به آنچه که درخواسته نشده.

اوّلی است که نیست او را پیش تا اینکه باشد چیزی قبل از او و آخری است که نیست او را بعد تا اینکه شود چیزی پس از آن، منع کننده است مردمك های دیده ها را از اینکه برسد به ذات او یا درك نماید او را، مختلف نشده است بر او روزگار، پس مختلف شود از او حال و نبوده است در مکان تا جایز باشد بر او انتقال.

و اگر ببخشد آنچه که نفس کشیده است از او معدن های کوه ها و خندیده است از او صدف های دریاها که عبارت باشد از گداخته نقره و طلا و از پاشیده درّ در دیده مرجان، اثر نمی کند این همه در جود واجب الوجود و تمام نمی سازد وسعت آنچه را که نزد او است و هر آینه هست نزد او از ذخیره های نعمت ها آنقدری که به پایان نمی رساند آن را مطلوب های خلایق از جهت آنکه او است جواد و بخشنده که ناقص نمی نماید جود او را سؤال سؤال کننده ها و بخیل نمی سازد او را اصرار و مبالغه نمودن مبالغه کننده ها.

الفصل الثاني

فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فما دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ، وَاسْتَضِيءْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وما كَلَّفَكَ الشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمّا لَيْسَ فِي الْكِتابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ، ولا في سُنَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وأَئِمَّةِ الْهُدَىٰ أَثَرُهُ، فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَإِنَّ ذَٰلِكَ مُنْتَهَىٰ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ هُمُ الَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ اقْتِحَامِ السُّدَدِ الْمَضْرُوبَةِ دُونَ الْغُيُوبِ، الإِقْرارُ بِجُمْلَةِ ما جَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ الْغَيْبِ الْمَحْجُوبِ، فَمَدَحَ اللَّهُ اعْتِرافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ ما لَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً، وَسَمَّى تَرْكَهُمُ التَّعَمُّقَ فيما لَمْ يُكَلِّفْهُمُ الْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً، فَاقْتَصِرْ عَلَىٰ ذَٰلِكَ، ولا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ قَدْرِ عَقْلِكَ، فَتَكُونَ مِنَ الْهالِكِينَ.

هُوَ الْقَادِرُ الَّذِي إِذَا ارْتَمَتِ الأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ، وحَاوَلَ الْفِكْرُ الْمُبَرَّءُ مِنْ خَطَرَاتِ الْوَساوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ في عَمِيقاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ، وتَوَلَّهَتِ الْقُلُوبُ إِلَيْهِ لِتَجْرِيَ في كَيْفِيَّةِ صِفاتِهِ، وغَمَضَتْ مَداخِلُ الْعُقُولِ في حَيْثُ لا تَبْلُغُهُ الصِّفَاتُ لِتَنالَ عِلْمَ ذاتِهِ، رَدَعَها وَهِيَ تَجُوبُ مَهاوِيَ سُدَفِ الْغُيُوبِ، مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لا يُنالُ بِجَوْرِ الاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ، وَلاَ تَخْطُرُ بِبالِ أُولي الرَّوِيَّاتِ خاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلالِ عِزَّتِهِ، الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثالٍ امْتَثَلَهُ، ولا مِقْدارٍ احْتَذَىٰ عَلَيْهِ، مِنْ خالِقٍ مَعْبُودٍ كانَ قَبْلَهُ، وأَرانا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ وعَجائِبِ ما نَطَقَتْ بِهِ آثارُ حِكْمَتِهِ اعْتِرافِ الْحاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلى أَنْ يُقِيمَها بِمَساكِ قُوَّتِهِ، ما دَلَّنا بِاضْطِرارِ قِيامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَىٰ مَعْرِفَتِهِ، وظَهَرَتْ في الْبَدائِعِ الَّتِي أَحْدَثَها آثارُ صَنْعَتِهِ، وأَعْلامُ حِكْمَتِهِ، فَصارَ كُلُّ ما خَلَقَ حُجَّةً لَهُ، ودَلِيلاً عَلَيْهِ، وإِنْ كانَ خَلْقاً صامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ ناطِقَةٌ، ودَلالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قائِمَةٌ.

وأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبايُنِ أَعْضاءِ خَلْقِكَ، وتَلاحُمِ حِقاقِ مَفاصِلِهِمُ الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ، لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلى مَعْرِفَتِكَ، وَلَمْ يُباشِرْ قَلْبَهُ الْيَمِينُ[1] بِأَنَّهُ لاَنِدَّ لَكَ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّؤَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ، إِذْ يَقُولُونَ: «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ، إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ» كَذَبَ الْعادِلُونَ بِكَ إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنامِهِمْ، ونَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ، وَجَزَّأُوكَ تَجْزِءَةَ الْمُجَسَّماتِ بِخَواطِرِهِمْ، وقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَىٰ بِقَرائِحِ عُقُولِهِمْ، وأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ ساواكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ، وَالْعادِلُ بِكَ كافِرٌ بِما تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحكَماتُ آياتِكَ، ونَطَقَتْ عَنْهُ شَواهِدُ حُجَجِ بَيِّناتِكَ، وأَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ الَّذِي لَمْ تَتَناهَ في الْعُقُولِ

---

(١) في نسخة: اليقين.

فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكَرِهَا مُكَيَّفاً، وَلا فِي رَوِيّاتِ خَواطِرِها فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً[١].

اللغة

(**رسخ**) في العلم يرسخ من باب رسوخاً إذا ثبت فيه و(**الاقتحام**) الدّخول في الشّيء مغالبة وبشدّة من غير روية و(**السّدد**) جمع السدّة كغرف وغرفة وهي كالسّقيفة فوق باب الدار ليقيها من المطر، وقيل: هي الباب نفسه ومنه حديث أمّ السلمة أنّها قالت لعائشة لما أرادت الخروج إلى البصرة: إنّك سدّة بين رسول الله وبين أمّته فمتى أصيب ذلك الباب شيء فقد دخل على رسول الله ﷺ في حريمه.

و(**التعمق**) في الأمر المبالغة لطلب أقصى غايته و(**ارتمى**) القوم بالنّبل أي تراموا و(**خطرات الوساوس**) ما تقع في الباب وفي بعض النسخ خطر الوساوس وهو بسكون (**الطاء**) الهاجس كالخاطر و(**تولهت**) القلوب إليه أصابها الوله وهو بالتحريك التحيّر أو ذهاب العقل و(**غمض**) الحق غموضاً من باب قعد خفي مأخذه وغمض بالضم لغة و(**علم ذاته**) قال الشّارح المعتزلي: أنكر قوم جواز إطلاق الذّات على الله سبحانه لأنّها لفظة تأنيث والباري سبحانه منزّه عن الأسماء والصّفات المؤنثة، وأجاز آخرون إطلاقها عليه واستعمالها فيه لوجهين:

أحدهما: أنها جاءت في الشعر القديم قال جنيب الصحار عند صلبه:

وذلك في ذات الإله وإن يشاء ... يبارك على أوصال شلو[٢] موزع

ويروى ممرغ أي مفرق وقال النابغة:

محلّتهم ذات الإله ودينهم ... قديم فما يخشون غير العواقب

والثاني: أنها لفظة اصطلاحية لأنها على مؤنث لكنها تستعمل ارتجالاً في مسمّاها الذي عبر عنه بها أرباب النّظر الإلهي كما استعملوا لفظ الجوهر والعرض في غير ما كان أهل اللّغة يستعملونها فيه.

و(**جاب**) الأرض يجوبها جوباً قطعها و(**المهاوي**) جمع المهواة وهي ما بين الجبلين و(**السّدف**) جمع السدفة وهي الظلمة و(**جبهه**) كمنعه ضرب جبهته وردّها و(**عسف**) عن الطّريق مال وعدل كاعتسف وتعسف أو خبط على غير هداية و(**المثال**) المقدار يقال: هذا على مثاله أي على مقداره وصفة الشيء يقال هذا على مثال ذاك أي على صفته و(**امتثله**) وتمثل به أي اقتداه واتبعه يقال: امتثل طريقته إذا تبعها فلم يعدها و(**حذا**) النعل بالنعل أي قطعها وقدرها

(١) بحار الأنوار: ٥٤/١٠٨، وميزان الحكمة ٣/١٩٠٢.

(٢) شلو: العضو من الجسد.

عليها وحذا حذو زيد إذا فعل فعله.

و(**المساك**) ما يمسك به و(**التلاحم**) كالالتحام التلاؤم والالتئام لفظاً ومعنى يقال: تلاحم الجرح والتحم للبرء إذا التأم و(**الحقاق**) جمع حقه يقال: إنه لنزع الحقاق أي منازع في صغار الأشياء مأخوذ من حقاق العرفط وهي صغاره و(**المحتجبة**) بصيغة المفعول المستترة أي المستورة، وفي أكثر النسخ بصيغة الفاعل أي: المتخذة لأنفسها حجاجاً ففائدة الافتعال الاتحاد و(**اليمين**) أما بمعنى القوة أو بمعنى القسم وفي بعض النسخ اليقين بدله وهو أظهر إلاّ أنّ الأوّل أبلغ كما تطلع عليه و(**الند**) المثل و(**العادلون بك**) من العدل وهو المثل والنظير ومنه: عدلوا بالله، أي أشركوا وجعلوا له مثلاً و(**النحلة**) النسبة بالباطل ومنه انتحال المبطلين و(**الخلقة**) بالكسر الفطرة كالخلق.

الإعراب

(**الإقرار**) بالضم فاعل (**أغناهم**)، (**وعلماً**) منصوب على التميز، (**ورسوخاً**) مفعول ثان لسمّى، (**وردعها**) جواب (**إذا ارتمت**)، وجملة (**وهي تجوب**) في محل النصب على الحال والعامل ردع، (**ومتخلّصة**) حال أيضاً إما من مفعول ردع أو فاعل تجوب، (**ومعترفة**) حال من فاعل (**رجعت**)، (**ومن خالق**) متعلّق بمقدر صفة بمقدار أي صادر من خالق أو مأخوذ من خالق.

وجملة (**وأرانا**) عطف على ابتدع، (**واعتراف**) بالجر عطف على عجائب، (**وإلى أن**) متعلق بالحاجة، (**وما دلنا**) مفعول ثان (**لأرانا**)، وجملة (**وظهرت**) عطف على ابتدع أيضاً؛ ولم يعقد بالبناء على الفاعل خبر أن، وغيب ضميره بالنصب مفعوله، وفي بعض النسخ بالبناء على المفعول فيكون غيب ضميره بالرفع ساداً مسد الفاعل (**والباء**) في قوله: (**بما تنزّلت**) سببية.

المعنى

اعلم أنه عليه السلام لما حمد الله سبحانه وأثنى عليه في الفصل السّابق بما يليق ذاته تعالى من صفات الجمال ونعوت الجلال، عقبه بهذا الفصل المتضمن لتنبيه السّائل على أخطائه في سؤاله الناشيء عن توهمه جواز معرفة الله سبحانه على وجه تكون بمنزلة الرّؤية بالعيان، ولما كان ذلك محالاً في حق الله القدّوس السّبوح السّبحان أوجب ذلك السؤال غضبه وتغيّر لونه عليه السلام كما تقدّم ذكره سابقاً.

وهذا الفصل مشتمل على مقاصد ثلاثة:

المقصد الأول

متضمن لتأديب السّائل ولسائر النّاس من الحاضرين والغائبين في وصفهم لله سبحانه ولتعليمهم كيفية السلوك في مدح الله والثناء عليه بما هو أهله، وللنّهي عن التعمق والخوض في ذات الله وصفاته، والتّكليف فيها بما فوق الاستطاعة، والخطاب فيه وإن كان مخصوصاً بالسّائل إلاّ أنّه عام لجميع النّاس، إذا العبرة بعموم الغرض لا بخصوص الخطاب والمخاطب ولذلك نادى: الصّلاة جامعة وقصد اجتماع النّاس.

وكيف كان وإلى ما ذكرنا نبّه بقوله: (**فانظر أيها السّائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضيء بنور هدايته**) أمر عليه السلام بالرّجوع إلى القرآن الكريم والكتاب الحكيم والاقتداء به والاستضاءة بأنوار هدايته والأخذ بأوصاف القدس والجلال ونعوت العظمة والكمال المدرجة فيه، فإنه أدلّ دليل وأوضح سبيل وهو كلام الحقّ سبحانه وهو أعلم بصفاته من غيره فما وصف به فيه نفسه فهو الحقّ أحقّ أن يتّبع، وما نزه ذاته عنه فهو الباطل ينبغي تنزيهه منه.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ * وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾ [الطارق: ١٣-١٤].

وقد دلّت الآيات الكريمة على أنّه تعالى ربّ، رحمان، رحيم، شهيد، عليم، حكيم، قادر، قاهر، خالق، رازق، كريم، سميع، بصير، خبير، غفور، شكور، مجير، عزيز، متكبر، جبار، قوي منتقم، قهار، إلى غير هذه ممّا فيها من الأسماء الحسنى والأمثال العليا، وقد تضمّنت مضافاً إلى ذلك أنّه:

﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنفال: ١٠٣] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١٠].

فإن هذه الآيات الثلاث نصّ في عدم إمكان معرفته حق المعرفة وعدم جواز إدراكه بالأبصار وبمشاهدة العيان **أما الآية الأولى**: فظاهرة، **وأما الثّانية**: فلأن كلّ من أبصر شيئاً فقد أحاط به علماً لا خلاف لأحد فيه. **وأما الثالثة**: فلأن الأبصار عبارة عن حصول صورة الشيء في حسّ البصر فما لا مثل له لا يمكن حصول صورته في الحسّ وحيث إنه ليس كمثله شيء امتنع تعلّق الأبصار به فظهر من كلّ ذلك بطلان ما توهّمه السّائل.

ونظير إرشاده عليه السلام للسّائل إلى الرجوع إلى القرآن والائتمام به إرشاد أبي الحسن الرّضا عليه السلام لأبي هاشم الجعفري إلى الرجوع إليه والأخذ به على ما رواه في «الكافي» عن محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد عن أبي هاشم الجعفري عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: سألته عن الله هل يوصف؟ فقال عليه السلام: أما تقرأ القرآن؟ قلت: بلى، قال: أما تقرأ قوله تعالى:

﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ﴾ [الأنعام: ١٠٣].

قال: فتعرفون الأبصار؟ قلت: بلى، قال: ما هي؟ قلت: أبصار العيون قال عليه السلام: إنّ أوهام القلوب أكبر من أبصار العيون، فهو لا تدركه الأوهام وهو يدرك الأوهام(١).

فإنّ السّائل لما استفهم عن جواز وصفه تعالى بالرؤية أراد عليه السلام التنبيه والإرشاد له على نفي الرّؤية مطلقاً عنه تعالى بآية القرآن، ولما ظهر من حال السّائل أنه قرأ القرآن وقرأ قوله تعالى: لا تدرك الأبصار، ولم يعرف من الأبصار إلاّ أبصار العيون عرّفه عليه السلام أنّ أوهام القلوب أكبر وأقوى في باب الإدراك من أبصار العيون، لسعة دائرة الأولى وقصور دائرة الثانية من حيث إنّ الوهم رئيس الحواس الظّاهرة والباطنة ومستخدمها ومستعملها، كما أن القلب أعني العقل رئيس الوهم ومخدومه، فالأولى أن يكون معنى الآية لا تدركه الأوهام ليدلّ على نفي الإدراك مطلقاً إذ كلّ ما يدركه الوهم لا يدركه البصر بخلاف العكس.

وفي «الكافي» بإسناده عن عبد الرحيم بن عتيك القصير قال: كتبت على يدي عبد الملك بن أعين إلى أبي عبد الله عليه السلام: إنّ قوماً بالعراق يصفون الله تعالى بالصورة والتخطيط، فإن رأيت جعلني الله فداك أن تكتب إليّ بالمذهب الصحيح من التّوحيد؟ فكتب إليّ: سألت رحمك الله عن التّوحيد وما ذهب إليه من قبلك فتعالى الله الذي ليس كمثله شيء وهو السّميع البصير، تعالى عما يصفه الواصفون المشبّهون الله بخلقه المفترين على الله، فاعلم رحمك الله أن المذهب الصحيح في التّوحيد ما نزل به القرآن من صفات الله تعالى، فانف عن الله تعالى البطلان والتشبيه فلا نفي ولا تشبيه هو الله الثابت الموجود تعالى الله عمّا يصفه الواصفون ولا تعدوا القرآن فتضلّوا بعد البيان(٢).

قال صدر المتألهين: وفي شرح الحديث: قوله عليه السلام: **(فانف عن الله البطلان والتشبيه)** أمر بنفي التعطيل والتشبيه فإن جماعة أرادوا تنزيه الله عن مشابهة المخلوقات فوقعوا في التعطيل ونفي الصفات رأساً وجماعة أخرى أرادوا أن يصفوه بصفاته العليا وأسمائه الحسنى فأثبتوا له صفات زائدة على ذاته فشبهوه بخلقه فأكثر النّاس إلاّ القليل النادر منهم بين المعطل والمشبه.

قوله عليه السلام: **(فلا نفي ولا تشبيه)**، أي يجب على المسلم أن لا يقول بنفي الصفات ولا بإثباتها على وجه التشبيه، وقوله: **(هو الله الثابت الموجود)**، إشارة إلى نفي التعطيل والبطلان، وقوله: **(تعالى عمّا يصفه الواصفون)** إشارة إلى نفي التشبيه، فإن الواصفين هم

(١) شرح أصول الكافي ١١/ ٣٠١، والكافي ١/ ٩٩.

(٢) الكافي: ١/ ١٠٠ ح ١، وشرح أصول الكافي: ٣/ ١٩٧ ح ١.

الذين يصفون الله بصفات زائدة ويقال لهم: الصّفاتية وكل من أثبت لله صفة زائدة فهو مشبه لا محالة.

وقوله عليه السلام: **(فلا تعدوا القرآن فتضلّوا بعد البيان)**، أي فلا تجاوزوا ما في القرآن بأن تنفوا عن الله ما ورد في القرآن حتّى تقعوا في ضلالة التعطيل والله يقول:

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

أو تثبتوا من الصّفات ما يجب التنزيه عنها حتّى تقعوا في زيغ التشبيه والله يقول:

﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصافات: ١٨٠] هذه.

ولما أمر عليه السلام بالرجوع إلى القرآن والاقتداء به والاستضاءة بأنواره والأخذ بما ورد فيه من صفات الحق تعالى شأنه وتقدّس ذاته أردفه بقوله: **(وما كلّفك الشيطان علمه ممّا ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي صلى الله عليه وآله (وأئمة الهدى أثره فكل علمه إلى الله سبحانه فإنّ ذلك منتهى حقّ الله عليك)** ومراده عليه السلام بذلك المنع من تكلّف ما لم يفرض علمه على المكلّفين، والرّدع عن الخوض فيما لم يثبت وجوب معرفته على العباد في الكتاب المبين، ولا في سنّة النبي الأمين وأئمة الدّين سلام الله عليهم أجمعين، معللاً بأنّ منتهى حق الله على العباد أن يقولوا بما دل عليه القرآن، ويصفوه بالأوصاف الثابتة في الفرقان، وينتهوا عما رفع علمه عنهم ويكلوا علمه ويفوّضوه إلى الله السّبحان مشيراً إلى أن تكلّف ما يزيد على ذلك من تكليفات الشيطان اللّعين وتدليساته ووساوسه ليضلّ به عن النهج القويم والصّراط المستقيم.

وإن شئت توضيح ذلك فأقول: إنّ الكتاب الكريم قد دلّ على أنه سبحانه عالم وأنه بكلّ شيءٍ محيط، فيجب لنا الإذعان بذلك وعقد القلب عليه، وأمّا البحث عن كيفيّة علمه وأنه على أيّ نحوٍ هو فلا يجب علينا، وربما يؤدي التعمق فيه إلى الضّلال كما ضلّ فيه كثير من الحكماء.

فمنهم من تحيّر في معرفته فنفاه رأساً، ومنهم من ضاق به الخناق إلى الإطلاق فنفى علمه بالجزئيات، ومنهم من قرّره على وجه أوجب القول بكون الذّات فاعلاً وقابلاً وبكونه متّصفاً بصفات غير سلبية ولا إضافية إلى غير ذلك من المفاسد التي نشأت من كثرة البحث فيه على ما مرّ تفصيلاً في تنبيه الفصل السّابع من فصول الخطبة الأولى.

وكذلك قد ورد في القرآن أنه تعالى خالق الأشياء ومبدعها، فيجب لنا الاعتقاد به وليس بفرض علينا أن نتكلف البحث في كيفيّة الخلقة حتّى نقع في الضلال البعيد كما وقع فيه الفلاسفة المثبتة للعقولات العشرة المبتنية على ما ذهبوا إليه من أن الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد، فإنّهم لمّا ذهبوا إلى أنّ الواحد لا يصدر منه إلاّ الواحد ألجأهم ذلك واضطرهم إلى القول بالعقولات مع أنه مخالف لأصول الشّريعة ولم يرد به كتاب ولا سنّة.

وهكذا البحث والتعمق في سائر الصفات، ومثله البحث في متشابهات الآيات مثل قوله سبحانه:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥] وقوله: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلۡمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا﴾ [الفجر: ٢٢].

وغير ذلك، فالواجب في كلّ ذلك وكول علمه إلى الله سبحانه وردّه عليه كما أبان عنه الكتاب العزيز في سورة آل عمران حيث قال:

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

روى أبو بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ القرآن زاجر وآمر يأمر بالجنّة ويزجر عن النّار وفيه محكم ومتشابه، فأمّا المحكم فيؤمن به ويعمل به ويدين به وأمّا المتشابه فيؤمن به ولا يعمل به[١] وهو قول الله:

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ [آل عمران: ٧] الآية هذا.

(واعلم أنّ الرّاسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السّدد المضروبة دون الغيوب الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب) يعني أنّ الرّاسخين في العلم إذا وصلوا إلى المتشابهات وإلى ما جهلوا كشف القناع والغطاء عنها وقفوا عندها واعترفوا بها إجمالاً كما حكى الله عنهم بقوله:

﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ [آل عمران: ٧].

ولا يتعدون عن ذلك حتى يقتحموا في المهالك.

فإن قلت: من المراد بالرّاسخين في العلم وما المراد بالغيب المحجوب وماذا أراد عليه السلام بالسّدد المضروبة دون الغيوب؟

قلت: أما الرّاسخون في العلم فهم الثابتون فيه والضابطون له كأئمة الدّين وأولياء اليقين الحاملين لأسرار النّبوة وأعباء الولاية وبعض خواصهم المقتبسين من أنوار الهداية والمهتدين بنور الإمامة.

وأمّا المراد بالغيب المحجوب فهو ما غاب عن الخلق علمه وخفي مأخذه إما لعدم

(١) بحار الأنوار: ٢٣/ ١٩١ وتفسير القمي: ٢/ ٤٥١.

الاستعداد والقابليّة وقصور الطبيعة عن الإدراك كذات الله وصفاته الذّاتية؛ وإمّا لاقتضاء الحكمة والمصلحة للإخفاء، كعلم السّاعة وما في الأرحام ونحوهما ممّا حجب الله علمه عن العباد، ومن ذلك القبيل الآيات المتشابهة.

وأمّا المراد بالسّدد المضروبة فهي الحجب المانعة من الوصول إلى الغيب، وهي بالنسبة إلى الغيب المحجوب بها على قسمين:

أحدهما: ما هي قابلة للارتفاع إمّا بالرّياضيات والمجاهدات كما يحصل للبعض فيعرف ضمائر بعض العباد ويطلع على بعض المخبيات ويخبر عن بعض المغيبات، وإمّا بتعليم من الله سبحانه كما كان في حق الأنبياء والأولياء فإن عمدة معجزاتهم كانت من قبيل معرفتهم بالغيب وإخبارهم من المغيبات، وإليه الإشارة في قوله تعالى:

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩].

يعني أنّه عالم بكلّ شيء من مبتدءات الأمور وعواقبها، وأنّه الذي يفتح باب العلم ويرفع الحجاب عن الغيب لمن يريد من الأنبياء والأولياء، لأنّه لا يعلم الغيب سواه، ولا يقدر أحد أن يفتح باب العلم به للعباد إلاّ الله، وقال سبحانه:

﴿عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۞ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

أراد أن من ارتضاه واختاره للنبوة والرّسالة فإنّه يطلعه على ما شاء من غيبه على حسب ما يراه من المصلحة.

وعن «الخرائج» عن الرضا عليه السلام في تفسير هذه الآية فرسول الله عند الله مرتضى، ونحن ورثة ذلك الرّسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه فعلمنا ما كان وما يكون إلى يوم القيامة[(١)].

ومن هذا الباب معرفتهم بالمتشابهات وعلمهم بتأويلها بسبب تعليمه تعالى بوحي أو إلهام، ولا منافة بين إقرارهم بجملة ما جهلوا تفسيره منها من تلقاءِ نفسهم ووكول ذلك إلى ربّهم كما حكاه الله وحكاه عليه السلام عن الرّاسخين وبين معرفتهم الحاصلة بتعليمه سبحانه بل ربما يشير إليه قوله سبحانه:

﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]، فافهم جيّداً.

---

(١) الثاقب في المناقب: ١٨٩ والخرائج والجرائح: ١/ ٣٤٣.

القسم الثاني: ما هي غير قابلة للارتفاع كحجب النور المانعة من الوصول إلى الحق والاكتناه في ذاته.

بيان ذلك: أنّ الله سبحانه متجلّ لذاته بذاته ومحتجب عن مخلوقاته، واحتجابه ليس لخفاء ذاته بل لشدّة نوره وغاية ظهوره وكمال ذاته، فغاية ظهوره أوجب بطونه، وشدّة نوره أوجب اختفائه واحتجابه، من حيث قصور عقول البشر عن إدراكه كمثال نور الشّمس وبصر الخفاش على ما حققناه في شرح الخطبة الرّابعة والسّتين، وعلى هذا فلا سبيل إلى معرفة الحق سبحانه إلاّ بواسطة صفاته السّلبية والإضافية، ولا نهاية لهذه الصّفات ولمراتبها، فالعبد لا يزال يكون مترقّياً فيها فإن وصل إلى درجة وبقي فيها كان استغراقه في مشاهدة تلك الدّرجة حجاباً له عن الترقي إلى ما فوقها.

ولما كان لا نهاية لهذه الدّرجات كان العبد دائماً في السير والانتقال بحسب قوّة عقله واستعداد ذاته إلى أن يبلغ إلى مقام عجز عن التّرقي إلى ما فوقه، ويقصر عن إدراكه، وهذا شأن الرّاسخين السّالكين في مقام السّلوك بقدمي العرفان المترقين في مقام المعرفة من مرتبة إلى مرتبة حتّى يقصروا عن الترقي إلى ما فوقها فيغنيهم حينئذٍ عن اقتحام السدد المضروبة اعترافهم بجملة ما جهلوا تفسيره على ما أشار إليه الإمام عليه السلام (فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمّى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً).

عجز الواصفون عن صفتك ... اعتصام الورى بمغفرتك
تب علينا فإنّنا بشر ... ما عرفناك حقّ معرفتك

(فاقتصر) أيّها السّائل **(على ذلك)** أي على ما دلّ عليه الكتاب العزيز من صفته **(ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين)** الذين اعتقدوا أنّ عقلهم قدّره سبحانه وأحاط به علماً، وصغروا عظمته سبحانه عقلهم الضعيف مع أن عظمته تعالى أجلّ وأعظم من أن يضبطها عقل بشري، وإنّما منشأ ذلك الحكم لمن حصل له هو الوهم الحاكم لمثليّة الله لمدركاته من الأجسام والجسمانيات، وذلك في الحقيقة كفر لاعتقاد غير الصّانع صانعاً، وضلال عن طريق معرفة الله، مستلزم للهلاك الدّائم، والخزي العظيم.

المقصد الثاني

متضمن للتنبيه على عجز العقول عن الاكتناه في ذاته تعالى وعن معرفتها به حق المعرفة، ولبيان أنّ حقّها وحظّها الاستدلال عليه بآيات العظمة وآثار الصّنع والقدرة ودلائل الملك والملكوت.

أما الأول: فهو قوله: **(هو القادر الذي إذا ارتمت الأوهام لتدرك منقطع قدرته وحاول**

الفكر المبرء من خطرات الوسواس أن يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولهت القلوب إليه لتجري في كيفية صفاته وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصّفات لتنال علم ذاته ردعها) وهذه الجملة أعني قوله ﷺ: (إذا ارتمت) إلى الآخر شرطية متصلة متعدّدة المقدم متّحدة التّالي وهو ردعها، وهي بمنزلة شرطيّات متعدّدة.

والمقصود بذلك أنّ الأوهام إذا ترامت واسترسلت مجدّة في التفتيش عن منتهى قدرته، نكصت عن ذلك، لأنّ قدرته تعالى متعلّقة بجميع المقدورات لا نهاية لها حتّى تبلغ الأوهام إلى غايته ومنتهاه.

وإنّ الفكر الصافي الخالي عن وساوس الشّيطان وشوائب الأوهام إذا قصد أن يقع على ذاته ويستثبتها بكلّ ما ينبغي لها من الكمالات في عميقات مغيبات عزته وسلطانه ومملكته، كلّ وحسر لقصوره عن إدراك ما لا نهاية له.

وإنّ القلوب إذا اشتدّ شوقها إليه وتولهت نحوه لتقف على كيفيّة صفاته عجزت، وذلك لأنّ صفاته كذاته قديمة والكيف مهيّة إمكانيّة مفتقرة إلى الجعل حادثة وهو سبحانه منزّه عن كونه محلاً للحوادث فليس لذاته وصفاته كيفيّة حتّى تقف عليها العقول ولذلك قال أبو عبد الله ﷺ: وكيف أصفه بالكيف وهو الذي كيف الكيف حتّى صار كيفاً، فعرّف الكيف بما كيف لنا من الكيف[1].

وأنّ العقول إذا غمضت مداخلها أي خفيت مواقع دخولها في دقائق العلوم النّظرية الإلهية بحيث لا توصف لدقتها طالبة أن تعلم حقيقة ذاته انقطعت وأعيت لقصور العقول عن الوصول إلى حقيقة ما ليس بذي حدّ ولا تركيب.

ومحصل الكلام أنّ هذه القوى التي هي أعظم المشاهر الإنسانية لو حاولت التعمق والاستقصاء في معرفة ذات الله الأعلى وصفاته الحسنى وأرادت الخوض في بحار ملكه وملكوته، وقفت خاسئة ورجعت حسيرة، لقصورها عن إدراك هذه المطالب العظيمة وردعها الله تعالى عن ذلك ومنعها من أن تحوم حول ذلك.

(وهي تجوب مهاوي سدف الغيوب متخلصة إليه سبحانه) أي تقطع مهاوي ظلمات الغيوب حال كونها متوجهة بكليتها إليه سبحانه في طلب إدراكه تعالى **(فرجعت إذ جبهت)** وردت **(معترفة)** ومذعنة **(بأنّه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته)** أي لا ينال باعتساف المسافات التي بينها وبينه وبشدّة الجولان في تلك المنازل إلى كنه معرفته سبحانه.

إذ بينه وبين خلقه منازل غير متناهية، ومعارج غير مستقصاة بعضها نورانية وبعضها

(١) الكافي: ١/١٠٣ ح ١٢، والتوحيد/ ١١٥ ح ١٤.

ظلمانيّة لا بد للسّالك من قطع جميعها حتّى يصل إلى باب الرّبوبية، وأنى له بذلك وأين التراب من ربّ الأرباب فجور الاعتساف غير نافع في تحصيل ما لا يمكن.

(و) لذلك اعترفت العقول بأنه لا ينال بذلك كنه معرفته كما اعترفت بأنه **(لا تخطر ببال أولي الرّويات خاطرة من تقدير جلال عزته)** إذ كلّ ما يخطر ببال أرباب الفكر وكل ما يتصوره أولو النظر في حقه سبحانه وإن كان جليلاً عظيماً فهو أجلّ وأعظم من ذلك، لأن ذلك صفة الواصفين لا صفة الرّب العظيم.

قال فضيل بن يسار فيما رواه عنه في «الكافي»: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إن الله لا يوصف وكيف يوصف وقد قال في كتابه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١].

فلا يوصف بقدر إلاّ كان أعظم من ذلك[١].

وروى عن محمّد بن علي الباقر عليه السلام أن كلّ ما تصوّره أحد في عقله أو وهمه أو خياله فالله سبحانه غيره وراءه، لأنّه مخلوق والمخلوق لا يكون من صفات الخالق.

(الذي ابتدع الخلق على غير مثال امتثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله) أراد بذلك التنبيه على كون إيجاده للعالم بمحض الإبداع والاختراع وعدم كونه مستفاداً من الغير.

بيان ذلك أن الصّنائع البشريّة إنما تحصل بعد أن يرتسم في القوة المتخيلة صورة المصنوع بل وكلّ فعل لا يصدر إلا بعد تصوّر وصفه وكيفيته أولاً.

وهذه التصورات تارة تحصل عن أمثلة للمصنوع ومقادير خارجيّة له يشاهدها الصّانع ويحذو حذوها كما يفعل التلميذ في الصّباغة شيئاً قد مثل له أستاذه هيئته وصورته فيفعل نظيره.

وتارة بمحض الإلهام والإفاضة على قلبه كما يفاض على أذهان كثير من الأذكياء والمصورين صورة شكل لم يسبق إليه غيره، فيصوره في قلبه ويبرز صورته في الخارج على طبق ما أفيض على قلبه، وكيفيّة صنع الله سبحانه منزّهة عن كونها على أحد الوجهين.

أما الوجه الأوّل: فلما مر في شرح الفصل السّابق من أنه سبحانه قبل القبل بلا قبل فليس قبله خالق مثل مثالاً فاتبعه سبحانه، ولا قدر مقداراً فقطع على قدره واحتذى عليه تعالى شأنه.

وأما الوجه الثاني: فلأن الصورة المفاضة والمثال الملهم مستندان إلى المفيض والملهم

(١) كتاب المؤمن: ٣٠ ح ٥٥، والكافي: ١/١٠٣ ح ١١.

مستفادان من الغير فعلان له، وليس قبله تعالى غير حتّى يستفيد ويستفيض منه مضافاً إلى استلزامه الافتقار تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً، هذا.

وأما الثاني: أعني بيان جواز الاستدلال عليه تعالى وإمكان معرفته بآيات القدرة وأدلة العظمة فهو قوله: **(وأرنا من ملكوت قدرته)** أي من ملكها كما قال الله:

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [يس: ٨٣].

أي بقدرته ونسبته إلى القدرة لكون القدرة مبدأ الوجود كلّه فهي مبدأ المالكيّة **(وعجائب ما نطقت به آثار حكمته)** أي عجائب ما أفصحت عنه الأفعال والأحكام الصادرة عن وجه الحكمة والمصلحة على أحسن ترتيب ونظام، وتمام إتقان وانتظام.

(واعتراف الحاجة من الخلق إلى أن يقيمها بمساك قوته) الموجود في النسخ التي رأيناها يقيمها بضمير التأنيث فلا بدّ من رجوعه إلى الخلق باعتبار ملاحظة المعنى، إذ المراد المخلوقات بجميعها، ويحتمل رجوعه إلى الحاجة على تكلف، والمقصود إقرار الخلائق واعترافهم بالاحتياج والافتقار إلى أن يقيمهم ويجبر فاقتهم بقدرته وقوته الماسكة التي تمسك السّماء والأرض أن تزولا، واعتراف بعضهم بلسان الحال وبعضهم بلسان الحال والمقال.

(ما دلنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته) أي أرانا من ملكوت القدرة وآثار الحكمة واعتراف الموجودات بالحاجة دليلاً وافياً وبرهاناً كافياً دلنا على معرفته سبحانه، بسبب قيام الحجة له تعالى بالضّرورة والبداهة.

وبعبارة أخرى أرانا ممّا ذكر ما كان لنا دليلاً على معرفته من أجل ضرورية الحجة القائمة له على الخلائق في باب المعرفة وبداهتها **(وظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته وأعلام حكمته)** أي ظهرت في الحوادث البديعة المعجبة التي أحدثها وأوجدها آثار تدل على صانعيّته وعلامات يستدل بها على حكمته **(فصار كلّ ما خلق)** في الأنفس والآفاق **(حجة له ودليلاً عليه وإن كان خلقاً صامتاً)** لأن افتقاره الذاتي دليل على حاجته إلى المؤثر المبدع وإن لم يكن مفصحاً عنه بلسانه، إما لعدم كونه ذا لسان كالجماد والنبات؛ وإما لكفره وإلحاده كبعض أفراد الإنسان.

(فحجته بالتدبير ناطقة ودلالته على المبدع قائمة) يحتمل رجوع الضمير في حجته ودلالته إلى الخلق الصامت، ويحتمل رجوعه إلى الله سبحانه، والثاني أظهر، والمراد أن حجته تعالى ناطقة بكونه مدبراً، ودليله قائم على كونه مبدعاً مؤثراً.

فحاصل الكلام وفذلكة المرام أن في ما أبدعه سبحانه في عالم الكون وأحدثه في الأنفس والآفاق شواهد متظاهرة وآيات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلالة بارئها، معربة عن كمال حكمته وتدبيره فيها، منادية لأرباب القلوب بنغماتها، قائلة:

أما تراني وما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف أحوالي وكثرة فوائدي، أتظن أني خلقت بنفسي أو خلقني أحد من جنسي، وفعلت هذه الأفاعيل وما يترتب عليها من المنافع بطبعي وذاتي؟

أو ما تستحيي تنظر إلى كلمة مرقومة في ثلاثة أحرف فتقطع أنه صنعة آدمي عالم قادر مريد متكلم ثم تنظر إلى عجائب هذه الخطوط المرقومة على وجه الإنسان بالقلم الإلهي الذي لا يدرك الأبصار ذاته ولا حركته ولا اتصاله بمحل الخط ثم ينفك قلبك من جلالة صانعه؟

وكذلك النطفة التي كأنها قطرة من الماء المتشابه الأجزاء يقول لمن له قلب أو ألقى السّمع وهو شهيد لا الذين هم عن السّمع لمعزولون: توهمني في ظلمة الأحشاء مغموساً في دم الحيض في الوقت الذي يظهر التخطيط والتصوير على وجهي، وقد نقش النقاش حدقتي وأجفاني وجبهتي وخدي وشفتي، فترى النقوش تظهر شيئاً فشيئاً على التدريج ولا ترى داخل الرّحم ولا خارجه أحداً ولا خبر منها للأمّ ولا للأب ولا للنطفة ولا للرّحم فما هذا النقاش؟

أفلم يكن بأعجب ممن يشاهده ينقش بقلمه صورة عجيبة لو نظر إليها مرّتين أو أكثر لتعلّمه فهل يقدر أن يتعلم هذا الجنس من النقش الذي يعم ظاهر النطفة وباطنها وجميع أجزائها من غير ملامسة النطفة ومن غير اتصال بها لا من داخل ولا من خارج؟

فإن كنت لا تتعجب من هذه العجائب ولا تعلم أن الذي صور ونقش هذه النقوش والأشكال والصّور والأمثال مما لا شبه له ولا ندّ ولا شريك له ولا ضدّ، كما أن صنعه ونقشه لا يساويه نقش وصنع والتباعد والمباينة بين الفاعلين كما بين الفعلين فعدم تعجبك أعجب من كل عجيب، فإنّ الذي أعمى بصيرتك مع هذا الوضوح ومنعك اليقين مع هذا البيان جدير بأن يتعجب منه:

﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠].

وأضلّ وأغوى، وفتح بصائر أحبائه فشاهدوه وهم به مؤمنون وأعمى قلوب أعدائه فقال فيهم:

﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١].

فله الخلق والأمر لا معقب لحكمه ولا راد لقضائه.

المقصد الثالث

متضمن للشهادة بالتنزيه والتقديس وأنه سبحانه وتعالى شأنه عن مشابهة مصنوعاته ومجانسة مخلوقاته وهو قوله:

(وأشهد أنّ من شبهك بتباين أعضاء خلقك وتلاحم حقاق مفاصلهم المحتجبة لتدبير حكمتك لم يعقد غيب ضميره على معرفتك ولم يباشر قلبه اليمين بأنه لا ندّ لك) ولا يخفى ما فيه من المحسنات البيانية.

أوّلها: أنه ﷺ غير أسلوب الكلام والتفت من الغيبة إلى الخطاب على حد قوله تعالى: إياك نعبد، لأَن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب آخر كان أحسن تطرءة لنشاط السّامع، وأكثر إيقاظاً للإصغاء إلى ذلك الكلام.

وثانيها: أن التشبيه يعتمد على أركان: المشبه، والمشبه، والمشبه به، فالمشبه في هذا المقام هو القايس له سبحانه على خلقه، والمشبه هو الله العزيز المتعال، والمشبه به في الحقيقة هو الخلق المتباينة الأعضاء والمتلائمة حقاق المفاصل إلاّ أنه عليه السلام جعل المشبه به تباين الأعضاء وتلاحم الحقاق تعريضاً على ذم المشبه وتوبيخه، وتنبيهاً على غلطه وفي تشبيهه، وذلك لأَن تباين الأعضاء وتلاحمها من لوازم المشبه به، وهما مستلزمان للتركيب واجتماع المفردات المستلزمين للافتقار إلى المركب والجامع، فمن كان ملزوماً للحاجة والافتقار كيف يجوز أن يشبه به العزيز الغني المتكبر الجبّار، فجعلها نفس المشبّه به تنبيهاً على كونهما بمنزلة الوسط في لزوم التركيب للمشبّه به الحقيقي حتّى يظهر بذلك تقدسه عن التّشبه به.

وثالثها: أنّه وصف المفاصل بكونها محتجبة معللاً احتجابها بأنه من تدبيرات حكمته تعالى ومقتضياتها، وذلك لأَنها لو لم تحتجب وخلقت بارزة عارية عن الغطاء والغشاء ليبست رباطاتها وقست فيعذر تصرف الحيوان بها كما هو الآن مضافاً إلى كونها معرضة للآفات المفسدة لها وغير ذلك من خفي تدبيره ولطيف حكمته.

ورابعها: أنه عليه السلام شهد في حق المشبهة بعدم عقد ضميرهم المكنون على معرفة الله سبحانه وعدم اعتقادهم ويقينهم بأنه لا مثل له تعالى، وإنّما عبر عن عدم اليقين بعدم اليمين إشعاراً بأن اللازم على العبد في مقام تنزيهه سبحانه عن المثل والنّظير أن يكون تنزيه له صادراً عن وجه كمال اليقين بحيث لو أراد الحلف بذلك أمكنه ذلك.

هذا إن جعلنا اليمين بمعنى القسم، وإن كان بمعنى القوّة فالمقصود الإشعار بأن يكون تنزيهه صادراً عن قوّة القلب ولا يكون مضطرباً فيه.

ولما شهد عليه السلام في حق المشبّه بأنه لم يعقد قلبه على معرفة الله سبحانه ولم يتيقّن تنزيهه عن المثل أكد ذلك بقوله: **(وكأنه)** أي المشبّه لله بخلقه **(لم يسمع تبرأ التّابعين)** وهم عبدة الأصنام والأوثان **(من المتبوعين)** أي من آلهتهم يوم القيامة **(إذ يقولون)** حين ألقوا.

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ * وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾ [الشعراء: ٩٤-٩٥].

(تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا) أي قد كنا (**لفي ضَلالٍ مُبينٍ إِذْ تُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعالَمِينَ**) ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ * وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ * فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٠-١٠٢].

فإنّ المشبّهين لو سمعوا ذلك وعرفوا بذلك أي بتبرّؤ التابعين من المتبوعين وبما حكى الله عنهم في الكتاب المبين، لعقدوا قلبهم على المعرفة، ونزّهوه سبحانه عن المثل والصفة، كي لا يقعوا في الضلالة الدّائمة والحسرة الباقية، كما وقع فيها التّابعون بتلك الجهة.

فإنّهم شهدوا على أنفسهم بالقسم البارّ بأنّهم في ضلال مبين، وتحسّروا بأنهم ليس لهم من شافعين ولا صديق حميم، وتمنّوا الرّجوع إلى الدّنيا ليكونوا من المؤمنين، كلّ ذلك من أجل تشبيههم الخالق بالخلائق وإبدائهم المساواة بين معبوداتهم الباطلة وبين ربّ العالمين، وعدم كونهم بعلوّ شأنه سبحانه وجلالة قدره موقنين مذعنين.

(**كذب العادلون بك**) أي الجاعلون لك عديلاً ومثلاً (**إذ شبّهوك بأصنامهم**) الباطلة (**ونحلوك حلية المخلوقين بأوهامهم**) الفاسدة (**وجزؤوك تجزءة المجسّمات بخواطرهم**) الكاسدة (**وقدّروك على الخلقة المختلفة القوى بقرائح عقولهم**) الجامدة.

أمّا كذبهم في تشبيههم له سبحانه بالأصنام فواضح، حيث اعترفوا بأنهم في ضلال مبين من جهة تسويتهم الأصنام برب العالمين.

وأمّا كذبهم في نحلتهم له حلية المخلوقين، وتجزءتهم له تجزءة المجسّمات وتقديرهم له على الخلقة المختلفة القوى كقولهم: بأنّه في صورة غلام أمرد في رجليه نعلان من ذهب، وقولهم: بأنّه أجوف من فيه إلى صدره وما سوى ذلك فصمت، وغير ذلك من هذياناتهم فأشدّ وضوحاً إذ الأعضاء المختلفة إنّما تتولّد وتكمل بواسطة قوى طبيعيّة ونباتيّة وحيوانيّة وغيرها، وهي قوى مختلفة بحقائقها متضادّة في أفعالها محتاجة إلى المركّب والجامع، والاحتياج مستحيل على واجب الوجود تعالى عمّا يقول الظّالمون علوّاً كبيراً.

(**وأشهد أنّ من ساواك بشيء من خلقك فقد عدل بك والعادل بك كافر بما تنزّلت به محكمات آياتك ونطقت عنه شواهد حجج بيّناتك**) شهادة ثانية على كفر المشبّهة متفرّعة على ما سبق.

وجهة كفرهم أنهم لمّا شبّهوه بخلقه وسووه به حيث اعتقدوا أن خالقهم وصانعهم هو ما توهّموه بأوهامهم الفاسدة ووصفوه بعقولهم الكاسدة مع عدم كونه خالقهم بل هو مخلوق لهم مصنوع مثلهم لا جرم كانوا بذلك متخذين غير الخالق خالقاً جاعلين لله سبحانه نداً وعديلاً، وهو الكفر والضّلال كما شهدت به محكمات الآيات وأفصحت عنه شواهد أدلة البيّنات قال سبحانه في سورة البقرة:

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥] إلى أن

قال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ﴾ [البقرة: ١٦٦] وفي سورة إبراهيم: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ * وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨-٣٠] وفي سورة الزُّمر: ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ وفي سورة فصّلت:

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [فصلت: ٩].

إلى غير هذه من الآيات الباهرة والحجج القاهرة.

(و) أشهد (**أنك أنت الله الذي لم تتناه في العقول فتكون في مهبّ فكرها مكيّفاً، ولا في رويات خواطرها فتكون محدوداً مصرّفاً**) وهي شهادة ثالثة على تنزهه من إحاطة العقول البشريّة فنفاها بنفي ما يترتّب عليها من كونه تعالى ذا نهاية، إذ معنى الإحاطة بالشيء هو إدراكه بكنهه ومعرفته بجميع جهاته وبلوغ العقل غايته ونهايته بحيث لا يكون وراء ما أدركه شيء آخر ونفي انتهائه بنفي ما يترتّب عليه من كونه ذا كيفيّة تكيّفه بها القوى المتخيّلة لتثبته بها العقول، وكونه محدوداً أي ذا حد ونهاية أي محدوداً بحدّ يحدّه ويعرّفه إذ إدراك العقول للحقائق بكنهها إنما هو من حدودها ومعرّفاتها.

وهذا مبنيّ على كون المحدود مأخوذاً من الحدّ الذي هو معرف الشيء والقول الشّارح له كما أنّ الأوّل مبنيّ على أخذه من الحدّ بمعنى النهاية، وهو بكلا المعنيين محال على الله سبحانه وكونه مصرّفاً أي ذا تصريف وتقليب مأخوذ من تصريف الرّياح وهو تحويلها من وجه إلى وجه ومن حال إلى حال لأنّه إذا كانت العقول والفكر متعلّقة به لا بد أن تتصرّف فيه العقول والأفكار، وتحوّله من وجه إلى وجه لتبلغ غايته وتعرفه بكنهه وهو معنى كونه مصرّفاً.

ولما كانت هذه اللوازم كلّها باطلة مستحيلة في حقّه تعالى كان ملزومها وهو إحاطة العقول به وتناهيه فيها محالاً.

أمّا بطلان اللازم الأوّل فلأنّ الكيف حادث بالذات ممكن الوجود مفتقر إلى جاعل يوجده بريء الذات من الاتصاف به، أما حدوثه فلكونه عرضاً قائماً بالمحلّ فهو مفتقر إلى جاعل وينتهي افتقاره بالآخرة إلى الحق تعالى، وأمّا براءة ذات المحدث من الاتصاف به فلأنّ موجد الشيء مقدّم عليه بالوجود فيستحيل أن يكون المكيّف بالكسر أي موجد الكيف وجاعله مكيّفاً أي منفعلاً ذا كيفيّة وإلاّ لزم تقدّم الشيء على نفسه وكون الشيء الواحد فاعلاً قابلاً وهو محال.

وأما بطلان اللاّزم الثّاني وهو كونه محدوداً أي ذا نهاية فلأنه لا غاية لوجوده ولا منتهى

لذاته، لأَن وجوده وراء ما لا يتناهى مدّة وعدّة بما لا يتناهى قوّة وشدّة وأمّا إن جعلنا الحدّ بالمعنى الثاني الذي أشرنا إليه فلأَنّ حدّ الشيء عبارة عن معرّفه المركب من الجنس والفصل والله سبحانه بسيط الذّات لا جزء له وما لا جزء له لا جنس له وما ليس له جنس ليس له حدّ وقول شارح يعرّف به، وما ليس له حدّ لا يكون محدوداً.

وأمّا بطلان اللازم الثالث أعني كونه مصرّفاً فلاستحالة التغيّر والانتقال من حال إلى حال على الله تعالى شأنه.

الترجمة

پس نظر کن ای سؤال کننده از صفات پروردگار، پس آن چیزی که دلالت دارد قرآن بر آن از صفت حضرت آفریدگار، پس اقتدا کن به آن و طلب روشنایی کن به نور هدایت او و آنچه که تکلیف کرده آن را شیطان ملعون دانستن او را از چیزی که نیست در قرآن بر تو فرض آن و نه در سنّت پیغمبر خدا (ﷺ) و نه ائمه هدی علامت و نشانه او، پس واگذار دانستن آن را به خدای تعالی، پس به درستی که این منتهای حق خداوند است بر تو و زیاده از این برتو لازم نیست.

و بدان که جماعتی که رسوخ دارند در علم و استوارند در دانش، ایشان کسانی هستند که بی نیاز ساخته ایشان را از بی فکر داخل شدن حجاباتی که زده شده در پیش غیب ها، اقرار و اعتراف ایشان با جمال آنچه که جاهل شده اند به تفسیر و توضیح آن از غیبی که پوشیده است، پس مدح فرموده حق سبحانه و تعالی اعتراف به عجز کردن ایشان را از اخذ نمودن آنچه که احاطه نکرده اند به آن از حیثیت علم و نام نهاده ترك تعمّق و خوض کردن ایشان را در چیزی که تکلیف نکرده بر ایشان بحث نمودن از حقیقت آن را به رسوخ.

پس قناعت کن ای سائل در باب معرفت به این مقدار و تقدیر مکن عظمت پرودگار را به اندازه عقل خود تا اینکه شوی از هالکین.

او سبحانه قادری است که اگر مجدّ شوند وهمها تا دریابند نهایت توانایی آن را و طلب کند فکری که مبرّا است از خطرات وساوس شیطانیّه، آنکه واقع شود در اسرار عمیقه پادشاهی او و واله و متحیر باشند قلب ها به سوی او تا اینکه جاری شوند در چگونگی صفت های او و غامض و خفی باشد محل دخول عقل ها به اندازه ای که خارج از وصف باشد به جهت طلب علم به ذات او سبحانه ردع می کند و بازدارد خداوند تعالی آن عقول و اوهام را از معرفت به ذات و صفات خود و حال آنکه قطع کند آن اوهام و عقول مواضع هلاك تاریکی های غیب ها را در حالتی که رهیده باشد از غیر و نزدیکی جویند به سوی حق سبحانه.

پس برگشتند زمانی که بازداشته شدند در حالتی که اعتراف کننده باشند به اینکه

رسیده نمی شود به شدت جولان در بیداء جلال و عزّت و حقیقت معرفت او و به اینکه خطور نمی کند به دل صاحبان فکرها خطورکننده از اندازه کردن بزرگی عزّت او.

آن خداوندی که ایجاد کرد مخلوقات را بدون سبق مثالی که متابعت کرده باشد بر آن و بی تقدّم مقدار و اندازه که عمل کرده باشد بر وفق آن که صادر شده باشد آن مثال و مقدار از خالق معبودی که بوده باشد قبل از او و بنموده ما را از پادشاهی قدرت خود و از عجایب آن چیزی که گویا شده است به آن نشان های حکمت او و از اعتراف نمودن خلایق به احتیاج خودشان به اینکه اقامه نماید و به پا داشته باشد ایشان را به نگه داشت قوّه خود دلیل وافی و برهان شافی ما را به سبب ضروری و بدیهی بودن حجتی که قائم است مراورا به معرفت او و ظاهر گردید در اشیاء بدیعه که ایجاد فرموده نشان های صنعت او و علامت های حکمت او.

پس گردید هر چیزی که خلق فرموده برهان قاطع مر الوهیت آن را و دلیل ساطع بر وجوب وجود آن و اگرچه بوده باشد آن مخلوق خلق غیر ناطق و جماد ساکت، پس حجت حق تعالی به تدبیر حکمت او گویا است و دلیل او بر وجود مبدع برپا.

پس شهادت می دهم بر اینکه کسی که تشبیه کرده تو را به اعضای متباینه مخلوقات تو و خورده های به هم پیوسته مفاصل ایشان که پوشیده شده است به تدبیر حکمت تو، عقد ننموده فکر باطنی خود را بر معرفت تو و مباشر نکرده به قلب خودش یقین را به اینکه نیست هیچ مثلی تو را.

و گویا که نشنیده آن تشبیه کننده بیزاری جستن تابعان را از متبوعان در روز قیامت و زمان انداخته شدن ایشان بر آتش وقتی که گویند: قسم به خدا که هرآینه بودیم ما در ضلالت هویدا، در وقتی که برابر کردیم ما شما را با پرودگار عالمیان.

دروغ گفتند کسانی که به تو مثل و عدیل قرار دادند وقتی که تشبیه کردند تو را به بت های خودشان و بخشیدند به تو صفات مخلوقات را به وهم های خود و تجزیه کردند تو را همچون مجزّاکردن اشیاء مجسمه با خاطرهای خود و اندازه

کردند تو را بر هیکلی و شکلی که مختلف است قوت های او با عقل های خود.

پس شهادت می دهم بر اینکه هرکس که مساوی ساخت تو رابا چیزی از مخلوق تو، پس به تحقیق که عدیل قرار داد تو را و هرکس که عدیل قرار داد به تو، کافر است به حکم آن چیزی که نازل شده با آن آیات محکمات تو و به حکم آن چیزی که ناطق شد از آن گواهان حجت های واضحه تو.

و شهادت می دهم بر اینکه تویی معبود به حق که پایان نداری در عقل ها تا اینکه باشی در محلّ وزیدن اندیشه های آن عقول مکیّف با کیفیّتی و نه در اندیشه های خاطرهای آن عقول صاحب حدّ و نهایتی و موصوف به تغییر از حالت به حالتی.

الفصل الثالث

منها قدَّرَ ما خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْديرَهُ، ودَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ، ووَجَّهَهُ لِوَجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الانْتِهاءِ إِلى غايَتِهِ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرادَتِهِ، وَكَيْفَ؟ وإِنَّما صَدَرَتِ الأُمُورِ عَنْ مَشيئَة المُنْشِيءِ أَصْنافَ الأَشْيَاءَ بِلاَ رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْها، وَلاَ قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْها، وَلاَ تَجْرُبَةٍ أَفادَها مِنْ حَوادِثِ الدُّهُورِ، وَلاَ شَرِيكٍ أَعانَهُ عَلَى ابْتِداعِ عَجائِبِ الأُمُورِ، فَتَمَّ خَلْقُهُ وأَذْعَنَ لطاعَتِهِ، وأَجابَ إِلىٰ دَعْوَتِهِ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِي، وَلا أَناةُ المُتَلَكِّي، فَأَقَامَ مِنَ الأَشْياءِ أَودَهَا، ونَهَجَ حُدُودَها، ولاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَينَ مُتَضادِّها، ووصَلَ أَسْبابَ قَرائِنِها، وفَرَّقَها أَجْناساً مُخْتَلِفاتٍ، في الْحُدُودِ والأَقْدارِ والْغَرائِزِ وَالْهَيْئاتِ، بَدايا[1] خَلاَئِقَ أَحْكَمَ صُنْعَها، وفَطَرَها عَلَى ما أَرادَ وَابْتَدَعَها[2].

اللغة

(**التدبير**) في الأمور النّظر إلى ما يؤل إليه عاقبتها و(**وجهة**) الشيء بالكسر جهة الشّيء يتوجه إليها قال تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨].

و(**قصر**) السهم عن الهدف إذا لم يبلغه وقصرت عن الشيء أي عجزت عنه و(**دون**) الشّيء أي قريباً منه وقبل الوصول إليه و(**آل**) إليه رجع و(**الغريزة**) الطبيعة و(**قريحة الغريزة**) ما يستنبطه الذّهن.

قال الجوهري: القريحة أوّل ما يستنبط من البئر ومنه قولهم: لفلان قريحة جيّدة يراد استنباط العلم بجودة الطبع و(**أضمر عليها**) أي بلغ الغاية واستقصى عليها من الإضمار بمعنى الاستقصاء، وقيل: من الإضمار بمعنى الإخفاء وليس بشيء لتعديه بنفسه يقال: أضمره وأخفاه ولا يقال: أخفى وأضمر عليه و(**الإفادة**) الاستفادة و(**اعترض**) الشيء دون الشيء حال، واعترض صار كالخشبة المعترضة في النهر و(**الريث**) الإبطاء و(**الأناة**) كقناة: الحلم والوقار مأخوذ من تأنّى في الأمر أي تثبت و(**تلكاء**) عليه اعتلّ وعنه أبطأ و(**الأود**) محركة الاعوجاج و(**قرائنها**) جمع القرينة وهي الأنفس ويحتمل أن يراد بها مقارنات الأشياء كما تطلع عليه.

---

(١) في نسخة: برايا.

(٢) التوحيد: ٥٤، وبحار الأنوار: ٤/٢٧٦.

قال الشّارح المعتزلي: و(**بدايا**) هٰهنا جمع بدية وهي الحالة العجيبة بدأ الرّجل إذا جاء بالأمر البدء أي المعجب والبدية أيضاً الحالة المبتكرة المبتدءة ومنه قولهم: فعله باديء بديء على وزن فعل أي أوّل كلّ شيء.

الإعراب

قوله: (**وكيف**) استفهام على سبيل الإنكار وإنما صدرت جملة حالية والعامل محذوف أي كيف يستصعب وإنّما صدرت الأمور، وجملة (**لم يعترض**) حال أيضاً من فاعل المصدر أعني دعوته، قوله: (**أجناساً**) حال من مفعول فرق أو منصوب بنزع الخافض أي فرقها بأجناس أو على أجناس مختلفة، وقوله: (**بدايا خلائق**) خبر لمبتدأ محذوف أي هي بدايا خلائق، وإضافة بدايا إلى خلائق من باب اضافة الصّفة إلى موصوفها، قال الشّارح المعتزلي: ويجوز أن لا تكون (**بدايا**) إضافة إليها بل تكون بدلاً من أجناساً.

أقول: فعلى هذا الاحتمال تكون بدايا صفة ثانية لأجناساً وما ذكرناه أظهر فتدبّر.

المعنى

اعلم أن هذا الفصل من الخطبة متضمن لتنزيه الله سبحانه في كيفية إيجاده للأشياء وخلقه لها عن صفات المصنوعين، وفيه تنبيه على كون المخلوقين مذلّين لانقياده حكمه، مطيعين لأمره، ماضين على إرادته، غير متمردين عن طاعته كما قال ﷺ: (**قدّر ما خلق فأحكم تقديره**) يعني أنّ كلّ مخلوق قدره في الوجود فعلى وفق حكمته بحيث لو زاد على ذلك المقدار أو نقص منه لاختلت مصلحة ذلك المقدر وتغيرت جهة المنفعة فيه (**ودبّره فألطف تدبيره**) يعني أنه أوجد الأشياء على وفق المصلحة ونظام الخير فتصرّف فيها تصرّفات كلّية وجزئية من غير شعور غيره ذلك.

(**ووجّهه لوجهته فلم يتعدّ حدود منزلته ولم يقصر دون الانتهاء إلى غايته**) أراد أنّه سبحانه وجه كل ما خلق إلى الجهة التي وجّهه إليها، وألهم كلاً وبسّره لما خلق له، كالسحاب للمطر والحمار للحمل والنّحل للشمع والعسل وهكذا فلم يتجاوز شيء منها مرسوم تلك المنزلة المحدود له المعيّنة في حقه، ولم يقصر دون الانتهاء إلى الغاية التي كتبت له في اللّوح المحفوظ وإلاّ لزم التغيّر في علمه وعدم النفاذ في أمره وهما محالان.

(**ولم يستصعب إذ أمر بالمضيّ على إرادته**) أي لم يستصعب أحد من المخلوق التّوجّه إلى الجهة التي وجّهه إليها، ولم يمكنه التّخلّف من المضيّ إليها على وفق إرادته وحكمته بعد أمره له بذلك أمر تكوين لا تشريع.

(**وكيف**) يستصعب ويتخلّف (**وإنّما صدرت الأمور عن مشيئة المنشيء أصناف الأشياء**)

يعني أنّ جميع الآثار مستندة إلى مشيّة إذ كلّ أثر فهو واجب عن مؤثره والكلّ منته في سلسلة الحاجة إلى إرادته فهو واجب عنها.

ويدلّ عليه ما رواه في «الكافي» عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة[1].

وسيأتي تحقيق الكلام في ذلك بعد الفراغ من شرح الفصل، هذا.

وقوله عليه السلام: **(بلا روية فكر آل إليها ولا قريحة غريزة أضمر عليها ولا تجربة أفادها من حوادث الدهور ولا شريك أعانه على ابتداع عجائب الأمور)** إشارة إلى تنزّهه في إيجاد المخلوقات عن الافتقار إلى هذه الأمور، وأن ذاته بذاته مصدر جميع الأمور وأن خلقه سبحانه لها غير موقوف على شيء منها.

أمّا روية الفكر فلأنها عبارة عن حركة القوة المفكّرة في تحصيل المطالب من المباديء وانتقالها منها إليها وهي محال على الله سبحانه: «أمّا أوّلاً» فلكون القوّة المفكّرة من خواصّ نوع الإنسان «وأمّا ثانياً» فلأن فائدتها تحصيل المطالب المجهولة من المعلومات والجهل محال في حقه تعالى.

وأمّا قريحة الغريزة فلأنها على ما عرفت عبارة عن استنباط العلم بجودة الذهن، واستحالته على الله واضحة إذ العلم عين ذاته وهو تعالى غير فاقد له حتّى يكون محتاجاً إلى التعمّق والاستنباط والنظر في موارده ومصادره والاستقصاء عليه وبلوغ الغاية فيه.

وأمّا التجربة فلأنها عبارة عن حكم العقل بأمر على أمر بواسطة مشاهدات متكررة معدّة لليقين بسبب انضمام قياس خفيّ إليها، وهو أنّه لو كان هذا الأمر اتفاقياً لما كان دائماً أو أكثرياً استحالتها على الله من وجهين: **أحدهما**: أنها مركبة من مقتضى الحس والعقل، وذلك أنّ الحسّ يشاهد وقوع الإسهال مثلاً عقيب شرب الدّواء مرة بعد مرة فينتزع العقل من تلك المشاهدة حكماً كلّياً بأن ذلك الدّواء مسهل ومعلوم أنّ اجتماع الحسّ والعقل من خصائص نوع الإنسان، **وثانيهما**: أن التّجربة إنما تفيد علماً لم يكن قبل فالمحتاج إلى التجربة لاستفادة العلم بها ناقص بذاته مستكمل بها والمستكمل بالغير محتاج إليه فيكون ممكناً.

وأمّا الشريك المعين فلانتفاء الشريك أوّلاً كما مرّ في شرح الفصل الرابع من فصول الخطبة الأولى، ولانتفاء مبدأ الاستعانة ثانياً لأنّ مبدئها هو العجز من الفعل والعجز عبارة عن تناهي القوّة والقدرة، وقدس الحق منزّه عن ذلك.

---

(١) شرح أصول الكافي: ٣/ ٢٧٠، ومحاضرات في أصول الفقه: ٢/ ٣٧.

فقد وضح واتّضح بذلك كلّ الوضوح أنّ الله سبحانه غير محتاج في إبداع الخلائق وإيجادها إلى الفكر والرّوية، ولا قريحة الطّبيعة ولا تجربة ولا مشاركة وإنّما مستنداً لإيجاد نفس الإرادة والمشيئة وأنّه سبحانه:

﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [البقرة: ١١٧].

(**فتمّ خلقه**) بمشيئته (**وأذعن**) الكلّ (**لطاعته**) بمقتضى إمكانه وحاجته (**وأجاب**) الجميع (**إلى دعوته**) حيث دعاهم إلى بساط الوجود بمقتضى عموم الإفاضة والجود (**و**) الحال أنّه (**لم يعترض دونه ريث المبطيء ولا أناة المتلكي**) أي لم يحل دون نفاذ أمره إبطاء المبطيء ولا تثبت المتوقف المعتلّ بل انقادت له جميع الأشياء وأسرعوا إلى أمره عند الدّعاء من غير تعلّل ولا إبطاء لكون الكلّ مقهوراً تحت قدرته أذلة تحت عزّته كما قال عزّ من قائل:

﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾ [البقرة: ١١٧].

يعني أنّه إذا أراد فعله وخلقه يقول له ذلك بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكّر، فقوله: كن إشارة إلى هبة ما ينبغي لذلك المأمور وبذل ما يعدّه لإجابة أمره بالكون في الوجود، وقوله: فيكون إشارة إلى وجوده، و(**الفاء**) المقتضية للتعقيب بلا مهلة دليل على اللّزوم وعدم التأخّر، هذا.

ويحتمل أن يكون المراد بنفي اعتراض الرّيث والإناة نفي اعتراضهما بالنّظر إلى ذاته من حيث فاعليته، فيكون المقصود بذلك تنزيهه من أن يعرض له شيء من هذه الكيفيّات كما يعرض على أحدنا إذا أردنا فعل شيء من حيث قصور قدرتنا وضعف قوّتنا (**فأقام من الأشياء أودها**) واعوجاجها، وإقامتها كناية عن إعداده ما ينبغي لها وإفاضته الكمال بالنسبة إليها (**ونهج حدودها**) وغاياتها أراد به إيضاحه لكلّ شيء وجهته وتيسيرها له (**ولائم بقدرته بين متضادها**) كما جمع بين العناصر الأربعة على تضادّ كيفيّتها في مزاج واحد (**ووصل أسباب قرائنها**) ونفوسها بتعديل أمزجتها لأنّ اعتدال المزاج سبب بقائها.

قال الشارح البحراني: ويحتمل أن يكون معنى الوصل لأسبابها هدايتها إلى عبادته وما هو الأولى بها في معاشها ومعادها وسوقها إلى ذلك، إذ المفهوم من قول القائل: وصل الملك أسباب فلان إذا علّقه عليه ووصله إلى برّه وإنعامه، هذا إن جعلنا القرائن بمعنى الأنفس وإن كانت بمعنى مقارنات الشيء فهو إشارة إلى أن الموجودات لا تنفك عن أشياء يقترن بها من هيئة أو شكل أو غريزة ونحوها، واقتران الشيئين لا محالة مستلزم لاقتران أسبابهما، لاستحالة قيام الموجود بدون أسبابه، وذلك الاقتران والاتّصال مستند إلى كمال قدرته إذ هو مسبب الأسباب.

(**وفرقها أجناساً مختلفات في الحدود والأقدار والغرائز والهيئات**) أي جعلها أقساماً

مختلفة النهايات والمقادير متفاوتة الطبائع والصفات، فجعل بعضها طويلاً وبعضها قصيراً وبعضها صغيراً وبعضها كبيراً، وجعل سجيّة بعضها شجاعاً وبعضها جباناً وبعضها شحيحة وبعضها كريمة وهيئة بعضها حسنةً وبعضها قبيحة وهكذا، هذا إن كان الحدود في كلامه عليه السلام بمعنى النهايات.

قال الشارح البحرانيّ: وإن حملنا الحدود على ما هو المتعارف كان حسناً، فإن حكمة الخالق سبحانه اقتضت تميّز بعض الموجودات عن بعض بحدودها وحقائقها، وبعضها بأشكالها وهيئاتها ومقاديرها وغرائزها وأخلاقها كما يقتضيه نظام الوجود وأحكام الصّنع وحكم الإرادة الإلهيّة.

(بدايا خلائق أحكم صنعها وفطرها على ما أراد وابتدعها) أي هي مخلوقات عجيبة أو مبتكرة غير محتذي بها حذو خالق سابق، جعل صنعها محكماً متقناً، وأوجدها على وفق إرادته وأبدعها من العدم المحض إلى الوجود من دون أن تكون لها مادة أصلاً لها كما زعمت الفلاسفة من أن الأجسام لها أصل أزلّ هي المادّة فهو المخترع للمكنات بما فيها من المقادير والأشكال والهيئات، والمبتدع للموجودات بمالها من الحدود والغايات والنّهايات بمحض القدرة على وفق الإرادة ومقتضى الحكمة.

تنبيه

اعلم أنّه لما جرت في هذا الفصل ذكر حديث صدور الأشياء عن مشيئته سبحانه أحببت تنقيح ذلك المرام وعزمت على تحقيق الكلام في هذا المقام لكونه من مزال الأقدام.

فأقول: وبالله التكلان وهو المستعان إن الكلام في هذا الباب يقع في مقامات ثلاثة:

المقام الأول

في معنى المشيئة، وقد فسّرها أهل اللغة بالإرادة قال في «القاموس»: شئته أشاءه شيئاً ومشيئة ومشاءة ومشائية أردته، وفي «مجمع البحرين»: والمشيئة الإرادة من شاء زيد يشاء من باب قال أراد، وفي «المصباح» شاء زيد الأمر يشاءه شيئاً من باب قال أراده، والمشيئة اسم منه بالهمز، والإدغام غير سائغ إلا على قياس من يحمل الأصلي على الزّائد لكنّه غير منقول ونحوها في سائر كتب اللغة.

وأما في الأخبار وأحاديث أئمّتنا الأبرار الأخيار فتارة أطلقتا على معنى واحد مثل ما رواه الطريحي عن الرّضا عليه السلام إن الإبداع والمشيئة والإرادة معناها واحد والأسماء ثلاثة، وأخرى وهو الأكثر على معنيين مختلفين يجعل مرتبة المشيئة متقدّمة على مرتبة الإرادة وكون نسبتها إليها نسبة القوة إلى الضعف.

ويدلّ عليه ما رواه المحدث المجلسي من «المحاسن» للبرقي قال: حدثني أبي عن يونس عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: قلت: لا يكون إلاّ ما شاء الله وأراد وقضى؟ فقال عليه السلام: لا يكون إلا ما شاء الله وقدر وقضى، قلت: فما معنى شاء؟ قال: ابتدأ الفعل، قلت: فما معنى أراد؟ قال عليه السلام: الثبوت عليه، قلت: فما معنى قدر؟ قال: تقدير الشيء من طوله وعرضه، قلت: فما معنى قضى؟ قال عليه السلام: إذا قضى أمضاه فذلك الذي لا مردّ له[١].

ورواه في «الكافي» مسنداً عن عليّ بن إبراهيم الهاشمي عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليهما السلام نحوه إلاّ أنّه ليس فيه قوله: قلت: فما معنى أراد قال: الثبوت عليه، ولعلّه سقط من الكتاب والظّاهر أنّ مراده منه هو ما ذكرنا كما فهمه شراح الحديث.

قال في «مرآة العقول»: قوله عليه السلام: (ابتدأ الفعل) أي أوّل الكتابة في اللّوح المحفوظ أو أوّل ما يحصل من جانب الفاعل ويصدر عنه ممّا يؤدي إلى وجود المعلول وعلى ما في «المحاسن» يدلّ على أن الإرادة تأكّد المشيئة وفي الله سبحانه تكون عبارة عن الكتابة في الألواح وتسبيب أسباب وجوده، وقوله: تقدير الشيء، أي تعيين خصوصيّاته في اللّوح أو تعيين بعض الأسباب المؤدية إلى تعيين المعلول وتحديده وخصوصيّاته إذا قضى أمضاه، أي إذا أوجبه باستكمال شرائط وجوده وجميع ما يتوقّف عليه المعلول أوجده، وذلك الذي لا مردّ له لاستحالة تخلف المعلول عن الموجب التام.

وقال الصّالح المازندراني في شرح على «أصول الكافي»: لما كان قوله عليه السلام: **(لا يكون شيء إلاّ ما شاء الله)**، دالاً بحسب الظاهر على أن المعاصي تقع بمشيئته تعالى وإرادته وهذا لا يستقيم على المذهب الحقّ، سأل السائل عن معنى المشيئة حتى يظهر له وجه الاستقامة، فأجاب عليه السلام بأن المشيئة ابتداء الفعل وأوله، ولعلّ المراد بابتداء الفعل أن مشيئته تعالى أوّل فعل من الأفعال، وكلّ فعل غيرها يتوقّف عليها ويصدر بعدها كما يدلّ عليه ما عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها ثمّ خلق الأشياء بالمشيئة[٢]، يعني خلق أفعاله بها وكذا خلق أفعال عباده لكن بتوسط مشيئة جازمة صادرة منهم، فإذا سلسلة جميع الأفعال منتهية إلى مشيئته تعالى، والمراد به أن مشيئته أوّل المشيئات، وكلّ مشيئة سواها تابعة لها، كما أنّه تعالى هو الفاعل الأوّل وكلّ فاعل بعدها فاعل ثانوي يسند فعله إليه بلا واسطة، وإلى الفاعل الأوّل بواسطة، وهذا معنى مشيئته تعالى لأفعال العباد ومعنى إسناد فعلهم إلى مشيئته.

وفي «محاسن البرقي» بعد هذا السؤال والجواب قلت: فما معنى أراد؟ قال: الثبوت عليه، يعني على ابتداء الفعل ومن ههنا فسر بعضهم الإرادة تارة بأنها عزيمة على المشيئة،

---

(١) المحاسن: ١/ ٢٤٤ ح ٢٣٧، والكافي: ١/ ١٥٠ ح١.

(٢) شرح أصول الكافي: ٣/ ٢٧٠ ح ٤، ومحاضرات في أصول الفقه: ٢/ ٣٧.

وتارة بأنها الإتمام لها، وتارة بأنّها الجدّ عليها.

وقال صدر المتألّهين: نسبة المشيئة إلى الإرادة كنسبة الضعف إلى القوّة ونسبة الظنّ إلى الجزم، فإنّك ربما تشاء أشياء ولا تريدها، فظهر أن المشيئة ابتداء العزم على الفعل، هذا.

وفي «الكافي» عن عدّة من أصحابنا عن أحمد بن محمّد بن خالد عن أبيه ومحمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن الحسين بن سعيد ومحمّد بن خالد جميعاً عن فضالة ابن أيوب عن محمّد بن عمارة عن حريز بن عبد الله وعبد الله بن مسكان جميعاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا يكون شيء في الأرض ولا في السّماء إلاّ بهذه الخصال السّبع، بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، وإذن، وكتاب، وأجل، فمن زعم أنه يقدر على نقص واحدة فقد كفر(١).

قال في «مرآة العقول»: يمكن حمل الخصال السبع على اختلاف مراتب التقدير في الألواح السّماويّة، أو اختلاف مراتب تسبب الأسباب السّماويّة والأرضيّة، أو يكون بعضها في الأمور التكوينيّة وبعضها في الأحكام التكليفيّة، أو كلّها في الأمور التكوينيّة.

فالمشيئة وهي العزم؛ والإرادة وهي تأكدها في الأمور التكوينيّة ظاهرتان وأمّا في التكليفيّة فلعلّ عدم تعلّق الإرادة الحتميّة بالترك عبّر عنه بإرادة الفعل مجازاً.

والحاصل أن الإرادة متعلّقة بالأشياء كلّها لكن تعلّقها بها على وجوه مختلفة إذ تعلقها بأفعال نفسه بمعنى إيجادها والرضا بها والأمر بها، وبالمباحاة بمعنى الرّخصة بها، وبالمعاصي إرادة أن لا يمنع منها بالجبر لتحقق الابتلاء والتكليف كما قال تعالى:

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾ [الأنعام: ١٠٧].

أو يقال: تعلّقها بأفعال العباد على سبيل التجوز باعتبار إيجاد الآلة والقدرة عليها وعدم المنع منها فكأنّه أرادها.

وبالقدر تقدير الموجودات طولاً وعرضاً وكيلاً ووزناً وحدّاً ووصفاً وكمّاً وكيفاً، وبالقضاء الحكم عليها بالثواب والعقاب أو تسبيب أسبابه البعيدة كما مرّ والمراد بالإذن إما العلم أو الأمر في الطّاعات أو رفع الموانع، وبالكتاب الكتابة في الألواح السّماوية أو الفرض والإيجاب كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾، وكتب على نفسه الرّحمة، وبالأجل الأمد المعيّن والوقت المقدر عنده تعالى.

وفي «الكافي» أيضاً عن الحسين بن محمّد بن معلّى بن محمّد قال: سئل العالم عليه السلام

---

(١) المحاسن: ١/ ٢٤٤ ح ٢٣٦، وبحار الأنوار: ٥/ ١٢١ ح ٦٥.

كيف علم الله؟ قال: علم وشاء وأراد وقدر وقضى وأمضى، فأمضى ما قضى وقضى ما قدر وقدر ما أراد، فبعلمه كانت المشيئة، وبمشيئته كانت الإرادة، وبإرادته كان التقدير، وبتقديره كان القضاء، وبقضائه كان الإمضاء[1] الحديث.

قال صدر المتألّهين في شرحه: هذا السّائل سأله عليه السلام عن كيفيّة علمه تعالى بالجزئيات الزّمانيّة والمكانيّة، فأجابه عليه السلام عنها بما أفاده من المراتب السّتة المرتب بعضها على بعض.

أوّلها: العلم، لأنّه المبدأ الأوّل لجميع الأفعال الاختياريّة، فإنّ الفاعل المختار لا يصدر عنه فعل إلاّ بعد القصد والإرادة، ولا يصدر عنه القصد والإرادة إلاّ بعد تصور ما يدعوه إلى ذلك الميل وتلك الإرادة والتّصديق به تصديقاً جازماً أو ظنّاً راجحاً، فالعلم مبدأ مبادىء الأفعال الاختياريّة، واعلم أن المراد بهذا العلم المقدم على المشيئة والإرادة وما بعدهما بحسب الاعتبار أو التحقق هو العلم الأزلي الذاتي الإلهيّ أو القضائي المحفوظ عن التغير، فينبعث منه ما بعده وأشار إليه بقوله: علم، أي علم دائماً عن غير زوال وتبدل.

وثانيها: المشيئة، والمراد بها مطلق الإرادة سواء بلغت حدّ العزم والإجماع أم لا، وقد تنفك المشيئة فينا عن الإرادة الجازمة كما نشتاق أو نشتهي شيئاً ولا نعزم على فعله لمانع عقليّ أو شرعي وإليها أشار بقوله: وشاء.

وثالثها: الإرادة، وهي العزم على الفعل أو الترك بعد تصوّره وتصور غاية المترتبة عليه من خير أو نفع أو لذة، لكن الله بريء عن أن يفعل لأجل غرض يعود إلى ذاته وإليها الإشارة بقوله: (أراد).

ورابعها: التقدير، فإن الفاعل لفعل جزئي من أفعال طبيعة واحدة مشتركة إذا عزم على تكوينه في الخارج كما إذا عزم الإنسان على بناء بيت فلا بدّ قبل الشروع أن يعيّن مكانه الذي يبني عليه، وزمانه الذي يشرع فيه، ومقداره الذي يكوّنه عليه من كبر أو صغر أو طول أو عرض، وشكله ووصفه ولونه وغير ذلك من صفاته وأحواله، وهذه كلّها داخلة في التقدير.

وخامسها: القضاء، والمراد هنا إيجاب الفعل واقتضاء الفعل من القوة الفاعلة المباشرة، فإن الشيء ما لم يجب لم يوجد، وهذه القوة الموجبة بوقوع الفعل منّا هي القوّة التي تقوم في العضلة والعصب من العضو الذي توقع القوّة الفاعلة فيها قبضاً وتشنجاً؛ أو بسطاً وإرخاء أوّلاً فتتبعه حركة العضو فتتبعه صورة الفعل في الخارج من كتابة أو بناء أو غيرهما، والفرق بين هذا الإيجاب وبين وجود الفعل في العين كالفرق بين الميل الذي في المتحرك وبين حركته، وقد ينفك الميل كما تحس يدك من الحجر المسكن باليد في الهواء، ومعنى هذا الإيجاب

(١) الكافي: ١/١٤٨ ح ١٦، وشرح أصول الكافي: ٤/ ٢٥١ ح ١٦.

والميل من القوة المحرّكة أنه لولا هناك اتفاق مانع أو دافع من خارج لوقعت الحركة ضرورة إذ لم يبق من جانب الفاعل شيء منتظر فقوله ﷺ: **(وقضى)**، إشارة إلى هذا الاقتضاء والإيجاب الذي ذكرنا أنه لا بد من تحققه قبل الفعل قبلية بالذات لا بالزمان إلاّ أن يدفعه دافع من خارج، وليس المراد منه القضاء الأزلي لأنه نفس العلم، ومرتبة العلم قبل المشيئة والإرادة والتقدير.

وسادسها: نفس الإيجاد وهو أيضاً متقدّم على وجود الشيء المقدّر في الخارج ولهذا يعدّه أهل العلم والتحقيق من المراتب السّابقة على الوجود الممكن في الخارج فيقال: أوجب فوجب، فأوجد فوجد.

فإن قلت: أليس الإيجاد والوجود وكذا الإيجاب والوجوب متضايفين والمتضايفان معان في الوجود؟

قلت: المتضايفان وإن كانا من حيث مفهوميهما الإضافين ومن حيث اتصاف الذاتين بهما معاً كما ذكرت، لكن المراد هٰهنا ليس حال المفهومين، فإن كلا من الموجد بالفعل أو المقتضى أو المحرك قد يراد به المعنى الإضافي والمفهوم النّسبي وحكمه كما ذكرت من كون تحققه مع تحقق ما أضيف إليه من حيث إنه أضيف إليه، وقد يراد به كون الشيء بحيث يكون وجوده مستتبعاً لوجود شيء آخر وهذا الكون لا محالة متقدم على كون شيء آخر هو تابعه ومقتضاه الموجود بسبب هذا الاقتضاء أو الإيجاد.

كما في تحريك اليد بحركتها للمفتاح، تقول: تحرك اليد فتحرك المفتاح فإن **(الفاء)** تدل على الترتيب وإن كانا معاً في الزّمان وربما يتقدّم المقتضي على المقتضي زماناً في عالم الاتفاقات إذا كان هناك مانع من خارج كما في المثال الذي ذكرناه.

وكما في اقتضاء الشمس لإضاءة ما يحاذيها من وجه الأرض فحال بينهما حائل، فعدم استضاءة ذلك الموضع ليس لأجل فتور أو نقصان في جانب المقتضي، لأن حاله في الاقتضاء والإضاءة لم يتغيّر عما كان، وإنّما التخلف في الاستضاءة لأجل شيء من جانب القابل، فقوله ﷺ: فأمضى، إشارة إلى هذا الإيجاد الذي بيّنا أنه قبل الوجود والصدور.

المقام الثاني

في تحقيق أن المشيئة والإرادة من صفات الفعل لا من صفات الذات، وتوضيح ذلك موقوف على رسم مقدّمة متضمنة لقاعدة كلّية بها يعرف الفرق بين صفات الذات وصفات الفعل، وقد أشار إليها ثقة الإسلام الكليني عطّر الله مضجعه في «الكافي» أيضاً وهي:

أن الفرق بينهما من وجوه ثلاثة:

الأوّل: أن كلّ صفة وجودية لها مقابل وجودي فهي من صفات الفعل لا من صفات الذات، لأن صفاته الذاتية كلّها عين ذاته وذاته مما لا ضدّ له، فكذلك كلّما هو عين ذاته، مثال ذلك أنّك تقول: إن الله سبحانه رضي وسخط وأحب وأبغض وأحيى وأمات، وهكذا ولا يجوز أن تقول: علم وجهل وقدر وعجز وعزّ وذلّ، فبذلك يعرف أن الحب والإحياء والرّضا من صفات الفعل لأن البغض والإماتة والسّخط مقابلاتها ناقضات لها، فلو كانت من صفات الذّات لزم أن يكون مقابلاتها ناقضات للذات الأحدية وهو محال، لأنّه لا ضدّ له كما لا ندّ له فاتصاف ذاته بصفتين ذاتيّتين متقابلتين محال.

الثاني: أن كلّ صفة صحّ تعلق القدرة بها فهي من صفات الفعل وكلّما لا تصح تعلّقها بها فهي صفة الذات، وذلك لأن القدرة صفة ذاتية تتعلّق بالممكنات لا غير، فلا تتعلّق بالواجب ولا بالممتنع، فكل ما هو صفة الذات فهو أزليّ غير مقدور وكلّ ما هو صفة الفعل فهو ممكن مقدور فيصح أن تقول: يقدر أن يخلق وأن لا يخلق ويقدر أن يميت ويحيي وأن يثيب ويعاقب وهكذا، ولا يصح أن تقول: يقدر أن يعلم وأن لا يعلم، لأنّ علمه بالأشياء ضروري واجب بالذّات، وعدم علمه بها محال ممتنع بالذات ومصحّح المقدوريّة هو الإمكان، ومثله صفة الملك والعزة والعظمة والكبرياء والجلال والجمال والجبروت وأمثالها.

الثالث: أنّ كلّ صفة صح تعلق الإرادة بها فهي صفة فعل، وما لا يصحّ تعلّقها بها في صفة الذّات، وذلك لأن الإرادة من توابع القدرة إذ هي عبارة عن اختيار أحد طرفي المقدور والعزم عليه لأجل تحقق الدّاعي، فما لا يكون مقدوراً لا يكون مراداً، وأيضاً الإرادة صفة فعل حادثة والحادث لا يؤثر في القديم.

إذا عرفت هذه المقدمة الشريفة فأقول:

إن الإرادة كما حققه صدر المتألهين في شرح «الكافي» تطلق على معنيين:

أحدهما: ما يفهمه الجمهور، وهو الذي ضدّه الكراهة، وهي التي قد تحصل فينا عقيب تصور الشيء الملائم وعقيب التردد حتى يترجح عندنا الأمر الداعي إلى الفعل أو الترك فيصدر أحدهما منا، وهذا المعنى فينا من الصفات النفسانية، وهي والكراهة فينا كالشهوة والغضب فينا، وهذا المعنى لا يجوز على الله سبحانه، بل إرادته نفس صدور الأفعال الحسنة منه من جهة علمه بوجه الخير وكراهته عدم صدور الفعل القبيح من جهة علمه بقبحه.

كما قال المفيد (ره): إن الإرادة من الله جلّ اسمه نفس الفعل ومن الخلق الضمير وأشباهه مما لا يجوز إلاّ على ذوي الحاجة والنقص وذلك لأن العقول شاهدة بأن القصد لا يكون إلاّ بقلب كما لا تكون الشهوة والمحبة إلا لذي قلب ولا تصح النيّة والضمير والعزم إلا على ذي خاطر يضطر معه في الفعل الذي يقلب عليه إلى الإرادة له والنيّة فيه والعزم ولما كان

الله تعالى يجل عن الحاجات ويستحيل عليه الوصف بالجوارح والأدوات ولا تجوز عليه الدّواعي والخطرات، بطل أن يكون محتاجاً في الأفعال إلى القصود والعزمات، وثبت أنّ وصفها بالإرادة مخالف في معناه لوصف العباد وأنها نفس فعله الأشياء وبذلك جاء الخبر عن أئمة الهدى.

ثم أورد رواية صفوان بن يحيى قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: أخبرني عن الإرادة من الله ومن الخلق؟ قال: فقال عليه السلام: الإرادة من الخلق الضمير وما يبدو لهم بعد ذلك من الفعل، وأما من الله تعالى فإرادته إحداثه لا غير ذلك، لأنه تعالى لا يروّي ولا يتفكر ولا يهمّ وهذه الصّفات منتفية عنه وهي صفات الخلق فإرادة الله تعالى الفعل يقول له كن فيكون بلا لفظ ولا نطق بلسان ولا همة ولا تفكر ولا كيف لذلك كما لا كيف له تعالى[1].

المعنى الثاني: للإرادة كون ذاته سبحانه بحيث تصدر عنه الأشياء لأجل علمه بنظام الخير فيها التابع لعلمه بذاته، لا كإنباع الضوء للمضيء والسخونة للمسخن، ولا كفعل الطبائع لا عن علم وشعور، ولا كفعل المجبورين والمسخّرين، ولا كفعل المختارين بقصد زائد أو إرادة ظنيّة تحتمل الطرف المقابل.

وقد تحقّقت أن قيوم الكلّ إنّما يفعل الكلّ عن علم هو نفس ذاته العليم الذي هو أتمّ العلوم، فإذاً هو سبحانه فاعل للأشياء كلّها بإرادة ترجع إلى علمه بذاته المتبع لعلمه بغيره المقتضي لوجود غيره في الخارج لا لغرض زائد وجلب منفعة أو طلب محمدة أو ثناء أو التخلّص من مذمّة، بل غاية فعله محبة ذاته فهذه الأشياء الصادرة عنه كلّها مرادة لأجل ذاته لأنها من توابع ذاته وعلمه بذاته، فلو كنت تعشق شيئاً لكان جميع ما يصدر عنه معشوقاً لك لأجل ذلك الشيء.

وإليه الإشارة بما ورد في الحديث الإلهي عن نفسه: كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف.

وإذا ظهر لك ذلك اتضح عندك أنّ الإرادة بالمعنى الثاني لا غبار على كونها من صفات الذّات لكونها عبارة أخرى للعلم بالأصلح والنّظام الخير والعلم صفة ذات له سبحانه، وبالمعنى الأول هي صفة فعل ولذلك صحّ سلبها عنه سبحانه.

ويشهد به ما رواه في «الكافي» بإسناده عن عاصم بن حميد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت: لم يزل الله مريداً قال: إنّ المريد لا يكون إلا المراد معه، لم يزل الله عالماً قادراً ثم أراد[2].

---

(١) الكافي: ١/١٠٩ ح ٣، وأوائل المقالات: ٣٦٩.

(٢) تفسير نور الثقلين: ٤/٣٩٧ ح ٩٧، وزبدة الأصول: ١/١٩٧.

فإنّه كما ترى يدلّ على كونها من الصّفات الإضافيّة المتجدّدة كخالقيته تعالى ورازقيّته، وتشهد به أخبار أخرى أيضاً لا حاجة إلى إيرادها بعد وضوح المراد.

المقام الثالث

في تحقيق الحديث المعروف المروي في «الكافي» عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن ابن أبي عمير عن عمر بن أذينة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة.

وقد ذكروا في تأويله وجوهاً أشار إليها المحدث العلامة المجلسي طاب رمسه في «مرآة العقول».

الأوّل: أن لا يكون المراد بالمشيئة الإرادة بل إحدى مراتب التّقديرات التي اقتضت الحكمة جعلها من أسباب وجود الشّيء، كالتّقدير في اللّوح مثلاً والإثبات فيه، فإن اللّوح وما أثبت فيه لم يحصل بتقدير أخر في لوح سوى ذلك اللّوح وإنما وجد سائر الأشياء بما قدّر في ذلك اللّوح وربما يلوح هذا المعنى من بعض الأخبار، وعلى هذا المعنى يحتمل أن يكون الخلق بمعنى التقدير.

الثّاني: أن يكون خلق المشيئة بنفسها كناية عن كونها لازمة لذاته تعالى غير متوقفة على تعلّق إرادة أخرى بها، فتكون نسبة الخلق إليها مجازاً عن تحققها بنفسها منزعة عن ذاته تعالى بلا توقف على مشيئة أخرى، أو إنه كناية عن أنه اقتضى علمه الكامل وحكمته الشّاملة كون جميع الأشياء حاصلة بالعلم بالأصلح، فالمعنى أنه لما اقتضى كمال ذاته أن لا يصدر عنه شيء إلاّ على الوجه الأصلح الأكمل فلذا لا يصدر شيء عنه تعالى إلاّ بإرادته المقتضية لذلك.

الثّالث: ما ذكره السّيد داماد قدس الله روحه وهو: أن المراد بالمشيئة هنا مشيئة العباد لأفعالهم الاختيارية، لتقدّسه تعالى عن مشيئة مخلوقة زائدة على ذاته عزّ وجلّ وبالأشياء أفاعيلهم المترتب وجودها على تلك المشيئة، وبذلك تنحل شبهة ربما أوردت هٰهنا، وهي: أنه لو كانت أفعال العباد مسبوقة بإرادتهم لكانت الإرادة مسبوقة بإرادة أخرى وتسلسلت الإرادات لا إلى نهاية.

الرّابع: ما ذكره بعض الأفاضل وهو: أن للمشيئة معنيين:

أحدهما: متعلّق بالشّائي وهي صفة كمالية قديمة هي نفس ذاته سبحانه، وهي كون ذاته سبحانه بحيث يختار ما هو الخير والصّلاح.

والآخر: يتعلّق بالمشيء وهو حادث بحدوث المخلوقات لا تتخلف المخلوقات عنه، وهو إيجاده سبحانه إيّاها بحسب اختياره، وليست صفة زائدة على ذاته عزّ وجلّ وعلى

المخلوقات بل هي نسبة بينهما تحدث بحدوث المخلوقات لفرعيتها على المنتسبين معاً فلنقول إنه لما كان هٰهنا مظنة شبهة هي: أنه إن كان الله عزّ وجلّ خلق الأشياء بالمشيئة فبم خلق المشيئة أبمشيئة أخرى فيلزم أن تكون قبل كل مشيئة مشيئة إلى ما لا نهاية له، فأفاد الإمام عليه السلام أن الأشياء مخلوقة بالمشيئة وأما المشيئة نفسها فلا يحتاج خلقها إلى مشيئة أخرى، بل هي مخلوقة بنفسها لأنها إضافة ونسبة بين الشائي والمشيء تتحصل بوجوديهما العيني والعلمي، ولذا أضاف خلقها إلى الله سبحانه لأنّ كل الوجودين له وفيه ومنه، وفي قوله: بنفسها، دون أن يقول بنفسه إشارة لطيفة إلى ذلك، نظير ذلك ما يقال: إن الأشياء إنما توجد بالوجود وأما الوجود نفسه فلا يفتقر على وجود آخر بل إنما يوجد بنفسه.

الخامس: ما ذكره بعض المحققين بعدما حقق: أن إرادة الله المتحققة المتجددة هي نفس أفعاله المتجددة الكائنة الفاسدة، فإرادته لكلّ حادث بالمعنى الإضافة يرجع إلى إيجاده، وبمعنى المرادية ترجع إلى وجوده.

قال: نحن إذا فعلنا شيئاً بقدرتنا واختيارنا فأردناه أوّلاً ثم فعلناه بسبب الإرادة فالإرادة نشأت من أنفسنا بذاتها لا بإرادة أخرى وإلا لتسلسل الأمر لا إلى نهاية فالإرادة مرادة لذاتها والفعل مراد بالإرادة، وكذا الشهوة في الحيوان مشتهاة لذاتها لذيذة بنفسها وسائر الأشياء مرغوبة بالشهوة.

فعلى هذا المثال حال مشيئة الله المخلوقة وهي وجودات الأشياء، فإن الوجود خير ومؤثر لذاته ومجعول بنفسه والأشياء بالوجود موجودة والوجود مشيء بالذات والأشياء مشيئة بالوجود، وكما أن الوجود حقيقة واحدة متفاوتة بالشدة والضعف والكمال والنقص، فكذا الخيرية والمشيئة، وليس الخير المحض الذي لا يشوبه شرّ إلاّ الوجود البحت الذي لا يمازجه عدم ونقص، وهو ذات الباري جلّ مجده فهو المراد الحقيقي إلى آخر ما حققه.

قال المحدّث المجلسي (ره) بعد إيراد هذه الوجوه: والأوفق بأصولنا هو الوجه الأوّل.

أقول: بل ما سوى الوجه الأخير كلها أوفق وإن كانت متفاوتة بالقرب والبعد، وإنما الوجه الأخير الذي مرجعه إلى القول بوحدة الوجود مخالف للأخبار وأصول الأئمة الأطهار سلام الله عليهم ما تعاقب اللّيل والنّهار، والله العالم بحقائق صفاته والمتعالي عن مجانسة مخلوقاته.

الترجمة

بعضی دیگر از آن خطبه شریفه این است که فرموده:

تقدیر کرده خداوند تعالی هرچیزی را که آفریده، پس محکم گردانیده اندازه و تقدیر آن را و تدبیر نموده هر چیزی را که خلق فرموده، پس لطیف گردانیده تدبیر آن را و توجیه نموده هر شیء را به سوی جهت خود، پس تجاوز ننمود آن شیء از حد و سدّ مکان خود و قاصر نشد نزد منتهی نشدن به غایت خود و صعب و دشوار نشمرد آنچه که ایجاد فرمود مضی بر وفق اراده او را وقتی که مامور شد به این و چطور می باشد که دشوار شمارد و حال آنکه جمیع امور صادرشده از مشیت قاهره خداوندی که انشاء و ایجاد فرموده اصناف و احساس اشیاء را بدون رویه و فکری که رجوع نماید به آن و بدون استنباط طبیعتی که اضمار نماید و به غایت برسد در آن و بدون تجربه که استفاده نموده باشد آن را از حوادثات روزگار و بی شریك و معاونی که اعانت و یاری نماید او را بر ایجاد عجائب امورات.

پس تمام شد مخلوق او سبحانه و گردن نهاد به فرمان برداری او و اجابت نمود به سوی دعوت او در حالتی که حایل نشد نزد نفاذ امر او دیر کردن دیر کننده و نه توقف نمودن توقف نماینده، پس راست فرمود از اشیاء کجی آن ها را و روشن نمود حدود آنها را و الفت داد با قدرت خویش در میان اضداد آنها و متصل ساخت اسباب نفوس آن ها را و متفرق نمود آن ها را به اقسام مختلفه گوناگون در نهایات و مقادیر و در طبیعت ها و هیئت ها، عجایب مخلوقاتی که محکم گردانید صنعت آن ها را و آفرید آنها را بر وجهی که اراده کرده و ابداع فرموده آنها را از کتم عدم با قدرت کامله و حکمت شامله.

والفصل الرابع

منها في صفة السّماءِ: ونَظَمَ بلا تَعلقٍ رَهواتِ فُرَجِها، وَلاحَمَ صُدُوعَ انفِراجِها، ووشّجَ بَيْنَها وبَيْنَ أَزواجِها، وذَلَّلَ لِلهابِطينَ بأمْرِهِ وَالصّاعِدِينَ بأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةَ مِعْرَاجِها، ونَاداها بَعْدَ إذْ هِيَ دُخانٌ فَالْتَحَمَتْ عُرى أَشْراجِها، وفَتَقَ بَعْدَ الارْتِتاقِ صَوامِتَ أَبْوابِها، وأقامَ رَصَداً مِنَ الشُّهُبِ الثَّواقِبِ عَلَىٰ نِقابِها، وأَمْسَكَها مِنْ أَنْ تَمُورَ في خَرْقِ الْهَواءِ بأَيْدِهِ، وأَمَرَها أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لأَمْرِهِ، وجَعَلَ شَمْسَها آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهارِها، وقَمَرَها آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِها، وأَجْرَيهُما في مَناقِلِ مَجْريهُما، وقَدَّر مَسيرَهُما في مَدارِجِ دَرَجِها، لِيُمَيِّزَ بَينَ اللَّيْلِ وَالنَّهارِ بِهِما، ولِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنينِ وَالْحِسَابُ بِمَقاديرِهِما، ثُمَّ عَلَّقَ في جَوِّها فَلَكَها، وَناطَ بِها زِينَتَها مِنْ خَفِيّاتِ دَرارِيِّها، ومَصابيحِ كَواكِبِها، ورَمى مُسْتَرِقَ السَّمْعِ بِثَواقِبِ شُهُبِها، وأَجراها عَلى أَذْلالِ تَسْخيرِها، مِنْ ثُباتِ ثابِتِها، ومَسيرِ سائِرِها، وهُبُوطِها وصُعُودِها، ونُحُوسِها وسُعودِها[١].

اللغة

(**الرّهوات**) جمع رهوة وهي المكان المرتفع والمنخفض أيضاً يجتمع فيه ماء المطر، وهو من الأضداد، وعن «النهاية» تفسيرها بالمواضع المنفتحة، وهو مأخوذ من قولهم: رها رجليه رهواً أي فتح و(**الفرج**) جمع الفرجة وهي المكان الخالي و(**لاحم**) ألصق و(**الصدع**) الشق و(**وشّج**) بتشديد الشين فالجيم المعجمة شبّك و(**ذلل**) البعير جمله ذلولاً وهو ضد الصّعب الذي لا ينقاد من الذل بالكسر وهو اللّين و(**الحزونة**) خلاف السّهولة و(**المعراج**) السّلّم والمصعد و(**العروة**) من الدّلو والكوز المقبض ومن الثوب أخت زرّه كالعرى ويكسر و(**الأشراج**) جمع الشرج محركة كالأسباب والسّبب، وهي العروة للعيبة وقيل: وقد تطلق الأشراج على حروف العيبة التي تخاط وهو الأنسب في المقام.

قال الشارح المعتزلي: وتسمّى مجرّة السّماء شرجاً تشبيهاً بشرج العيبة وأشراج الوادي ما انفسح منه وانشق و(**فتق**) الثوب فتقاً شقه ونقض خياطته حتّى انفصل بعضه عن بعض و(**الرتق**) ضد الفتق و(**صوامت**) الأبواب مغلقاتها و(**الرصد**) جمع راصد كخدم وخادم أو اسم جمع ويكون مصدراً كالرّصد بالفتح، والرّاصد هو القاعد على الطريق منتظراً لغيره للاستلاب أو المنع، والمرصاد الطريق والمكان يرصد فيه العدوّ وأرصدت له أعددت.

و(**النقاب**) بالكسر جمع نقب كسهام وسهم وهو الثقب والخرق والطريق في الجبل

---

(١) فرج المهموم: ٥٦، وبحار الأنوار: ١٠٩/٥٤.

و(**المور**) الموج والاضطراب والحركة قال تعالى: يوم تمور السّماء موراً و(**الخرق**) يكون بمعنى الثقب في الحائط والشق في الثوب وغيره، وهو في الأصل مصدر خرقته إذا قطعته ومزقته، يكون بمعنى القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرّياح أي تهب وتشتدّ و(**الهواء**) يقال: للجسم الذي هو أحد العناصر ويقال: لكل خال قال سبحانه: وأفئدتهم هواء، أي خالية من العقل أو الخير و(**الأيد**) القوة و(**المنقل**) في الأصل الطريق في الجبل و(**المدارج**) جمع المدرج وهو المسلك و(**درج**) الصّبي دروجاً ودرجاناً مشى ودرجهما بالتّحريك الطريق، وفي بعض النسخ درجيهما بصيغة التثنية، وفي نسخة الشارح البحراني درجتهما بالتّاء الفوقانية.

و(**الجو**) الهواء و(**النياط**) التعليق و(**الدّراري**) الكواكب المضيئة جمع الدّري بتثليث الدّال نسبت إلى الدرّ لبياضها، وعن الفراء الكوكب الدّري عند العرب عظيم المقدار، وقيل: هو أحد الكواكب الخمسة السيارة، ولا يخفى أن وصفه عليه السلام الدّراري بالخفيات ينافي القولين ظاهراً و(**مسترق السمع**) المستمع مختفياً، وفي النسخ مسترقي السّمع بصيغة الجمع و(**الأذلال**) بفتح الألف والذال المعجمة جمع الذل بالكسر يقال: أمور الله جارية أذلالها بالنصب وعلى أذلالها أي مجاريها ويقال: دعه على إذلاله أي حاله بلا واحد وجاء على إذلاله أي وجهه.

الإعراب

قوله عليه السلام: (**وناداها بعد إذ هي دخان**)، قال الشارح المعتزلي: روي بإضافة (**بعد**) إلى (**إذ**)، وروي بضم بعد أي وناداها بعد ذلك إذ هي دخان والأوّل أحسن وأصوب، لأنّها على الضّم تكون (**دخاناً بعد فتور رهوات فروجها وملائمة صدوعها**) والحال تقتضي أن دخانيّتها قبل ذلك لا بعده (ا ه).

وقوله: (**وأمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده**) الظرف الأوّل أعني في خرق الهواء يجوز تعلّقه بأمسك ويجوز تعلقه بتمور، وأما الثّاني فهو متعلّق بالإمساك لا غير، ومن في قوله: (**من ليلها**) إما لابتداء الغاية أو لبيان الجنس وتتعلّق بممحوة أو بجعل، وقوله عليه السلام: (ثم علّق في جوها فلكها)، الظاهر كون (**ثم**) هنا للترتيب الذكري، (**ومن خفيات دراريها**) إما متعلق بناط أو بيان للزينة.

المعنى

اعلم أنه عليه السلام لما ذكر في الفصل السّابع عظمة قدرة الله سبحانه في الخلق والتقدير واللّطف والتدبير كمال حكمته في الفطر والإبداع والإيجاد والاختراع على نحو الإجمال والإطلاق، عقبه بهذا الفصل المتضمن لعجيب خلقة السماء وبديع ما أودعه فيها لدلالتها

المخصوصة على عظمة بارئها، وشهادتها المحسوسة على قدرة صانعها وكفايتها للمستبصر وغنيتها للمستهدي، وقد مرّ في تذييلات الفصل الثامن من فصول الخطبة الأولى ما فيه كفاية لشرح هذا المقام ودراية لذوي الأفهام إلاّ أنّا نعيد هنا بعض ما قدّمناه هناك ونزيد هٰهنا بعض ما لم نورده ثمة باقتضاء المقام وتوضيحاً لكلام الإمام عليه السلام فأقول:

قال: **(ونظم بلا تعليق رهوات فرجها)** أي: جمع وألف أجزاء السماء المنفرجة المتصفة بالارتفاع والانخفاض فسوّاها بقدرته الكاملة من غير أن يعلق بعضها ببعض بخياطة وعلاقة كما ينظم الإنسان ثوباً بثوب أو نحوهما بالقيد والتعليق، وهو مناسب لما مر في شرح الخطبة الأولى من أن مادتها الدّخان المرتفع من الماء إذ مثل ذلك يكون قطعاً ذات فرج.

وأما ما في شرح البحراني من تأويل ذلك بتباين أجزاء المركب لولا التركيب والتأليف، أو بالفواصل التي كانت بين أطباق السماوات فخلقها الله سبحانه أكراً متماسّة لا خلا بينها، فمبني على قواعد الفلاسفة وتقليدهم **(ولاحم صدوع انفراجها)** هذا العطف بمنزلة التفسير والتوكيد للجملة السابقة أي ألصق أجزاءها ذوات الصدوع بعضها ببعض وإضافة الصّدوع إلى الانفراج من إضافة الخاص إلى العام **(ووشّج بينها وبين أزواجها)** أي شبّك بينهما.

قال الشارح البحراني: أراد بأزواجها نفوسها التي هي الملائكة السّماوية بمعنى قرائنها وكل قرين زوج أي ربط ما بينها وبين نفوسها بقبول كلّ جرم سماوي لنفسه التي لا يقبلها غيره.

وأورد عليه المحدث العلامة المجلسي (ره) بأن القول بكون السّماوات حيوانات ذات نفوس مخالف للمشهور بين أهل الإسلام، بل نقل السّيد المرتضى رضي الله عنه إجماع المسلمين على أن الأفلاك لا شعور لها ولا إرادة، بل هي أجسام جمادية يحرّكها خالقها.

ثم قال (ره): ويمكن أن يراد بالأزواج الملائكة الموكلون بها، أو القاطنون فيها، أو المراد أشباهها من الكواكب والأفلاك الجزئية، ويمكن أن يكون المراد أشباهها في الجسمية والإمكان من الأرضيات ويناسب ما جرى على الألسن من تشبيه العلويات بالآباء والسّفليّات بالأمهات **(وذلل للهابطين بأمره والصاعدين بأعمال خلقه حزونة معراجها)** أي ذلل للملائكة النّازلين بأمره التكوينيّ والتشريعي وللكرام الكاتبين الصّاعدين بأعمال خلقه حزونة المعراج إلى السماء.

وقد تقدم شرح حال الفرقة الأولى أعني المدبّرات أمراً في شرح الفصل التاسع من فصول الخطبة الأولى وشرح حال الفرقة الثانية في شرح الفصل الأوّل من الخطبة الثانية والعشرين في المقام الثاني من تكملة ذلك الفصل، هذا.

وقال الشارح البحراني في شرح هذه الفقرة: قد سبقت الإشارة إلى أن الملائكة ليست

أجساماً كسائر الحيوان، فإذاً أليس هبوطها وصعودها الهبوط والصعود المحسوسين؟، وإلا لكان الباري جلّ قدسه عن أوهام المتوهّمين في جهة إليه يصعد وعنه ينزل، فإذاً هو استعارة لفظ النزول من الجهة المحسوسة إلى أسفل للنزول المعقول من سماء جود الإلهي إلى أراضي المواد القابلة للإفاضات العالية، وبذلك المعنى يكون هبوط الملائكة عبارة عن إيصالها إلى كل ما دونها كماله متوسطة بينه وبين مبدعه وموجده وهم المرسلون من الملائكة بالوحي وغيره، وكذلك الصاعدون بأعمال الخلق هم الملائكة أيضاً.

وأما معنى الصّعود بها فيعود إلى كونها منقوشة في ذوات الصّاعدين بها، وقد لاح فيما سبق أنّ علمه تعالى بمعلولاته البعيدة كالزمانيات والمعدومات التي من شأنها أن توجد في وقت وتتعلق بزمان يكون بارتسام صورها المعقولة في تلك الألواح، وهو أيضاً مستعار كلفظ الهبوط للمعنى الذي ذكرناه من أراضي النفوس إلى الألواح.

فأمّا الانفراج الذي ذلل حزونته لهم وسهل عليهم سلوكه فيعود إلى عدم حجبها ومنعها لنفوذ علوم الملائكة بأعمال الخلائق وما يجري في هذا العالم، وكما أن الجسم المتصدع لا يمنع نفوذ جسم آخر فيه من حيث هو متصدّع والوصول إلى ما ورائه، كذلك السّماء لا تحجب علوم الملائكة أن تتعلق بما في هذا العالم من الموجودات، فجرت مجرى المنفرج من الأجسام فأطلق عليه لفظ الانفراج وتذليله لحزونة ذلك الانفراج لهم هو كونها غير مانعة بوجه لجريان علوم الملائكة المقربين في هذا العالم.

أقول: وأنت خبير بما فيه، فإن ما ذكره كله تأويل لا داعي إليه موجب لطرح ظواهر الآيات المتوافرة ونصوص الأخبار المتواترة المثبتة للهبوط والصعود المحسوسين للملائكة، بعيد عن لسان الشريعة، وإنما دعاه إلى ذلك استيناسه بحكمة الفلاسفة المخالفة للكتاب والسنّة.

(وناداها بعد إذ هي دخان فالتحمت عرى أشراجها) المراد بندائها حكمه وأمره التكويني النافذ فيها بالوجود بالتحام عرى أشراجها تمام خلقها وفيضان الصور السماوية عليها، وذلك باعتبار تركيبها وانضمام جزئها الصوري إلى جزئها المادي كما يلتحم طرفا العيبة بتشريج عراها، وفيه تلميح إلى قوله سبحانه:

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ١١ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١١-١٢].

فقوله عليه السلام: **(وناداها)** إشارة إلى قوله: ائتيا طوعاً أو كرهاً، وقوله عليه السلام: **(بعد إذ هي دخان)**، موافق لقوله: ﴿وهي دخان﴾، وقوله عليه السلام: **(فالتحمت)** (ا ه) مساوق لقوله: ﴿فقضيهنّ﴾ الآية.

قال البيضاوي في تفسيرها: قصد نحو السماء وهي دخان أمر ظلماني، ولعله أراد به مادتها والأجزاء المتفرقة التي ركبت منها، فقال لها وللأرض ائتيا بما خلقت فيكما من التأثير والتأثر وإبراز ما أودعتكما من الأوضاع المختلفة والكائنات المتنوعة أو ائتيا في الوجود أو إتيان السماء حدوثها وإتيان الأرض أن تصير مدحوة، طوعاً أو كرهاً شئتما ذلك أو أبيتما، والمراد إظهار قدرته ووجوب وقوع مراده لا إثبات الطوع والكره لهما. قالتا: أتينا طائعين منقادين بالذات والأظهر أن المراد تصوير تأثير قدرته فيهما وتأثرهما بالذات عنها وتمثيلها بأمر المطاع وإجابة المطيع الطائع كقوله: كن فيكون، فقضيهن سبع سموات خلقهن خلقاً إبداعياً وأتقن أمرهن.

وقال الطبرسي في «مجمع البيان»: أي ثم قصد إلى خلق السماء وكانت السماء دخاناً، وقال ابن عباس: كانت بخار الأرض وأصل الاستواء الاستقامة، والقصد التدبير المستقيم تسوية له:

﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم، وأتت الأرض بما فيها من الأنهار والأشجار والثمار وليس هناك أمر بالقول على الحقيقة ولا جواب لذلك القول بل أخبر الله سبحانه عن اختراعه السماوات والأرض وإنشائه لهما من غير تعذر ولا كلفة ولا مشقة بمنزلة ما يقال للمأمور افعل فيفعل من غير تلبث ولا توقف فعبر عن ذلك بالأمر والطاعة وهو كقوله:

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾ [يس: ٨٢].

وإنما قال أتينا طائعين ولم يقل أتينا طائعتين لأن المعنى أتينا بمن فينا من العقلاء فغلب حكم العقلاء وقيل: إنه لما خوطبن خطاب من يعقل جمعن جمع من يعقل كما قال:

﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣].

(وفتق بعد الارتتاق صوامت أبوابها) وهو إما كناية عن إيجاد الأبواب فيها وخرقها بعد ما كانت رتقاً لا باب فيها، أو فتح الأبواب المخلوقة فيها حين إيجادها، وهذه الأبواب هي التي منها عروج الملائكة وهبوطها وصعود أعمال العباد وأدعيتهم وأرواحهم كما قال تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف: ٤٠].

أو التي تنزل منها الأمطار كما أشار إليه بقوله:

﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ [القمر: ١١].

ويؤيد الأخير ما رواه الطبرسي (ره) في تفسير قوله سبحانه:

﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ [الأنبياء: ٣٠].

عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام وعكرمة وعطية وابن زيد: أنّ السماء كانت رتقاً لا تمطر والأرض رتقاً لا تنبت ففتقنا السماء بالمطر والأرض بالنبات، هذا[١].

ولا يخفى عليك أنه بعد دلالة كلام الإمام عليه السلام كغير واحد من الآيات والأخبار على أن للسماء أبواباً لا يعبأ بما قاله الفلاسفة من استحالة الخرق والالتئام على الفلك المبتنية على قواعدهم الفاسدة وعقولهم الكاسدة.

ولعل الشارح البحراني ألجأه التقليد بهم إلى تأويل كلامه عليه السلام في هذا المقام بما لا ينافي أصولهم حيث قال: وافتتاق صوامت أبوابها بعد الارتتاق هو جعلها أسباباً لنزول رحمته مدبرات تنزل بواسطة حركاتها على هذا العالم أنواع رحمة الله فكانت حركاتها تشبه الأبواب إذ هي أبواب رحمته ومفاتيح جوده.

ومثله ما ذكره في شرح قوله عليه السلام: **(وأقام رصداً من الشهب الثواقب على نقابها)** حيث قال: إنه استعار لفظ النقاب لكونها بحيث لا يمنع تعلّق العلوم بما ورائها من الأجسام والمجردات، وأنت خبير بأن كل ذلك تكلّف لا داعي إليه والأدلة على إمكان الخرق ووجود الأبواب فوق حدّ الإحصاء، ولعلّنا نشبع الكلام في ذلك في مقام مناسب، والمهم الآن شرح معنى كلامه عليه السلام على مقتضى أسلوبنا وسليقتنا المفادة من الآيات والأخبار فأقول: مراده عليه السلام بنقابها طرائقها كما قال سبحانه:

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ۝٧﴾ [الذاريات: ٧].

فالمقصود بذلك إقامة الشهب وإرصادها على المرصاد لطرد الشياطين عن استراق السّمع كما حكى الله ذلك في سورة الجنّ بقوله:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۞ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن: ٨-٩].

قال الطبرسي: ثم حكى الله الجن وقولهم:

﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾[الجن: ٨].

أي مسّناها، وقيل: طلبنا الصعود إلى السّماء فعبر عن ذلك بالمس مجازاً.

(١) شرح أصول الكافي: ٦٨/٢، وبحار الأنوار: ١٣/٥٤.

﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾[الجن: ٨] أي حفظة من الملائكة شداداً ﴿وَشُهُبًا﴾[الجن: ٨].

والتقدير ملئت السّماء من الحرس والشهب وهو جمع شهاب وهو نور يمتدّ من السّماء كالنار.

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾[الجن: ٩].

أي لاستراق السّمع أي كان يتهيّأ لنا فيما قبل القعود في مواضع الاستماع فنسمع صوت الملائكة وكلامهم:

﴿فَمَن يَسْتَمِعِ﴾[الجن: ٩] منا ﴿ٱلْـَٔانَ﴾ [الجن: ٩] ذلك ﴿يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[الجن: ٩].

يرمى به ويرصد له، وشهاباً مفعول به ورصداً صفته قال معمر: قلت للزّهري: أكان يرمى بالنجوم في الجاهلية؟ قال: نعم، قلت: أفرأيت قوله:

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ [الجن: ٩].

الآية. قال: غلظ وشدّد أمرها حين بعث النّبي ﷺ: **(وأمسكها من أن تمور في خرق الهواء بأيده)** أي أمسكها بقدرته وقوته من الحركة والاضطراب في الهواء الذي هو أحد العناصر إذ لا دليل على انحصاره في الذي بين السماء والأرض في المكان الخالي الموهوم أو الموجود طبعاً أو قسراً، والمراد حركة أجزائها فيما بين السماء والأرض ويؤيده قوله سبحانه:

﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥].

(وأمرها أن تقف مستسلمة لأمر) أي أمرها بالوقوف والقيام وأراد منها ذلك منقادة لإرادته كما قال تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [الروم: ٢٥].

قال الطبرسي: بلا دعامة تدعمهما ولا علاقة تتعلّق بهما بأمره لهما بالقيام كقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٤٠﴾ [النحل: ٤٠].

وقيل بأمره: أي بفعله وإمساكه إلا أن أفعال الله عز اسمه مضاف إليه بلفظ الأَمر لأنه أبلغ في الاقتدار فإنّ قول القائل أراد فكان أو أمر فكان أبلغ في الدلالة على الاقتدار من أن يقول فعل فكان، ومعنى القيام الثبات والدّوام **(وجعل شمسها آية مبصرة لنهارها، وقمرها آية ممحوة من ليلها)** هو مأخوذ من قوله سبحانه في سورة الأسرى أو الإسراء:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ

وَلِتَعۡلَمُواْ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلۡحِسَابَۚ وَكُلَّ شَيۡءٖ فَصَّلۡنَٰهُ تَفۡصِيلٗا﴿١٢﴾﴾.

وفيه قولان:

أحدهما: أن يراد أنّ اللّيل والنهار آيتان في أنفسهما فتكون الإضافة في آية الليل وآية النهار للتّبيين كإضافة العدد إلى المعدود، أي فمحونا الآية التي هي اللّيل فكانت مظلمة وجعلنا الآية التي هي النهار مبصرة.

والثاني: أن يراد: وجعلنا آيتي اللّيل والنّهار أي نيّريهما آيتين، فيكون المراد بهما الشمس والقمر وظاهر كلام الإمام عليه السلام ربما يشعر بهذا القول، ويدل على القولين قوله سبحانه:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ لَا تَسۡجُدُواْ لِلشَّمۡسِ وَلَا لِلۡقَمَرِ وَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴿٣٧﴾﴾ [فصلت: ٣٧].

أمّا كون الأوّلين آيتين فلأنّ كلّ واحد منهما مضاد للآخر معاند له، فكونهما متعاقبين على الدوام من أقوى الدّلائل على أنّهما غير موجودين بالذات بل لا بدّ لهما من فاعل يدبّرهما ويقدّرهما بالمقادير المخصوصة، مضافاً إلى أن مقتضى التّضاد بين الشيئين أن يتفاسدا لا أن يتعاونا على سبيل المصالح، وهما مع تضادّهما وتنافيهما متعاونان على تحصيل منافع الخلق ومصالحهم، فلولا اللّيل لما حصل السكون والراحة، ولولا النّهار لما أمكن الكسب والمعيشة، ولولا الليل لفسدت الزراعات بالحرارة، ولولا النّهار لفسدت بالبرودة، فهما من أقوى الآيات وأظهر البيّنات.

وأمّا كون الآخرين آيتين للصانع ودليلين على وجود القادر المختار فلأن الأجسام متماثلة فاختصاصهما بالحركة الدّائمة دون السّكون لا بدّ له من مخصّص، وأيضاً أنّ كلّ واحدة من تلك الحركات مختصة بكيفيّة معينة من البطوء والسّرعة فلا بدّ له أيضاً من مخصّص على أن تقدير تلك الحركات بمقادير مخصوصة على وجه تحصل عوداتها ودوراتها متساوية بحسب المدّة حالة عجيبة وصنعة بديعة لا بدّ لها من مدبّر مقدّر ومبدع مقتدر، هذا.

وأما المقصود بمحو آية اللّيل فلهم فيه قولان:

أحدهما: أنه هو ما يظهر في القمر من الزّيادة والنقصان في النور فيبدو في أول الأمر في صورة الهلال ثم لا يزال يتزايد نوره حتّى يصير بدراً كاملاً، ثم يأخذ في الانتقاص قليلاً قليلاً وذلك هو المحو إلى أن يعود إلى المحاق.

والثاني: أنه هو الكلف في وجه القمر وكونه مطموس النّور، فإنه بعدما كان مساوياً للشمس في الضوء والنّور أرسل الله جبرئيل فأمرّ جناحه على وجهه فطمس عنه الضوء، ومعنى

المحو في اللّغة إذهاب الأثر، وقد استظهرنا هذا القول في التذييل السادس من تذييلات الفصل الثامن من فصول الخطبة الأولى ببعض الأخبار التي أوردناها هناك.

وربما يستظهر القول الأول بقوله سبحانه:

﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ [الإسراء: ١٢].

لأن المحو إنما يؤثر في ابتغاء فضل الله إذا حملناه على زيادة نور القمر ونقصانه فإن أهل التجارب تبينوا أن اختلاف أحوال القمر في مقادير النور له أثر عظيم في أحوال هذا العالم ومصالحها مثل أحوال البحار في المد والجزر ومثل أحوال البحرانات على ما يذكره الأطباء في كتبهم وأيضاً بسبب زيادة نور القمر ونقصانه تحصل الشهور وبسبب معاودة الشهور تحصل السنون العربية المبنية على رؤية الأهلة.

وأمّا المراد بجعل آية النهار مبصرة ففيه أيضاً قولان:

أحدهما: أن معنى كونها مبصرة كونها مضيئة نيّرة، قال الكسائي: العرب تقول: أبصر النّهار إذا أضاء أقول: ولعل ذلك من حيث إن الإضاءة لما كانت سبباً للأبصار فأطلق اسم الأبصار على الإضاءة إطلاقاً لاسم المسبّب على السّبب.

وثانيهما: أن المبصرة التي أهلها بصراء فيها قال أبو عبيدة يقال: قد أبصر النّهار إذا صار الناس يبصرون فيه، كقولهم: رجل مخبث إذا كان أصحابه خبثاء ورجل مضعف إذا كان دوابه ضعفاء، هذا.

وبقي الكلام في إضافة اللّيل والنّهار إلى السماء في كلامه عليه السلام، ووجهها أن استنادهما لما كان إلى حركة الفلك أضافها إليها لتلك المناسبة **(وأجراهما في مناقل مجريهما وقدر سيرهما في مدارج درجيهما)** أراد بالمناقل والمدارج منازل الشمس والقمر.

قال ابن عباس: للشمس مائة وثمانون منزلاً كل يوم لها منزل وذلك في ستة أشهر ثم إنها تعود إلى واحد منها في ستة أشهر مرّة أخرى، والقمر له

وتحقيق المقام أنهم قسّموا دور الفلك الذي تسير فيه الكواكب اثنا عشر قسماً وسموا كلّ قسم برجاً كما قال سبحانه:

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝﴾ [البروج: ١] وقال: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ [الفرقان: ٦١].

قال الرازي: البروج هي القصور العالية سمّيت بروج الكواكب لأنها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها، ثمّ إنهم قسّموا كلّ برج ثلاثين قسماً وسموا كلّ قسم درجة وسموا البروج بهذه الأسماء:

«الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد: السنبلة، الميزان، العقرب، القوس،

الجدي، الدلو، الحوت»، والشمس تسير كلّ برج منها في شهر واحد، فتحصل تمام دورتها لتلك البروج في سنة كاملة وبه تحصل السنة وهي ثلاثمائة وخمسة وستّون يوماً وشيء تنزل كلّ يوم في منزل وما قاله ابن عباس في كلامه الذي حكيناه لعله مبنيّ على ما هو الشّائع في ألسنة النّاس من تقدير السنة بثلاثمائة وستّين يوماً وإن لم يكن مطابقاً لشيء من حركتي الشمس والقمر، فتأمل هذا.

وما ذكرناه في سير الشمس إنّما هو بحسب حركتها الذاتية، وأما حركتها بسبب حركة الفلك الأعظم فتتم في اليوم بليلته، وأمّا القمر فيسير كلّ برج في أزيد من يومين ونقص من ثلاثة أيّام وتمام دورتها في ثمانية وعشرين ليلة، وله في كلّ ليلة منزل.

فمنازله ثمانية وعشرون مسمّاة بتلك الأسماء:

«الشرطين، البطين، الثريا، الدبران، الهقعة، الهنعة، الذراع، النثرة، الطرفة، الجبهة، الدبرة، الصرفة، العواء، السماك، الغفر، الزبانا، الإكليل، القلب، الشولة، النعائم، البلدة، سعد الذابح، سعد بلع، سعد السعود، سعد الأخبية، فرغ الدلو المقدم، فرغ الدلو المؤخر، الرشا، وهو بطن الحوت»[1].

وإلى تلك المنازل أشير في قوله سبحانه:

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ﴿٣٩﴾﴾ [يس: ٣٩].

أي قدّرنا مسيره منازل أو سيره في منازل ينزل كلّ ليلة في واحدة منها، فإذا كان في آخر منازله دقّ واستقوس حتّى عاد كالعرجون أي كالشمراخ المعوج القديم العتيق.

قال نصير الملّة والدّين (ره) في محكي كلامه من «التذكرة»: وأمّا منازل القمر فهي من الكواكب القريبة من منطقة البروج جعلها العرب علامات الأقسام الثمانية والعشرين التي قسّمت المنطقة بها لتكون مطابقة لعدد أيام دور القمر.

وقال الخفري في شرحه: والمراد من المنزل المسافة التي يقطعها القمر في يوم بليلته، ومنازل القمر عند الهند سبعة وعشرون يوماً بليلة وثلث، فحذفوا الثلث لكونه أقل من النّصف كما هو عادة أهل التنجيم.

وأما عند العرب فهي ثمانية وعشرون، لا لأنّهم تمّموا الثلث واحداً كما قال البعض، بل لأنّه لمّا كان سنوهم لكونها باعتبار الأهلّة مختلفة الأوائل بوقوعها في وسط الصّيف تارة وفي وسط الشّتاء أخرى، احتاجوا إلى ضبط سنة الشّمس لمعرفة فصول السنة حتّى يشتغلوا في

---

(١) بحار الأنوار: ٥٥/١٣٦، ولسان العرب: ٢/٢١٢ ـ ٢١٣.

استقبال كلّ فصل منها بما يهمّهم، فنظروا إلى القمر فوجدوه يعود إلى وضع له من الشّمس في قريب من ثلاثين يوماً ويختفي في هذا الشّهر ليلتين أو أكثر أو أقل فأسقطوا يومين من الثلاثين فبقي ثمانية وعشرون وهو الزّمان الواقع في الأغلب بين رؤيته في العشيات في أوّل الشّهر ورؤيته بالغدوات في آخره، فقسموا دور الفلك عليه، فكان كلّ منزل اثنتي عشرة درجة وإحدى وخمسين دقيقة تقريباً أي ستة أسباع درجة فتصيب كلّ برج منزلان وثلث.

ثمّ وجدوا الشّمس تقطع كلّ منزل في ثلاثة عشر يوماً في التقريب فسارت المنازل في ثلاثمائة وأربعة وستّين يوماً، لكن عودت الشمس إلى كلّ منزل إنّما تكون في ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً، فزادوا يوماً في أيّام منازل غفر وقد يحتاج إلى زيادة للكبيسة حتّى تصير أيّامه خمسة عشر ويكون انقضاء أيّام السنة الشّمسية مع انقضاء أيّام المنازل ورجوع الأمر إلى منزل جعل مبدأ.

ثم إنّهم جعلوا علامات المنازل من الكواكب الظاهرة القريبة من المنطقة مما يقارب ممرّ القمر أو يحاذيه، فيرى كلّ ليلة نازلاً بقرب أحدها فإن سترها يقال كفحه فكافحه أي واجهه فغلبه ولا يتفاءل به وإن لم يستره يقال: عدل القمر ويتفاءل به.

وقوله: (**ليميز بين اللّيل والنّهار بهما وليعلم عدد السنين والحساب بمقاديرهما**) الظاهر كون التميز والعلم غايتين لمجموع الأفعال السابقة على حد قوله سبحانه في سورة الأسرى:

﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء: ١٢].

وقوله في سورة يونس: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ [يونس: ٥].

ويحتمل كون التميز غاية للأوّل والعلم غاية للأخير أو الأخيرين فيكون نشراً على ترتيب اللّف، ومعناه على ذلك أنّه تعالى جعل الشمس آية مبصرة والقمر آية ممحوة ليحصل التميز بين الليل والنّهار بهما، وأجرى الشمس والقمر في منازلهما وقدّر سيرهما في مناقلهما ليحصل العلم بعدد السّنين والحساب بمقادير سيرهما وتفاوت أحوالهما، هذا.

والمراد بالحساب حساب ما يحتاج إليه النّاس في أمور دينهم ودنياهم ليتمكّنوا بذلك من إتيان الحجّ والصّوم والصّلوات في أوقاتها، ويعرفوا عدة المطلقة والمتوفى عنها زوجها، ومدّة حلول آجال الدّيون وانقضائها، ويرتّبوا معاشهم بالزراعة والحراثة والفلاحة في ساعاتها ويهيّئوا مهمّات الشّتاء والصّيف وضروريّات العيش في آنائها إلى غير هذه ممّا يحتاجون إليها في الدّنيا والدّين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

(ثمّ علق في جوّها فلكها) هذه العبارة من مشكلات كلامه ﷺ.

وجهة الإشكال فيها من ثلاثة وجوه:

أحدها: أنّه ﷺ قال في صدر هذا الفصل: ونظم بلا تعليق رهوات فرجها، فنفى التعليق في نظم الأجزاء ثمة ينافي إثباته هنا.

وثانيها: أن الجوّ عبارة عن ما بين السّماء والأرض من الهواء فما معنى تعليق الفلك فيه، ثمّ ما معنى الإضافة.

وثالثها: أن المشهور أن الفلك هو السّماء والإضافة في كلامه ﷺ يفيد التغاير.

ويرفع الإشكال عن الأوّل بحمل التّعليق المنفي فيما سبق على التعليق بالعلائق المحسوسة والتعليق المثبت هنا على التّعليق بالقدرة، وعن الثّاني بحمل الجو على الفضاء الواسع الموهوم أو الموجود الذي هو مكان الفلك ووجه إضافته إليها واضح وعن الثّالث بجعل المراد بالفلك مدار النّجوم كما فسّره به في «القاموس».

وقال الشّارح المعتزلي: أراد به دائرة معدل النهار، وقيل: المراد به سماء الدّنيا، وهو مبنيّ على كون النّجوم فيها على وفق قوله سبحانه:

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾ [الصافات: ٦].

وعلى المشهور من عدم كون جميعها في السّماء الدّنيا فلعلّ الأظهر أن يراد بالفلك ما ارتكز فيه من السّماوات كوكب يتحرّك بحركته، قاله في «البحار» ثمّ قال: ويمكن على طريقة الاستخدام أو بدونه أن يراد بضمير السّماء الذي أحاط بجميع ما ارتكزت فيه الكواكب المدبّر لها فكون فلكها في جوّها ظاهر أو يراد بالسّماء الأفلاك الكليّة وبالفلك الأفلاك الجزئية الواقعة في جوفها **(وناط بها زينتها من خفيّات دراريها ومصابيح كواكبها)** أي علق بالسّماء ما يزيّنها من الكواكب الخفيّة الّتي هي كالدّر في الصّفاء والضياء، والكواكب التي هي بمنزلة المصباح يضيء وكونها زينة لها إمّا بضوئها أو باشتمالها على الأشكال المختلفة العجيبة **(ورمى مسترق السّمع بثواقب شهبها)** وفيه تلميح إلى قوله سبحانه:

﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ۝١٨﴾ [الحجر: ١٨].

أي إلاّ من حاول أخذ مسموع من السّماء في خفية فلحقه شعلة نار ظاهر لأهل الأرض بيّن لمن رآه، وإلى قوله سبحانه:

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١٠].

قال الطبرسي: والتقدير لا يتسمّعون إلى الملائكة إلاّ من وثب الوثبة إلى قريب من

السّماء فاختلس خلسة من الملائكة واستلب استلاباً بسرعة فلحقه وأصابته نار مضيئة محرقة، والثاقب النيّر المضيء[١].

فإن قلت: تقدّم ذكر الشهب في قوله: **(وأقام رصداً من الشّهب الثواقب على نقابها)** فما وجه إعادتها؟

قلنا: إنّه عليه السلام ذكر سابقاً أنه أقامها رصداً، ونبّه هٰهنا على أن إرصادها لرمي مسترق السّمع، روى عن ابن عباس أنه كان في الجاهليّة كهنة ومع كلّ واحد شيطان فكان يقعد من السّماء مقاعد للسّمع فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فينزل ويخبر به الكاهن فيفشيه الكاهن إلى النّاس، فلما بعث الله عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات، ولمّا بعث محمّد صلى الله عليه وآله منعوا من السّماوات كلّها؛ وحرست السّماء بالنّجوم والشّهاب من معجزات نبيّنا صلى الله عليه وآله لأنّه لم ير قبل زمانه، وقيل: إن الشهاب يقتل الشياطين، وقيل: لا يقتلهم.

قال الفخر الرّازي بعدما عدد جملة من منافع النجوم:

ومنها: أنه تعالى جعلها رجوماً للشياطين الذين يخرجون الناس من نور الإيمان إلى ظلمة الكفر، يروى أن السّبب في ذلك أن الجن كانت تسمع بخبر السّماء، فلما بعث محمّداً صلى الله عليه وآله حرست السماء ورصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقاً للسّمع رمي بشهاب فأحرقه لئلا ينزل به إلى الأرض فيلقيه إلى الناس فيخلط على النّبي صلى الله عليه وآله أمره ويرتاب الناس بخبره، وهذا هو السّبب في انقضاض الشّهب، فهذا هو المراد من قوله تعالى: وجعلناه رجوماً للشّياطين.

ومن الناس من طعن في هذا من وجوه:

أحدها: أن انقضاض الكواكب مذكور في كتب قدماء الفلاسفة قالوا: إن الأرض إذا سخّنت بالشّمس ارتفع منها بخار يابس فإذا بلغ النار التي دون الفلك احترق بها فتلك الشعلة هي الشّهاب.

وثانيها: أن هؤلاء الجن كيف يجوز أن يشاهدوا واحداً وألفاً من جنسهم يسترقون السّمع فيحرقون ثم إنهم مع ذلك يعودون لمثل صفتهم فإن العاقل إذا رأى الهلاك في شيء مرّة ومراراً امتنع أن يعود إليه من غير فائدة.

وثالثها: أنه يقال: في ثخن السّماء مسيرة خمسمائة عام فهؤلاء الجن إن نفذوا في جرم السّماء وخرقوا له فهذا باطل لأنّه تعالى نفى أن يكون فيها فطور على ما قال: ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ

---

(١) تفسير مجمع البيان: ٨/ ٢٩٧.

تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ [الملك]، وإن كانوا لا ينفذون في جرم السّماء فكيف يمكنهم أن يسمعوا أسرار الملائكة من ذلك البعد العظيم فلم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الأرض.

ورابعها: أن الملائكة إنما اطلعوا على الأحوال المستقبلة إما لأنهم طالعوها من اللّوح المحفوظ، أو لأنهم يتلقونها من وحي الله تعالى إليهم، وعلى التّقديرين فلم لا يمسكوا عن ذكرها حتّى لا يتمكن الجن عن الوقوف عليها.

وخامسها: أن الشّياطين مخلوقون من النّار والنار لا تحرق النّار بل تقويها فكيف يحتمل أن يقال: الشّيطان زجر من استراق السّمع بهذه الشهب.

وسادسها: أنه إن كان هذا القذف لأجل النبوّة فلم دام بعد وفاة الرّسول ﷺ.

وسابعها: أنّ هذه الرّجوم إنما تحدث بالقرب من الأرض بدليل أنّا نشاهد حركاتها بالغة ولو كانت قريبة من الفلك لما شاهدنا حركاتها كما لم نشاهد حركات الكواكب، وإذا ثبت أنّ هذه الشهب إنما تحدث بالقرب من الأرض كيف يقال: إنّها تمنع الشياطين من الوصول إلى الفلك.

وثامنها: أنّ هؤلاء الشّياطين لو كان يمكنهم أن ينقلوا أخبار الملائكة من المغيبات إلى الكهنة فلم لا ينقلون أسرار المؤمنين إلى الكفّار حتّى يتوسّل الكفار بواسطة وقوفهم على أسرارهم إلى إلحاق الضّرر بهم.

وتاسعها: لِمَ لَمْ يمنعهم الله ابتداء من الصعود إلى السّماء حتّى لا يحتاج في دفعهم عن السماء إلى هذه الشهب.

والجواب عن السؤال الأول أنا لا ننكر أن هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبي ﷺ وقد يوجد بسبب آخر وهو دفع الجنّ وزجرهم، يروى أنه قيل للزهري: أكان يرمى في الجاهلية؟ قال: نعم، قال: أفرأيت قوله تعالى:

﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ٩﴾ [الجن: ٩].

قال: غلظت وشدّد أمرها حين بعث النّبي ﷺ.

والجواب عن السّؤال الثاني أنه إذا جاء القدر عمي البصر، فإذا قضى الله على طائفة منهم الحرق لطغيانها وضلالها قيض له من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي إلى الهلاك والبوار.

والجواب عن السؤال الثالث أن البعد بين السّماء والأرض مسيرة خمسمائة عام فأما

ثخن الفلك فلعلّه لا يكون عظيماً.

والجواب عن السؤال الرابع ما روى الزهري عن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن ابن عباس (ره) قال: بينا رسول الله صلى الله عليه وآله جالس في نفر من أصحابه إذ رمى بنجم فاستنار فقال صلى الله عليه وآله: ما كنتم تقولون في الجاهليّة إذا حدث مثل هذا؟ قالوا: كنا نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم، قال النّبي صلى الله عليه وآله: فإنها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته ولكن ربّنا تعالى إذا قضى الأَمر في السماء سبّحت حملة العرش ثم سبّح أهل السّماء وسبح كلّ سماء حتّى ينتهي التّسبيح إلى هذه السّماء ويستخبر أهل السّماء حملة العرش ماذا قال ربّكم؟ فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء إلى سماء حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء ويتخطف الجنّ فيرمون. فما جاؤوا به فهو حق ولكنّهم يزيدون فيه(١).

والجواب عن السؤال الخامس أن النّار قد تكون أقوى من نار أخرى فالأَقوى يبطل الأَضعف.

والجواب عن السّؤال السادس أنه إنما دام لأَنه صلى الله عليه وآله أخبر ببطلان الكهنة فلو لم يدم هذا القذف لعادت الكهانة وذلك يقدح في خبر الرّسول صلى الله عليه وآله عن بطلان الكهانة.

والجواب عن السؤال السّابع أن البعد على مذهبنا غير مانع من السّماع فلعله تعالى أجرى عادته بأنهم إذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة.

والجواب عن السؤال الثامن لعله تعالى أقدرهم على استماع الغيوب عن الملائكة وأعجزهم عن إيصال أسرار المؤمنين إلى الكافرين.

والجواب عن السّؤال التاسع أنه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فهذا ما يتعلّق بهذا الباب على سبيل الاختصار، انتهى.

وقال المحدّث المجلسي (ره) بعد نقل كلام الرازي وأجوبته: أقول: الأَصوب في الجواب عن الثالث أن يقال: قد ظهر أنّ للسماء أبواباً يصعد منها الملائكة وصعد منها نبيّنا صلى الله عليه وآله وعيسى وإدريس عليهم السلام بل أجساد سائر الأَنبياء والأَوصياء بعد وفاتهم على قول، وقد ورد في الأَخبار أنّ الجن كانوا يصعدون قبل عيسى عليه السلام إلى ما تحت العرش وبعد بعثته كانوا يصعدون إلى الرابعة وبعد بعثة النّبي صلى الله عليه وآله منعوا عن صعود السماء مطلقاً بالشّهب، فصعودهم إمّا من أبوابها أو لكونهم أجساماً لطيفة يمكنهم النفوذ في جرمها ولعل المراد بالفطور فيها أن ترى فيها شقوق وثقب أو تنهدم وتنحلّ أجزائها فلا إشكال في ذلك.

---

(١) بحار الأنوار: ٥٥/٨٦، وتفسير ابن كثير: ٢/٥٦٨.

(وأجراها على إذلال تسخيرها) أي على مجاري تسخيرها أو وجوه مقهوريّتها وفيه تلميح إلى قوله تعالى:

﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

قال الطبرسي (ره): أي مذللات جاريات في مجاريهنّ بتدبيره وصنعه خلقهن لمنافع العباد.

وقال الفخر الرازي: كون الشّمس والقمر والنّجوم مسخرّات بأمره يحتمل وجودها:

أحدها: أنا قد دللنا أنّ الأجسام متماثلة، ومتى كان كذلك كان اختصاص جسم الشمس بذلك النور المخصوص والضوء الباهر والتسخين الشّديد والتّدبيرات العجيبة في العالم العلوي والسّفلي لا بدّ وأن يكون لأجل أن الفاعل الحكيم والمقدّر العليم خصّ ذلك الجسم بهذه الصّفات، فجسم كل واحد من الكواكب والنيرات كالمسخر في قبول تلك القوى والخواص عن قدرة المدبّر العليم.

وثانيها: أن يقال: إن لكل واحد من أجرام الشمس والقمر والكواكب سيراً خاصّاً بطيئاً من المغرب إلى المشرق وسيراً آخر سريعاً بسبب حركة الفلك الأعظم، فالحقّ سبحانه خصّ جرم الفلك الأعظم بقوة زائدة على أجرام سائر الأفلاك وباعتبارها صارت مستولية عليها قادرة على تحريكها على سبيل القهر من المشرق إلى المغرب فأجرام الأفلاك والكواكب صارت كالمسخرة لهذا القهر والقسر ثم ذكر باقي الوجوه ولا طائل تحتها.

وقوله عليه السلام: **(من ثبات ثابتها ومسير سائرها)** بيان لوجه تسخيرها وثبات الثوابت بالنسبة إلى سير السيارات.

والمراد بالسيارات الكواكب السبعة وهي: القمر، وعطارد، وزهرة، والشمس والمرّيخ، والمشتري، والزحل، ويسمى الشمس والقمر بالنيرين، والخمسة الباقية بالمتحيّرة لأنّ لكلّ واحد منها استقامة ثمّ وقوفاً ثمّ رجوعاً ثمّ وقوفاً ثانياً ثمّ عوداً إلى الاستقامة وليس للنيّرين غير الاستقامة، والمراد بالثّوابت إمّا سائر الكواكب على السماء غير هذه السّبعة أو خصوص ما في كرة البروج.

وفي «توحيد المفضّل» قال: قال الصّادق عليه السلام: فكّر يا مفضّل في النجوم واختلاف مسيرها فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلاّ مجتمعة، وبعضها تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها، فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين، أحدهما عام مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاص لنفسه نحو المشرق كالنملة التي تدور على الرّحا، فالرّحا تدور ذات اليمين والنّملة تدور ذات الشمال والنّملة تتحرّك في تلك حركتين مختلفتين، إحداهما بنفسه

فتتوجه أمامها، والأخرى مستكرهة مع الرّحا تجذبها إلى خلفها، فاسأل الزّاعمين أن النّجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد ولا صانع لها ما منعها كلّها أن تكون راتبة أو تكون كلّها متنقّلة[١]؟ فإنّ الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير؟ ففي هذا بيان أنّ مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعمد وتدبير وحكمة وتقدير وليس بإهمال كما تزعمه المعطلة.

فإن قال قائل: ولم صار بعض النّجوم راتباً وبعضها متنقّلاً؟

قلنا: إنّها لو كانت كلّها راتبة لبطلت الدلالات التي يستدلّ بها من تنقّل المنقلّة ومسيرها في كلّ برج من البروج كما قد يستدلّ على أشياء ممّا يحدث في العالم بتنقّل الشّمس والنّجوم في منازلها، ولو كانت كلّها متنقّلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه، لأنّه إنما يوقف بمسير المتنقلة منها لتنقلها في البروج الرّاتبة كما يستدلّ على سير السّائر على الأرض بالمنازل يجتاز عليها، ولو كان تنقّلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها ولساغ لقائل أن يقول: إن كينونيّتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة التي وصفنا. ففي اختلاف سيرها وتصرّفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها.

(وهبوطها وصعودها ونحوسها وسعودها) المراد بالهبوط إما مقابل الشرف كما هو مصطلح المنجّمين، أو التوجه إلى حضيض الحامل فإنّ للكواكب صعوداً في الأوج وهبوطاً في الحضيض أو التوجه إلى الغروب فيكون الهبوط حسّاً ويقابله الصعود فيما ذكر.

والمراد بالسعود والنحوس كون اتصالات الكواكب أسباباً لصلاح حال شيء من الأشياء من أحوال هذا العالم وأسباباً لفساده.

قال المنجّمون: زحل والمريخ نحسان أكبرهما زحل، والمشتري والزّهرة سعدان أكبرهما المشتري، وعطارد سعد مع السعود ونحس مع النحوس، والنيّران سعدان من التثليث والتسديس نحسان من المقابلة والتربيع والمقارنة، والرّأس سعد والذنب والكبد نحسان، والله العالم بحقائق ملكه وملكوته.

---

(١) بحار الأنوار: ٣/ ١١٤.

الترجمة

بعض دیگر از این خطبه در صفت آسمان است، می فرماید:

ترتیب داد حق سبحانه و تعالی بدون قید و علاقه پست و بلندی فرجه های آن را و ملتئم نمود و به هم در آورد شکاف های گشادگی آن را و به هم پیوست میان آنها و میان زوج های آنها و ذلیل و آسان نمود به جهت ملائکه که نزول کننده اند به امر او سبحانه و صعودنماینده اند با عمل های بندگان او دشواری نردبان های آسمان ها را و ندا نمود آنها را بعد از اینکه بود دود، پس به هم آمد بندهای ریسمان های آنها و گشود بعد از به هم پیوستن درهای بسته آنها را و برپا نمود دیده بان ها از شهاب های درخشان بر راه ها و منفذهای آنها و نگه داشت آنها را از این که حرکت نمایند و مضطرب گردند در شکاف هوا با قوت خود و امر کرد آنها را به اینکه بایستند در حالتی که انقیاد و تسلیم نمایند فرمان او را.

و گردانید آفتاب آسمان رابرای روز آن و ماه آن را علامتی محو شده از شب آن و جاری فرمود مهر و ماه را در مواضع انتقال که جای جریان ایشان است و مقدّر کرد سیر ایشان را در راه های درجه های ایشان تا تمیز دهد شب و روز را به آن مهر و ماه و تا دانسته شود شماره سال ها و حساب ها به مقدار حرکات این دو کوکب، پس از آن درآویخت در فضای آسمان فلك را که محل دوران کوکب است و منوط ساخت به آن زینت آن را از ستارگان پنهان که مثل درّاند در صفا و از چراغ های ستاره ها و انداخت به سوی شیاطین که به دزدی و سرقت گوش دهنده گانند تا اینکه اسرار ملائکه رامطّلع شوند به شهاب های درخشنده سوراخ کننده و جاری ساخت ستارگان را بر مجاری تسخیر و مقهوریت آنها از ثبات کواکب ثابته و سیر کردن ستارگان رونده و از هبوط کردن ایشان به حضیض حامل و صعود نمودن ایشان به اوج حامل و از سعادت آنها و نحوست آنها.

الفصل الخامس

منها في صفة الملائكة ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإسْكَانِ سَمٰوَاتِهِ، وَعِمارَةِ الصَّفْحِ الأعْلى مِنْ مَلَكُوتِهِ، خَلْقاً بَديعاً مِنْ ملائكَتِهِ، مَلأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجاجِها، وحَشا بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوائِها، وبَيْنَ فَجُواتِ تِلْكَ الْفُرُوجِ زَجَلُ الْمُسَبِّحينَ مِنْهُمْ في حَظائِرِ الْقُدْسِ، وسُتُرَاتِ الْحُجُبِ، وسُرادِقاتِ الْمَجْدِ، ووَراءِ ذٰلِكَ الرَّجِيجُ الَّذي تَسْتَكُّ مِنْهُ الأسْماعُ سُبُحاتُ نُورٍ تَرْدَعُ الأبْصارَ عَنْ بُلُوغِها، فَتَقِفُ خاسِئَةً عَلَى حُدُودِها، أَنْشَأَهُمْ عَلى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ، وأَقْدارٍ مُتَفاوِتاتٍ، أُولي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جلالَ عِزَّتِهِ، لاَ يَنْتَحِلُونَ ما ظَهَرَ في الْخَلْقِ مِنْ صُنْعِهِ، ولا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئاً مَعَهُ مِمّا انْفَرَدَ بِهِ، بَلْ عِبادٌ مُكْرَمُونَ، لاَ يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ.

جَعَلَهُمْ فيما هُنالِكَ أَهْلَ الأَمانَةِ عَلَى وَحْيِه، وحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدائِعَ أَمْرِهِ ونَهْيِهِ، وعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ، فَما مِنْهُمْ زائِغٌ مِنْ سَبِيلِ مَرْضاتِهِ، وأَمَدَّهُمْ بِفَوائِدِ الْمَعُونَةِ، وأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَواضُعَ إِخْباتِ السَّكِينَةِ، وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْواباً ذُلُلاً إِلى تَماجِيدِهِ، ونَصَبَ لَهُمْ مَناراً واضِحَةً عَلَى أَعْلامِ تَوْحِيدِهِ، لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِراتُ الآثامِ، وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيالي والأَيّامِ، وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوازِعِها عَزِيمَةَ إِيمانِهِمْ، وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى معاقِدِ يَقِينِهِمْ، وَلاَ قَدَحَتْ قادِحَةُ الأَحَنِ فيما بَيْنَهُمْ، ولا سَلَبَتْهُمُ الْحَيْرَةُ ما لاَقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمائِرِهِمْ، وما سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وهَيْبَةِ جَلالَتِهِ في أَثْناءِ صُدُورِهِمْ، وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ الْوَساوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِها عَلَى فِكَرِهِمْ.

مِنْهُمْ مَنْ هُوَ في خَلْقِ الْغَمامِ الدُّلَّحِ، وفي عِظَمِ الْجِبالِ الشُّمَّخِ، وَفي قُتْرَةِ الظَّلامِ الأَيْهَمِ، ومِنْهُمْ مَنْ قَدْ خَرَقَتْ أَقْدامُهُمْ تُخُومَ الأَرْضِ السُّفْلىٰ، فَهِيَ كَراياتٍ بيضٍ قَدْ نَفَذَتْ في مَخارِقِ الْهَواءِ، وتَحْتَهَا رِيحٌ هَفّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ انْتَهَتْ مِنَ الْحُدُودِ الْمُتَناهِيَةِ، قَدِ اسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغالُ عِبادَتِهِ، ووَصَلَتْ حَقائِقُ الإِيمانِ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ، وقَطَعَهُمُ الإِيقانُ بِهِ إِلَىٰ الْوَلَهِ إِلَيْهِ، وَلَمْ تُجاوِزْ رَغَباتُهُمْ ما عِنْدَهُ إِلَىٰ ما عِنْدَ غَيْرِهِ.

قَدْ ذاقُوا حَلاوَةَ مَعْرِفَتِهِ، وشَرِبُوا بِالْكَأْسِ الرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْداءِ قُلُوبِهِمْ وَشيجَةُ خيفَتِهِ، فَحَنَوْا بِطُولِ الطّاعَةِ اعْتِدالَ ظُهُورِهِمْ، وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ الرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ، وَلاَ أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظيمُ الزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ، وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ الإِعْجابُ فَيَسْتَكْثِرُوا ما سَلَفَ مِنْهُمْ ولا تَرَكَتْ لَهُمُ اسْتِكانَةُ الإِجْلالِ نَصيباً في تَعْظِيمِ حَسَناتِهِمْ، وَلَمْ تَجْرِ الْفَتَراتُ فيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ، وَلَمْ تَغِضْ رَغَباتُهُمْ فَيُخالِفُوا عَنْ رَجاءِ رَبِّهِمْ، وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ الْمُناجاةِ أَسَلاتُ أَلْسِنَتِهِمْ، وَلاَ مَلَكَتْهُمُ الأَشْغالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ الْجُؤارِ إِلَيْهِ أَصْواتُهُمْ، وَلَمْ تَخْتَلِفْ في مَقاوِمِ الطّاعَةِ مَناكِبُهُمْ، وَلَمْ يَثْنُوا إِلَىٰ راحَةِ التَّقْصِيرِ في أَمْرِهِ رِقابَهُمْ، وَلاَ تَعْدُوا عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلادَةُ الْغَفَلاتِ، وَلاَ تَنْتَضِلُ في هِمَمِهِمْ خَدائِعُ الشَّهَواتِ.

قَدِ اتَّخَذُوا ذَا الْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِم، ويَمَّمُوهُ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْخَلْقِ إِلَى الْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ، لا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غايَةِ عِبادَتِهِ، وَلاَ يَرْجِعُ بِهِمُ الاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طاعَتِهِ، إِلاَّ إِلى مَوادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيرَ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجائِهِ ومَخافَتِهِ، لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ فَيَنُوا في جِدِّهِمْ، وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الأَطْماعُ فَيُؤْثِرُوا وَشيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهادِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا ما مَضى مِنْ أَعْمالِهِمْ، وَلَوْ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجاءُ مِنْهُمْ شَفَقاتِ وَجَلِهِمْ وَلَمْ يَخْتَلِفُوا في رَبِّهِمْ بِاسْتِحْواذِ الشَّيْطانِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقاطُعِ، وَلاَ تَوَلاَّهُمْ غِلُّ التَّحاسُدِ، وَلاَ شَعَّبَتْهُمْ مَصارِفُ الرِّيَبِ، وَلاَ اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيافُ الْهِمَمِ، فَهُمْ أَسْراءُ إِيمانٍ لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلاَ عُدُولٌ، وَلاَ وَنًا وَلاَ فُتُورٌ، وَلَيْسَ في أَطْباقِ السَّمْوَاتِ مَوْضِعُ إِهابٍ إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ ساجِدٌ، أَوْ ساعٍ حافِدٌ، يَزْدادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً، وتَزْدادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ في قُلُوبِهِمْ عِظَماً.

اللغة

(**عمارة**) المنزل جعله أهلاً ضدّ الخراب الذي لا أهل له يقال: عمر الله منزلك عمارة وأعمره جعله أهلاً و(**الصفيح**) السّماء ووجه كلّ شيء عريض قاله في «القاموس»، ووصفه بالأعلى بالنسبة إلى الأرض لأنّه الصفيح الأسفل، فما في شرح المعتزلي من تفسيره بسطح الفلك الأعظم ليس بشيء بل مخالف لكلام الإمام عليه السلام مضافاً إلى مخالفته لتفسير أهل اللغة إذ كلامه هنا وفي الخطبة الأولى صريح في عدم اختصاص مسكن الملائكة بالفلك الأعظم، حيث قال ثمة: ثم فتق ما بين السّماوات العلى فملأهنّ أطواراً من ملائكته، وذكر هنا أنه تعالى (**ملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق أجوائها**).

و(**الملكوت**) كرهبوت العز والسلطان، قال بعض اللّغويين: إن أهل التحقيق يستعلمون الملك في العالم الظاهر والملكوت في العالم الباطن، وقال: إن (**الواو**) و(**التاء**) فيه كما في رهبوت ورغبوت وجبروت وتربوت زيدتا للمبالغة فيكون معنى الملكوت الملك العظيم و(**الفجاج**) بكسر (**الفاء**) جمع فجّ بفتحها قال سبحانه:

﴿مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ﴾ [الحج: ٢٧].

وهو الطريق الواسع بين الجبلين و(**حشوت**) الوسادة بالقطن جعلتها مملوءة منه و(**الفجوات**) جمع فجوة وهي الفرجة والموضع المتّسع بين الشيئين و(**الزجل**) محرّكة رفع الصّوت مصدر زجل كفرح و(**الحظيرة**) (**بالحاء**) المهملة (**والظاء المعجمة الموضع الذي يحاط عليه لتأوي إليه الإبل والغنم وغيرهما ليقيها من الحرّ والبرد**) و(**القدس**) بسكون (**الدّال**) وضمها الطهر و(**السترات**) بضمّتين جمع سترة بالضّم وهو ما يستتر به كالسّتارة و(**السرادق**) الذي يمدّ فوق صحن البيت والبيت من الكرسف و(**المجد**) الشرف والعظمة و(**الرجيج**) الزلزلة والاضطراب ومنه رجيج البحر و(**استكت**) المسامع ضاقت وصمت.

قال الشّاعر:

ونبئت خير النّاس إنّك لمتني وتلك التي تستك منه المسامع

و(السّبحات) بضمتين النور والبهاء والجلال والعظمة وقيل: سبحات الوجه محاسنه لأنّك إذا رأيت الوجه الحسن قلت: سبحان الله تعجباً و(ردعه) كمنعه كفّه وردّه و(خسأ) البصر كلّ من باب منع والخاسىء من الكلاب ونحوها المبعد الذي لا يترك أن يدنو من النّاس و(تسبّح) من التّسبيح وفي بعض النسخ تسبح من السّباحة وفي هذه النسخة (خلال) بالخاء المعجمة المكسورة وهو وسط الشّيء أو جمع خلل بالتحريك وهو الفرجة بين الشيئين، وفي بعضها جلال بحار عزّته و(انتحل) الشيء إذا ادّعاه لنفسه وهو لغيره و(حمّلهم) بتشديد (الميم) و(الزّيغ) العدول عن الحق قال سبحانه:

﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴿١٧﴾﴾ [النجم: ١٧].

و(استعنت به) فأعانني وقد يتعدى بنفسه فيقال: استعنته فأعانني والاسم منه العون والمعانة والمعونة بفتح (الميم) وضم (الواو) على وزن مكرمة وبضم (العين) أيضاً واتباع (الواو) على وزن مقولة.

قال الفيومي: وزن المعونة مفعلة بضم (العين) وبعضهم يجعل (الميم) أصلية ويقول: هي مأخوذة من الماعون ويقول: هي فعولة و(أشعر) قلوبهم من شعرت بالشيء شعوراً من باب قعد علمت وقيل: مأخوذ من الشعار وهو ما يلبس تحت الدّثار أي ألزم قلوبهم تشبيهاً بلزوم الشعار للبدن و(أخبت) الرجل خضع لله وخشع قلبه و(السكينة) الوقار والطمأنينة والمهابة و(الذّلل) بضمّتين جمع الذّلول وهو ضد الصّعب و(مجّده) تمجيداً عظمه وأثنا عليه والجمع للدّلالة على الأنواع و(الأعلام) جمع علم بالتحريك وهو الجبل الطويل قال الشاعر:

ربما أوفيت في علم ترفعن ثوبي شمالات

و(الأصر) الثقل و(العقب) جمع العقبة كغرف وغرفة وهي النوبة واللّيل والنّهار يتعاقبان أي يتناوبان ويجيء كلّ منهما بعد الآخر و(نوازعها) في بعض النسخ (بالعين) المهملة من نزع في القوس إذا مدّها وفي بعضها (بالغين) المعجمة من نزغ الشيطان بين القوم أي أفسد و(الاعتراك) الازدحام و(قدح) بالزند من باب منع أي رام الإيراء به وهو استخراج النّار و(أحن) الرّجل من باب تعب حقد وأضمر العداوة، والأحنة اسم منه والجمع إحن كسدرة وسدر و(لاق) الشّيء بغيره أي لزق ومنه الليقة للصوق المداد بها و(الاقتراع) الضرب بالقرعة والاختيار.

وفي شرح المعتزلي: هو من الاقتراع بالسهام بأن يتناوب كل من الوساوس عليها، والأنسب أن يجعل المزيد بمعنى المجرد يقال: قرعته بالمقرعة ضربته بها، وفي بعض النسخ

فتفترع (**بالفاء**) من فرعه أي علاه والأول أنسب بالطبع و(**الرّين**) بالنون كما في بعض النسخ وهو الدنس والطبع والغطاء وران ذنبه على قلبه ريناً غلب، وفي بعضها (**بالياء**) الموحدة بمعنى الشّك.

و(الغمام) جمع الغمامة و(الدلح) (**بالحاء**) المهملة جمع دالح كراكع وركع يقال سحاب دالح أي ثقيل بكثرة مائه و(**الشمّخ**) (**بالخاء**) المعجمة جمع الشامخ وهو المرتفع العالي و(**القترة**) بالضم بيت الصائد الذي يستتر به عند تصيده من خصّ ونحوه، والجمع قتر مثل غرفة وغرف و(**الأيهم**) الذي لا يهتدي فيه ومنه فلاة يهماء و(**تخوم**) الأرض بالضّم حدودها ومعالمها، قال الفيومي: التخم حدّ الأرض والجمع تخوم مثل فلس وفلوس، وقال ابن الأعرابي وابن السّكيت: الواحد تخوم والجمع تخم مثل رسول ورسل.

و(**ريح هفافة**) طيبة ساكنة و(**وصلت**) في بعض النسخ (**بالسين**) المهملة المشدّدة يقال: وسّل إلى الله توسيلاً وتوسل أي عمل عملاً يقرب به إليه و(**الوله**) محركة شدة الوجد أو ذهاب العقل و(**شربوا بالكأس**) بتثليث (**الرّاء**) والكاس مؤنثة و(**الرّوية**) المرويُة التي تزيل العطش و(**سويداء**) القلب وسودلؤة حبته و(**الوشيجة**) في الأصل عرق الشجرة يقال: وشجت العروق والأغصان أي اشتبكت و(**حنيت**) العود ثنيته وحنّيت ضلعي عوّجته ويقال للرّجل إذا انحنى من الكبر: حناه الدّهر.

و(**اعجب**) زيد بنفسه على البناء للمفعول إذا ترفّع وسرّ بفضائله وأعجبني حسن زيد إذا أعجبت منه قال الفيومي: والتعجب على وجهين أحدهما ما يحمده الفاعل ومعناه الاستحسان والإخبار عن رضاه به، والثاني ما يكرهه ومعناه الإنكار والذم له ففي الاستحسان يقال: أعجبني بالألف وفي الذم والإنكار عجبت وزان تعبت و(**الفترات**) جمع الفترة مصدر بنيت للمرّة من فتر الشيء فتوراً سكن بعد حدّة ولانَ بعد شدّة.

و(**دأب**) في عمله من باب منع دأباً ودآباً بالتحريك ودؤباً بالضم جدّ وتعب.

و(**غاض**) الماء غيضاً من باب سار قل ونقص و(**أسلة**) اللسان طرفه ومستدقه و(**الهمس**) محركة الصوت الخفي و(**الجوار**) وزان غراب رفع الصوت بالدّعاء والتضرع و(**المقاوم**) جمع مقام و(**ثنا**) الشيء يثني ويثنو من باب رمى ودعا ردّ بعضه على بعض وثنيته أيضاً أي صرفته إلى حاجته و(**بلد**) الرّجل بالضم بلادة فهو بليد أي غير فطن ولا زكي و(**ناضلته**) مناضلة راميته فنضلته نضلاً من باب قتل غلبته في الرّمي وانتضل القوم رموا للسبق و(**الهمة**) ما همّ به من أمر ليفعل و(**يممته**) قصدته و(**الأمد**) المنتهي وقد يكون بمعنى امتداد المسافة و(**رجع**) يكون لازماً ومتعدّياً تقول: رجع زيد ورجعته أنا و(**اهتر**) فلان بكذا واستهتر بالبناء للمفعول فهو مهتر ومستهتر بالفتح أولع به لا يتحدث بغيره ولا يفعل غيره، والاستهتار الولع بالشيء لا يبالي بما

فعل فيه وشتم له.

و(**الوني**) الضّعف والفتور من وني في الأَمر من باب تعب ووعد و(**الوشيك**) القريب والسّريع و(**نسخ**) الشيء إزالته وإبطاله و(**استحوذ**) عليه الشيطان استولى و(**التقاطع**) التعادي وترك البرّ والإحسان و(**تولّيت**) الأمر قمت به و(**الغلّ**) الحقد و(**الشعبة**) من كلّ شيء الطائفة منه وشعَبهم أي فرقهم وفي بعض النّسخ تشعبّتهم على التفعل والأوّل أظهر و(**الرّيب**) جمع الريبة وهو الشّك.

و(**أخياف**) الهمم اختلافها وأصله من الخيف بالتحريك مصدر من باب تعب وهو أن يكون إحدى العينين من الفرس زرقاء والأخرى كحلاء، فالفرس أخيف والنّاس أخياف أي مختلفون، ومنه قيل لأخوة الأمّ أخياف لاختلافهم من حيث الأب و(**الإهاب**) ككتاب الجلد و(**الحافد**) المسرع والخفيف في العمل ويجمع على حفد بالتحريك ويطلق على الخدم لإسراعه في الخدمة و(**العظم**) وزان عنب خلاف الصّغر مصدر عظم وفي بعض النّسخ بالضمّ وزان قفل وهو اسم من تعظم أي تكبّر.

الإعراب

قوله: (**وبين فجوات**) (آه) الجملة حال من مفعول حشا، وقوله: (**وراء ذلك**) خبر قدم على مبتدئِهِ وهو (**سبحات**)، (**والأبصار**) في بعض النسخ بالنصب على أنّه مفعول تردع وفاعله راجع إلى سبحات، وفي بعضها بالرّفع على بناء تردع للمفعول، (**وأنشأهم**) عطف على (**ملأ بهم**)، (**وأولي أجنحة**) حال من مفعول أنشأ، وجملة (**تسبح**) صفة لأولي أجنحة أو لأجنحة، وجملة (**لا يتنحلون**) حال، (**واللاّم**) في قوله: (**بالقول**) عوض عن المضاف إليه أي لا يسبقون الله بقولهم.

وقوله: (**إلى المرسلين**) متعلق بحملهم على تضمين معنى البعث أو الإرسال أو نحوه، (**وودائع أمره**) بالنصب مفعول حمّلهم، وجملة (**لم تثقلهم**) استئناف بياني، (**والباء**) في قوله عليه السلام: (**وشربوا بالكأس**) إمّا للاستعانة، أو بمعنى (**من**) وربما يضمن الشّرب معنى الالتذاذ ليتعدى (**بالباء**) وكلمة (**من**) في قوله عليه السلام: (**من قلوبهم**) ابتدائية أي إلى موادّ ناشئة من قلوبهم، وفي قوله عليه السلام: (**من رجائه**) بيانيّة، فالمراد الخوف والرجاء الباعثان لهم على لزوم الطاعة، ويحتمل أن (**تكون**) الأولى بيانية أو ابتدائية والثانية صلة للانقطاع.

المعنى

اعلم أن هذا الفصل من كلامه عليه السلام متضمّن لبيان صفات الملائكة وكيفية خلقتهم وحالة عبوديتهم وخشوعهم وذلّتهم لمعبودهم، وقد مضى شطر واف من الكلام على هذا العنوان في

شرح الفصل التاسع من فصول الخطبة الأولى، وتقدّم ثمة ما ينفعك في هذا المقام ولما كان العرض من هذه الخطبة الإشارة إلى عظمة الله سبحانه وقدرته والإبانة عن الصّفات الجمالية والجلالية له تعالى، وكان ملائكة السماوات من أفضل الموجودات وأشرف المجعولات وعجائب الخلائق وبدائع الصّنائع وعظم المخلوق كان دالاً على عظم الخالق وبديع صنعة المصنوع كان دليلاً على كمال قدرة الصّانع وتدبيره وحكمته، لا جرم ساق عليه السلام هذا الفصل لبيان حالهم وضمنه ذكر أوصافهم المختلفة وشؤوناتهم المتفاوتة بعبارات رائقة وبدائع فائقة.

قال الشّارح المعتزلي ولنعم ما قال: إذا جاء هذا الكلام الرّباني واللّفظ القدسي بطلت فصاحة العرب وكانت نسبة الفصيح من كلامها إليه نسبة التراب إلى النضار الخالص، ولو فرضنا أن العرب تقدر على الألفاظ الفصيحة المناسبة أو المقاربة لهذه الألفاظ من أين لهم المادة التي عبرت هذه الألفاظ عنها ومن أين تعرف الجاهلية بل الصحابة المعاصرون لرسول الله صلى الله عليه وآله هذه المعاني الغامضة السّمائية ليتهيأ لها التعبير عنها.

أما الجاهلية فإنّهم إنما كانت تظهر فصاحتهم في صفة بعير أو فرس أو حمار وحش أو ثور فلاة أو صفة جبال أو فلوات ونحو ذلك.

وأما الصّحابة المذكورون منهم بفصاحة إنما كان منتهى فصاحة أحدهم كلمات لا تتجاوز السطرين أو الثلاثة إما في موعظة تتضمّن ذكر الموت أو ذم الدنيا وما يتعلّق بحرب وقتال من ترغيب أو ترهيب.

فأمّا الكلام في الملائكة وصفاتها وعبادتها وتسبيحها ومعرفتها بخالقها وحبّها له وولهها إليه وما جرى مجرى ذلك ممّا تضمّنه هذا الفصل بطوله فإنّه لم يكن معروفاً عندهم على هذا التّفصيل، نعم ربّما علموه جملة غير مقسمة هذا التقسيم ولا مرتبة هذا الترتيب بما سمعوه من ذكر الملائكة في القرآن العظيم، فثبت أن هذه الأمور الدقيقة مثل هذه العبارة الفصيحة لم تحصل إلا لعلي عليه السلام وحده، وأقسم أن هذا الكلام إذا تأمّله اللّبيب اقشعر جلده ورجف قلبه واستشعر عظمة الله العظيم في روعه وخلده وهام نحوه وغلب الوجد عليه وكاد أن يخرج من مسكه شوقاً وأن يفارق هيكله صبابة ووجداً[1].

إذا عرفت ذلك فلنعد إلى شرح كلامه عليه السلام فأقول: قال عليه السلام: **(ثم خلق سبحانه لإسكان سمواته وعمارة الصّفيح الأعلى من ملكوته خلقاً بديعاً من ملائكته)** ظاهر كلمة (ثم) المفيد للترتيب الحقيقي كون خلق الملائكة بعد خلقة السّماوات، ويدل عليه أخبار كثيرة إلاّ أن في بعض الرّوايات سبق خلقة الملائكة على خلقة السّماوات، ويمكن الجمع بالتخصيص هٰهنا

---

(١) شرح نهج البلاغة: ٦/ ٤٢٦.

بسكان السّماوات الذين لا يفارقونها، والمراد بالصفيح الأعلى سطح كلّ سماء، ويقابله الصفيح الأسفل الذي هو الأرض، ويظهر من ذلك عدم تلاصق السّماوات على ما ذهبت إليه الفلاسفة من غير دليل يعتمد عليه.

وأمّا ما في شرح البحراني من أنّه يحتمل أن يشير ﷺ بالصّفيح الأعلى إلى الفلك التاسع وهو العرش لكونه أعظم الأجرام وأعلاها وسكانه الملائكة المدبّرون له، فمبني على أصول الفلاسفة مخالف للأخبار وكلام أهل اللغة حسبما عرفت آنفاً في ترجمة لفظ الصفيح، ومخالف أيضاً لظاهر قوله ﷺ: (فملأ بهم فروج فجاجها وحشا بهم فتوق أجوائها) إذ المستفاد من ذلك أن ما بين السّماوات مملوّة بهم فتكون السّطوح المحدّ به منها محل إسكان الملائكة ومكان عبادتهم لله سبحانه بأنواع العبادة ويستفاد منه أيضاً تجسم الملائكة وهو المستفاد من الأخبار المتواترة معنى.

والعجب أن شارح البحراني أوّل ذلك أيضاً بناء على الأصول الفاسدة بأنه ﷺ استعار لفظ الفروج والفجاج والفتوق لما يتصور بين أجزاء الفلك من التباين لولد الملائكة الذين هم أرواح الأفلاك وبها قام وجودها، وبقاء جواهرها محفوظة بها، ووجه المشابهة ظاهر، ورشح تلك الاستعارة بذكر الملاء والحشو، وأما فجاجها وفروجها فإشارة إلى ما يعقل بين أجزائها وأجوائها المنتظمة على التباس لولا الناظم لها بوجود الملائكة، فيكون حشو تلك الفرج بالملائكة كناية عن نظامها بوجودها وجعلها مدبرة لها، انتهى.

وقد مضى فساد ذلك وبطلانه في شرح الفصل التاسع من فصول الخطبة الأولى فتذكر (**وبين فجوات تلك الفروج**) ومتسعاتها (**زجل المسبّحين منهم**) وأصواتهم الرفيعة العالية بالتضرع والابتهال والمسكنة (**في حظائر القدس وسترات الحجب وسرادقات المجد**) لعلّ المراد بها المواضع المعدّة لعبادة الملائكة بين أطباق السّماوات ووصفها بالقدس من حيث اتصافها بالطهارة والنزاهة من الأدناس والأرجاس ويمكن أن تكون الإشارة بها إلى ما فوق السماء السّابعة من الحجب والسّرادقات النورانية.

ففي الخبر أنّ ما فوق السّماء السابعة صحاري من نور، ولا يعلم فوق ذلك إلاّ الله(١).

وعن وهب بن منبه فوق السّماوات حجب فيها ملائكة لا يعرف بعضهم بعضاً لكثرتهم يسبّحون الله تعالى بلغات مختلفة وأصوات كالرّعد العاصف، هذا.

وقد أشار ﷺ إلى تفصيل الحجب والسرادقات فيما رواه الصّدوق في «التوحيد» بإسناده عن زيد بن وهب قال: سئل أمير المؤمنين ﷺ عن الحجب، فقال ﷺ: أوّل

(١) بحار الأنوار: ٥٥/ ١٠٤ ح ٣٠، وسبل الهدى والرشد: ٣/ ١٨.

الحجب سبعة غلظ كل حجاب منها مسيرة خمسمائة عام وبين كل حجابين مسيرة خمسمائة عام، والحجاب الثاني سبعون حجاباً بين كلّ حجابين مسيرة خمسمائة عام وطوله خمسمائة عام حجبة كلّ حجاب منها سبعون ألف ملك قوة كلّ ملك منهم قوة الثقلين منها ظلمة، ومنها نور، ومنها نار، ومنها دخان، ومنها سحاب، ومنها برق، ومنها مطر، ومنها رعد، ومنها ضوء، ومنها رمل، ومنها جبل، ومنها عجاج، ومنها ماء، ومنها أنهار، وهي حجب مختلفة غلظ كلّ حجاب مسيرة سبعين ألف عام.

ثم سرادقات الجلال وهي ستون «سبعون» سرادقاً في كلّ سرادق سبعون ألف ملك بين كلّ سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة عام، ثم سرادقات العز، ثم سرادق الكبرياء، ثم سرادق العظمة، ثم سرادق القدس، ثم سرادق الجبروت، ثم سرادق الفخر، ثم سرادق النور الأبيض، ثم سرادق الوحدانية، وهو مسيرة سبعين ألف عام في سبعين ألف عام، ثم الحجاب الأعلى، وانقضى كلامه عليه السلام وسكت، فقال له عمر: لابقيت ليوم لا أراك فيه يا أبا الحسن(١).

قال المجلسي (ره) بعد رواية ذلك في «البحار»: قوله عليه السلام: **(منها ظلمة)**، لعلّ المراد من مطلق الحجب لا من الحجب المتقدّمة كما يدلّ عليه قوله: **(غلظ كلّ حجاب) (١٠)** **(ووراء ذلك الرجيج الذي تستك منه الأسماع)** والزجل الذي تنسدّ منه الآذان **(سبحات نور تردع الأبصار عن بلوغها)** وتمنع الأعين عن وصولها لشدّة ضيائها وفرط بهائها **(فتقف)** الأبصار **(خاسئة)** حسيرة **(على حدودها)** أي حدود تلك السبحات، ويستفاد من شرح المعتزلي رجوع الضمير إلى الأبصار، قال: أي تقف حيث تنتهي قوتها، لأنّ قوتها متناهية فإذا بلغت حدها وقفت، هذا.

والمراد بسبحات النور إما الأنوار التي تغشي العرش.

ويدلّ عليه ما روي عن ميسرة قال: لا تستطيع الملائكة الذين يحملون العرش أن ينظروا إلى ما فوقهم من شعاع النور.

وعن زاذان قال: حملة العرش أرجلهم في التخوم لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور.

وفي حديث المعراج قال: ورأيت في علّيين بحاراً وأنواراً وحجباً وغيرها لولا تلك لاحترق كلّ ما تحت العرش من نور العرش، وأمّا حجب النور التي دون العرش، ويؤيّده ما في الحديث أن جبرئيل عليه السلام قال لله سبحانه: دون العرش سبعون حجاباً لو دنونا من أحدها

(١) الخصال: ٤٠١، وروضة الواعظين: ٤٥.

لأحرقتنا سبحات وجه ربّنا، وفي حديث آخر من طرق المخالفين حجابه النّور والنّار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كلّ شيء أدركه بصره.

وقال الشّارح البحراني (ره): أشار عليه السلام بسبحات النّور الّتي وراء ذلك الرّجيج إلى جلال وجه الله وعظمته وتنزيهه أن يصل إليه أبصار البصائر، ونبّه بكون ذلك وراء رجيجهم على أنّ معارفهم لا تتعلّق به كما هو، بل وراء علومهم وعباداتهم أطوار أخرى من جلاله تقصر معارفهم عنها وتردع أبصار البصائر عن إدراكها فترجع حسيرة متحيّرة واقفة عند حدودها وغاياتها من الإدراك.

أقول: وهو لا ينافي ما ذكرناه إذ ما ذكرته تفسير للظّاهر وما ذكره الشّارح تأويل للباطن، وقد تقدّم في شرح الخطبة التي قبل هذه الخطبة ما ينفعك ذكره في هذا المقام (**أنشأهم على صور مختلفات وأقدار متفاوتات أولي أجنحة تسبّح جلال عزّته**) قال الشّارح البحراني: اختلاف صورهم كناية عن اختلافهم بالحقائق وتفاوت أقدارهم تفاوت مراتبهم في الكمال والقرب منه، ولفظ الأجنحة مستعار لقواهم التي بها حصلوا على المعارف الإلهيّة وتفاوتها بالزيادة والنّقصان كما قال تعالى:

﴿أُوْلِىٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ [فاطر: ١].

كناية عن تفاوت إدراكهم لجلال الله وعلومهم بما ينبغي له، ولذلك جعل الأجنحة هي التي تسبّح جلال عزّته فإن علمهم بجلاله منزّه عمّا لا ينبغي لكرم وجهه ولا يناسب جلال عزّته.

أقول: تسليط يد التّأويل على الظواهر من غير دليل هدم لأساس الشّريعة وحمل اللّفظ على المجازات إنّما هو عند تعذر إرادة الحقيقة، وأمّا مع إمكانها ودلالة الدّليل عليها فهو خلاف السيرة المستمرة مناف لمقتضى الأصول اللفظية المتداولة بين أهل اللّسان من العرب ومن حذا حذوهم من علماء الأصول والأدب.

بل المراد إنشاءهم على صور مختلفة وأشكال متشتّتة فبعضهم على صورة الإنسان وبعضهم على صورة الحيوان من الأسد والثور والدّيك وغيرها من أصناف الحيوان على ما ورد في الأخبار، وبعضهم أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع يزيد سبحانه عليها ما يشاء على وفق حكمته ومقتضى تدبيره وإرادته.

وإيجادهم على أقدار متفاوتة في الصغر والكبر والطّول والقصر، روى علي بن إبراهيم القمّيّ (ره) في تفسير قوله سبحانه:

﴿جَاعِلِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِىٓ أَجۡنِحَةٖ مَّثۡنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَۚ﴾ [فاطر: ١].

عن الصّادق عليه السلام أنه قال: خلق الله الملائكة مختلفين، وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل وله ستمائة جناح على ساقه الدّر مثل القطر على البقل قد ملأ ما بين السّماء والأرض، وقال: إذا أمر الله ميكائيل بالهبوط إلى الدّنيا صارت رجله اليمنى في السّماء السّابعة والأخرى في الأرض السّابعة، وأن لله ملائكة أنصافهم من برد وأنصافهم من نار يقولون: يا مؤلّفاً بين البرد والنّار ثبّت قلوبنا على طاعتك، وقال: إنّ لله ملكاً بعد ما بين شحمة أذنه إلى عينه مسير خمسمائة عام بخفقان الطير، وقال عليه السلام: إنّ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون وإنما يعيشون بنسيم العرش وإن لله ملائكة ركعاً إلى يوم القيامة وإنّ لله ملائكة سجّداً إلى يوم القيامة(١).

ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: ما من شيء ممّا خلق الله أكثر من الملائكة وأنّه ليهبط في كلّ يوم أو في كلّ ليلة سبعون ألف ملك فيأتون البيت الحرام فيطوفون به ثم يأتون رسول الله صلى الله عليه وآله ثم يأتون أمير المؤمنين عليه السلام فيسلّمون عليه ثم يأتون الحسين عليه السلام فيقيمون عنده، فإذا كان وقت السّحر وضع لهم معراج إلى السّماء ثمّ لا يعودون أبداً(٢).

وفي «التّوحيد»: بإسناده عن زيد بن وهب قال: سئل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام عن قدرة الله جلّت عظمته، فقام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

إنّ لله تبارك وتعالى ملائكة لو أنّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظمة خلقته وكثرة أجنحته، ومنهم من لو كلّفت الجنّ والإنس أن يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف من ملائكته من سبعمائة عام ما بين منكبيه وشحمة أذنيه، ومنهم من يسدّ الأفق بجناح من أجنحته دون عظم بدنه، ومنهم من السّماوات إلى حجزته(٣)، ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبتيه، ومنهم من لو ألقى في نقرة إبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم من لو ألقيت السفن في دموع عينه لجرت دهر الداهرين فتبارك الله أحسن الخالقين(٤).

وفيه بإسناده عن ابن عباس عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ لله تبارك وتعالى ديكاً رجلاه في تخوم الأرض السّابعة ورأسه عند العرش ثاني عنقه تحت العرش «إلى أن قال»: ولذلك الدّيك جناحان إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب، فإذا كان في آخر اللّيل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح يقول: سبحان الملك القدّوس الكبير المتعال لا إله إلا الله الحي القيوم، فإذا

---

(١) بحار الأنوار: ٥٦/ ١٧٤ ح ٤، وميزان الحكمة: ٤/ ٢٩٣١ ح ٣٧٠٨.

(٢) كامل الزيارات: ٢٢٤ ح ٣٣٠، ووسائل الشيعة: ١٤/ ٣٧٥ ح ١٩٤١٩.

(٣) الحجزة معقد الأزار.

(٤) الخصال: ٤٠١، والتوحيد: ٢٧٨.

فعل ذلك سبحت ديكة الأرض كلّها وخفقت بأجنحتها وأخذت في الصّراخ، فإذا سكن ذلك الدّيك في السّماء سكنت الديكة في الأرض فإذا كان في بعض السحر نشر جناحيه فجاوز بهما المشرق والمغرب وخفق بهما وصرخ بالتسبيح سبحان الله العظيم العزيز القهار سبحان الله ذي العرش المجيد سبحان الله ربّ العرش الرّفيع، فإذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض فإذا هاج هاجت الدّيكة في الأرض تجاوبه بالتسبيح والتقديس لله عزّ وجل ولذلك الدّيك ريش أبيض كأشدّ بياض رأيته قط وله زعباً خضر تحت ريشه الأبيض كأشد خضرة رأيتها قط فما زلت مشتاقاً إلى أن أنظر إلى ريش ذلك الدّيك.

وبهذا الإسناد عن النبي ﷺ قال: إنّ لله تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة نصف جسده الأعلى نار ونصفه الأسفل ثلج، فلا النّار تذيب الثلج ولا الثلج تطفيء النّار وهو قائم ينادي بصوت رفيع: سبحان الله الذي كفّ حرّ هذه النّار فلا يذيب الثلج وكفّ برد هذا الثلج فلا يطفيء حر النّار اللّهم يا مؤلّفاً بين الثلج والنّار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك[(١)]، هذا.

وبقي الكلام في قوله ﷺ: (أولي أجنحة تسبح جلال عزته)، فأقول: إن كانت تسبح بالتخفيف والخلال بالخاء المعجمة فالمراد سباحتهم وسيرهم في أطباق السّماوات وفوقها أو نزولهم وصعودهم لأداء الرّسالات وغيرها أو سيرهم في مراتب القرب بالعبادة والتسبيح.

وأمّا على رواية التشديد وكون الجلال **(بالجيم)** فالجملة إما صفة لأولي أجنحة فالتأنيث باعتبار الجماعة والمقصود أنهم يسبحونه ويقدّسون جلاله وعظمته وعزته وقوله سبحانه من النقائص:

إما صفة لأجنحة فالمقصود بالتسبيح.

وإما التنزيه والتقديس بلسان الحال إذ كلّ جناح من أجنحتهم بل كل ذرّة من ذرّات وجودهم ناطقة بلسان حالها شارحة لعظمة بارئها ومبدعها، برهان صدق على قدرته وقوته وكماله، ودليل متين على تدبيره وحكمته وجلاله، وهذا عام لجميع الملائكة.

وإما التنزيه بلسان المقال وهو مخصوص ببعض الملائكة.

ويشهد به ما رواه في «التوحيد» بإسناده عن ابن عباس عن النبيّ ﷺ قال: إنّ لله تبارك وتعالى ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلا وهو يسبح الله عزّ وجلّ ويحمده من ناحية بأصوات مختلفة لا يرفعون رؤوسهم إلى السماء ولا يخفضونها إلى أقدامهم من البكاء والخشية لله عزّ وجلّ[(٢)].

---

(١) بحار الأنوار: ٥٧/ ٢٤٩.

(٢) التوحيد: ٢٨ ح ٦، وبحار الأنوار: ١٨/ ٣٢٤.

وعن جميل بن درّاج قال: سألت أبا عبد الله ﷺ هل في السماء بحار؟ قال ﷺ: نعم أخبرني أبي عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عزّ وجلّ والماء إلى ركبهم ليس فيهم ملك إلاّ وله ألف وأربع مائة جناح في كلّ جناح أربعة وجوه في كلّ وجوه[١] أربعة ألسن ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلا وهو يسبح الله عزّ وجلّ بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه، والله أعلم بحقائق ملكه وملكوته، وآثار جلاله وجبروته[٢].

ثمّ وصف ﷺ الملائكة بأنهم **(لا ينتحلون ما ظهر في الخلق من صنعه ولا يدعون أنهم يخلقون شيئاً معه مما انفرد به)** أي لا يدعون الرّبوبية لأنفسهم كما يدّعيه البشر لهم ولأنفسهم فالفقرة الأولى لنفي ادعاء الاستبداد والثانية لنفي ادّعاء المشاركة أو الأولى لنفي ادعائهم الخالقية فيما هم وسائط وجوده ولهم مدخل فيه بأمره سبحانه والثانية لنفي ذلك فيما خلقه الله سبحانه بمجرّد أمره من دون توسط الوسائط **(بل)** هم **(عبادع مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون)** وهو اقتباس من قوله سبحانه في سورة الأنبياء:

﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَانَهُ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧] الآية.

قيل: نزلت في خزاعة حيث قالت: الملائكة بنات الله، فنزّه الله سبحانه نفسه عن ذلك وقال سبحانه أنفة له: بل هؤلاء الذين زعموا أنهم ولد الله ليسوا أولاده، بل هم عباد مكرمون أكرمهم الله واصطفاهم لا يسبقونه بالقول ولا يتكلّمون إلاّ بما يأمرهم به ربهم، فكلّ أقوالهم طاعة لربهم ويكفي بذلك جلالة قدرهم، وهم بأمره يعملون، ومن كان بهذه الصفة لا يوصف بأنه ولد.

(جعلهم) الله **(فيما هنالك أهل الأمانة على وحيه، وحملهم إلى المرسلين ودائع أمره ونهيه)** لعلّ هذا الوصف مختص ببعض الملائكة ويشهد به قوله سبحانه:

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ [الحج: ٧٥].

ويكفي للنسبة إلى الجميع كون بعضهم كذلك وما هنالك عبارة عن مراتب الملائكة ويدل على الاختصاص بالبعض أيضاً قوله ﷺ في الفصل التاسع من الخطبة الأولى: **(ومنهم أمناء على وحيه وألسنة إلى رسوله ومختلفون بقضائه وأمره)**، وقد تقدّم في شرح ذلك الفصل

(١) في نسخة: وجه.

(٢) التوحيد: ٢٨١ ح ٩، ونور البراهين: ٢/١٠٧ ح ٩.

ما ينفعك ذكره في المقام وبينا ثمة وجه الحاجة في أداء الأمانة إلى وجود الواسطة من الملائكة وأشرنا إلى جهة وصفهم بالأمانة.

ومحصله أنه لما كان ذو الأمانة هو الحافظ لما ائتمن عليه ليؤدّيه إلى مستحقه وكانت الرّسلات النازلة بواسطة الملائكة نازلة كما هي محفوظة عن الخلل الصادر عن سهو لعدم أسباب السّهو هناك أو عن عمد لعدم الدّاعي إليه لقوله تعالى:

﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ۩﴿٥٠﴾﴾ [النحل: ٥٠].

صدق أنهم أهل الأمانة على وحيه ورسالاته (**وعصمهم من ريب الشبهات فما منهم زائغ عن سبيل مرضاته**) هذا الوصف عام لجميع الملائكة لأنهم معصومون من الشك والاشتباه الناشيء من معارضة النفس الأمارة للقوة العاقلة إذ ليس لهم هذه النفس فلا يتصور في حقهم العدول عن سبيل رضوان الله والانحراف عن القصد لانتفاء سببه الذي هو وجود هذه النفوس.

(**وأمدّهم بفوائد المعونة وأشعر قلوبهم تواضع أخبات السّكينة**) لعلّ المراد أنّه سبحانه أعطاهم المدد والقوّة وأيّدهم بأسباب الطاعات والقربات والألطاف والمعارف الصّارفة لهم عن المعصية وأنه ألزم قلوبهم التواضع والذلة والخضوع والاستكانة لزوم الشعار للجسد أو أنه أعلمهم ذلك، ومحصّله عدم انفكاكهم عن الخوف والخشوع وقد مرّ بعض الأخبار فيه في شرح الفصل التاسع من الخطبة الأولى.

(**وفتح لهم أبواباً ذللاً إلى تماجيده**) أي فتح لهم أبواباً سهلة إلى تعظيماته والثناء عليه، والجمع باعتبار أنواع التحيات وفتح الأبواب كناية عن إلهامها عليهم وتسهيلها لهم لعدم معارضة شيطان أو نفس أمارة بالسوء، بل خلقهم خلقة يلتذون بها كما ورد: أن شرابهم التّسبيح وطعامهم التقديس.

(**ونصب لهم مناراً واضحة على أعلام توحيده**) استعار لفظ الإعلام لأدلة التّوحيد وبراهين التفريد ووجه المشابهة إيصال كلّ منهما إلى المطلوب، ولعله أراد بالمنار الواضحة المنصوبة على تلك الأعلام ما يوجب لهم الاهتداء إلى تلك الأدلة من الوحي والإلهام.

وربما قيل في شرح ذلك: أنه استعار المنار الواضحة للوسائط من الملائكة المقربين بينهم وبين الحق سبحانه إذ إخباره عن الملائكة السّماوية ولفظ الإعلام لصور المعقولات في ذواتهم المستلزمة لتوحيده وتنزيهه عن الكثرة، ووجه المشابهة أن المنار والإعلام كما تكون وسائط في حصول العلم بالمطلوب كذلك الملائكة المقرّبون والمعارف الحاصلة بواسطتهم تكون وسائط في الوصول إلى المطلوب الأول محرّك الكلّ عز سلطانه، وهو قريب مما قلناه إلا إن ما قلناه أظهروا أشبه هذا.

وأمّا توصيف المنار بوصف الوضوح فمن أجل وفور أسباب الهداية وكثرة الدلائل في

حقهم لقربهم من سياحة عزّه وملكوته ومشاهدتهم ما يخفى علينا من آثار ملكه وجبروته.

(لم تثقلهم موصرات الآثام) أي مثقلاتها وأشار عليه السلام بذلك إلى عصمتهم من المعاصي لعدم خلق الشهوات فيهم وانتفاء النفس الأمارة الداعية إلى المعصية **(ولم ترتحلهم عقب اللّيالي والأيام)** أي لم يزعجهم تعاقبهما ولم يوجب رحيلهم عن دارهم، والمقصود تنزيههم عما يعرض للبشر من ضعف القوى أو القرب من الموت بكرور اللّيالي ومرور الأيام.

(ولم ترم الشّكوك بنوازعها عزيمة إيمانهم) عزيمة إيمانهم ما لزم ذواتهم من التّصديق بمبدعهم وما ينبغي له، والمراد أنه لم ترم الشكوك بمحركاتها وهي شهواتها ما عزموا عليه من الإيمان والتّصديق، هذا على رواية نوازعها **(بالعين)** المهملة وأما على روايتها **(بالغين)** المعجمة فالمقصود عدم انبعاث نفوسهم الأمارة بالشكوكات والشبهات وإلقائها الخواطر الفاسدة إلى أنفسهم المطمئنة.

(ولم تعترك الظنون على معاقد يقينهم) المراد بالظنّ إمّا الاعتقاد الراجح غير الجازم أو الشّك أو ما يشملهما، ولعل الأخير أظهر هنا، فالمقصود نفى ازدحام الظنون والأوهام على قلوبهم التي هي معاقد عقائدهم اليقينة.

(ولا قدحت قادحة الإحن فيما بينهم) أي لا تثير الأحقاد والعداوات بينهم فتنة كما تثير النار قادحتها لتنزّههم من القوة الغضبيّة **(ولاسلبتهم الحيرة ما لاق من معرفته بضمائرهم وسكن من عظمته وهيبة جلاله في أثناء صدورهم)** لمّا كانت الضيرة عبارة عن عدم الاهتداء إلى وجه الصواب من حيث تردّد العقل في أن أي الأمرين أولى بالطلب والاختيار، وكان منشأ ذلك معارضة الوهم والخيال للعقل ولم يكن لهم وهم ولا خيال، لا جرم لا حيرة تخالط عقائدهم وتزيل هيبة عظمته من صدورهم.

قال المجلسي (ره): ويحتمل أن يكون المراد بالحيرة الوله لشدّة الحب وكمال المعرفة كما سيأتي، فالمعنى أن شدّة ولههم لا توجب نقصاً في معرفتهم وغفلة عن ملاحظة العظمة والجلال كما في البشر، وعلى هذا فالسلب في كلامه عليه السلام راجع إلى المحمول كما أنه على ما قلناه راجع إلى الموضوع **(ولم تطمع فيهم الوساوس فتقترع برينها على فكرهم)** أي لم تطمع فيهم الوساوس الشّيطانية والنّفسانية فتتناوب أو تضرب بأدناسها على قلوبهم، والغرض نفي عروض الوساوس على عقولهم كما تعرض للبشر لانتفاء أسبابها في حقهم.

(منهم) أي من مطلق الملائكة **(من هو في خلق الغمام الدّلح)** أي السحاب الثقيلة بالمطر، والمراد بذلك الصّنف هم الذين مكانهم السحاب وهم خزان المطر وزواجر السحاب المشار إليهم بقوله سبحانه: والزاجرات زجراً.

قال ابن عباس: يعني الملائكة الموكلين بالسحاب فيشمل لمشيعي الثلج والبرد

والهابطين مع قطر المطر إذا نزل وإن كان السحاب مكانهم قبل النزول قال سيّد السّاجدين عليه السلام في دعائه في الصّلاة على حملة العرش وسائر الملائكة من الصحيفة الكاملة: وخزان المطروز واجر السحاب والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود وإذا سبحت به حفيفة السحاب التمعت صواعق البروق ومشيعي الثلج والبرد والهابطين مع قطر المطر إذا نزل، هذا.

ويحتمل أن يكون المقصود تشبيههم في لطافة الجسم بالسحاب، فيكون المعنى أنهم في الخلقة مثل خلق الغمام.

وكذلك قوله عليه السلام: (وفي عظم الجبال الشّمخ) يحتمل أن يراد به الملائكة الموكلون بالجبال للحفظ وسائر المصالح، وأن يراد به تشبيههم بالجبال في عظمة الخلقة.

وهكذا قوله: **(وفي قترة الظلام الأيهم)** محتمل لأن يراد به الملائكة السّاكنون في الظلمات لهداية الخلق وحفظهم أو غير ذلك، ولأن يراد به تشبيههم في السّواد بالظلمة.

(ومنهم من قد خرقت أقدامهم تخوم الأرض السّفلى، فهي كرايات بيض قد نفذت في مخارق الهواء وتحتها ريح هفّافة تحبسها على حيث انتهت من الحدود المتناهية) لعل المراد بهم الملائكة الموكلون بالأرض يقول عليه السلام: إنهم قد خرقت أقدامهم حدود الأرض السفلى ومعالمها وأقدامهم بمنزلة أعلام بيض قد نفذت في مخارق الهواء، وأراد بها المواضع التي تمكنت فيها تلك الأعلام بخرق الهواء، وتحت هذه الأعلام ريح طيبة ساكنة أي ليست بمضطربة فتموج تلك الرّايات تحبسها حيث انتهت، هذا.

وقال الشّارح البحراني: يشبه أن يكون هذا القسم من الملائكة السّماوية أيضاً واستعار لفظ الأقدام لعلومهم المحيطة بأقطار الأرض السفلى ونهاياتها، وجه الشبه كون العلوم قاطعة للمعلوم وسارية فيه واصلة إلى نهايته كما أن الأقدام تقطع الطريق وتصل إلى الغاية منها.

وتشبيهها بالرّايات البيض من وجهين:

أحدهما: في البياض لأن البياض لما استلزم الصّفاء عن الكدور والسّواد كذلك علومهم صافية عن كدورات الباطل وظلمات الشبه.

الثاني: في نفوذها في أجزاء المعلوم كما تنفذ الرّايات في الهواء، وأشار بالريح التي تحبس الأقدام إلى حكمة الله التي أعطت كلاماً يستحقه وقصرت كل موجود على حده وبهفوفها إلى لطف تصرّفها وجريانها في المصنوعات.

أقول: ولا بأس به وإن كان خروجاً عن الظاهر.

ثم أشار إلى استغراقهم في العبادة وثباتهم في المعرفة والمحبة بقوله: **(قد استفرغتهم أشغال عبادته)** أي جعلتهم فارغين عن غيرها **(ووصلت حقائق الإيمان بينهم وبين معرفته)** أراد

بحقائق الإيمان العقائد اليقينية تحقّ أن تسمى إيماناً أو البراهين الموجبة له، وكونها وصلة بينهم وبين معرفته من حيث إن التّصديق بوجود الشّيء الواجب تحصيله أقوى الأسباب الباعثة على طلبه فصار الإيمان والتصديق الحق بوجوده جامعاً بينهم وبين معرفته ووسيلة لهم إليه.

(وقطعهم الإيقان به إلى الوله إليه) أي صرفهم اليقين بوجوب وجوده عن التوجه والالتفات إلى غيره إلى ولههم إليه وتحيرهم من شدّة الوجد **(ولم تجاوز رغباتهم ما عنده إلى ما عند غيره)** أي رغباتهم مقصورة على ما عنده سبحانه من قربه وثوابه وكرمه، فإنه منتهى رغبة الراغبين وهو غاية قصد الطالبين.

(قد ذاقوا حلاوة معرفته) استعار عليه السلام لفظ الذّوق لتعقّلاتهم ورشحه بذكر الحلاوة وكنى بها عن كمال ما يجدونه من اللذّة بمعرفته كما يلتذ ذائق الحلاوة بها **(وشربوا بالكأس الرّوية من محبّته)** استعار لفظ الشرب لما تمكن في ذواتهم من كمال المحبة ورشحه بذكر الكأس الرويّة أي من شأنها أن تروي وتزيل العطش **(وتمكنت من سويداء قلوبهم وشيجة خيفته)** لما كان كمال استقرار العوارض القلبية من الحب والخوف ونحوهما عبارة عن بلوغها إلى سويداء القلب وتمكنها فيها عبر عليه السلام بها مبالغة وأشار عليه السلام بوشيجة خيفته إلى جهات الخوف المتشعبة في ذواتهم الناشئة من زيادة معرفتهم بعزّته وقدرته ومقهوريتهم تحت قوّته.

(فحنوا بطول الطاعة اعتدال ظهورهم) أي عوّجوا ظهورهم المعتدلة المستقيمة بطاعاتهم الطويلة، وهو كناية عن كمال خضوعهم.

(ولم ينفد طول الرّغبة إليه مادّة تضرّعهم) أراد به عدم إفناء طول رغبتهم إليه دواعي تضرّعهم له سبحانه كما في البشر فإنّ أحدنا إذا كان له رغبة في أمر وأراد الوصول إليه من عند أحد تضرّع إليه وابتهل وإذا طال رغبته ولم ينل إلى مطلوبه حصل له الملال والكلال وانقطع دواعي نفسه وميول قلبه وينعدم ما كان سبباً لتضرّعه وابتهاله، ولمّا كان الملال والكلال من عوارض المركبات العنصرية وكانت الملائكة السماوية منزهة عنها لا جرم حسن سلبها عنهم.

(ولا أطلق عنهم عظيم الزلفة ربق خشوعهم) لما كان من شأن مقربي الملوك والسّلاطين أنهم كلّما ازدادت زلفاهم وقرباهم إليهم انتقص خضوعهم وخشوعهم وتواضعهم من أجل أنه يخف هيبتهم وسطوتهم في نظرهم لكونهم بشراً مثلهم ولم يكن كذلك حال من كان مقربي الحضرة الرّبوبيّة بل هم كلّما ازدادوا قرباً ازدادوا خشوعاً من حيث عدم انتهاء السّلطنة الإلهيّة وعدم انتهاء مراتب العرفان واليقين الدّاعيين إلى التضرع والعبادة وعدم وقوفها على حد، لا جرم لم يطلق عظم قربهم أعناق ذلهم عن ربقة الابتهال، فهم بقدر صعودهم في مدارج الطاعة يزداد قربهم، وكلّما ازداد قربهم تضاعف علمهم بعظمته فيحصل بزيادة العلم بالعظمة كمال الخشوع والذلة.

(ولم يتولهم الإعجاب فيستكثروا ما سلف منهم، ولا تركت لهم استكانة الإجلال نصيباً في تعظيم حسناتهم) المراد بذلك نفي استيلاء العجب عليهم والإشارة إلى أنهم لا يستعظمون ما سلف منهم من العبادات، ولا يستكثرون ما تقدّم منهم من الطاعات، وأنهم لم يترك لهم خضوعهم الناشيء عن ملاحظة جلال الله وولههم النّاشيء من شدّة المحبّة إليه نصيباً في تعظيم الحسنات وحظاً في إعظام القربات، لأن منشأ العجب هو النّفس الأمارة وهو من أحكام الأوهام والملائكة السماوية مبرؤون منها ومنزهون عنها.

(ولم تجر الفترات فيهم على طول دؤوبهم) يعني أنهم على طول جدّهم في العبادة لا يحصل لهم فتور ولا قصور، وقد مضى بيان ذلك في شرح الفصل التاسع من الخطبة الأولى. قال زين العابدين وسيد السّاجدين عليه السلام في الصلاة على حملة العرش: اللّهم وحملة عرشك الذين لا يفترون عن تسبيحك ولا يملون عن تقديسك[1].

والعجب من الشارح البحراني حيث قال في شرح هذه الفقرة: قد ثبت أنّ الملائكة السّماوية دائمة التّحريك لأجرامها حركة لا يتخللها سكون ولا يكلها ويفترها إعياء وتعب، ولبيان ذلك البراهين أصول ممهدة في مواضعها وأمّا بالقرآن فلقوله تعالى:

﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء: ٢٠] انتهى.

أقول: وهو تأويل من غير دليل مقبول مبتن على «أصول الفلاسفة» الجاعلين الملائكة بالنسبة إلى أجرام السّماء بمنزلة النفوس الناطقة بالنّسبة إلى أبدان البشر القائلين بكونها مدّبرة لأمرها كما أن النّفوس مدبّرة للأبدان، وهو مخالف للأُصول الشّرعية موجب لطرح ظواهر الأدلة من الكتاب والسنّة، فالأولى الإعراض عنه والرجوع إلى ما قاله المفسّرون في تفسير الآية الشريفة.

قال الطبرسي: أي ينزهون الله عن جميع ما لا يليق بصفاته على الدّوام في اللّيل والنهار لا يضعفون عنه، قال كعب: جعل لهم التسبيح كما جعل لكم النّفس في السّهولة، وقيل: معنى لا يفترون لا يتخلل تسبيحهم فترة أصلاً بفراغ أو بشغل آخر، وأورد عليه أنهم قد يشتغلون باللّعن كما قال تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ﴾ [البقرة: ١٦١].

وأجيب بأن التّسبيح لهم كالتنفس لنا لا يمنعهم عن الاشتغال بشيء آخر.

واعترض بأن آلة التّنفس لنا مغايرة لآله التكلّم فلهذا صح اجتماع التنفس والتكلم،

(١) الصحيفة السجادية: ٣٣، وبحار الأنوار: ٥٦/٢١٧.

وأجيب بأنّه لا يستبعد أن يكون لهم ألسن كثيرة أو يكون المراد بعدم الفترة أنهم لا يتركون التسبيح في أوقاته اللاّئقة به.

(ولم تغض رغباتهم فيخالفوا عن رجاء ربّهم) أي لم يتنقص رغباتهم إلى ما عنده فيعدلوا عن الرّجاء إليه، وذلك لأنّ أشواقهم إلى كمالاتهم دائمة وعلمهم بعظمة خالقهم وبحاجتهم إليه وبأنّه مفيض الكمالات وواهب الخيرات لا يتطرق إليه نقص فلا ينقطع رجاؤهم عنه ولا ييأسون من فضله.

(ولم تجف لطول المناجاة أسلات ألسنتهم) أراد عليه السلام به عدم عروض الفتور والكلال عليهم في مناجاتهم كما يعرض علينا وتجفّ ألسنتنا بسبب طول المناجاة **(ولا ملكتهم الأشغال فتنقطع بهمس الجؤار إليه أصواتهم)** أي ليست لهم أشغال خارجة عن العبادة حتّى تنقطع لأجلها أصواتهم بسبب خفاء تضرّعهم إليه، وبعبارة أخرى ليست لهم أشغال خارجة فتكون لأجلها أصواتهم المرتفعة خافية ساكنة.

(ولم يختلف في مقاوم الطاعة مناكبهم) أي لم ينحرف مناكبهم أولم يتقدّم بعضهم على بعض في مقامات الطاعة وصفوف العبادة **(ولم يثنوا إلى راحة التقصير في أمره رقابهم)** يعني لم يصرفوا رقابهم من أجل تعب العبادات وكثرتها إلى الرّاحة الحاصلة بإقلال العبادة أو تركها بعد التّعب فيقصروا في أوامره، والمقصود نفي اتصافهم بالتعب والرّاحة لكونهما من عوارض الأجسام البشريّة وتوابع المزاج الحيواني.

(ولا تعدو على عزيمة جدّهم بلادة الغفلات) المراد أنهم لا تغلب على عزيمتهم وجدّهم في العبادة بلادة ولا غفلة لكونهما من عوارض هذا البدن **(ولا تنتضل في هممهم خدائع الشهوات)** أي لا ترمي الشهوات بسهام خدائعها هممهم، والمقصود نفي توارد وساوس الشّهوات الصارفة عن العبادة وتتابعها عنهم لبراءتهم من القوة الشهوية.

(قد اتخذوا ذا العرش ذخيرة ليوم فاقتهم) ذو العرش هو الله سبحانه كما في غير واحدة من الآيات القرآنية، والمراد بيوم فاقتهم يوم حاجتهم وهو يوم قبض أرواحهم كما يظهر من بعض الأخبار.

قال المجلسي (ره): ولا يبعد أن يكون لهم نوع من الثّواب على طاعاتهم بازدياد القرب وافاضة المعارف وذكره سبحانه لهم وتعظيمه إيّاهم وغير ذلك، فيكون إشارة إلى يوم جزائهم **(ويمّموه عند انقطاع الخلق إلى المخلوقين برغبتهم)** أي قصدوه بتضرّعهم إليه سبحانه عند انصراف الخلق وانقطاعهم منه إلى المخلوقين ويحتمل رجوع ضمير رغبتهم إلى الخلق وإليهم وإلى الملائكة على سبيل التنازع.

(لا يقطعون أمد غاية عبادته) أراد أنه لا يمكنهم الوصول إلى منتهى نهاية عبادته الذي

هو عبارة عن كمال معرفته، وذلك لكون مراتب العرفان ودرجاته غير متناهية فلا يمكنهم قطعها **(ولا يرجع بهم الاستهتار بلزوم طاعته إلاّ إلى مواد من قلوبهم غير منقطعة من رجائه ومخافته)** أي لا يرجعهم الولع بلزوم طاعته سبحانه إلاّ إلى موادّ ناشئة من قلوبهم غير منقطعة وهذه الموادّ هو رجاءه ومخافته الباعثان لهم على لزوم طاعته، والغرض إثبات دوام خوفهم ورجائهم الموجبين لعدم انفكاكهم عن الطاعة بل لزيادتها كما يشعر به لفظ الموادّ.

قال الشارح البحراني: لما كانوا غرقى في محبته عالمين بكمال عظمته وأن ما يرجونه من جوده أشرف المطالب وأربح المكاسب وما يخشى من انقطاع جوده ونزول حرمانه أعظم المهالك والمعاطب، لا جرم دام رجاؤهم له وخضوعهم في رق الحاجة إليه والفزع من حرمانه، وكان ذلك الخوف والرجاء هو مادّة استهتارهم بلزوم طاعته التي يرجعون إليها من قلوبهم فلم ينقطع استهتارهم بلزومها.

(لم تنقطع أسباب الشفقة منهم فينوا في جدّهم) أي لم تنقطع أسباب الخوف منهم فيفتروا في الجدّ في العبادة وأسباب الخوف هي حاجتهم إليه سبحانه وافتقارهم إلى إفاضته وجوده، فإن الحاجة الضّرورية إلى الغير في مطلوب يستلزم الخوف منه في عدم قضائه ويوجب الإقبال على الاستعداد بجوده بلزوم طاعته والقيام بوظائف عبادته.

(ولم تأسرهم الأطماع فيؤثروا وشيك السّعي على اجتهادهم) أي لم تجعلهم الأطماع أسراء وليسوا مأسورين في ربقة الطمع حتّى يختاروا السّعي القريب في تحصيل المطموع من الدّنيا الفانية على اجتهادهم الطويل في تحصيل السّعادة الباقية كما هو شأن البشر، وذلك لكون الملائكة منزهين عن الشهوات وما يلزمها من الأطماع الكاذبة.

(ولم يستعظموا ما مضى من ذلك) قد مرّ معناه في شرح قوله: **(ولم يتولهم الإعجاب)** (آه) وإنّما أعاد ذلك مع إغناء السّابق عنه وكفايته في الدلالة على نفي العجب للإشارة إلى دليله وهو قوله: **(ولو استعظموا ذلك لنسخ الرجاء منهم شفقات وجلهم)** يعني أنّهم لو استعظموا سالف أعمالهم لأوجب ذلك اغترارهم وزيادة رجائهم لثواب أعمالهم فيبطل ذلك ويزيل مادات وجلهم وخوفهم، ألا ترى أن الإنسان إذا عمل لبعض الملوك عملاً يستعظمه فإنه يرى في نفسه استحقاق أجزل جزاء له ويجد التّطاول به فيهون ذلك ما يجده من خوفه؟ وكلّما ازداد استعظامه لخدمته ازداد اعتقاده في قربه من الملك قوّة وبمقدار ذلك ينقص خوفه وتقل هيبته في نظره، لكن الملائكة خائفون دائماً لقوله سبحانه:

﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

فينتج أنّهم لا يستعظمون سالف عباداتهم **(ولم يختلفوا في ربّهم باستحواذ الشيطان عليهم)** أي لم يختلفوا فيه من حيث الإثبات والنفي أو التعيين أو الصّفات كالتّجرد والتجسم وكيفية العلم وغير ذلك، وقيل: أي في استحقاق كمال العبادة، والمقصود نفي الاختلاف

عنهم باستيلاء الشيطان كما هو في الإنسان لأنّه:

﴿لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ، إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ [الإسراء: ١٠٠].

(ولم يفرقهم سوء التقاطع) والتعادي وترك البر والإحسان **(ولا تولاهم غلّ التحاسد)** الناشيء من النفس الأمارة بالحق والعدوان **(ولا شعبتهم مصارف الرّيب)** ووجوهات شكوك الأذهان **(ولا اقتسمتهم أخياف الهمم)** واختلافاتها لانحصار همّهم في طاعة الله الرّحيم الرّحمن **(فهم أسراء الإيمان لم يفكهم من ربقته زيغ)** وجور **(ولا عدول ولاونا)** ووهن **(ولا فتور)**.

ثمّ أشار عليه السلام إلى كثرة الملائكة بقوله: **(وليس في أطباق السموات موضع إهاب)** وجلد **(إلاّ وعليه ملك ساجد)** خاشع لربّه **(أو ساع)** مسرع **(حافد)** في طاعة معبوده **(يزدادون على طول الطاعة بربّهم علماً ويقيناً)** **(وتزداد عزة ربّهم في قلوبهم عظماً)** وكمالاً.

قال الشّارح البحراني: اعلم أن للسماء ملائكة مباشرة لتحريكها، وملائكة أعلى رتبة من أولئك هم الآمرون لهم بالتحريك، فيشبه أن يكون الإشارة بالساجدين منهم إلى الآمرين، والسجود كناية عن كمال عبادتهم كناية بالمستعار، وتكون الإشارة بالساعين المسرعين إلى المتولّين للتحريك، فأمّا زيادتهم بطول طاعتهم علماً بربّهم فلما ثبت أن حركاتهم إنما هي شوقيّة للتشبّه بملائكة أعلى رتبة منهم في كمالهم بالمعارف الإلهية وظهور ما في ذواتهم بالقوة إلى الفعل، وزيادة عزة ربّهم عندهم عظماً بحسب زيادة معرفتهم له تابعة لها.

أقول: وقد مضى الإشارة منّا إلى أن هذا كلّه مبني على الأصول الحكمية وعدول عن طريق الشريعة النبويّة على صادعها آلاف الصّلاة والسّلام والتحيّة وقدّمنا الأخبار المناسبة للمقام في شرح الفصل التّاسع من الخطبة الأولى فتذكّر وينبغي تذييل المقام بأمرين مهمّين:

أحدهما في عصمة الملائكة

وهو مذهب أصحابنا الإماميّة رضوان الله عليهم وعليه دلت الآيات القرآنية والأخبار الكثيرة من طرقنا، ولنقتصر على رواية واحدة، وهي:

ما رواه في «الصّافي» قال: قال الرّاوي: قلت لأبي محمّد عليه السلام: فإنّ قوماً عندنا يزعمون أن هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لما كثر عصيان بني آدم، وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدّنيا، وأنهم افتتنا بالزهرة وأرادا الزنا وشربا الخمر وقتلا النفس المحرّمة؛ وأن الله يعذّبهما ببابل، وأن السحرة منهما يتعلّمون السّحر وأن الله مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة.

فقال الإمام عليه السلام: معاذ الله من ذلك إن ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر

والقبائح بألطاف الله تعالى[(١)] قال الله فيهم:

﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦] وقال: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ﴾ [الأنبياء: ١٩] يعني الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ يُسَبِّحُونَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩-٢٠].

وقال في الملائكة أيضاً: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦-٢٧] إلى قوله: ﴿مُشْفِقُونَ﴾ [المعارج: ٢٧].

ومثله في «البحار» عن يوسف بن محمّد بن زياد وعليّ بن محمّد بن سيّار عن أبويهما أنهما قالا: فقلنا للحسن أبي القائم عليهما السلام: فإن قوماً إلى آخر الخبر، ورواه أيضاً في «الاحتجاج» عن أبي محمّد العسكري عليه السلام مثله.

نعم في بعض الرّوايات ما يدلّ على خلاف ذلك، وهو ما رواه عليّ بن إبراهيم القمّي (ره) عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن عليّ بن رئاب عن محمّد بن قيس عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله عطا ونحن بمكّة عن هاروت وماروت، فقال عليه السلام: إن الملائكة كانوا ينزلون من السّماء إلى الأرض في كلّ يوم وليلة يحفظون أعمال أوساط أهل الأرض من ولد آدم عليه السلام والجنّ ويسطرونها ويعرجون بها إلى السّماء قال: فضجّ أهل السّماء من معاصي أوساط أهل الأرض فتوامروا فيما بينهم ممّا يسمعون ويرون من افترائهم الكذب على الله تبارك وجرأتهم عليه ونزهوا الله تعالى ممّا يقول فيه خلقه ويصفون، فقالت طائفة من الملائكة: يا ربّنا ما تغضب مما يعمل خلقك في أرضك وممّا يصفون فيك الكذب ويقولون الزّور ويرتكبون المعاصي، وقد نهيتهم عنها، ثمّ أنت تحلم عنهم وهم في قبضتك وقدرتك وخلال عافيتك، قال عليه السلام: فأحب الله عزّ وجلّ أن يري الملائكة سابق علمه في جميع خلقه ويعرفهم ما من به عليهم ممّا عدل به عنهم من صنع خلقه وما طبعهم عليه من الطاعة وعصمهم به من الذّنوب.

قال عليه السلام: فأوحى الله إلى الملائكة أن انتدبوا منكم ملكين حتّى أهبطهما إلى الأرض ثمّ أجعل فيهما من طبائع المطعم والمشرب والشّهوة والحرص والأمل مثل ما جعلته في ولد آدم، ثمّ أختبرهما في الطّاعة، قال عليه السلام: فندبوا لذلك هاروت وماروت وكانا أشدّ الملائكة قولاً في العيب لولد آدم واستيثار غضب الله عليهم.

قال عليه السلام: فأوحى الله إليهما أن اهبطا إلى الأرض فقد جعلت فيكما من طبائع المطعم والمشرب والشّهوة والحرص والأمل مثل ما جعلت في ولد آدم قال عليه السلام ثمّ أوحى الله إليهما: انظرا أن لا تشركا بي شيئاً ولا تقتلا النّفس التي حرّم الله ولا تزنيا ولا تشربا الخمر.

---

(١) الاحتجاج: ٢/ ٢٦٥، والفصول المهمة: ١/ ٤٤٣ ح ٦٢٠.

قال ﷺ: ثمّ كشط عن السّماوات السّبع ليريهما قدرته، ثم أُهبطا إلى الأرض في صورة البشر ولباسهم، فهبطا ناحية بابل فرفع لهما بناء مشرف فأقبلا نحوه فإذا بحضرته امرأة جميلة حسناء مزينة معطرة مسفرة مقبلة.

قال ﷺ فلمّا نظرا إليها وناطقاها وتأملاها وقعت في قلوبهما موقعاً شديداً لموضع الشّهوة التي جعلت فيهما، فرجعا إليها رجوع فتنة وخذلان وراوداها عن نفسها، فقالت لهما: إن لي ديناً أدين به وليس أقدر في ديني على أن أجيبكما إلى ما تريدان إلاّ أن تدخلا في ديني الذي أدين به، فقالا لها: وما دينك؟ قالت: لي إله من عبده وسجد له كان لي السبيل إلى أن أجيبه إلى كلّ ما سألني، فقالا لها: وما إلهك؟ قالت: إلهي هذا الصّنم.

قال ﷺ: فنظر أحدهما إلى صاحبه فقال: هاتان خصلتان مما نهانا عنها الشّرك والزّنا، لأنّا إن سجدنا لهذا الصّنم وعبدناه أشركنا بالله وإنّما نشرك بالله لنصل إلى الزّنا وهو ذا نحن نطلب الزّنا فليس نعطى إلاّ بالشّرك.

فقال ﷺ: فائتمرا بينهما فغلبتهما الشّهوة التي جعلت فيهما، فقالا لها: نجيبك إلى ما سألت، فقالت: فدونكما فاشربا هذا الخمر فإنّه قربان لكما وبه تصلان إلى ما تريدان، فائتمرا بينهما فقالا: هذه ثلاث خصال ممّا نهانا ربّنا عنها: الشرك والزّنا، وشرب الخمر، وإنّما ندخل في شرب الخمر والشّرك حتّى نصل إلى الزّنا، فائتمرا بينهما فقالا: ما أعظم البليّة بك قد أجبناك إلى ما سألت، قالت: فدونكما فاشربا من هذا الخمر، واعبدا هذا الصّنم، واسجدا له، فشربا الخمر وعبدا الصّنم ثمّ راوداها عن نفسها.

فلمّا تهيّأت لهما وتهيأ، لها دخل عليها سائل يسأل هذه، فلمّا رآهما ورأياه ذعرا منه، فقال لهما: إنكما لامرآن ذعران، فدخلتما بهذه المرأة المعطرة الحسناء إنكما لرجلا سوء، وخرج عنهما، فقالت لهما: وإلهي ما تصلان الآن إليّ وقد اطلع هذا الرجل على حالكما وعرف مكانكما، ويخرج الآن ويخبر بخبركما ولكن بادرا إلى هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفضحكما ويفضحني ثم دونكما فاقضيا حاجتكما وأنتما مطمئنان آمنان.

قال ﷺ: فقاما إلى الرّجل فأدركاه فقتلاه ثم رجعا إليها فلم يرياها وبدت لهما سوآتهما ونزع عنهما رياشهما وأُسقطا في أيديهما، فأوحى الله إليهما أن أهبطتكما إلى الأرض مع خلقي ساعة من النّهار فعصيتماني بأربع من معاصي كلّها قد نهيتكما عنها وتقدّمت إليكما فيها فلم تراقباني ولم تستحييا مني، وقد كنتما أشدّ من نقم على أهل الأرض بالمعاصي واستجر أسفي وغضبي عليهم لما جعلت فيكما من طبع خلقي وعصمتي إيّاكما من المعاصي فكيف رأيتما موضع خذلاني فيكما.

اختارا عذاب الدّنيا أو عذاب الآخرة، فقال أحدهما لصاحبه، نتمتع من شهواتنا في

الدّنيا إذ صرنا إليها إلى أن نصير إلى عذاب الآخرة، فقال الآخر: إنّ عذاب الدّنيا له مدّة وانقطاع وعذاب الآخرة قائم لا انقطاع له فلسنا نختار عذاب الآخرة الشديد الدّائم على عذاب الدّنيا المنقطع الفاني.

قال عليه السلام: فاختارا عذاب الدّنيا فكانا يعلمان النّاس السّحر في أرض بابل ثمّ لما علّما النّاس السّحر رفعا من الأرض إلى الهواء، فهما معذّبان منكسان معلّقان في الهواء إلى يوم القيامة[١]، ورواه في «البحار» عن العيّاشي عن محمّد بن قيس مثله، وبمعناه أخبار أخرى، ويمكن حملها على التقيّة، ويشعر به كون السائل في هذه الرّواية من علماء العامة.

وما رواه في «البحار» عن «العلل» عن الصّادق عليه السلام في حديث قال: وأمّا الزّهرة فانّها كانت امرأة تسمى ناهيد[٢] وهي الّتي تقول للناس: إنّه افتتن بها هاروت وماروت[٣]، فإن في نسبة افتتانهما إلى النّاس إشارة إلى ما ذكرناه كما لا يخفى.

وقال بعض أهل العرفان بعد ما أورد الرّوايات الدّالة على تكذيب أمر هاروت وماروت والرّوايات الدّالة على صحّة قصّتهما:

والوجه في الجمع والتوفيق أن يحمل روايات الصّحة على كونها من مرموزات الأوائل وإشاراتهم، وأنّهم عليهم السلام لمّا رأوا أن حكاتها كانوا يحملونها على ظاهرها كذّبوها ثمّ قال: وأمّا حلّها فلعلّ المراد بالملكين الرّوح والعقل فإنّهما من العالم الرّوحاني أهبطا إلى العالم الجسماني لإقامة الحق فافتتنا بزهرة الحياة الدّنيا، ووقعا في شبكة الشهوة، فشربا خمر الغفلة، وعبدا صنم الهوى، وقتلا عقلهما النّاصح لهما بمنع تغذيته بالعلم والتقوى، ومحو أثر نصحه عن أنفسهما، وتهيّئا للزّنا ببغي الدّنيا الدّنيّة التي تلي تربية النشاط والطرب فيها الكوكب المسمّى بالزّهرة، فهربت الدّنيا منهما وفاتتهما لما كان من عادتهما أن تهرب من طالبيها لأنّها متاع الغرور وبقي إشراق حسنها في موضع مرتفع بحيث لا تنالها أيدي طلابها ما دامت الزّهرة باقية في السّماء وحملهما حبّها في قلبهما إلى أن وضعها طرائق من السّحر وهو ما لطف مأخذه ودقّ، فخيّرا للتخلص منها فاختارا بعد التنبّه وعود العقل إليهما أهون العذابين، ثمّ رفعا إلى البرزخ معذبين ورأسهما بعد إلى أسفل إلى يوم القيامة.

هذا ما خطر بالبال في حلّ هذا الرّمز والله الهادي.

---

(١) بحار الأنوار: ٣١٨/٥٦، ومسند محمد بن قيس: ١٤٤.

(٢) في نسخة: ناهيل.

(٣) علل الشرائع: ٤٨٦/٢ ح ٢، ووسائل الشيعة: ١١١/٢٤.

الثاني

اختلف المسلمون في أن الأنبياء والملائكة أيهم أفضل أي أكثر ثواباً؟ فذهب أكثر الأشاعرة إلى أنّ الأنبياء أفضل، وقال المعتزلة كما في شرح المعتزلي: إن نوع الملائكة أفضل من نوع البشر، والملائكة المقرّبون أفضل من نوع الأنبياء وليس كلّ ملك عند الإطلاق أفضل من محمّد ﷺ، بل بعض المقرّبين أفضل منه، وهو ﷺ أفضل من ملائكة أخرى غير الأوّلين.

ولا خلاف بين علماء الإماميّة قدّس الله أرواحهم في أن الأنبياء والأئمّة صلوات الله عليهم أفضل من جميع الملائكة، وأخبارهم على ذلك مستفيضة، وقد حققوا ذلك في كتب «الأصول» ولا حاجة لنا الآن إلى بسط الكلام في ذلك المقام، وإنّما نقتصر على رواية واحدة توضيحاً للمرام.

وهو ما رواه الصّدوق في كتاب إكمال الدّين وإتمام النّعمة قال: حدّثنا الحسن بن محمّد بن سعيد الهاشمي، قال: حدثنا فرات بن إبراهيم بن فرات الكوفي قال: حدّثنا محمّد بن عليّ بن أحمد الهمداني، قال: حدثني أبو الفضيل العبّاس بن عبد الله البخاري، قال: حدثنا محمّد بن القاسم بن إبراهيم بن عبد الله بن القاسم بن محمّد بن أبي بكر، قال: حدّثنا عبد السّلام بن صالح الهروي عن عليّ بن موسى الرّضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمّد عن أبيه محمّد بن عليّ عن أبيه عليّ بن الحسين عن أبيه الحسين بن عليّ عن أبيه عليّ بن أبي طالب عليهم السلام.

قال: قال رسول الله ﷺ: ما خلق الله خلقاً أفضل منّي ولا أكرم عليه منّي قال عليّ عليه السلام: فقلت: يا رسول الله فأنت أفضل أم جبرئيل؟ فقال: إنّ الله تبارك وتعالى فضّل أنبياءه المرسلين على ملائكته المقرّبين وفضّلني على جميع النّبيّين والمرسلين والفضل بعدي لك يا عليّ والأئمة من بعدك، فإنّ الملائكة لخدّامنا وخدّام محبّينا يا علي.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧].

بولايتنا، يا عليّ لولا نحن ما خلق الله آدم عليه السلام ولا حوّاء ولا الجنّة ولا النّار ولا السّماء ولا الأرض، وكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سبقناهم إلى التّوحيد ومعرفة ربّنا عزّ وجلّ وتسبيحه وتقديسه وتهليله، لأنّ أوّل ما خلق الله عزّ وجل أرواحنا، فأنطقنا بتوحيده وتمجيده ثمّ خلق الملائكة فلمّا شاهدوا أرواحنا نوراً واحداً استعظموا أمورنا فسبّحنا لتعلم الملائكة أنّا خلق مخلوقون وأنّه منزّه عن صفاتنا فسبّحت الملائكة لتسبيحنا ونزهته عن صفاتنا.

فلمّا شاهدوا أعظم شأننا هللنا لتعلم الملائكة أن لا إله إلاّ الله فلمّا شاهدوا كبر محلّنا

كبّرنا الله لتعلم الملائكة أنّ الله أكبر من أن تنال وأنّه عظيم المحلّ فلمّا شاهدوا ما جعل الله لنا من القدرة والقوّة قلنا: لا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم، لتعلم الملائكة أن لا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

فلمّا شاهدوا ما أنعم الله به علينا وأوجبه من فرض الطاعة قلنا: الحمد لله، لتعلم الملائكة ما يحق الله تعالى ذكره علينا من الحمد على نعمه فقالت الملائكة الحمد لله فبنا اهتدوا إلى معرفة الله وتسبيحه وتهليله وتحميده، ثمّ إن الله تبارك وتعالى خلق آدم عليه السلام وأودعنا صلبه وأمر الملائكة بالسّجود له تعظيماً لنا وإكراماً، وكان سجودهم لله عزّ وجل عبودية ولآدم إكراماً وطاعة لكوننا في صلبه فكيف لا نكون أفضل من الملائكة وقد سجدوا لآدم عليه السلام كلّهم أجمعون.

وأنّه لما عرج بي إلى السّماء أذن جبرئيل عليه السلام مثنى مثنى ثمّ قال: تقدّم يا محمّد، فقلت: يا جبرئيل أتقدّم عليك؟ فقال: نعم لأنّ الله تبارك وتعالى اسمه فضل أنبياءه على ملائكته أجمعين وفضلك خاصّة، فتقدّمت وصلّيت بهم ولا فخر فلمّا انتهينا إلى حجب النّور قال لي جبرئيل عليه السلام: تقدّم يا محمّد وتخلّف عني، فقلت: يا جبرئيل في مثل هذا الموضع تفارقني؟ فقال: يا محمّد إنّ هذا انتهاء حدي الذي وضعه الله لي في هذا المكان فإن تجاوزته احترقت أجنحتي لتعدي حدود ربّي جلّ جلاله، فزخّ بي ربّي زخّة في النّور حتّى انتهيت إلى حيث ما شاء الله عزّ وجلّ من ملكوته.

فنوديت: يا محمّد، فقلت: لبّيك ربّي وسعديك تباركت وتعاليت؛ فنوديت يا محمّد أنت عبدي وأنا ربّك فإيّاي فاعبد وعليّ فتوكّل فإنّك نوري في عبادي ورسولي إلى خلقي وحجّتي في بريّتي، لمن تبعك خلقت جنّتي ولمن عصاك وخالفك خلقت ناري، ولأوصيائك أوجبت كرامتي، ولشيعتك أوجبت ثوابي.

فقلت: يا رب ومن أوصيائي؟ فنوديت: يا محمّد إنّ أوصياءك المكتوبون على ساق العرش، فنظرت وأنا بين يدي ربّي إلى ساق العرش فرأيت اثنا عشر نوراً في كلّ نور سطر أخضر مكتوب عليه اسم كلّ وصيّ من أوصيائي أوّلهم عليّ بن أبي طالب وآخرهم مهديّ أمّتي.

فقلت: يا ربّ هؤلاء أوصيائي من بعدي؟ فنوديت: يا محمّد هؤلاء أوليائي وأحبّائي وأصفيائي حجّتي بعدك على بريّتي، وهم أوصياؤك وخلفاؤك وخير خلقي بعدك، وعزّتي وجلالي لأظهرنّ بهم ديني، ولأعلينّ بهم كلمتي ولأطهرنّ الأرض بآخرهم من أعدائي، ولأملكنّه مشارق الأرض ومغاربها، ولأسخرنّ له الرّياح ولأذللنّ الرّقاب الصّعار، ولأرقبه في الأسباب، ولأنصرنّه بجندي، ولأمدّنه بملائكتي حتّى يعلو دعوتي ويجمع الخلق على توحيدي، ثمّ لأديمنّ ملكه ولأداولنّ الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة(١).

والحمد لله رب العالمين والصّلاة على نبيّنا محمّد وآله الطّيبين الطاهرين وسلم تسليماً وإنّما ذكرت الرّواية بطولها مع كون ذيلها خارجاً عن الغرض لتضمّنه مناقب أهل البيت الأَطهار، وكونه نصّاً في خلافة الأئمة الأَبرار ولعاً مني بإيراد فضائلهم ومناقبهم ما تعاقب على اللّيل والنّهار، سلام الله عليهم أجمعين، ولعنة الله على أعدائهم ومنكري فضائلهم إلى يوم الدّين.

الترجمة

بعضى ديگر از اين خطبه شريفه در صفت ملائكه است، مى فرمايد:

بعد از خلق آسمان بيافريد حق سبحانه و تعالى از براى ساكن فرمودن در آسمان هاى خود و معمور ساختن صفحه پهن بلند از ملكوت خود خلقى عجيب از ملائكه خود، پس پر ساخت به ايشان فرج هاى گشادگى هاى آسمان را و مملو نمود به ايشان گشادگى هاى فضاهاى آن را و ميان وسعت هاى اين گشادگى ها است صوت هاى بلند تسبيح كنندگان از ايشان در حرم هاى قدس و طهارت و پرده هاى حجاب هاى عظمت و سراپرده هاى بزرگى و عزّت و در پس اين زلزله و اضطرابى كه كر مى شود از آن گوش ها، اشراقات نورى است كه بازمى دارد ديده ها را از رسيدن به آن، پس مى ايستد آن ديده ها ذليل و متحيّر بر حدود آن.

آفريد خداوند متعال آن ملائكه را بر صورت هاى مختلفه و اندازه هاى متفاوته در حالتى كه صاحبان بال ها هستند كه تسبيح مى كنند بزرگى عزّت او را، در حالتيكه به خود نمى بندند آنچه كه ظاهر شده در مخلوقات از صنع قدر او و ادّعا نمى كنند اين كه ايشان مى آفرينند چيزى را با آفريدگار از آن چيزى كه يگانه است او سبحانه به آفريدن آن، بلكه ايشان بندگانى هستند گرامى داشته شده در حالتى كه پيشى نمى گيرند به خدا در گفتار خودشان و ايشان به فرمان او سبحانه عمل مى نمايند.

(١) الصراط المستقيم: ٢/ ١٢٥، ومستدرك سفينة البحار: ٧/ ١٥٠.

گردانید حق تعالی ایشان را در آنجا که هستند، یعنی در مقامات خودشان که حظایر قدس است اهل امانت بر وحی خود و تحمیل نمود ایشان را در حالتی که ارسال می شوند به سوی پیغمبران امانت های اوامر و نواهی خود را و معصوم ساخت ایشان را از شك کردن در شبهه ها، پس نیست از ایشان میل کننده از راه رضای او و مدد نمود ایشان را به فایده های اعانت به سوی طاعات و لازم فرمود قلب های ایشان را تواضع، خضوع و وقار را و گشود به جهت ایشان درهای سهل و آسان به سوی تمجیدات خود و برپا نمود از برای ایشان منارهای آشکار بر نشان های توحید خود.

گران نکرد ایشان را گران سازنده های گناه ها و ضعیف ننمود ایشان را تعاقب و تناوب شب ها و روزها و نینداخت شك ها به محرّکات فاسده خود محکمی ایمان ایشان را و عارض نشد ظنّ ها و وهم ها بر مواضع عقد یقین ایشان و برنیفروخت برافروزندگی های حقد و حسد در میان ایشان و سلب نکرد از ایشان حیرت چیزی را که چسبیده از معرفت او و به قلب ایشان و ساکن شده از عظمت و هیبت او در میان سینه های ایشان و طمع ننموده در ایشان وسوسه ها تا اینکه بکوبد با استیلای خود یا اینکه تناوب نماید با چرك خود به فکرهای ایشان.

بعضی از ایشان آنانند که قرار گرفته در ابرهای مخلوق شده گران بار به باران و در کوه های بزرگ بلند و در سیاهی تاریکی که هدایت یافته نمی شود در آن و بعضی دیگر آنانند که دریده است قدم های ایشان حدود زمین پائین را، پس آن قدم ها به منزله علم های سفیدند که فرو رفته باشند در مواضع خرق هوا و شکاف آن و در زیر آن علم ها است بادی که ساکن است و پاکیزه که بازداشته است آن علم ها را بر مکانی که منتهی شده آن علم ها از حدود به نهایت رسیده.

به تحقیق که فارغ نموده ایشان را از ماسوا شغل های عبادت او سبحانه و وصل نموده است حقیقت های ایمان میان ایشان و میان معرفت آن را و بریده است ایشان را یقین و اذعان به خدا از غیر آن و مایل ساخته ایشان را به سوی حیرانی او و درنگذشته است رغبت های ایشان از آن چیزی که نزد او است به سوی آن چیزی که نزد غیر او است.

به تحقیق که چشیده اند شیرینی معرفت او را و آشامیده اند با کاسه سیراب

کننده از شراب محبّت او و متمکّن و برقرار شده از ته دل های ایشان رگ های خوف و خشیت او، پس خم کرده اند به درازی عبادت راستی پشت های خودشان را و تمام نکرده درازی رغبت به سوی او، مادّه تضرع ایشان را و رها نکرده از گردن های ایشان بزرگی قرب و منزلت به حضرت ربّ العزّه ریسمان خشوع و ذلت را و غالب نشده بر ایشان عجب و خودپسندی تا اینکه بسیار شمارند آنچه که پیش گذشته از ایشان از طاعات و عبادات و نگذاشته از برای ایشان خواری که ناشی شده از ملاحظه جلال پرودگار نصیب و بهره در تعظیم و بزرگ دانستن حسنات خودشان و جاری نشده سستی ها در ایشان با درازی جدّ و جهد ایشان.

و ناقص نگشته رغبت های ایشان تا مخالفت کنند و عدول نمایند از امیدواری پرودگار خودشان و خشك نگشته به جهت طول راز و نیاز اطراف زبان های ایشان و مالك نشده است ایشان را شغل های خارج از عبادت تا اینکه منقطع شود به سبب پنهانی تضرّع ایشان به سوی او و آوازهای بلند ایشان و مختلف نشده در صف های عبادت دوش های ایشان و ملتفت نساخته اند به سوی راحتی که باعث تقصیر در امر او است گردن های خودشان را و غالب نمی شود بر عزم جدّ و جهد ایشان بی خردی غفلت ها و تیر نمی اندازند در همّت های ایشان فریب دهنده گان شهوت ها.

به تحقیق که اخذ نموده اند صاحب عرش را ذخیره به جهت روز حاجتشان و قصد کرده اند او رانزد بریده شدن خلق به سوی مخلوقات به رغبتشان، قطع نمی توانند کنند پایان غایت عبادت او را و بازنمی گرداند ایشان را حرص و محبّت به لزوم طاعت او مگر به سوی مادّه هایی که بریده نمی شوند آن مادّه ها که از دل ایشان است که عبارت اند از خوف و رجاء آن، بریده نشده اسباب ترس از ایشان تا سست شوند در جدّ و جهد خودشان.

و اسیر ننموده ایشان را طمع های دنیوی تا اینکه اختیار نمایند سعی نزدیك در تحصیل دنیا را بر کوشش خودشان در تحصیل سعادت آخرت و بزرگ نمی شمارند آنچه که گذشته از اعمال ایشان و اگر بزرگ شمارند اعمال خودشان هرآینه باطل و زایل می نماید رجاء و امیدواری ایشان ترس های ایشان را و اختلاف نمی نمایند در ذات و صفات پروردگار به سبب غلبه شیطان بر ایشان و پراکنده نساخته ایشان را بدی بریدن از یکدیگر و مالك نشده ایشان را خیانت حسد بردن به یکدیگر و

متفرّق نساخته ايشان را مواضع صرف شك و گمان و منقسم نگردانيده ايشان را اختلاف هاى همّت ها.

پس ايشان اسيران ايمانند كه رها ننموده ايشان را از بند ايمان ميل نمودن از حق و نه عدول كردن از منهج صدق و نه سستى در عبادت و نه كاهلى در طاعت و نيست در طبق هاى آسمان جاى پوستى مگر كه بر او است ملك سجده كننده يا سعى نماينده شتابنده كه زياده مى گردانند بر درازى طاعت به پروردگار خودشان علم و يقين را و افزون مى گرداند عزّت كردگار ايشان در دل هاى ايشان عظم و شأن را.

هذا آخر الجزء السادس من هذه الطبعة النفيسة وقد تم تصحيحه وتهذيبه بيد العبد «السيد إبراهيم الميانجي» عفى عنه وعن والديه في اليوم الثاني من شهر ذي الحجة الحرام سنة ۱۳۷۹ ويليه إن شاء الله الجزء السابع وأوله: «الفصل السادس» من المختار التسعين والحمد لله أولاً وآخراً

محتوى الجزء السادس من كتاب منهاج البراعة شرح نهج البلاغة

الفصل السادس ٥
اللغة ٥
الإعراب ٦
المعنى ٦
تنبيهات ثلاثة متضمنة لتحقيق بعض ما تضمنه هذا الفصل ١٣
الأول ١٣
في تحقيق الصراط وبيانه ١٣
الثاني ١٦
في تحقيق الذكر والمستفاد من قوله عليه السلام: وأوجف الذكر بلسانه ١٦
الحث والترغيب عليه ١٦
الثالث ٢٠
في تحقيق معنى الرجاء والخوف على في ما شرح البحراني أخذاً من «إحياء العلوم» ٢٠
لأبي حامد الغزالي بتغيير وتصرف يسير ٢٠
الفصل السابع منها في صفة خلق الإنسان ٢٤
اللغة ٢٤
الإعراب ٢٥
المعنى ٢٧
وينبغي تذييل المقام بأمور مهمة ٣٢
الأول ٣٢
في تحقيق بدو خلق الإنسان فأقول ٣٢
الثاني ٣٥
في تحقيق السؤال في القبر وذكر شبهة المنكرين له ردفعها ٣٥
الثالث ٣٦
في حالات الميت حين أشرف على الموت وحين إزهاق روحه وعند الغسل ٣٦
والتكفين وحمله على سريره وإذا وضع في قبره وكيفية السؤال في القبر ٣٦
وضغطة القبر وبعض عقوباته في البرزخ ومثوباته ٣٦

أما حالة الاحتضار ٣٦
وأما صفة ملك الموت وكيفية قبض الروح ٤٠
وأما التغسيل والتكفين ٤٣
وأما حالته إذا حمل على سريره ٤٤
وأما حاله بعد وضعه في قبره ٤٥
وأما السؤال عنه ٤٦
وأما ضغطة القبر وضمته ٤٩
الفصل الثامن ٥٧
اللغة ٥٧
الإعراب ٥٨
المعنى ٥٨
تكملة ٦١
ومن كلام له عليه السلام في ذكر عمرو بن العاص وهو الثالث والثمانون من المختار في باب الخطب ٦٥
اللغة ٦٥
الإعراب ٦٦
المعنى ٦٦
تذنيبات الأول ٧٠
الثاني ٧٦
الثالث ٨٠
الرابع ٨٣
ومن خطبة له عليه السلام وهي الرابعة والثمانون من المختار في باب الخطب ٩٨
منها ٩٨
ومنها في صفة الجنة ٩٨
اللغة ٩٨
الإعراب ٩٩
المعنى ٩٩
الفصل الأول ٩٩
الفصل الثاني ١٠٢
الفصل الثالث ١٠٣
ومن خطبة له عليه السلام وهي الخامسة والثمانون من المختار في باب الخطب ١٠٧

اللغة ١٠٨
الإعراب ١٠٨
المعنى ١٠٩
تذنيبان الأول في الكذب ١٢٢
الثاني في الحسد ١٢٨
المقام الأول في حده ١٢٨
الثاني في الآيات والأخبار الواردة فيه ١٢٩
الثالث في أساب الحسد ١٣٢
الرابع ١٣٤
الخامس ١٣٦
ومن خطبة له عليه السلام وهي السادسة والثمانون ١٤٢
من المختار في باب الخطب ١٤٢
الفصل الأول ١٤٢
اللغة ١٤٢
الإعراب ١٤٣
المعنى ١٤٣
الفصل الثاني ١٥٢
اللغة ١٥٢
الإعراب ١٥٢
المعنى ١٥٢
تنبيه ١٥٤
الفصل الثالث ١٦٠
اللغة ١٦٠
الإعراب ١٦١
تنبيه ١٨٥
الفصل الرابع ١٩٩
اللغة ١٩٩
الإعراب ١٩٩
المعنى ١٩٩
ومن خطبة له عليه السلام وهي السابعة والثمانون من المختار في باب الخطب ٢٠٢
اللغة ٢٠٢

الإعراب ٢٠٣
المعنى ٢٠٤
تكملة ٢٠٨
توضيح ٢١٠
ومن خطبة له عليه السلام وهي الثامنة والثمانون من المختار في باب الخطب ٢١٦
اللغة ٢١٦
الإعراب ٢١٧
المعنى ٢١٧
تكملة ٢٢١
بيان ٢٢٢
ومن خطبة له عليه السلام وهي التاسعة والثمانون من المختار في باب الخطب ٢٢٤
اللغة ٢٢٤
الإعراب ٢٢٥
المعنى ٢٢٥
إيقاظ في ذكر نبذ من الأخبار الواردة في محاسبة النفس ٢٣٣
وبيان كيفية المحاسبة فأقول ٢٣٣
ومن خطبة له عليه السلام تعرف بخطبة الأشباح وهي التسعون من المختار في باب الخطب ٢٣٧
الفصل الأول ....
اللغة ٢٣٨
الإعراب ٢٣٨
المعنى ٢٣٩
الفصل الثاني ٢٥١
اللغة ٢٥٢
الإعراب ٢٥٣
المعنى ٢٥٣
المقصد الأول ٢٥٤
المقصد الثاني ٢٥٩
المقصد الثالث ٢٦٣
الفصل الثالث ٢٧١
اللغة ٢٧١

الإعراب ٢٧٢
المعنى ٢٧٢
تنبيه ٢٧٥
المقام الأول ٢٧٥
المقام الثاني ٢٧٩
المقام الثالث ٢٨٢
والفصل الرابع ٢٨٥
اللغة ٢٨٥
الإعراب ٢٨٦
المعنى ٢٨٦
الفصل الخامس ٣٠٣
اللغة ٣٠٤
الإعراب ٣٠٧
المعنى ٣٠٧
أحدهما في عصمة الملائكة ٣٢٢
الثاني ٣٢٥

مكتبة الروضة الحيدرية
الرقم ٤٥٩٩
التاريخ ٢٩ / ٥ / ٢٠٠٥

طبع على مطابع
دار إحياء التراث العربي